هرسه نسخه فا م هو

فا م هو

باز بینی شد ۱۳۵۳ خ

باز ۱۳

کتابخانهٔ آستان قدس

اسم کتاب مجموعه ... عربی

مصنف / مؤلف قاضی بیضاوی و شیخ طبرسی

خطی نسخ مختلف السطر ~~چاپی~~

سال چاپ یا تحریر ... عدد اوراق ۱۷۹

جزء کتب تفسیر ... شماره

شمارهٔ عمومی ۹۵۴۲ ... شمارهٔ قبض

واقف ش. ن. بابا مشار ... تاریخ وقف خرداد ۱۳۶۵

طول ۲۸٫۵ ... عرض ۱۹ ... گنجه

شامل انوار التنزیل ج۱ بیضاوی و ~~مجمع البیان~~ ج۱ شیخ طبرسی با شرح کتاب ناقص فا م هو → جوامع الجامع و نیز مجمع البیان ج۱ فا م هو

۹۵۴۲ ۳۴۷ع

کتابخانه آستان قدس
ویژه خطی

[illegible]

ام ايمن امرأة اعتقها رسول الله صلى الله عليه وآله [illegible]

من صحاح الجوهري

[illegible]

لتأكيد الابتداء يقال ليمن الله [illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نقتي

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى باقصر سورة من سوره
مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وافحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان
وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل اليهم حسبما عن لهم من مصالحهم
ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا وكشف قناع الانغلاق عن ايات محكمات هن ام الكتاب
واخر متشابهات هن رموز الخطاب تاويلا وتفسيرا وابرز غوامض الحقايق ولطايف الدقايق
ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الاحكام
واوضاعها من نصوص الآيات والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب
او القى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه راسه واطفى نبراسه
يعش ذميما ويصلى سعيرا فيا واجب الوجود ويا فايض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلوة
توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى من اعانه وقرر تبيانه تقريرا وافض علينا من بركاتهم و
اسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا وبعد فان اعظم العلوم
مقدارا وارفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية وراسها ومبنى قواعد
الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه الا من برع في العلوم الدينية كلها اصولها
وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون الادبية بانواعها ولطالما احدث نفسي
بان اصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن
دونهم من السلف الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطايف رايعة استنبطتها انا ومن قبلي من
افاضل المتاخرين واماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراءات المعزية الى الائمة الثمانية المشهورين
والشواذ المروية عن الائمة القراء المعتبرين الا ان قصور بضاعتي يثبطني عن الاقدام ويمنعني
عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما اردته و
الاتيان بما قصدته ناويا ان اسميه بعد ان اتممه بانوار التنزيل واسرار التاويل فها انا الآن اشرع وبحسن
توفيقه اقول وهو الموفق لكل خير ومعطي لكل سؤل سورة فاتحة الكتاب وتسمى ام القران لانها مفتتحه ومبداه
فكانها اصله ومنشاه ولذلك تسمى اساسا او لانها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله والتعبد بامره ونهيه
وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع
على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم
المسألة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراءتها او استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله عم هي شفاء لكل داء

والسبع المثاني لانها سبع ايات بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى
في الصلوة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة لما حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله
تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم وهي مكية بالاتفاق بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة وعليه
قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها
ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة فيه بشيء فظن انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن الشيباني
عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله ولنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة انه عم قال فاتحة الكتاب سبع ايات
اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة قرا رسول الله صم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب
العالمين آية ومن اجلهما اختلف في انها اية براسها او بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله والوفاق
على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القران حتى لم يكتب آمين والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله
اقرا لان الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدا له وذلك اولى من ان يضمر ابدا
لعدم ما يطابقه ويدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كما في قوله بسم الله
مجريها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق للوجود فان اسمه تعالى
مقدم على القراءة كيف لا وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه
لقوله عم كل امر ذي بال لم يبدا فيه بسم الله فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله اقرا وهذا
وما بعده مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسال عن فضله وانما
كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة
على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند اصحابنا البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها
لكثرة الاستعمال وبنيت اوايلها على السكون وادخل عليها مبتدا بها همزة الوصل لان من دابهم ان يبتدئوا
بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصاريفه على اسماء واسامي وسمي وسميت ومجيء سمى كهدى لغة فيه قال
والله اسماك سمى مباركا ❊ اثرك الله به ايثاركا ❊ والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى
وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله
ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال باسم الذي في
كل سورة سمه والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتالف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف
الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه
لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى تبارك اسم ربك المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقايص
يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب والاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر الى الحول
ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة كما هو راي الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة

وسبح اسم ربك

عنه الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك
والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن ولم تكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال
وطولت الباء عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله
بالقطع الا انه مختص بالمعبود بالحق والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بحق واشتقاقه من
اله الهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تاله واستاله وقيل من اله اذا تحير لان العقول تتحير في معرفته
او من الهت الى فلان اى سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع
من امر نزل عليه والهه غيره اجاره اذ العابد يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا
اولع بامه اذ العباد مولعون بالتضرع اليه في الشدائد او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه
فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضم في وجوه فقيل اله كاعاء واشاح ويرده الجمع على الهة دون
اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه تعالى محجوب عن ادراك الابصار
ومرتفع على كل شيء وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر كحلفة من ابي رباح يسمعها لاهه الكبار وقيل علم
لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما
يطلق عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع
الشركة والحق انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم مثل الثريا و
الصعق اجرى مجراه في اجراء الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه
لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر اخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ
ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوصة لما افاد قوله وهو الله في السموات معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق
هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة
وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح
ما قبله او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد
جاء لضرورة الشعر الا لا بارك الله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال والرحمن الرحيم اسمان
بنيا للمبالغة من رحم كغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي
التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات
التي هي افعال دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة
المعنى كما في قطع وقطع وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن
الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم
الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي من

الادنى

الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم
الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستعيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل
ثواب او جميل ثناء او مزيل رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة
على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك
من خلقه لا يقدر عليه احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها
فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة على رؤوس الآي والاظهر انه غير مصروف وان حظر اختصاصه بالله من ان
يكون له مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا له بما هو الغالب في بابه وانما خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان
المستحق لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولي النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها
فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره الحمد
لله الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول
حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا
قال افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني والضمير المحجبا فهو اعم منهما من وجه واخص من الآخر ولما كان الحمد من شعب الشكر
اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال جعل راس الشكر والعمدة فيه فقال عليه السلم
الحمد راس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب
وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي
تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرف كل احد ان الحمد ما هو او للاستغراق
اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط او بغير وسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى
حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث
انهما تستعملان معا منزلة كلمة واحدة رب العالمين الرب في الاصل بمعنى التربية وهو تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا
ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه
يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره الا مقيدا كقوله تعالى ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب
غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر
واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون
كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على الاستتباع وقيل عني به الناس
ههنا فان كل احد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما
ابدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال الله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب
على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها
فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها الرحمن الرحيم كرره للتعليل على ما سنذكره مالك يوم الدين قراه عاصم والكسائي
ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرا الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة

واهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف يشاء من الملك
والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب
على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدأ محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم
الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا اضاف اسم الفاعل
الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار معناه ملك الامور على طريقة ونادى
اصحاب الجنة او له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين
الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما للتعظيم او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه
واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه موجدا للعالمين ربا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها
مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه
فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستاهل
لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو موجب الحمد وهو الايجاد والتربية
والثاني والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه
قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه وتضمين الوعد للحامدين
والوعيد للمعرضين **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** لما ذكر الحقيق بالحمد ووصفه بصفات عظام تميز بها عن
سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون
ادل على الاختصاص والترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود وبني اول الكلام على ما
هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتامل في اسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم
شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه
عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب
التفنن في الكلام والعدول من اسلوب الى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن
الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ وقوله وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ
الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ وقول امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الارمد وذلك من نبأ جاءني وخبرته عن ابي الاسود
واياه ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب
والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج
بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل
هي الضمائر واياه عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل
الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع و
التذلل ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا يستعمل

الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او غيرها والضرورية ما لا يتاتى الفعل
دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل با
لاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر
للقادر على المشي او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد
طلب المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادة والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري الجماعة
او له ولسائر الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب
اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس
معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره
الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة
اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب
عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل
ما حكى الله عن حبيبه حين قال لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا على ما حكاه عن كليمه حيث قال إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ
وكرر الضمير للتنصيص على ان المستعان هو لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤوس الآي و
يعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم
ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم له
ولا تستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون
فيهما وهو لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**
بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة
بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ على التهكم ومنه الهداية وهوادي الوحش
لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل به معاملة اختار في قوله تعالى وَاخْتَارَ
مُوسَى قَوْمَهُ وهداية الله تعالى تتنوع انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي
بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب
الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ
وقال فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها
عنى بقوله وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وقوله إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ والرابع ان
يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي او الالهام او المنامات الصادقة وهذا قسم
يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ وقوله وَالَّذِينَ
جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب
المرتبة فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي

يسرط

بروايت قبل و

ابدا اننا لنستضيء بنور قد سك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان
بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسرط السابلة و
لذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الاطباق وقد تشم الصاد
صوت الزاء ليكون اقرب الى المبدل عنه وقرا ابن كثير ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام
والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير و
التانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل
من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص
على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له
فكانه من البين الذي لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم
الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلم قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام
ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين
ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي
واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه
بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والذكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة
فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها
بالاخلاق والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول المال والجاه
والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد الآبدين والمراد هو
القسم الآخر وما يكون وصلة الى نيله من القسم الآخر فان ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر
غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب و
الضلال او صفة له مبينة او مقيدة على معنى ان المنعم عليهم هم الذين جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان
وبين السلامة من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد تاويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذا
لم يقصد به معهود كالمحلى في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم اني لامر على الرجل مثلك فيكرمني او جعل غير
معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ما له ضد واحد وهو المنعم عليه فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن
كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين
والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم
مرفوع المحل لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي فكانه قال
لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا
زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطأ وله عرض
عريض والتفاوت ما بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب

عليه

عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه ان
يقال المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق
لذاته والخير للعمل به وكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب
عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق
الا الضلال وقرئ ولا الضالين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين آمين اسم الفعل
الذي هو استجب وعن ابن عباس سالت رسول الله صلعم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كاين لالتقاء
الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال آمين فزاد الله ما بيننا بعدا
وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عم علمني جبريل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة
وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي عم آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام
ويجهر به في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر انه عم كان اذا قرا ولا الضالين قال آمين ورفع به صوته وعن
ابي حنيفة انه لا يقوله والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والماموم يؤمن معه لقوله عم
اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين وان الامام يقول آمين فمن وافق
تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال لابي بن كعب الا
اخبرك بسورة لم تنزل في التورية والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها
السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينا رسول الله صلعم
اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة
لن تقرا حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلعم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب
حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك
العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء
مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير و
الجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو علي وما روى ابن مسعود رضي الله عنه انه عم قال من
قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف
فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله
ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها ليكون تاديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت
الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه
لكنها قابلة اياه معرضة له اذ لم تناسب مبني الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين ساكنين ولم تعامل
معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي تتركب منها افتتحت السور بطائفة منها
ايقاظا لمن تحدي بالقرآن وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير
الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا

بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد
مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفائق في فنه وهو
انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم تعد فيها الالف حرفا برأسها في تسع وعشرين
سورة بعدد ها اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها
ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع امرؤ ومن
الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن
المطبقة التي هي الصاد والطاء والضاد والظاء ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند
خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد بها الصوت
في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقي
المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة
الشايعة المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد والزاء في صراط
وزراط والفاء في جدف والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو والباء في باسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر
منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء
والعين والفاء والقاف والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد والظاء والشين والزاي والواو
نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهي الثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والراء والسين واللام
والنون لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا يدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم
والزاي والسين والفاء نصفها ولما كانت الحروف التي الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب
منفل والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيهما ولما
كانت الابنية المزيدة لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها
تنبيها على ذلك ولو استعرضت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها
مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة
ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلاث مفردات في ثلث سور لانها توجد في الاقسام الثلثة الاسم والفعل
والحرف واربع ثنائيات لانها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم
في تسع سور لوقوعها في كل واحد من الاقسام الثلثة على ثلثة اوجه ففي الاسماء واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي
الحروف ان ومن ومذ على لغة من جر بها وثلث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلثة في ثلث عشرة سورة تنبيها على ان
لكل منها اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها في اول القران لهذه
الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى ان هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف
او المؤلف منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن
وحيا من الله لما يتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب

نصفهما م

والكاف م

من م

الابنية المستعملة ثلاثة عشر عشرة منها
... وثلاثة للافعال ورباعيين
... تنبيها على ...

بالمهل

بالمهل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القران باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي به وان كانت مفهمة
فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت
له في لغة العرب وظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القران نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين
فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف آخر
كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت لي قاف
كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون
مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في ساير الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام
من جبرئيل والميم محمد اي القران منزل من الله بلسان جبرئيل على محمد عليهما السلام او الى مدد اقوام وآجال بحساب الجمل
كما قاله ابو العالية متمسكا بما روي انه عليه السلام لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل
في دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلعم فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت
علينا فلا ندري بايها ناخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه
الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب يلحقها بالمعربات كالمشكوة والسجيل
والقسطاس او دالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسايط اسماء الله ومادة خطابه هذا
وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكرة
عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تاخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متاخر عن المسمى بالرتبة
لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستيناف يلزمها وغيرها من حيث
انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم
اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل
بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها اذ لا
مخصص لفظا ومعنى ولا لحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه تبسم تعجبا من جهلهم
وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلاثة اسماء انما تمتنع
اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك واما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه
بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطايفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا
اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق
للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض
على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القران ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقران وقيل انها
اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا عليه السلام كان يقول يا كهيعص يا حم عسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل
الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي آخرها
جمع بينها ايماء بان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه وآخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استأثر الله

واخره
لا تحسبين انا نسينا الايجاف

بعلمه وقد روى عن الخلفاء الاربعة وغيرهم ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى ورسوله
ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القران او السور
كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله تعالى لافعلن
بالنصب وغيره كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتاتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد
لحم فانها كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره انشاء الله تعالى وان بقيتها على معانيها فان
قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة
منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن ويكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او
اصوات منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتداة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف
التمام اذا قدرت بحيث لا يحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها اية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص
وكهيعص وطه وطسم وحم ويس اية وحمعسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه
الم ذلك الكتاب ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القران فانه لما تكلم به
وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا اشير اليه بما يشار الى البعيد وتذكيره متى اريد بالم السورة
لتذكير الكتاب فانه خبره او صفته الذي هو هو او الى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بقوله
انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ونحوه او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة وقيل فعال بني للمفعول
كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة لا ريب فيه معناه
انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا
لا يرتاب فيه الا يرى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الاية فانه ما ابعد الريب عنهم بل عرفهم الطريق المزيح
له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحققوا ان ليس فيه
مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من ضمير المجرور والعامل فيه الظرف
الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك
لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان
لنوائبه هدى للمتقين يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالتقى والسرى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة
الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة في قوله تعالى انا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن
اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر
وبهذا الاعتبار قال هدى للناس او لانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الايات
والآيات والنظر في المعجزات وتعرف النبوات فانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة لانه لا يجلب نفعا ما لم تكن
الصحة حاصلة واليه اشار بقوله وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين
الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعيين المراد منه لانه
الكتاب المنعوت بغاية الكمال والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وفي

عرف

عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الاخرة وله ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد
بالتبرؤ عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل
او ترك حتى الصغاير عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعنى بقوله ولو ان اهل القرى
امنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته وقد فسر المتقون هاهنا على
الاوجه الثلثة واعلم ان الاية تحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدا على انه اسم القران او السورة
او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم
لان المراد به المؤلف الكامل في تاليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة
ذلك وان يكون الم خبر مبتدا محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته وريب في المشهورة
مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضها ولازمة
للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله لا فيها
غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من ساير الكتب كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى
نصب على الحال او الخبر محذوف كما في لا ضير ولذلك وقف على ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه
لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدا والكتاب خبره على معنى انه الكتاب
الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم والاولى ان يقال انها
اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان
المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي ولا
ريب فيه ثالثة تشهد على كماله اذ لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما تقدر له مبتدا رابعة
تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله او يستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه
لما نبه على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب
البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة
وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة جزلة ففي الاولى الحذف والرمز
الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي
الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين
باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه الذين يؤمنون بالغيب اما
موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية
على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله على
ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية
والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لساير الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا يرى الى
قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام

كلامهم م

منه م

او سوقه للمدح وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهار لفضلها على
ساير ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما
مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في
اللغة التصديق ماخوذ من الامن كان المصدق امن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء
لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما امنت ان
اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من
دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل
بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فمنافق ومن اخل بالاقرار
فكافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج خارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند
المعتزلة والذي يدل على انه للتصديق وحده انه سبحانه اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم
الايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه
بالمعاصي فقال ان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى
الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير فانه اقرب الى الاصل وهو متعين
الارادة في الاية اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق القلبي هل
هو كاف لانه المقصود او لا بد من انضمام الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم
المعاند اكثر من الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار والغيب مصدر وصف
به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض والخمصة التي تلي
الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم
لا دليل عليه وهو المعني بقوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم
الاخر واحواله وهو المراد به في الاية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا
على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى يؤمنون غايبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين
قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به لما روي ان ابن مسعود قال والذي لا اله غيره
ما امن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الاية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن
يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للالة ويقيمون
الصلوة يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من
قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا
قميطا فانها اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون
لادائها غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او
يؤدونها عبر عن ادائها بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول

الذين امنوا م

اظهر لانه

8

اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة
من الفرايض والسنن وحقوقها الباطنة كالخشوع والاقبال بقلبه على الله لا المصلون الذين هم عن صلوتهم ساهون
ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة فعلة من صلى اذا دعى
كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك
الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح
في نقله وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم ينفقون الرزق
في اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان وتمكينه
من الانتفاع به والمعتزلة لما استحالوا من الله ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق
لا يتناول الحرام الا ترى انه اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال المطلق فان انفاق الحرام
لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه
حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما
رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله عليه السلام في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما
حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا
وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقريت
الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا ان الانفاق
صرف المال في سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه
بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس الاي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن
الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي منحهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده
قوله عليه السلام ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون والذين
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون
على الذين يؤمنون بالغيب وداخلون معهم في جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين امنوا
عن شرك وانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الايتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس رض او على المتقين
كانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين امنوا من اهل الملل ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط
العاطف كما وسط في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح
فالغانم فالايب على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية
والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تباين السبيلين او طايفة منهم وهم
مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبرئيل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشانهم وترغيبا
لغيرهم والانزال نقل الشيء من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول

الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ
فينزل به الى الرسول ويلقنه والمراد بما انزل اليك القران باسره والشريعة عن اخرها وانما عبر عنه
بلفظ المضى وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره
قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب ح منزلا كله
وبما انزل من قبلك ساير الكتب السابقة والايمان بها جملة فرض عين وبالاول دون الثاني
تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج و
تشويش المعاش وبالاخرة هم يوقنون اى يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها
الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة اهو من
نعيم الدنيا او غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم
من اهل الكتب وبان اعتقادهم في امر الاخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان العلم
بنفي الشك والشبهة عنه نظرا واستدلالا ولذلك لا يوصف به العلم القديم والعلوم الضرورية والاخرة
تانيث الاخر غلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرى يؤقنون
بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره: لحب المؤقدان الي مؤسى
وجعدة اذ اضاءهما الوقود اولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا
عن المتقين خبر له وكانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون
الى آخر الآيات والا فاستيناف لا محل لها وكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سائل
قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق
بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستانف باعادة
الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضى وتلخيصه فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى
الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه
وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل والغوى واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر
وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم وكانه اريد
به ضرب لا يبالغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلى: فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد
لقد وقعت على لحم واكد تعظيمه بان الله مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة
واولئك هم المفلحون كرر اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضى كل واحد
من الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين
ههنا بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه
بالانعام واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة
ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتداء والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك

بدليل قوله تعالى تلك الدار الاخرة

بالبهائم

من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية فيه ظلمات
ورعد وبرق ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة اغمامه مع ظلمة الليل وجعله
مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة
الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه
اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء
بريقا وكلاهما مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا يجعلون اصابعهم في اذانهم الضمير لاصحاب الصيب
وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان في قوله:
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استيناف
وكانه لما ذكر ما يوذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل
للمبالغة من الصواعق متعلق بيجعلون اى من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد
هايل معها نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد يطلق على كل هايل مسموع او مشاهد
ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرى من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق
لاستواء كلا البنائين في التصريف يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاعقة وهي في الاصل
اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة حذر الموت
نصب على العلة كقوله: واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت زوال الحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة والله
محيط بالكافرين لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها يكاد
البرق يخطف ابصارهم استيناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة
وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض مانع وعسى موضوعة
للرجاء فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها
على انه المقصود بالقرب من غير ان ليؤكد القرب بالدلالة على الحال وقد يدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها
بالحذف عن خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ بسرعة وقرى يخطف بكسر الطاء ويخطف
على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت في الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء
لها ويتخطف كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتى
خفوق وخفيته فاجيب بذلك واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى
كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول
وقول ابي تمام: هما اظلما حالي ثمة اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب فانه وان كان من المحدثين لكنه من
علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص
على المشى فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق
اذا ركدت وقام الماء اذا جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم اى ولو شاء الله ان يذهب

عسى

البرق

بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشيئة الله تعالى وان وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته وقوله ان الله على كل شيء قدير كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول البارئ تعالى كما قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشيء اخرى اي مشيء وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير والله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن وما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلما يوصف به غير البارئ تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما تقتضيه مشيئته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور لله تعالى لانه شيء وكل شيء مقدور له والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التوراة بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقاده في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تاخذ اشياء فرادى فتشبهها بامثالها كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بان تشبه في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وافشاء حالهم وابقائهم في الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط للكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضرا ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما

يأتون

10

والفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة او اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم ثم تامل كيف نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء اثرهم وقد تشبثت به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له راسا ان الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده وخالصة اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم اضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم وتصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر لغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانها كفر في انفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة مخبر عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما ينعت بالمصادر قال الله تعالى الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له واما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدث

المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى واذا قيل لهم امنوا ويوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وانما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جرد حرف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار التخويف اريد به التخويف من عقاب الله وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ أانذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحركة لا تقلب ولانه يؤدي الى جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها **لا يؤمنون** جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الآية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة** تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى انه آخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة لهم في الانفس والآفاق كما تجتليها اعين المستبصرين فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه وبالاقساء في قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات باسرها مستندة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآيات ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب

دون البشارة ح

الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة ح

البهايم

البهايم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او كقلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا الآية السادس ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن من اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الآية العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وختم على ابصارهم غشاوة وبالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة **ولهم عذاب عظيم** وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يردع الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الآية ان على ابصارهم نوع غشاوة غير ما يتعارفه الناس وهو التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع لا يعلم كنهه الا الله **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر** لما افتتح سبحانه بشرح الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة رأسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة

جعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى وختم

امنا

وأبغضهم إلى الله لأنهم موّهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طوّل في بيان خبثهم وجهلهم
واستهزائهم وتهكم بأفعالهم وسجّل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الأمثال وأنزل فيهم إن المنافقين في الدرك
الأسفل من النار وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرّين والناس أصله أناس لقولهم إنسان وأناس
وأناسي فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوّض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله إن المنايا
يطّلعن على الأناس الآمنينا شاذ وهو اسم جمع كرخال إذ لم يثبت فعال في أبنية الجمع مأخوذ من أنس لأنهم
يستأنسون بأمثالهم أو آنس لأنهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه
للجنس ومن موصوفة إذ لا عهد فكأنه قال ومن الناس ناس يقولون أو للعهد والمعهود هم الذين كفروا
ومن موصولة مراد بها ابن أبي وأصحابه ونظراؤه فإنهم من حيث إنهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم
على قلوبهم واختصاصهم بزيادات زادوها على الكفر لا يأبى دخولهم تحت هذا الجنس فإن الأجناس إنما تتنوع
بزيادات يختلف فيها أبعاضها واختصاص الإيمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الأعظم
من الإيمان وادعاء بأنهم احتازوا الإيمان من جانبيه وأحاطوا بقطريه وإيذان بأنهم منافقون فيما يظنون
أنهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لأن القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر إيمانا
كلا إيمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وأن الجنة لا يدخلها غيرهم وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة
وغيرها ويرون المؤمنين أنهم آمنوا مثل إيمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وإفراطهم في كفرهم لأن ما قالوه
لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن إيمانا فكيف وقد قالوه تمويها على
المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الإيمان بكل واحد على الأصالة والاستحكام والقول هو التلفظ
بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللرأي والمذهب مجازا والمراد
باليوم الآخر من وقت الحشر إلى ما لا ينتهي أو إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لأنه آخر الأوقات
المحدودة وما هم بمؤمنين إنكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا إثباته وكان أصله وما آمنوا ليطابق قولهم
في التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا ومبالغة في التكذيب لأن إخراج ذواتهم من عداد
المؤمنين أبلغ من نفي الإيمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك أكد النفي بالباء وأطلق الإيمان على معنى
أنهم ليسوا من الإيمان في شيء ويحتمل أن يقيد بما قيدوا به لأنه جوابه والآية تدل على أن من ادعى الإيمان
وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لأن من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه
أو ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا تنهض حجة عليهم يخادعون الله
والذين آمنوا الخدع أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو بصدده من قولهم خدع الضب
إذا توارى في جحره وضب خادع وخدع إذا أوهم الحارش إقباله عليه ثم خرج من باب آخر وأصله
الإخفاء ومنه المخدع للخزانة والأخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة تكون بين اثنين و
خداعهم مع الله ليس على ظاهره لأنه لا يخفى عليه خافية ولأنهم لم يقصدوا خديعته بل المراد إما مخادعة
رسوله على حذف المضاف أو على أن معاملة الرسول معاملة الله من حيث إنه خليفته كما قال تعالى ومن

يطع

يطع الرسول فقد أطاع الله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وإما أن صورة صنيعهم مع الله
من إظهار الإيمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده أخبث الكفار
وأهل الدرك الأسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين أمر الله في إخفاء حالهم
وإجراء حكم الإسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع المتخادعين ويحتمل أن يراد بيخادعون يخدعون
لأنه بيان ليقول أو استيناف بذكر ما هو الغرض منه إلا أنه أخرج في زنة فاعلت للمبالغة فإن الزنة لما كانت للمغالبة
والفعل متى غولب فيه فاعله كان أبلغ منه إذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار استصحب ذلك ويعضده قراءة
من قرأ يخدعون وكان غرضهم في ذلك أن يدفعوا عن أنفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وأن يفعل بهم ما
يفعل بالمؤمنين من الإكرام والإعطاء وأن يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على أسرارهم ويذيعوها إلى منابذيهم إلى غير
ذلك من الأغراض والمقاصد وما يخدعون إلا أنفسهم قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو والمعنى أن دائرة
الخداع راجعة إليهم وضررها يحيق بهم أو أنهم في ذلك خدعوا أنفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم أنفسهم حيث
حدثتهم بالأماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرأ الباقون وما يخادعون لأن المخادعة لا
يتصور إلا بين اثنين وقرئ ويخدعون من خدع ويخدّعون بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء
للمفعول ونصب أنفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لأن نفس الحي به وللقلب لأنه
محل الروح أو متعلقه وللدم لأن قوامها به وللماء لفرط حاجتها إليه وللرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه لأنه
ينبعث عنها أو يشبه ذاتا يأمره ويشير عليه والمراد بالأنفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على أرواحهم وآرائهم
وما يشعرون لا يحسون لذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره إليهم في الظهور كالمحسوس الذي
لا يخفى إلا على مؤوف الحواس والشعور الإحساس ومشاعر الإنسان حواسه وأصله الشعر ومنه الشعار في قلوبهم
مرض فزادهم الله مرضا المرض حقيقة فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في أفعاله
ومجاز في الأعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لأنها
مانعة عن نيل الفضائل أو مؤدية إلى زوال الحياة الحقيقية الأبدية والآية تحتملها فإن قلوبهم كانت متألمة تحرّقا
على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات أمر الرسول واستعلاء شأنه يوما فيوما فزاد الله
غمهم بما زاد في إعلاء أمره وإشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي ونحوها
فزاد الله ذلك بالطبع أو بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان إسناد الزيادة إلى الله
من حيث إنه مسبب من فعله وإسنادها إلى السورة في قوله فزادتهم رجسا إلى رجسهم لكونها سببا ويحتمل أن
يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وإمداد الله لهم بالملائكة وقذف
الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله نصرة على الأعداء وتبسطا في البلاد ولهم عذاب أليم
أي مؤلم يقال ألِم فهو أليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة
قولهم جدّ جده بما كانوا يكذبون قرأها عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم أو ببدله جزاء لهم وهو
قولهم آمنا وقرأ الباقون يكذبون من كذّبه لأنهم كانوا يكذبون الرسول بقلوبهم وإذا خلوا إلى شياطينهم

اومن كذب الذى هو للمبالغة او التكثير مثل بيّن الشئ وموتت البهائم او من كذب الوحشى اذا جرى شوطا ووقف
لينظر ما وراءه فان المنافق متحيّر متردد والكذب هو الخبر عن الشئ على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه
علّل به استحقاق العذاب حيث رتّب عليه وما روى ان ابرهيم صلعم كذب ثلث كذبات والمراد التعريض
ولكن لما شابه الكذب فى صورته سمى به وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ عطف على يكذبون او يقول
وما روى عن سلمان ان اهل هذه الاية لم ياتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس الذين كانوا فقط بل هم
وسيكون بعد من حاله حالهم لان الاية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشئ
عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم فى الارض هيج الحروب
والفتن بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدى الى فساد ما
فى الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصى والاهانة بالدين فان الاخلال
بالشرايع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى او الرسول
او بعض المؤمنين قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه
لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوايب الفساد لان
انما يفيد حصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم
تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما فى قلوبهم من المرض كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ردّ لما ادعوه ابلغ ردّ للاستيناف به وتصديره بحرفى
التاكيد الا المنبهة على تحقيق ما بعدها فان همزة الاستفهام التى للانكار اذا دخلت على النفى
افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر ولذلك لا يكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى بها
القسم واختها اما التى من طلايع القسم وان المعرّفة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد
ما فى قلوبهم قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا
من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض عما لا ينبغى وهو المقصود بقوله لا
تفسدوا والاتيان بما ينبغى وهو المطلوب بقوله آمنوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ فى حيز النصب على المصدر
وما مصدرية او كافة مثلها فى ربما واللام فى الناس للجنس والمراد به الكاملون فى الانسانية العاملون
بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعانى المخصوصة به والمقصودة
منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم ونحوه
وقد جمعهما الشاعر فى قوله اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول
ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص
متمحضا عن شوايب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان
ايمان والا لم يفد التقييد قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها
الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رايهم

والتحقير

والتحقير شانهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موالٍ كصهيب وبلالٍ او للتجلد وعدم المبالاة بمن
آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة راى يقتضيهما نقصان العقل
والحلم يقابله أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ردّ ومبالغة لتجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على
خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وينفعه الآيات
والنذر وانما فصلت الآية بلا يعلمون والتى قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على
امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما
يدرك بادنى تفطن وتامل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا بيان
لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روى
ان ابن ابيّ واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ
بيد ابى بكر وقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله فى الغار والباذل
نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر رضى الله عنه فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوى
فى دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علىّ م فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه
سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلعم فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته
واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ
من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اى عداك ومضى عنك ومنه القرون
الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه وعدى بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين
ماثلوا الشيطان فى تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة فى الكفر او كبار المنافقين
والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح
ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ
اى فى الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بانّ لانهم
قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من
عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال فى الايمان على المؤمنين من المهاجرين
والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشئ
المستخف به مصرّ على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف فكان الشياطين
قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما بالكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك
والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله
الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اى تسرع وتخف
اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ يجازيهم على استهزائهم سمى جزاء الاستهزاء باسمه كما سمى جزاء السيئة سيئة اما
لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له فى القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم

او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما
في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان
واما في الآخرة فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك
قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استونف به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم
ولم يحوج المؤمنين ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ
بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله
فيهم كما قال تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين **ويمدهم في طغيانهم يعمهون** من مد الجيش
وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في
العمر فانه يعدى باللام كاملى له ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على
ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طرق التوفيق
على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان من
اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا
يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغي وقال
واخوانهم يمدونهم في الغي وقيل اصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد في اعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا الا
طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه كما قال واختار موسى قومه او التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك
يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العتو والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن
مكانه قال الله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وارض
عمهاء لا منار بها قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه **اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى** اختاروها عليه
واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه
لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر وآخذه
بائع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا
بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة
واستحبوها على الهدى **فما ربحت تجارتهم** ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارهم
ونحوه ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح
الفضل على راس المال ولذلك سمي شفا واسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او
لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران **وما كانوا مهتدين** لطرق التجارة فان المقصود منها
سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان راس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل
الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم راس مال يتوسلون
به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين للاصل

مثلهم

مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير
فانه اوقع في القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه
الامثال وفشت في كلام الانبياء والحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه
وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير
ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل قوله مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله تعالى ولله
المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذي
خاضوا ان جعل مرجع الضمير في بنورهم وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود
بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه ان لا يجمع
ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء
ابدا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف
ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذي
استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من
نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا **فلما اضاءت ما حوله** اي النار ما حول المستوقد ان جعلتها متعدية
والا امكن ان تكون مسندة الى ما والتانيث لان ما حوله اشياء واماكن او الى ضمير النار وما موصولة في
معنى الامكنة نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور
ذهب الله بنورهم جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم
لانه المراد من ايقادها او استيناف اجيب به جواب سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفت
ناره او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما
ذهبوا به للايجاز وامن الالباس واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء
حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح ومطر او للمبالغة ولذلك عدى الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من
معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل
له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما
في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا الا ترى كيف قرر ذلك واكده بقوله
وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها
بانها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى
صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون وقول الشاعر فتركته جزر السباع
ينشنه والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم
ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم او
ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد او ظلمة شديدة كانها ظلمات متراكمة ومفعول

المتروك

لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك وكان الفعل غير متعد والآية مثل ضربه الله لمن آتاه ضربا من الهدى فأضاعه
ولم يتوصل به إلى نعيم الأبد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الآية الأولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء
المنافقون فإنهم أضاعوا ما نطقت به ألسنتهم من الحق باستبطان الكفر وإظهاره حين خلوا إلى شياطينهم
ومن آثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة أو ارتد عن دينه بعد ما آمن ومن صح له أحوال الإرادة
فادعى أحوال المحبة فأذهب الله عنه ما أشرق عليه من نور الإرادة أو مثل لإيمانهم من حيث إنه يعود عليهم بحقن
الدماء وسلامة الأموال والأولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والأحكام بالنار الموقدة للاستضاءة
ولذهاب أثره وانطماس نوره بإهلاكهم وإفشاء حالهم بإطفاء الله تعالى إياها وإذهاب نورها صم بكم عمي
لما سدوا مسامعهم عن الإصاخة إلى الحق وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم ويتبصروا الآيات بأبصارهم جعلوا كأنما
أيفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله: صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به * وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا. وكقوله: أصم
عن الشيء الذي لا أريده * وأسمع خلق الله حين أريد. وإطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة إذ من شرطها
أن يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير: لدى أسد شاكي
السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم. ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما
قال أبو تمام الطائي: ويصعد حتى يظن الجهول * بأن له حاجة في السماء. وههنا وإن طوي ذكره بحذف المبتدأ
لكنه في حكم المنطوق به ونظيره: أسد علي وفي الحروب نعامة * فتخاء تنفر من صفير الصافر. هذا إذا جعلت الضمير
للمنافقين على أن الآية فذلكة التمثيل ونتيجته وإن جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى أنهم لما أوقدوا
نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة أدهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها
قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم أصله صلابة من اكتناز الأجزاء ومنه قيل حجر أصم وقناة
صماء وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لأن سببه أن يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه
يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شأنه أن يبصر وقد يقال لعدم البصيرة
فهم لا يرجعون لا يرجعون إلى الهدى الذي باعوه وضيعوه أو عن الضلالة التي اشتروها أو فهم متحيرون
لا يدرون أيتقدمون أو يتأخرون وإلى حيث ابتدأوا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على أن اتصافهم
بالأحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم أو كصيب من السماء عطف على الذي استوقد أي كمثل ذوي
صيب لقوله تعالى يجعلون أصابعهم وأو في الأصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فأطلقت للتساوي من غير
شك مثل جالس الحسن أو ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا فإنها تفيد التساوي في حسن المجالسة
ووجوب العصيان ومن ذلك قوله تعالى أو كصيب ومعناه أن قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين
وأنهما سواء في صحة التشبيه بهما وأنت مخير في التمثيل بهما أو بأيتهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو
النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ: وأسحم دان صادق الرعد صيب. وفي الآية يحتملهما وتنكيره
لأنه أريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على أن الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء
كلها فإن كل أفق منها يسمى سماء كما أن كل طبقة منها سماء قال: ومن بعد أرض بيننا وسماء أمده ما في صيب

يأتون ويذرون بأنهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع أن تخطف أبصارهم فخطوا خطى يسيرة
إذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل شبه الإيمان والقرآن وسائر ما أوتي الإنسان من المعارف
التي هي سبب الحياة الأبدية بالصيب الذي به حياة الأرض وما ارتبكت بها من شبه المبطلة واعترضت دونها
من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق
وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد أذنه عنها مع أنه لا
خلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه أو
رفد يطمح إليه أبصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما أضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الأمر حين
يعرض لهم شبهة أو يعن لهم مصيبة بتوقفهم إذا أظلم عليهم ونبه بقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم
وأبصارهم على أنه تعالى جعل لهم السمع والأبصار ليتوسلوا بها إلى الهدى والفلاح ثم إنهم صرفوها إلى
الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فإنه
على ما يشاء قدير يا أيها الناس اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم
ومصارف أمورهم أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بأمر العبادة
وتفخيما لشأنها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا
له منزلة البعيد إما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو أقرب من حبل الوريد أو لغفلته وسوء فهمه أو للاعتناء
بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فإنهما كمثلين وأعطي حكم
المنادى وأجري عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه إشعارا بأنه المقصود وأقحمت بينهما هاء التنبيه
تأكيدا وتعويضا عما يستحقه أي من المضاف إليه وإنما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله بأوجه من
التأكيد وكل ما نادى الله له عباده من حيث إنها أمور عظام من حقها أن يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها
وأكثرهم عنها غافلون حقيق بأن ينادى له بالآكد الأبلغ والجموع وأسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد
ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون واستدلال
الصحابة رضي الله عنهم بعمومها شائعا ذائعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما
تواتر من دينه عم أن مقتضى خطابه وأحكامه شامل للقبيلين ثابت إلى قيام الساعة إلا ما خصه الدليل وما
روي عن علقمة والحسن أن كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فمكي ويا أيها الذين آمنوا فمدني إن صح رفعه فلا يوجب
تخصيصه بالكفار ولا أمرهم بالعبادة فإن المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة
عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الإتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والإقرار بالصانع فإن
من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم إلا به وكما أن الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب
العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وإنما قال ربكم تنبيها
على أن الموجب للعبادة هي الربوبية الذي خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد إن
خص الخطاب بالمشركين وأريد بالرب أعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها أربابا والخلق إيجاد

خوف حج
الإنسان حج
لأنه نائب مناب فعل وأي جعل وصلة إلى نداء المعرف باللام لأن إدخال يا عليه متعذر حج
والتوضيح والترتيب

الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
يتناول كل ما يتقدم الانسان بالذات او الزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة
اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم
من العلم به بادنى نظر وقرئ مَنْ قَبْلَكُمْ على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم
تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ حال من الضمير في اعبدوا كانه قال اعبدوا
ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى
درجات السالكين وهو التبري من كل شيء سوى الله الى الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا
خوف ورجاء كما قال جل ذكره يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف
عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي اليه
وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقوا كما قال الله
تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والاية تدل على ان الطريق
الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق
بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره فلا تجعلوا وجعل من
الافعال العامة يجيء على ثلاثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل
من الاكوار مرتعها قريب وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى
صير ويتعدى الى مفعولين كقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول والعقد اخرى
ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين
الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأة لان يقعدوا وينا موا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها
مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا يابى الافتراش عليها وَالسَّمَاءَ بِنَاءً قبة مضروبة عليكم
والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا
كان او قبة او خباء ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيته ولكن جعل الماء الممزوج
بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة
الممتزجة منهما او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر
على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرجا
من حال الى حال صنائع وحكما تجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس في ايجادها دفعة من
الاول لا بتداء سماء او اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدأ من السماء الى السحاب
ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى

جو الهواء

١٦

جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتنافه المنكرين
له اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم
وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر الثمار ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا
مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد
بالثمرة جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة وبستانه ويؤيده قراءة من قرأ من الثمرة على التوحيد او لان الجموع يتعاور
بعضها موضع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وقوله تعالى ثلاثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد
القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوله ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ
أَنْدَادًا متعلق باعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جواب له او بلعل على ان نصب
تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات والارض فاطلع الحاقا لها بالاشياء
الستة لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا له اندادا او بالذي جعل ان استانفت به على انه نهي
وقع خبرا على تاويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدأ معنى الشرط والمعنى من خصكم
بهذه النعم الجسام والايات العظام لا ينبغي ان يشرك به والند المثل المناوي قال جرير اتيما تجعلون الي ندا
وما تيم لذي حسب نديد من ندّ ندودا اذا نفر وناددت الرجل اذا خالفته خص بالمخالف المماثل الذات
كما خص المساوي بالمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون اندادا وما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته ولا
انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها الهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة
بالذات قادرة ان تدفع عنهم باس الله تعالى وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا
لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل ارباً واحدا ام الف رب ادين اذا
انقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ حال من ضمير فلا تجعلوا
ومفعول تعلمون مطرح اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الرأي فلو تاملتم ادنى تامل اضطر
عقلكم الى اثبات موجد للممكنات متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوي وهو انها لا تماثله
ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ و
التثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكاليف واعلم ان مضمون
الايتين هو الامر بعبادة الله والنهي عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي لهما وبيانه انه رتب
الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما
يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والملبوس والرزق
اعم من الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه امورا لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي
عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الاية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى
تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء
والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس

وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة
بقدرة الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا ﴿وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا
بسورة﴾ لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلعم وهو القرآن المعجز
بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق وافحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم
في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه
وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما يرى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم وقال
الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف
العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدا صلعم وامته والسورة الطائفة من
القرآن المترجمة التي اقلها ثلث آيات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من
القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة
قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ او لها
مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التي هي البقية
والقطعة من الشيء والحكمة في تقطيع القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ
وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا
والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ من القرآن حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك
عنده وابتهج به الى غير ذلك من الفوائد ﴿من مثله﴾ صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض
او للتبيين وزائدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي
بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فاتوا والضمير للعبد والرد الى
المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فاتوا بسورة مثله ولساير آيات التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه
ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان ياتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ
في التحدي من ان يقال لهم ليأت بنحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت
الجن والانس على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على
صفته ولا يلائمه قوله ﴿وادعوا شهداءكم من دون الله﴾ فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء
جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام فكانه سمي به لانه يحضر النوادي ويبرم بمحضره
الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه
او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك
هذا اي خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه الشيء الدون ثم اتسع
فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي امر الى آخر قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون
المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق

اي اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا الى المعارضة من
حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم والهتكم غير الله فانه لا يقدر على ان ياتي بمثله الا الله او ادعوا
من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت
العاجز عن اقامة الحجة او بشهداء اي شهداءكم الذين اتخذتموهم من دونه اولياء او آلهة وزعمتم انها تشهد
لكم يوم القيامة او الذين يشهدون لكم بين يدي الله على زعمكم من قول الاعشى * تريك القذى من دونها
وهي دونه * ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم
وقيل من دون الله اي من دون اوليائه يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما
اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله ﴿ان كنتم
صادقين﴾ انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع
اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته
ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به ﴿فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾ لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول وما جاء
به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعا
عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به واتقوا العذاب المعد
لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته
على سبيل الكناية تقريرا للمكني عنه وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية
بان الذي للشك والحال يقتضي اذا الذي للوجوب فان القائل سبحانه وتعالى لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك
نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم او خطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل لم
يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا
صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع وكانه قال وان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما
ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية
الاخرى اصله لا ان وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما توقد به النار وبالضم المصدر
وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم
ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان
المراد به الاسم وان اريد المصدر فعلى حذف مضاف اي وقودها احتراق الناس والحجارة
وهي جمع حجر كالجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا بها
انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار بمكانهم ويدل عليه قوله تعالى
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه
او بنقيضه ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها

ويعترون لجادة على هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها و الكبريت يتقد بكل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس رضي الله عنه فلعله عنى به ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الآية نزلت بعد ما نزل بمكة منه قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها يجب ان يكون قصته معلومة اعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استيناف او حال باضمار قد من النار لا الضمير الذي في وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القران ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجأوا الى جلاء الوطن وبذل المهجة والثاني انهما تتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث انه عم لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله لما اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة لهم الآن وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقران ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم ياتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول صلعم او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنؤوا بما اعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استينافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تاتيني وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها على تاويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه ولا ما هو داخل فيه ان لهم جنات منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي بها الشجر

المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس رض سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة نعيم ودار الخلد وجنة الماوى ودار السلم وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافي النعم السابقة فضلا من ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عم لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه وتعالى لم يقيد ههنا استغناء بها تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله عز وجل انهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او المجاز او المجاري انفسها واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة كانه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا ام اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال واصل الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدا من الجنات مبتداء من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدا من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا يتقطع فانك لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة من قبل اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما ترى فان الطباع مائلة الى المالوف متنفرة من غيره ويتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظنت انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف او لما روي انه عم قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة واتوا به متشابها

اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والاخرة كما قال ابن عباس ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم واللون دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه هذا وان للآية محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابهها تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد **ولهم فيها ازواج مطهرة** مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت ❊ واستعجلت نصب القدور فملت ❊ والجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر احوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها **وهم فيها خالدون** دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام ام لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد في قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا ومجازا والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما نجده ونشاهد من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم في الآخرة بابهى ما يستلذ به

منها وازال

منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور **ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة** لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف معنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه ميل الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع من قرادة واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب به الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحيوة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وحشي اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث ان الله لا يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف ابلا اذا ما استحين الماء يعرض نفسه ❊ كرعن بسبت في اناء من الورد ❊ وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة وتحتمل الآية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماده من ضرب الخاتم واصله وقع الشيء على آخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان او مزيدة للتأكيد كالتي في قوله تعالى فبما رحمة ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فان القرآن كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان يذكر مع غيره فيفيده وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانه نكرة او مفعول ثان لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدأ وعلى هذا يحتمل ما وجوها اخر ان تكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تعالى تماما على الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدأ كأنه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعد ذلك

ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب له به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينار و دينارا ن والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش **فما فوقها** عطف على بعوضة وما ان جعل اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوضة فضلا عما هو اكبر منه او في المعنى عطف على الجثة الذي جعلت فيه مثله وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عم ضرب به مثله للدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رض سمعت رسول الله قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في الالم كالخرور او ما زاد عليها في القلة كنخبة النمل لقوله عم ما اصاب المومن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النمل **فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم** اما حرف يفصل ما اجمل ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوا الخبر وعوضوا المبتدا عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به احماد لامر المومنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج **واما الذين كفروا فيقولون** كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه **ماذا اراد الله بهذا مثلا** يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع خبر ما وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السوال والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدا النزوع والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم يكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز او الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية **يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا** جواب ماذا اي اضلال كثير واهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل اذا عدوا كثير اذا اشتدوا

وقال

٢٠

وقال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا **وما يضل به الا الفاسقين** اي الخارجين من حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر وما دام هو في درجة التغابي او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المومن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المومنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المومن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال به وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ يضل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع **الذين ينقضون عهد الله** صفة الفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او المأخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث عليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظائره عهود الله ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه **من بعد ميثاقه** الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب او ما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق **ويقطعون ما امر الله به ان يوصل** يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المومنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلم والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة

وقيل

وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات
من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر
الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شان وهو الطلب والقصد
يقال شانت شانه اي قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره
والثاني احسن لفظا ومعنى **ويفسدون في الارض** بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل
التي بها نظام العالم وصلاحه **اولئك هم الخاسرون** الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص
ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها والنظر في حقايقها
والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب **كيف تكفرون
بالله** استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني لان صدوره
لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو
ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم
بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم
المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون **وكنتم امواتا** اي اجساما لا حيوة
لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة **فاحياكم** بخلق الارواح ونفخها
فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي **ثم يميتكم** عند
تقضي آجالكم **ثم يحييكم** بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور **ثم اليه ترجعون**
بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم
هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون
قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الآية
تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر ان احياهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان
بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته او مع القبيلين فانه سبحانه لما بين دلائل التوحيد
والنبوة ووعدهم على الايمان واوعد على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة
والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم
يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت
وصلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان كانت
من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع
حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان
يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور
منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف

بالوفاء صح — الكفر صح — الخطاب نخ

ثم يحييكم

ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر والحيوة حقيقة في القوة الحساسة وبها سمي الحيوان الحيوان مجاز في القوة النامية
لانها من طلايعها ومقدماتها وفيما يخص به الانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث
انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم
وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في
الناس فاذا وصف بها الباري اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا
او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرا يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء
قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم
في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط او دينكم بالاستدلال والاعتبار
والتعرف لما يلائمها من لذات الآخرة وآلامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه
كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص
بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل
ما في الارض لا الارض الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال عن الموصول
الثاني **ثم استوى الى السماء** قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده
قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه
من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استولى وملك
قال قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل والصلة المعدى
بها والتسوية المرتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله
لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين امنوا
لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها فانه يدل على تاخر
دحو الارض المقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان تستانف بدحاها مقدرا
لنصب الارض فعلا آخر دل عليه انتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه
خلاف الظاهر **فسويهن** عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان
فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا **سبع سموات**
بدل او تفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك
وان صح فليس في الآية نفي الزايد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف **وهو
بكل شيء عليم** فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط

او ما يقتضيها صح

الاكمل والوجه الانفع واستدلالاً بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق
كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا
من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعد ما تفتتت وتبددت اجزاءها
واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها
ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية
على ثلث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الآيتين اما الاولى فهو ان مواد الابدان
قابلة للجمع والحيوة واشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فانه تعاقب
الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يابى ان
يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار
الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على
اعادتهم واحيائهم وانه خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه
مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن على تناهي ح
نافع وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ
إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله
على ملائكته بان امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيها سكان ح
اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيها اخرى ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل
كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب للتعليل ل
ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله واذكروا اخا عاد اذ انذر قومه
ونحوه فعلى تاويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مكانه وعامله في
الآية قالوا او اذكر على التاويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القرآن كثيرا او مضمر
دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة
في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل والتاء لتانيث الجمع
وهو مقلوب مألك من الألوكة وهي الرسالة لانهم وسايط بين الله وبين الناس فهم رسل الله
او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب
اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم
كذلك وقالت طايفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء
انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في
معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار

لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به
القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا
فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكة كلهم لعموم
اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى
اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم
في الجزائر والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة اعمل فيهما لانه بمعنى
الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب
منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم ع لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي
استخلفهم في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى
الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ
ملكا كما قال تعالى وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت
قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى رتبة لوم
كلمه بلا واسطة كما كلم موسى ع في الميقات ومحمدا ص ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم
لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب
لهما لياخذ من هذا ويعطي ذلك او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او
يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة
في قولهم مضر وهاشم او على تاويل من يخلفكم او خلقا يخلفكم وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة
وتعظيم شان المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح
على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابهم وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير
لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ تعجب من شرٌ
ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف
عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم
عن معلمه عما يختلج في صدره وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى
من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا
ذلك باخبار من الله تعالى او تلق من اللوح او استنباط عما ركز في عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياس
لاحد الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع
والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن في الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك
السن وقرئ يسفك الدماء على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا
السن وقرئ يسفك الدماء على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا

محذوفا اي يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة لجهة الاشكال
كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعنى استخلف عصاة ونحن معصومون
احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين
في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار امره شهوية
وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا
اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلا
عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد
وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة
والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالاحاطة
بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود
من الاستخلاف واليه اشار بقوله تعالى اجمالا قال اني اعلم ما لا تعلمون والتسبيح تبعيد الله عن
السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال
قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار وبحمدك في موضع الحال اي ملتبسين بحمدك على ما
الهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر
نفوسنا من الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي
هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك واللام مزيدة وعلم آدم
الاسماء كلها اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل
والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر وشالخ
واشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه عليه السلام
انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتي بنوه اخيافا او من
الادم والادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس (الأُدْمة بمعنى صح)
والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات
والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطا
بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد في الآية
اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني
والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات
والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول
العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها
ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام

ضمنا

ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام
كقوله واشتعل الرأس شيبا لان العرض السؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض
نفس الاسماء سيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره (تذكيره ل)
لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها
فقال انبئوني باسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف و
التدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال
وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجرى مجرى كل
واحد منهما ان كنتم صادقين في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه (خلقهم ل)
صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار
منطوقه قد يتطرق اليه بغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاآت قالوا
سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم
يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم
وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل (عليهم ل)
الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجرى علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من
علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة (اوله قال الاعشى قد قلت لما جاءني فخره)
فقال موسى صلوات الله عليه سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه السلام سبحانك اني كنت من الظالمين
انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة
وانت فصل وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع
يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة
خبر ان قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما فلما
انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما
كنتم تكتمون استحضار لقوله اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى
لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا
يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون
قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا
افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة للانكار دخلت على
حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان و
مزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده
الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية

فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او بعموم لم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها
وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله وان مفهوم
الحكمة زايد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة
والحكماء منعوا ذلك في الطبقة الاعلى منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل
من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها **وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰۤئِكَةِ اسْجُدُوا لِاٰدَمَ** لما انبأهم بالاسماء وعلمهم
ما لا يعلمون امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل
ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا
لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه
على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل
تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيها سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني
البعير اذا طأطأ راسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمامور به اما المعنى الشرعي فالمسجود
له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل قبلة سجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه وكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون
انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة
الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم
بالسجود تذللا لما راوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته واللام فيه
كاللام في قول حسان اليس اول من صلى لقبلتكم ؛ واعرف الناس بالقران والسنن ؛ او في قوله تعالى
اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم عليه السلام تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف
له او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم فالكلام في ان المامورين
بالسجود الملائكة كلهم او طايفة منهم ما سبق **فَسَجَدُوا اِلَّا اِبْلِيسَ اَبٰى وَاسْتَكْبَرَ** امتنع عما امر به استكبارا
من ان يتخذه وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء
امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع **وَكَانَ
مِنَ الْكَافِرِينَ** اي في علم الله او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لآدم عليه السلام اعتقادا بانه افضل
منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخشع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والآية
تدل على ان آدم افضل من الملائكة المامورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة
والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز
ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس رضي الله عنهما روى ان من الملائكة
ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه ليس من الملائكة ان يقول انه كان جنيا

الا يكون صح

آدم صح

بالتخشع له

نشأ

نشأ بين اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مامورين
مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل لاحد
والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين وكانه قال
فسجد المامورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة
كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا تخالف الشياطين
بالذات وانما تخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس
من هذا الصنف كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما فلذلك صح عليه التغير من حاله والهبوط من محله
كما اشار اليه بقوله عز وعلا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة
خلقت من نور والجن من نار لما روت عايشة انه عليه السلم قال خلقت الملائكة من نور وخلق
الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرنا فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير
ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت
مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى يطفى
نورها ويبقى دخانا صرفا وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى
ومن فوايد الآية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الايتمار لامره وترك
الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة
اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا الاشعري رحمه الله
قُلْنَا يَا اٰدَمُ اسْكُنْ اَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت
تاكيد اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم
والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم
تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم
وحمل الاهباط على نقله منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا **وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا**
واسعا رافها صفة مصدر محذوف **حَيْثُ شِئْتُمَا** اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة
للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفايتة للحصر **وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ
الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ** فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول
مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث داعية وميلا
ياخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما قيل حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا
يحوما حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا
انفسهم بارتكاب المعاصي او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد
السببية سواء جعلته عطفا على النهي او جوابا له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة

الدخان الضوء

يعني

من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه
وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهنيئا بالياء فأزلهما الشيطان عنها اصدر زلتهما عن الشجرة و
حملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه عن في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما
ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان في المعنى غير ان ازل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله
هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين
ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على
طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول
على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحوا وقيل قام عند
الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخلت ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به
وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله فاخرجهما مما كانا فيه اي من الكرامة والنعيم وقلنا
اهبطوا خطاب لآدم وحوا لقوله قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس فكانهما الجنس
كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء
بعضكم لبعض عدو حال استغني فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله ولكم في الارض
مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع تمتع الى حين يريد به وقت الموت او القيامة فتلقى آدم من ربه كلمات
استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات على انها استقبلته
وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك
لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يا رب
الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ فيّ الروح من روحك قال بلى قال الم تسبق رحمتك غضبك قال
بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم
وهو التاثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة و
قبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم
عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حواء كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء
في اكثر القرآن والسنن انه هو التواب الرحيم الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة
واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها
الرجوع عن العقوبة الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان
مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى
دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني يشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن
ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان
تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى به

نكالا

٢١

نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى سماء الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى
وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط اجمعون
في زمان واحد كقولك جاؤوا جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم الشرط
مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن
فيه معنى الطلب والمعنى ان يأتينكم مني هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جيء بحرف
الشك واتيان الهدى كائن لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني
اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف
عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه ولا هم يحزنون ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع و
الحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على آكد وجه وابلغه وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف
بالفتح والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون عطف على من تبع الى آخره
تقسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا باياته او كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا
فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من
حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من الكلام القرآن المتميزة عن غيرها بفصل كلمات صح
واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي او من اوى اليه واصلها ايية او اوية كتمرة فابدلت عينها الفا على غير
قياس او ايية او اوية كرمكة فاعلت او آئية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد باياتنا الآيات المنزلة اي في العبادات
او ما يعمها والمعقولة تنبيه قد تمسك الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم السلام من وجوه الاول
ان آدم صلوات الله عليه كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص والثاني انه جعل بارتكابه من
الظالمين والظالم ملعون والثالث انه تعالى اسند اليه العصيان والغي وقال وعصى آدم ربه فغوى
والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بانه خاسر لولا
مغفرة الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس
انه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لعله لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان
والثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له واما اسناد
الغي والعصيان اليه فيأتي الجواب عنه في موضعه ان شاء الله تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه
وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه والثالث انه فعله
ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط قال؟
عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل
او ادى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم على الجاهل بشانه لا يقال
انه باطل لقوله تعالى ما نهيكما ربكما وقاسمهما الآيتان لانه ليس فيهما ما يدل على ان تناوله حين ما قاله ابليس
فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال

المانع فحمله الطبع عليه والرابع انه عليه السلم اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطأ فيه فانه ظن ان النهى للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روى انه عم اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتى حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تعظيما لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها فى جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مامون العاقبة وان عذاب النار دايم والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه لمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه لما ذكر دلايل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتاكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت فى الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك تدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهوده فى اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد صلعم وما انزل اليه فقال **يا بني اسرائيل** يا اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عم ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفها واسرايل بقلب الهمزة ياء **اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط واذا نظر الى ما انعم به عليه حمله حب النعمة على الرضاء والشكر وقيل اراد بها ما انعم على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد عم وقرئ اذكروا والاصل اذتكروا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها **واوفوا بعهدي** بالايمان والطاعة **اوف بعهدكم** بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهِد والمعاهَد ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثانى الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلايل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتى الشهادة ومن الله تعالى حقن الدم والمال وآخرها منا الاستغراق فى لجة التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم وما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما اوفوا بعهدى فى اتباع محمد اوف بعهدكم فى رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرايض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب واوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسايط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتمونى من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل الى قوله

ولادخلنكم

ولادخلنكم جنات وقرئ اوفّ بالتشديد للمبالغة **واياي فارهبون** فيما تأتون وتذرون وخصوصا فى نقض العهد وهو آكد فى افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبونى والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغى ان لا يخاف احدا الا الله **وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم** افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسب ما نعت فيها او مطابق لها فى القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهى عن المعاصى والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار فى المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم فى ايام المتاخر لنزل على وفقه ولذلك قال عم لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى تنبيه على ان اتباعها لا ينافى الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله **ولا تكونوا اول كافر به** بان الواجب ان تكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر فى معجزاته والعلم بشانه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم فى الكفر وقد سبقهم مشركوا العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركى مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوءل من وءل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسى او اأول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت **ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا** ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة فى قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله فاختاروها عليه وقيل كانوا ياخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه **واياي فاتقون** بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادى لما فى الآية الثانية فصلت بالرهبة التى هى مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التى هى مبدا السلوك والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذى هو منتهاه **ولا تلبسوا الحق بالباطل** عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشئ مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذى تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذى تكتبونه فى خلاله او تذكرونه فى تاويله **وتكتموا الحق** جزم داخل تحت حكم النهى كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو

بالجمع اى لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه فى مصحف ابن مسعود وتكتمون اى وانتم تكتمون بمعنى
كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وانتم تعلمون عالمين بانكم لابسون كاتمون
فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يعنى صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما كلا زكوة ولا
صلوة امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكا
الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة فى المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها
تطهر المال من الخبث والنفس من البخل واركعوا مع الراكعين اى فى جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة
الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود
وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدى لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما
والدهر قد رفعه اتامرون الناس بالبر تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع فى الخير من البر وهو الفضاء الواسع
يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلثة بر فى عبادة الله تعالى وبر فى مراعاة الاقارب وبر فى معاملة الاجانب
وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى احبار المدينة
كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع محمد عم ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون وانتم
تتلون الكتاب تبكيت كقوله وانتم تعلمون اى تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة
القول العمل افلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل
فى الاصل الحبس سمى به الادراك الانسانى لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التى بها النفس
تدرك هذا الادراك والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ بنفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان
فعله فعل الجاهل بالشرع والاحمق الخالى عن العقل فان الجامع بينهما تابى عنه شكيمته والمراد بها حث
الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد
الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالاخر واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما امروا
بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على
حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذى هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر
الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية
والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار
الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القران والتكلم
بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل الماارب وجبر المصائب روى انه عم اذا
حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اى الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها
برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة
كقوله كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين اى المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة
المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب الذين يظنون

انهم

انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اى يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون انهم
يحشرون الى الله فيجازيهم ويؤيده ان فى مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم فى الرجحان
اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف
جائف وانما لم يثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة فى مقابلتها ما يستحقر لاجله
مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثم قال عم وجعلت قرة عينى فى الصلوة يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى
التى انعمت عليكم كرره للتوكيد وتذكير التفضيل الذى هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد
تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها وانى فضلتكم عطف على نعمتى على العالمين اى عالمى زمانهم يريد به تفضيل
اباءهم الذين كانوا فى عصر موسى وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل وجعلهم انبياء
وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف واتقوا يوما اى ما فيه من الحساب
والعذاب لا تجزى نفس عن نفس شيئا اى لا تقضى عنها شيئا من الحقوق او شيئا قليلا من الجزاء فيكون
نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا
مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلى والجملة صفة ليوما والعائد منها محذوف تقديره لا تجزى فيه ومن
لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجرى مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله
ام مال اصابوا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اى من النفس الثانية العاصية او من الاولى
وكانه اريد بالاية نفى ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره
والاول النصرة والثانى اما ان يكون مجانا او غيره والثانى ان يشفع له والثانى اما باداء ما كان
عليه وهو ان يجزى عنه او بغيره وهو ان يعطى عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا
فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمى به الفدية لانها
سويت بالمفدى ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة
فى سياق النفى من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والاناسى والنصرة اخص من المعونة لاختصاصه
بدفع الضر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفى الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار
للايات والاحاديث الواردة فى الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والاية نزلت ردا لما كانت اليهود
تزعم ان اباءهم تشفع لهم واذ نجيناكم من ال فرعون تفصيل لما اجمله فى قوله اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وعطف
على نعمتى عطف جبرئيل وميكائيل على الملئكة وقرئ انجيتكم واصل ال اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة
الى اولى الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكى الفرس والروم ولعتوهم
اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد
وفرعون يوسف ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه
ظلما واصل السوم الذهاب فى طلب الشئ سوء العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر

كتبت اليهم كتبا مرارا فلم يرجع اليه جواب
فلم ادر اغيرهم ... وطول العهد

ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير المنصوب في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعاً لان فيها ضمير كل واحد منهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون رأى في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئاً وفي ذلكم بلاء محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به محنا لشايع بينهما من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم او بهما عظيم صفة بلاء وفي الآية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين واذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبساً بكم كقوله: تدوس بنا الجماجم والتريبا. وقرئ فرّقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثنى عشر بعدد الاسباط فانجيناكم واغرقنا آل فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روي ان الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه وانتم تنظرون ذلك اي غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضاً روي ان الله تعالى امر موسى ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهرت فيه اثنا عشر طريقاً يابساً فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولم نعلم ففتح الله عليها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورآه منفلقاً اقتحم هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بني اسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية دقيقة تدركها الاذكياء واخباره عليه السلام عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتاً ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعده موسى المجيء للميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل الهاً ومعبوداً من بعده اي من بعد موسى اي مضيه وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس من بعد ذلك اي الاتخاذ لعلكم تشكرون لكي تشكروا عفوه واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التورية الجامع بين كونه كتاباً وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين الحق والمبطل في الدعوى او بين

الكفر

الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه لقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الآيات واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريئاً من التفاوت ومميزاً بعضكم عن بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين او فتوبوا فاقتلوا انفسكم اتماماً لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضاً وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روي ان الرجل يرى بعضه وقريبه فلم يقدر المضي لامر الله فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفاً والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم خير لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة من الشرك او وصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه السلام لهم تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم او عطف على محذوف ان جعلته خطاباً من الله لهم على طريقة الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة فان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان تسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب انه هو التواب الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك لاجل قولك او لن نقر لك حتى نرى الله جهرة اي عياناً وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع جاهر كالكتبة فيكون حالاً والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به ان الله الذي اعطاك التورية وكلمك او انك نبي فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام والاحياء في الجهات والاحياز المقابلة للرائي وهو محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة ولافراد من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوماً وليلة وانتم تنظرون ما اصابكم بنفسه او اثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون عن اغماء او نوم لقوله تعالى ثم بعثناهم لعلكم تشكرون نعمة البعث او ما كفرتموه بما رأيتم باس الله بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه وانزلنا عليكم المن والسلوى الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع وتبعث الجنوب عليهم السماني وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوءه وكانت ثيابهم

لا تتبخ ولا تبلى من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا
هذه النعم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره واذ قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس
وقيل اريحا امروا به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم رغدا واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو وادخلوا
الباب اي باب القرية او القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عم سجدا
متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اي مسألتنا او امرك حطة وهي
فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه
الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم
قرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة
همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت
ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء
وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله
فكيف اذا فعله وانه يفعل لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا
ما امروا به من التوبة والاستغفار بطلب ما يشتهون من اعراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا كرره
مبالغة في تقبيح امره واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب
نجاتها الى ما يوجب هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز
في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به في ساعة
اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه
للعهد على ما روي انه كان حجرا مربعا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين يسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا
ستمائة الف وسعة المعسكر اثني عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا او الحجر
الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه من الادرة فاشار اليه جبرئيل بحمله او للجنس وهذا
اظهر في الحجة قيل لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في
مخلاته فكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى
اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة
اذرع على طول موسى من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق
بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما مر في قوله فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين
وفتحها وهما لغتان فيه قد علم كل اناس مشربهم كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا
واشربوا على تقدير القول من رزق الله يريد به ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء
وحده لانه يشرب ويؤكل ما ينبت منه ولا تعثوا في الارض مفسدين اي لا تعتدوا حال افسادكم وانما
قيده لانه وان غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن

صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العثي غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن
انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار
ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت
الارض او لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك واذ قلتم يا موسى لن نصبر على
طعام واحد يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته انه لا يختلف ولا يتبدل
كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انه لا يتغير الوانه ولذلك اجتووا او ضرب واحد لانهما معا طعام
اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه فادع لنا ربك سله لنا بدعائك اياه
يخرج لنا يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة مما تنبت الارض
من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها
وبصلها تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر
والمراد به اطائبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ قثائها بالضم
قال اي الله او موسى أتستبدلون الذي هو ادنى اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو
القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة
وقرئ ادنا من الدناءة بالذي هو خير يريد به المن والسلوى فانه خير منه في اللذة والنفع وعدم
الحاجة الى السعي اهبطوا مصرا انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه
اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم
وانما صرفه لسكون وسطه او على تأويل البلد ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود
رضي الله عنه وقيل اصله مصرائيم فعرب فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة
احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران
النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان يضاعف جزيتهم وباؤوا
بغضب من الله رجعوا به او صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء
المساواة ذلك اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون
بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر
واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر او بالكتب كالانجيل والقرآن وآية الرجم
والتي فيها نعت محمد صلعم من التورية وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم
اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات
وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدي الى ارتكاب كبائرها كما ان صغار الطاعات اسباب
مؤدية الى تحري كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب

ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله وقيل بر اشارة الى الكفر وقتل الانبياء بمعنى مع وانما جوزت
الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تاويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة
فيها خطوط من سواد وبلق * كأنه في الجلد توليع البهق * والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات
وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ان الذين آمنوا بالسنتهم يريد به المتدينين
بدين محمد صلى الله عليه وسلم المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة والذين هادوا
تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا
من عبادة العجل واما معرب يهودا كانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عم والنصارى جمع نصران كالندامى والياء
في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران
او ناصرة فسموا باسمها او من اسمها والصابئين قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عم
وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء
اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل
من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد
عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في الاسلام دخولا صادقا فلهم
اجرهم عند ربهم الذي وعد لهم على ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار من
العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة خبر
ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه
دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات
ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى والعمل بالتورية ورفعنا فوقكم الطور
حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى عم لما جاءهم بالتورية فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت
عليهم وابوا قبولها فامر جبريل بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم
من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به
لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول
المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد
اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلعم يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من
الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع
الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند
سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل
فعل محذوف ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة للقسم والسبت مصدر
سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم

في زمن داود عم واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان
يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه واذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا
اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين
جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورتهم ولكن قلوبهم فمثلوا
بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد
به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير الهمزة
فجعلناها اي المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها
لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم في الآخرين او لمعاصريهم
ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم
عليها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله
يأمركم ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت
عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى
الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤوا
يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اي
مكان هزؤ او اهله او مهزوءا بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرئ
حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بضم الزاي وقلب الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان اكون
من الجاهلين لان الهزؤ في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة
الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا
اي بقرة هي وكيف هي لان ما يسال به عن الجنس غالبا لكنهم لما راوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء
من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة
ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية
ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اي ما ذكر من الفارض
والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك
الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تاخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم
ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص
ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عم لو ذبحوا
اي بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن
المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به
او امركم بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع

النصوع الصفرة ولذلك تؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهو صفة
صفراء لملابسته بها فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة
السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب
ولعله عبر عن السواد بالصفرة لانها من مقدماته او لان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى بالصفرة صح
لا يؤكد بالفقوع تسر الناظرين اي تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله ان البقر تشابه علينا
اعتذار عنه يعني ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة
البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتانيث
وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومشتبه ومشتبهة
وانا ان شاء الله لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر
الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط
بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انه
يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب وسقي الحروث ولا ذلول الكراب زمين را شخم كردن
صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة
وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وتسقي من
اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها
لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن
جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ آلآن بالمد على الاستفهام والان بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم
وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة
فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت وحيدة بتلك
الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد
من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح
انه كسائر الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا
ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم كالمضطر الملجئ الى الفعل واذ قتلتم نفسا خطاب للجمع لوجود
القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم في شانها اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها كل
عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم
تكتمون مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فقلنا
اضربوه عطف على اداراتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تاويل الشخص او القتيل

ببعضها

ببعضها اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل
بالعجب كذلك يحيي الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حيوة
القتيل او نزول الآية ويريكم آياته دلائله على كمال قدرته لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان
من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها او تعملوا على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه
ابتداء وشرط فيها ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل
والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه
كما روي عن عمر انه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان المؤثر في الحقيقة الله تعالى والاسباب امارات لا اثر بثلثمائة د
لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي
هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة
في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة بها من قبائحها بحيث يصل اثرها الى نفسه فيحيى حيوة طيبة فتعرب
عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والنزاع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة بازداشتن
عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك
يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات فانها مما يوجب لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها او اشد
قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او زائدة عليها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة
كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الجر بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل
اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او
للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار
وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله تعليل التفضيل والمعنى
ان الحجارة تتاثر وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتنفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى
الجبل انقيادا لما اراد الله به وقلوب هؤلاء لا تتاثر ولا تنفعل عن امر الله والتفجر التفتح بسعة وكثرة
والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من المثقلة ويلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية
ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وابو بكر بالياء
ضما الى ما بعده والباقون بالتاء افتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين ان يؤمنوا لكم بان يصدقوكم
او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني
التورية ثم يحرفونه كنعت محمد صلعم وآية الرجم او تاويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين
المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور ثم قال سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان
تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة
وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان احبار هؤلاء ومقلديهم كانوا على هذه الحالة
فما طمعك بسفلتهم وجهالهم وانهم وان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا الذين آمنوا

يعني منافقيهم قالوا آمنا بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في التورية وإذا خلا بعضهم إلى بعض
قالوا اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق أتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من
نعت محمد صلعم او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا
في كتابهم فينافقوا الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ونهي ليحاجوكم به عند
ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله
كذا او يراد به انه في كتابه وحكمه عنده وقيل عند ذكر ربكم وبما عند ربكم من القرآن وبما بين يدي
رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيمة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعها أفلا تعقلون اما من تمام كلام
اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله
افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم أولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين
او اللائمين او كليهما او اياهم والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم
الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه
ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها
او التورية إلا أماني استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه
من منى اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرا والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب
اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من
كان هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا ما يقرؤون قراءة عارية عن معرفة المعنى
وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم بانهم
اميون وإن هم إلا يظنون ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل راي
واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة فويل اي تحسر
وهلك ومن قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوأ فيه من جعل له الويل ولعله
سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين
يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التاويلات بأيديهم تاكيد كقولك كتبته بيميني ثم يقولون
هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل
بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت أيديهم يعني المحرف وويل لهم مما
يكسبون يريد الرشى وقالوا لن تمسنا النار المس ايصال الشيء بالبشرة بحيث تتاثر الحاسة به
واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه فلا اجده إلا أياما معدودة محصورة قليلة روي ان بعضهم
قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبع آلاف
سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما قل أتخذتم عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون
وقرا ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامها فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر

اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف في خبره محال أم
تقولون على الله ما لا تعلمون ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير
للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع بلى اثبات لما نفوه من مساس
النار لهم زمانا طويلا ودهرا مديدا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم ويختص بجواب النفي من كسب
سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد يقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد
بالعرض لانها من الخطاء والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريق قوله فبشرهم بعذاب اليم
وأحاطت به خطيئته اي استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء
من جوانبه وهذا انما يصح في شان الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه
فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره
الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى يستولي عليه الذنوب وياخذ بمجامع
قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه
عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بآيات الله
وقرا نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما فأولئك أصحاب النار
ملازموها في الآخرة كما انهم ملازمون اسبابها في الدنيا هم فيها خالدون دائمون او لابثون لبثا
طويلا والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذلك التي قبلها والذين آمنوا وعملوا
الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه وتعالى على ان يشفع وعده
بوعيده ليرجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه وإذ أخذنا
ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله اخبار في معنى النهي كقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد
وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة
ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا
فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف الجار وانه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قال حلفناهم
لا يعبدون وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون
بالياء لانهم غيب وبالوالدين إحسانا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او واحسنوا وذي القربى و
اليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى ومسكين مفعيل من السكون كان
الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرا حمزة ويعقوب والكسائي
حسنا بفتحتين وقرئ حسنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد ما فيه
تخلق وارشاد وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم على طريق
الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول الله صلعم ومن قبلهم على التغليب اي اعرضتم
عن الميثاق ورفضتموه إلا قليلا منكم يريد به من قام على اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم

وأنتم معرضون قوم عادتكم الإعراض عن الوفاء والطاعة وأصل الإعراض الذهاب عن المواجهة
إلى جهة العرض وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم
على نحو ما سبق والمراد به أن لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والإجلاء وإنما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله
به نسبا أو دينا أو لأنه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم وإخراجكم من دياركم
أو لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الأبدية فإنه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة
التي هي داركم فإنه الجلاء الحقيقي ثم أقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وأنتم تشهدون توكيد كقولك أقر فلان
شاهدا على نفسه وقيل وأنتم أيها الموجودون تشهدون على إقرار أسلافكم فيكون إسناد الإقرار إليهم مجازا ثم
أنتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والإقرار به والشهادة عليه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبر
على معنى أنتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك أنت ذلك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة
تغير الذات وعدهم باعتبار ما أسند إليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون أنفسكم
وتخرجون فريقا منكم من ديارهم إما حال والعامل فيها معنى الإشارة أو بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تأكيد
والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتّلون على التكثير تظاهرون عليهم
بالإثم والعدوان حال من فاعل تخرجون أو من مفعوله أو كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم
وحمزة والكسائي بحذف إحدى التائين وقرئ بإظهارهما وتظهّرون بمعنى تتظهرون وإن يأتوكم أسارى
تفادوهم روي أن قريظة كانوا حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج فإذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه
في القتل وإجلاء أهلها وإذا أسر أحد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه وإن يأتوكم أسارى في
أيدي الشياطين تتصدون لإنقاذهم بالإرشاد والوعظ مع تضييعكم أنفسكم وقرأ حمزة أسرى وهو جمع أسير
كجريح وجرحى وأسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو أيضا جمع أسير فكأنه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرأ ابن
كثير وأبو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم إخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
وما بينهما اعتراض والضمير للشأن أو مبهم ويفسره إخراجهم أو راجع إلى ما دل عليه تخرجون من المصدر وإخراجهم
بدل أو بيان أفتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة والإجلاء فما جزاء من
يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم وإجلاء النضير وضرب الجزية
على غيرهم وأصل الخزي ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيمة يردون إلى أشد العذاب لأن
عصيانهم أشد وما الله بغافل عما تعملون تأكيد للوعيد أي الله سبحانه بالمرصاد لا يغفل عن أفعالهم
وقرأ عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع ويعقوب يعملون على أن الضمير لمن
أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة آثروا الحيوة الدنيا على الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب
بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب في الآخرة ولا هم ينصرون بدفعهما عنهم ولقد آتينا موسى الكتاب أي
التورية وقفينا من بعده بالرسل أي أرسلنا على أثره الرسل كقوله ثم أرسلنا رسلنا تترى يقال قفاه
إذا اتبعه وقفّاه به أتبعه إياه من القفا نحو ذنّبه من الذنب وآتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات

قيل

وغريب الديار

كقوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم

الواضحات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات أو الإنجيل وعيسى بالعبرية أيشوع
ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل إذ لم يثبت
فعيل وأيدناه قويناه وقرئ آيدناه بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق أراد به
جبريل وقيل روح عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان أو لكرامته على الله تعالى ولذلك أضافها إلى نفسه
أو لأنه لم تضمه الأصلاب والأرحام الطوامث أو الإنجيل أو اسم الله الأعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرأ ابن كثير
القدس بإسكان الدال في جميع القرآن أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم بما لا تحبه يقال هوي
بالكسر هوى إذا أحب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على
تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شأنهم ويحتمل أن يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر استكبرتم
عن الإيمان واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى والفاء للسببية أو التفصيل وفريقا تقتلون
كزكريا ويحيى وإنما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها في النفوس فإن الأمر فظيع ومراعاة
للفواصل أو للدلالة على أنكم بعد فيه فإنكم حول قتل محمد عليه وآله السلام لولا أني أعصمه عنكم ولذلك سحرتموه وسممتم
له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة بأغطية خلقية لا يصل إليها ما جئت به ولا نفقهه مستعار من الأغلف
الذي لم يختن وقيل أصله غلُف جمع غلاف فخفف والمعنى أنها أوعية العلم لا تسمع علما إلا وعته ولا تعي ما
تقول أو نحن مستغنون بما عندنا عن غيره بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوه والمعنى أنها خلقت على الفطرة
والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فأبطل استعدادهم أو أنها لم تأب قبول ما تقوله لخلل فيه بل
لأن الله خذلهم بكفرهم كما قال تعالى فأصمهم وأعمى أبصارهم أو هم كفرة ملعونون فمن أين لهم دعوى العلم والاستغناء
عنك فقليلا ما يؤمنون فإيمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو إيمانهم ببعض الكتاب
وقيل أراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القرآن مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ
بالنصب على الحال من كتاب لتخصيصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا
من قبل يستفتحون على الذين كفروا أي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان
المنعوت في التورية أو يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة
والإشعار بأن الفاعل سأل ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة
فلعنة الله على الكافرين أي عليهم وأتى بالمظهر للدلالة على أنهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد ويجوز أن
يكون للجنس ويدخلون فيه دخولا أوليا لأن الكلام فيهم بئسما اشتروا به أنفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة
لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا أو اشتروا بحسب ظنهم فإنهم ظنوا أنهم خلصوا من العقاب
بما فعلوا أن يكفروا بما أنزل الله هو المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون
اشتروا للفصل أن ينزل الله لأن ينزل أو حسدوه على أن ينزل الله وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب
بالتخفيف من فضله يعني الوحي على من يشاء من عباده على من اختاره للرسالة فباءوا بغضب على غضب
للكفر والحسد على من هو أفضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد بعد عيسى أو بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين

خلقية

عذاب مهين يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله
يعم الكتب المنزلة باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا اي التورية ويكفرون بما وراءه حال عن الضمير في قالوا
ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل ويراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول ويراد به
ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو الحق الضمير لما وراءه والمراد به القرآن مصدقا لما معهم حال
مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم
مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل
آبائهم وانهم راضون به عازمون عليه وقرأ نافع وحده انبئاء الله مهموزا في كل القرآن ولقد جاءكم موسى بالبينات
يعني الآيات التسع المذكورة في قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ثم اتخذتم العجل الها من بعده بعد مجيء موسى
او ذهابه الى الطور وانتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله او اعتراض بمعنى
وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول
طريقة اسلافهم مع موسى عليهما السلم لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي قلنا خذوا ما امرتم به في التورية بجد واسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا قولك
واطعنا امرك واشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب
والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لانهم
كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل بئسما يامركم به ايمانكم اي بالتورية
والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلث الزاما عليهم ان كنتم
مؤمنين تقرير للقدح في دعويهم الايمان بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين بها ما امركم بهذه القبائح ورخص لكم فيها
ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئسما يامركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان
بها لا يامر به فاذا لستم بمؤمنين قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من
كان هودا ونصبها على الحال من الدار من دون الناس سايرهم او المسلمين واللام للعهد فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي الله عنه لا ابالي سقطت على
الموت او سقط الموت علي وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب على
فاقة لا افلح من ندم اي على التمني سيما اذا علم انها سالمة له لا يشاركه فيها غيره ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم
من موجبات النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وتحريف التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها
عامة صنايعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم
لو تمنوا لنقل واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت كذا وان كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات وما بقي يهودي على وجه الارض والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على انهم
ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة من وجد بعقله الجاري مجرى علم ومفعولاه
هم واحرص وتنكير حيوة لانه اريد بها فرد من افرادها وهي الحيوة المتطاولة وقرئ باللام ومن الذين اشركوا محمول على المعنى

فكانه قال احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا
الحيوة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على
علمهم بانهم صائرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدأ محذوف
صفته يود احدهم على انه يريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اي ومنهم ناس يود احدهم وهو على الاول
بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف لو يعمر الف سنة حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجرى على
الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل
مزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم ويفسره بدله واصل سنة
سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليه السنون والزحزحة التبعيد
والله بصير بما يعملون فيجازيهم قل من كان عدوا لجبريل نزلت في عبد الله بن صوريا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمن ينزل عليه فقال جبرئيل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس
سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبرئيل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه
والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر مدراس اليهود يوما فسألهم عن جبرئيل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على
اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله
قالوا جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر
من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع فوجد جبرئيل قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك
ربك يا عمر وفي جبرئيل ثمان لغات قرئ بهن اربع في المشهور جبرئيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي
وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم برواية ابي بكر وجبريل كقنديل قراءة الباقين
واربع في الشواذ جبرئل وجبرائيل وجبرايل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف وقيل معناه عبد الله فانه نزله
البارز الاول لجبريل والثاني للقرآن واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى
سبق ذكره على قلبك فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله كانه
قال ما تكلمت به باذن الله بامره او تيسيره حال من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين
احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبرئيل فقد خلع ربقة الانصاف
او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف
الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب فيه ان نزله عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او فهو
عدو لي وانا عدوه كما قال من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين
اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشانهم كقوله والله
ورسوله احق ان يرضوه وافرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل
سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم فكانه عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم
على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان

عداوة الملائكة والرسل كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم ميكال كميعاد وقرئ
ميكيل وميكئيل وميكايل ولقد انزلنا اليكم آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة واللام اذا
استعمل في نوع من المعاصي دل على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار
والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا
الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا نبذه فريق منهم نقضه واصل النبذ الطرح لكنه
يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق النابذهم الاقلون
وان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد عليهما السلام
نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التورية لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه
ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالآيات وقيل ما مع الرسول كالقرآن وراء ظهورهم مثل
لاعراضهم عنه رأسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني
ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا
بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا
بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن
نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم
المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها او تتبعها الشياطين
من الجن والانس او منهما على ملك سليمان اي عهده وتتلوا حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى
ما سمعوا الاكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشى ذلك في عهد سليمان حتى قيل ان الجن
يعلم الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم وانه تسخر به الانس والجن والريح له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك
وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه ولكن الشياطين كفروا باستعماله يعلمون الناس السحر
اغواء واضلالا والجملة حال عن الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل
به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط التضام والتعاون وبهذا
تميز الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية او يريه صاحب خفة
اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه وما انزل على الملكين عطف على
السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او به نوع اقوى منه او على ما تتلو وهما ملكان انزلا لتعليم السحر
ابتلاء من الله تعالى للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال
لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل
وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما
انزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل والمشهور

٣٦ ل

انه بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى
الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت
وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا
وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع
من اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد
ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير
مؤثر بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضاري على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم
لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع في الدارين وفيه ان التحرز عنه
اولى ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله تعالى والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل
ما له في الآخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم يحتمل المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على التعين
او حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير
تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم آمنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك
المعاصي كنبذ كتاب الله تعالى واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف
الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير
المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان
المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا
الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون للرسول راعنا اي راقبنا وتأن بنا فيما تلقننا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه
وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي المؤمنون عنها
وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من
الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج
لما شابه قولهم راعنا وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول
لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول
وسبوه ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير
والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم
به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم والنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء نبوته ويعلم الحكمة ويضعها لا
يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل
وما عرف فيه من حكمته ما ننسخ من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم يأمر اصحابه
بامر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل

لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقرائتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا
وانساؤها اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرا ابن عامر ننسخ من انسخ اي ما نامرك او جبرئيل بنسخها
او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننساها اي نؤخرها من النسا وقرئ ننسها اي ننس احدا اياها وتنسها اي انت او تنسها على البناء للمفعول
وننسكها باظهار المفعولين نات بخير منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب او مثلها في الثواب وقرا ابو عمرو بقلب الهمزة الفا
الم تعلم ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير والاية دلت على جواز النسخ وتاخير الانزال اذ الاصل اختصاص
ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وذلك لان الاحكام شرعت والايات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة منه ٩
وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل
او بدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو الماتي به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم و
الاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما اتى به الله تعالى وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على حدوث
القران فان التغير والتفاوت من لوازم الحدوث واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم الم تعلم
الخطاب للنبي والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدا علمهم ان الله له ملك السموات والارض يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وانما هو الذي
يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور
ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ام معادلة للهمزة في الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يامر وينهى
كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسوال كما اقترحت اليهود على موسى عليه السلام او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة وترك الاقتراح
عليه قيل نزلت في اهل الكتاب حين سالوا ان ينزل عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا
كتابا نقرؤه ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالايات البينة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى
وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى الاية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان
وقرئ يبدل من ابدل ود كثير من اهل الكتاب يعني من احبارهم لو يردونكم ان يردوكم فان لو ينوب عن ان في المعنى دون اللفظ من
بعد ايمانكم مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين حسدا علة ود من عند انفسهم يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من عند انفسهم و
تشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا اي حسدا مبالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات
والنعوت المذكورة في التورية فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حتى ياتي الله بامره الذي هو الاذن في
قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بني النضير وعن ابن عباس رضي الله عنه انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق
ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالفة والالتجاء الى الله
عز وجل بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة او صدقة وقرئ تقدموا من اقدم تجدوه عند الله اي ثوابه ان الله بما تعملون
بصير اي لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى لف بين قول الفريقين كما في قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ
وعوذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة الى الاماني المذكورة وهي ان لا ينزل على المؤمنين خير
من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الاية على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة

منه ٩

كفارا

اعتراض والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين
في دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له
نفسه او قصده واصله العضو وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعد له على عمله عند ربه ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص
والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن
الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الاخرة وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اي امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم واتاهم
احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك [illegible] الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب
مثل ذلك [illegible] كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا
الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الاخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم
ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به [illegible] بين الفريقين [illegible] بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب
وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا او سعى في تعطيل مكان مرشح
للصلوة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان
يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل اولئك اي المانعون ما
كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا ان يجترؤا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها
الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة
واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة فيه فجوزه ابو حنيفة
ومنع مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية ولهم في الاخرة عذاب عظيم
بكفرهم وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم ان
تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا [illegible] ففي اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه
الله اي جهته التي امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع باحاطته
بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر انها نزلت في صلوة المسافر
على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم وعلى هذا لو اخطا المجتهد ثم
تبين له الخطاء لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما
قال اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن
اظلم وقرا ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع
امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا [illegible]
رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في السموات والارض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح [illegible] منقادون
لا يمتنعون عن مشيته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان يجانس والده
وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض من المضاف اليه اي كل ما فيهما

يجوز ان يراد كل من جعلوه ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والاية مشعرة على فساد ما قالوا
من ثلثة اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما
بديع السموات والارض مبدعهما ونظيره السميع في قوله امن ريحانة الداعي السميع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو
حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه وتعالى مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق
منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين
الذي يكون بتغير وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل القضاء
اتمام الشيء قولا كقوله وقضى ربك او فعلا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه
فانما يقول له كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة
المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى
يستغني عن ذلك واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب الاول حتى
قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر
قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله كما
يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله او تاتينا اية حجة على صدقك والاول استكبار والثاني جحود لان ما اتاهم ايات الله استهانة
به وعنادا كذلك قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء
تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين قد بينا الايات لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون
الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الايات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا
ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ملتبسا مؤيدا به فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم مالهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرأ نافع و
يعقوب ولا تسأل على انه نهي للرسول عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر عنها او السامع لا يصبر
على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول عليه السلام عن
اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله تعالى عنهم ولذلك قال قل تعليما
للجواب ان هدى الله هو الهدى اي هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم اراءهم الزائغة والملة
ما شرعه الله تعالى لعباده على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته والهوى راي يتبع الشهوة بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي او الدين
المعلوم صحته مالك من الله من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين اتيناهم الكتاب يريد مؤمني اهل الكتاب يتلونه حق
تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنوا
اهل الكتاب اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا
تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف من الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به
الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة القضية والمقصود من القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل
التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا

وان تاخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد يطلق على المعاني فلذلك فسرت بالخصال الثلثين المحمودة المذكورة في قوله
التائبون العابدون وقوله ان المسلمين الى اخر الايتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت بها في قوله
فتلقى ادم من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سننه وبمناسك الحج وبالكوكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله
بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنه الايات التي بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى اجعل هذا
البلد امنا ليرى هل يجيبه وقرا ابن عامر ابراهام فاتمهن فاداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله وابراهيم الذي وفى وفي القراءة الاخيرة
قال الضمير لربه اي اعطاه جميع ما دعاه قال اني جاعلك للناس اماما استيناف ان اضمرت ناصب اذ كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب
بذلك او بيان لقوله ابتلى فيكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة
معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له مفعولان والامام اسم من يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته
مامورا باتباعه قال ومن ذريتي عطف على الكاف اي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب سأكرمك والذرية نسل الرجل فعلية او
فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعيلة قلبت همزتها ياء من الذرء بمعنى الخلق وقرئ
ذريتي بالكسر وهي لغة قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله تعالى و
عهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ
الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مثابة للناس مرجعا يثوب اليه اعيان
الزوار او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل واحد وامنا وموضع امن لا يتعرض لاهله كقوله حرما
امنا ويتخطف الناس من حولهم او يامن حاجه من عذاب الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤخذ الجاني الملتجئ اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة القول او عطف المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا اليه واتخذوا وعلى ان الخطاب لامة
محمد صلى الله عليه واله وسلم وهو امر استحباب ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدمه او الموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس
الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه عليه السلام اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم عليه السلام فقال عمر افلا نتخذه مصلى
فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد
الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي في وجوبه قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل
مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرا نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس
مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا ويجوز ان يكون مفسرة لتضمن العهد
معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه للطائفين حوله والعاكفين المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع
السجود اي المصلين جمع راكع وساجد واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا يريد البلد او المكان بلدا امنا ذا امن كقوله في عيشة راضية او امنا
اهله كقولك ليل نائم وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر ابدل من امن من اهله بدل البعض للتخصيص قال ومن كفر عطف
على من امن والمعنى وارزق من كفر قاس ابراهيم عليه السلام الرزق على الامامة فنبه سبحانه تعالى على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر
بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدأ تضمن معنى الشرط فامتعه قليلا خبر والكفر وان لم يكن سبب التمتيع لكنه سبب تقليله بان يجعله
مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار اي الجئه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما
متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابراهيم وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر

فأمتعه من أمتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطّره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف
ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية
والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه
ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه ورفعها بناؤها وقيل المراد
رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم شأنها وإسماعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل
في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا وقرئ به والجملة حال منهما إنك أنت السميع
لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة
في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا أمة مسلمة
لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما اعلما
ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله تعالى فانه مما يشوش المعاش ولذلك
قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وآله ويجوز ان يكون من للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم قدم
على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وأرنا من رأى بمعنى ابصر او عرف
ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة
والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير ويعقوب ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل
عليها وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما إنك أنت التواب
الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهو المجاب به دعوتهما
كما قال انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة
ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة ما يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي إنك أنت العزيز الذي لا يقهر
ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة إبراهيم استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب
احد عن ملته إلا من سفه نفسه الا من استمهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له
ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه وقول
جرير ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على
البدل من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد
في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيامة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل و
الاعراض عن النظر إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه او تعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك
الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه و
اخطر باله دلائله المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام روي انها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا
الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر ووصى بها إبراهيم بنيه التوصية هو التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصلة
يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تأويل الكلمة او

الجملة وقرأ نافع وابن عامر اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابرهيم اي وصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه
ابرهيم يا بني على اضمار القول عند البصريين او متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره رجلان من ضبة اخبرانا انا
رأينا رجلا عريانا بالكسر وبنو ابرهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب
اثنا عشر روبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويشسوخر وزبولون وتفتوني ودون وكودا واشر وبنيامين ويوسف
إن الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام
والمقصود النهي عن ان يكونوا على تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة
على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد روي ان اليهود قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب
الموت أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او
متصلة بمحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي وقرئ
حضر بالكسر إذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم
على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد
افقيه ام طبيب قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا للاب
والجد او لانه كالاب لقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه كما قال في العباس رضي الله عنه هذا بقية آبائي وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون
كما قال ولما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا او مفرد وابرهيم وحده عطف بيان إلها واحدا بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية
كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتأكيد او نصب على الاختصاص
ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك أمة قد خلت يعني ابرهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود
وسمي بها الجماعة لان الفرق تؤمها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم
كما قال عليه السلام لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا
او نصارى الضمير الغائب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب
الامر قل بل ملة إبراهيم اي بل نكون ملة ابرهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابرهيم وقرئت بالرفع اي ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته حنيفا
مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم
فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا آمنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وما أنزل إلينا يعني القرآن قدم ذكره لانه اول بالاضافة
الينا سبب للايمان بغيره وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط الصحف وهي وان نزلت الى ابرهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها
داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد حفدة يعقوب او ابناءه وذراريهم فانهم
حفدة ابرهيم واسحق عليهما السلام وما أوتي موسى وعيسى التوراة والانجيل افردهما بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق
والنزاع وقع فيهما وما أوتي النبيون جملة المذكورين منهم وغير المذكورين من ربهم منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين أحد منهم كاليهود فنؤمن
ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي عم فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له اي لله مسلمون مذعنون مخلصون فإن آمنوا
بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت كقوله فأتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء

للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق او مزيدة للتأكيد
كقوله جزاء سيئة سيئة بمثلها والمعنى فان آمنوا بالله تعالى ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثله اي عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به او بالذي آمنتم به وان تولوا فانما هم في شقاق اي ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون
لهم فما هم الا في شقاق الحق وهو المعاداة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الآخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين
للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من ناواهم وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة
او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله اي صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله التي فطر
الناس عليها فانها حلية للانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة
لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم
في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل
على البدل من ملة ابراهيم ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على
آمنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة
ابراهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل أتحاجوننا اتجادلوننا في الله في شانه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي
ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من
يشاء من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من
الله تعالى على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص وكما ان لكم اعمالا ربما
يعتبرها الله تعالى في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالتاء يحتمل
ان يكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة او ادعاء اليهودية او النصرانية على الانبياء قل ءانتم اعلم ام الله وقد نفى الامرين
عن ابرهيم بقوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه
في الدين وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله لابرهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من
اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة
في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم
ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالاباء والاتكال عليهم وقيل
الخطاب فيما سبق لهم وفي هذه الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء وفي الثاني اسلاف اليهود والنصارى
سيقول السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود
والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة
في الاصل الحال التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان
دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه
الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك اشارة الى مفهوم الآية المتقدمة اي كما جعلناكم مهديين

الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة وسطا اي خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الذي
يستوي اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين
التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة
اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل اي لتعلموا بالتامل فيما نصب لكم من
الحجج وانزل اليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع
الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء
فيطالبهم الله تعالى ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيشهدون فيقول الامم من اين
عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فيسال عن حال امته فيشهد
بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم
بكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه عليه السلام كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر
بالصلوة الى الصخرة تالفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول
الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب
على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة آبائه او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه
وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى ما كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه
وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء و
المعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او لنميز الثابت من المتزلزل كقوله ليميز
الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق
لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان هي المخففة
من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة
او الردة او التحويلة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كان زائدة الا على الذين هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع
وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روي انه عليه السلام لما وجه الى الكعبة قالوا كيف
بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرءوف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرءوف وهو
ابلغ محافظة على الفواصل وقرا الحرميان وابن عامر وحفص لرءوف بالمد والباقون بالقصر قد نرى تقلب وجهك في السماء تردد وجهك
في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقع في روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابراهيم واقدم
القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسال فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها
من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها ترضاها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشية الله وحكمته فول وجهك
اصرف وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور منفصلة عن الدور ثم استعمل
لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عليه السلام
كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روي انه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو

المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين
من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره خص الرسول صلى الله بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتحضيضا للامة
على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه
صلى الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء ولئن اتيت الذين
اوتوا الكتاب بكل اية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر وساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا
قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون
صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان
اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما
جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ
فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء الذين اتيناهم
الكتاب يعني علماءهم يعرفونه الضمير للرسول عليه السلام وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه او للعلم او القرآن او التحويل كما يعرفون ابناءهم
يشهد للاول اي يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت وان فريقا منهم
ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن الحق من ربك كلام مستانف والحق اما مبتدأ خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى
ما عليه الرسول عليه السلام او الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله تعالى كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما
خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين في
انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول عليه السلام عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه
بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة
والتنوين بدل الاضافة هو موليها احد المفعولين محذوف اي هو موليها وجهه او الله تعالى موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله
موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد جبرا لضعف العامل وقرا ابن عامر مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات من امر القبلة وغيره مما نال
به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يات بكم الله جميعا في اي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومتفرقها
يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يات بكم الله جميعا ويجعل صلوتكم كانها
الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الامانة والاحياء والجمع ومن حيث خرجت ومن اي مكان خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت
وانه وان هذا الامر للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون وقرا ابو عمرو بالياء ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلاث علل تعظيم الرسول عليه السلام بابتغاء مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي اهل كل ملة و
صاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا
مع ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى
ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية قبلته الكعبة وان محمدا عليه السلام يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين

بانه يدعي ملة ابرهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون
ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمي هذه حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم
يسوقونها مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استيناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشوني فلا تخالفوا ما امرتكم
ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة محذوف اي وامرتكم لاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم او عطف على علة مقدرة مثل واخشوني لاحفظكم منهم ولاتم
نعمتي عليكم او لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي عليه السلام تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله اي ولاتم
نعمتي عليكم في امر القبلة او في الآخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني بالطاعة يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم يحملكم
على ما تصيرون به ازكياء قدمه باعتبار القصد واخره في دعوة ابرهيم عليه السلام باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون
بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على انه جنس آخر فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون
بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفس والصلوة التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين
ان الله مع الصابرين بالنصر واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء بل هم احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه
على ان حيوتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله
تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والآية نزلت في شهداء بدر
وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين
وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر
لاحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم ليخفف عليهم ويريهم
ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الآخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الاموال
والانفس والثمرات عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن
الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملئكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون
نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه
بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول عليه السلام او لمن يتاتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب
الانسان من مكروه لقوله عليه السلام كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل وبالقلب بان يتصور ما خلق لاجله
وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف
والاحسان وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك
هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله ان الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة
وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين فلا جناح
عليه ان يطوف بهما كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون
ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة انما الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس

لقوله فلا جناح فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي انه ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرا حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا يخفى عليه [illegible] كاحبار اليهود [illegible] كالآيات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وآله وسلم [illegible] وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه للناس لخصناه في الكتاب في التورية اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتاتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة [illegible] اي في اللعنة او النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد خطاب عام اي المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح ان يعبد ويسمى الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران آخران لقوله الهكم او لمبتدأ محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض وانما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين [illegible] تعاقبهما كقوله جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس اي بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشاهما البحر في غالب الامر وتانيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وما انزل الله من السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا به الارض بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات في الارض او على احيا فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحياة والبث النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابها واحوالها وقرا حمزة والكسائي على الافراد والسحاب المسخر بين السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى ياتي امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله تعالى واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا لآيات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه عليه السلام ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الآيات على وجود الاله عز وجل ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا يتحرك السموات او بعضها كالارض وان يتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا او على هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد حكيم قادر يوجدها على ما يستدعيه حكمته ويقتضيه مشيئته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي الاية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله

[illegible] من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله اذ تبرا الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله عز وجل يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله تعالى ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين آمنوا اشد حبا لله لانه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب فلذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره [illegible] ولو يرى الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذا عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف اي لو يعلمون ان القدرة لله جميعا اذا عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرا ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للنبي اي ولو ترى ذلك لرايت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا [illegible] على الاستيناف او على اضمار القول [illegible] بدل من اذ يرون اذ تبرا المتبوعون من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرا الاتباع من الرؤساء [illegible] اي رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرا [illegible] يحتمل العطف على تبرا او راوا والحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ تقطعت على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرا منهم كما تبرءوا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اي ليت لنا كرة فنتبرا منهم كذلك اي مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا [illegible] نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في الارض طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرا نافع وابو عمرو وحمزة بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه في قوله اولياؤهم الطاغوت انما يامركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما تجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية [illegible] الضمير للناس وعدل عن الخطاب عنهم للنداء على ضلالهم كانه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم ما انزل الله التورية لانها ايضا تدعو الى الاسلام [illegible] الواو للحال او العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف اي لو كان اباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة

ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء على حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل بهايم
الذي ينعق ومثل الذين كفروا كمثل بهايم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتاملون
فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهايم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع
اباءهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهايم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصو
على البهايم وهذا يغني عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب
صم بكم عمي رفع على الذم فهم لا يعقلون اي بالفعل للاخلال بالنظر يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم فلما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما في
الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا لله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون
ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم فان عبادته لا تتم الا بالشكر وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى اني والانس والجن في نبا
عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة اكلها او الانتفاع بها وهي التي ماتت من غير ذكوة والسمك والجراد اخرجهما العرف
عنها او استثناء الشرع والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وساير اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند
ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رأى سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان بغيره
فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر آخر ولا عاد سد الجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو
مذهب الشافعي وقول احمد فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما يفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت
المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها ان الذين
يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها
عقوبة عليهم فكانه اكل النار كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر يعني الدية او في المآل اي لا ياكلون يوم القيمة الا النار
ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه عليهم
وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الآخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات
النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة و
الخبر محذوف ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان وان الذين اختلفوا
في الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما الى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن
المنهج المستقيم في تاويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اي حرفوا ما فيها واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه
بشر واساطير الاولين لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب
فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت وادعى كل طايفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله تعالى عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ
ولكن البر ما بيناه واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اي ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم الذي يحسن ان تذهلوا بشانه عن غيره امرها
وقرا حمزة وحفص البر بالنصب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين اي ولكن البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من آمن او ولكن
ذا البر من آمن ويؤيده قراءة من قرأ ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القرآن وقرا نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع
البر وآتى المال على حبه اي حب المال كما قال عليه السلام لما سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير

تعالى او للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال ذوي القربى واليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى
لان ايتاءهم افضل كما قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان صدقة وصلة والمساكين جمع المسكين وهو الذي اسكنته الخلة واصله دايم السكون كالمسكير للدايم السكر
وابن السبيل المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين الذين الجاتهم الحاجة الى
السوال وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرسه وفي الرقاب وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب
لعتقها واقام الصلوة المفروضة وآتى الزكوة يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله آتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها
وبالثاني اداءها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت في المال سوى الزكوة وفي الحديث نسخت
الزكوة كل صدقة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من آمن والصابرين في البأساء والضراء نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على ساير
الاعمال وعن الازهري البأساء في الاموال كالفقر والضراء في الانفس كالمرض وحين البأس وقت مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا في
الدين واتباع الحق وطلب البر واولئك هم المتقون عن الكفر وساير الرذائل والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا
او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من
آمن الى والنبيين والى الثاني بقوله وآتى المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق
نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته الخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه السلام من عمل بهذه الآية فقد
استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء و
كان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فنزلت وامرهم ان يتباوؤا ولا يدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا يدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض
سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روي علي ان رجلا
قتل عبده فجلده الرسول ونفاه سنة ولم يقده به وروي عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر لا يقتلان
الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية
فلا ينسخ ما في القرآن واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل
التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذلك كل فعل جاء في القرآن فمن عفي له من اخيه شيء
اي شيء من العفو لان عفا لازم وفايدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو
ضعيف اذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه بل اعفاه وعفى يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها واذا عدي
به الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الآية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما
من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافي بان يطالب
الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها باحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب
الامر باداءها على مطلق العفو وللشافعي في المسئلة قولان ذلك اي الحكم المذكور في العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل و
النفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخير هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم
فمن اعتدى بعد ذلك قتل بعد العفو واخذ الدية فله عذاب اليم في الآخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذ
الدية ولكم في القصاص حيوة كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا

أي تقدمه والرعف السبق ومنه الراعف اللام السابق من الانف ومعنى تقديم السبيل لانه ... عن الاصمعي

الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد
فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحيوة
الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الآخرة ولكم في القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والآخر
صلة له او حالا عن الضمير المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القرآن حيوة للقلوب يا اولي الالباب ذوي
العقول الكاملة ناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان
له او عن القصاص فتكفوا عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر اماراته ان ترك خيرا اي مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي
ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة ان رجلا اراد ان يوصي فسألته
كم مالك فقال ثلثة الاف فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين
مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تأويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا
الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات
الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ باية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر لان اية المواريث
لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه
من فسر الوصية بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله عليهم بالمعروف بالعدل
فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وصل اليه وتحقق عنده
فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدله لانه الذي حاف وخالف الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل بغير حق فمن
خاف من موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السماء جنفا ميلا عن الحق بالخطأ في الوصية او اثما تعمدا للجنف فاصلح بينهم بين الموصى لهم باجرائهم على
نهج الشرع فلا اثم عليه في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس
ما يؤثم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعني الانبياء والامم من لدن آدم عليه السلام وفيه توكيد للحكم وترغيب على
الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون
المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدأها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او الاخلال باداءها لاصالته وقدمه اياما معدودات
موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام
عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء او ثلثة ايام من كل شهر او بكما كتب على الظرفية او بانه مفعول ثان لكتب عليكم على
السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام لما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه
عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر في
اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم عدد ايام المرض او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ
بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام ان افطروا
فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك في اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم
لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او
القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويتطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يطيقونه

وعلى هذه القراءة يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراءة
المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو اي فالتطوع او الخير خير له وان تصوموا ايها المطيقون او
المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية وتطوع الخير او منهما ومن التأخير للقضاء
ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان
الصوم خير لكم من ذلك شهر رمضان مبتدأ خبره ما بعده او خبر محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب
عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف او بدل من اياما معدودات والشهر
من الشهرة ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية
علما للغراب للعلمية والتأنيث وقوله عليه السلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه
من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حين ما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة [illegible]
اي ابتداء فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل في شأنه القرآن وهو قوله تعالى كتب عليكم الصيام
وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزلت صحف ابراهيم عليه السلام اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن
لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدأ او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه
سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن اي انزل وهو هداية للناس باعجازه وآيات
واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام [illegible] فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم
فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثاني على
الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلوتها فيكون [illegible]
مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم نسخه لما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر [illegible]
اي يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض [illegible]
علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص
لتكملوا العدة الى آخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا العدة علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته و
لعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او الافعال كل لفعله او معطوف على علة مقدرة كانه قيل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا
ويجوز ان يعطف على اليسر اي يريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدي بعلى
قيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر اي الذي هداكم اليه وعن عاصم برواية ابي بكر ولتكملوا بالتشديد
[illegible] اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم
بحال من قرب مكانه منهم روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت
[illegible] تقرير للقرب ووعد للداعي بالاجابة [illegible] اذا دعوتهم للايمان كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم [illegible] امر
بالثبات والمداومة عليه [illegible] راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم
الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم
مجازيهم على اعمالهم تأكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم فقال [illegible] روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم

الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الآخرة او يرقدوا وان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبي صلى الله
عليه وآله وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية
عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره هنا لتقبيح ما ارتكبوه و
لذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن
لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي اذا ما الضجيع
ثنى عطفها تثنت وكانت عليه لباسا او لان كل واحد منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم
تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها عن الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه
وعفا عنكم ومحا عنكم اثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة
كني به عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره الله لكم واثبته في اللوح من الولد والمعنى ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه
الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير المأتي والتقدير وابتغوا المحل
الذي كتبه الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق
وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك
خرجا من الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال
الى خيطين ابيض واسود ولا يزالون ياكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان الى وقت
الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تأخير الغسل
اليه وصحة صوم المصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان آخر وقته واخراج الليل عنه فينفي صوم الوصال ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد
معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا
عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطء يحرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات
يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا عن ان
يتخطى عنه كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها
ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهي ولا
تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي ولا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله وبين نصب على الظرف او الحال من الاموال وتدلوا بها
الى الحكام عطف على المنهي او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس
بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم
بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة من ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بان
يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض
الى عبدان فنزلت وهي دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن
بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من نار يسألونك عن الاهلة سأله معاذ
بن جبل رضي الله عنه وثعلبة بن غنم الانصاري فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما

بدا قل هي مواقيت للناس والحج فانهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون
معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع
ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت
الزمان المفروض لامر وليس البر بان تأتوا البيوت قرأ ابو عمرو وورش وحفص بضم الباء والباقون بالكسر من ظهورها ولكن البر من اتقى
وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف لكن ورفع البر كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب
او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم ان ذلك ليس ببر وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن
الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم لما سألوا عما لا يعنونه ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا
السؤال عما يعنونه ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان المراد
به التنبيه على تعكيسهم السؤال وتمثيلهم بحال من ترك باب البيت ودخل من وراءه والمعنى وليس البر ان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من
اتقى ذلك ولم يجترئ على مثله وأتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول بر او باشروا الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله
لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال
المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان و
الرهبانية والنساء او الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا
يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت بابتداء القتال او بقتال المعاهد او المفاجاة به من غير دعوة
او المثلة او قتل من نهيتم عن قتله ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف
الحذق في ادراك الشيء علما كان او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود
واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج
من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا
ولا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فلا تبالوا بقتالهم ثمة فانهم الذين هتكوا
حرمته وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد
مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى
لا تكون فتنة شرك ويكون الدين لله خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين فلا تعتدوا على المنتهين
اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون
عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذلك وهتكه بهتكه
فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها يجري فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم
مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير واتقوا الله في الانتصار
فلا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شأنهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا

بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فانه يقوي العدو ويسلطه على اهلاككم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول ... اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج المحسنين

واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرا واقيموا الحج والعمرة وما روى جابر رضي الله عنه انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك معارض بما روي ان رجلا قال لعمر رضي الله عنه اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدانهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي او ان يكون النفقة حلالا فان احصرتم منعتم يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند الشافعي ومالك رحمهما الله لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رحمهما الله لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى لما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل وهو ضعيف مؤول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه السلام لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني ... فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل ذبح ما استيسر ... عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة رحمه الله يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدي دليل على عدم القضاء وقال ابو حنيفة رحمه الله وجب القضاء والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع الهدية كمطي في مطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه كجراحة او قمل ... فعليه فدية ان حلق ... بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه عليه السلام قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة اصوع ... الاحصار او كنتم في حال امن وسعة ... فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه وقال ابو حنيفة رحمه الله انه دم نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام به وقبل التحلل وقال ابو حنيفة رحمه الله في اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثر وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي رحمه الله او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسن الحساب وان المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فانه يطلق

كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به ينتهي الاحاد ويتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة رحمه الله لانه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية ... وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا فان من كان على اقل فهو مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض الشهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا او بالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة رحمه الله وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج من حدود الشرع بالسيئات وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلثة على قصد النهي للمبالغة وللدلالة على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرا ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا ان يقفوا ايضا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقب النهي من الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه ... وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس ... فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله تعالى فيتبرؤا عن كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيها العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وههنا ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه او لان جبريل عليه السلام كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او لان ادم وحوا عليهما السلام التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان تجعل جمع عارف وفيه دليل على وجوب الوقوف

بما الان لا افاضة لا تكون الا بعده وهي مامور بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة للذكر المامور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل مابين مازمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ماروي جابر انه صلى الله عليه وآله وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا فيه وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مايليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هديكم كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هديكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله اي الهدى لمن الضالين اي الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان هي نافية واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وساير الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت مابين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ افاض الناس بالكسر اي الناسي يريد ادم عليه السلام من قوله فنسي ولم نجد له عزما والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم اباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر اباءكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر اباءهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم اباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على اباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من اباءكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لاباءكم فمن الناس تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه من يقول ربنا اتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير وفي الاخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول علي عليه السلام الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الاخرة الحوراء وعذاب النار امراة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار امثلة للمراد بها اولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا اي من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فيسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات كبروه في ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم النحر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن تاخر فلا اثم عليه ومن تاخر في النفر حتى رمي اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة رحمه الله يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجيل والتاخير التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتاخر لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه

على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض الانسان لجهله بسبب المتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الاخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو الد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم اي كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وهو في الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها ببذلها في الجهاد او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه وقيل انها نزلت في صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه واتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشرى وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام وفتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرايع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات الايات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بالحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا ان ياتيهم الله اي ياتيهم امره او باسه كقوله او ياتي امر ربك فجاءهم باسنا او ياتيهم الله بباسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما ياتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره والاتون على الحقيقة بباسه وقرئ بالجر

عطفاً على ظلل او الغمام ... امراتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء
الامر عطف على الملائكة ... قرأه ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على انه من الرجع وقرا الباقون على البناء للفاعل
بالتانيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول ... امر للرسول صلى الله عليه وآله وسلم
او لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم ... معجزة ظاهرة او اية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي
الانبياء عليهم السلام وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العايد من الخبر الى المبتداء او
اية مميزها ومن للفصل ... اي ايات الله فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او
بالتحريف والتاويل الزايغ ... بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك
قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل ... فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة ... حسنت
في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى اذ ما من شيء الا
وهو فاعله ويدل عليه قوله زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله تعالى فيها من الامور البهية
والاشياء الشهية مزين بالعرض ... يريد الفقراء من المؤمنين كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزؤن
بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا مبدأ السخرية ... لانهم في اعلى عليين
وهم في اسفل السافلين او لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا
وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم للتقوى ... في الدارين
... بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجاً تارة وابتلاء اخرى ... متفقين على الحق فيما بين آدم
عليه السلام وادريس عليه السلام او نوح عليه السلام او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح عليهما
السلام ... اي فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من
عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون
... يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما كانوا
ياخذون بكتب من قبلهم ... حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق شاهدا به ... اي الله تعالى او النبي المبعوث او كتابه
... اي في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم ... في الحق او الكتاب ... اي الكتاب
المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه ...
حسداً بينهم وظلماً لحرصهم على الدنيا ... اي الحق الذي اختلف فيه من اختلف ... بيان لما
اختلفوا فيه ... بامره وبارادته ولطفه ... لا يضل سالكه ... خاطب به
النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع
مخالفيهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ... ولم ياتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك
جعل مقابل قد ... حالهم التي هي مثل في الشدة ... بيان له على الاستيناف ...
وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدايد ... لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت
حبال الصبر وقرا نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه ... استبطاء له لتاخر

... استيناف على ارادة القول اي فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول
الى الله تعالى والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدايد والرياضات كما قال عليه السلام حفت الجنة با
لمكاره وحفت النار بالشهوات ... عن ابن عباس ان عمرو بن الجموح الانصاري كان هما ذا مال عظيم فقال يا رسول
الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت ... سئل عن المنفق
فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان في سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا في الاية
واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير ... ما في معنى الشرط ... جوابه
اي ان تفعلوا خيرا فان الله تعالى يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الاية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به
... شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح
على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله تعالى
حملته امه كرها ووضعته كرها ... وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم
وسبب فلاحهم ... وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى و
انما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم ... ذلك وفيه دليل
على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم يعرف عينها ... روي انه عليه السلام بعث عبد الله بن
جحش ابن عمته على سرية في جمادي الاخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عير القريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه
فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادي الاخرة فقالت قريش
قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح
حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رضي الله عنه لما نزلت اخذ
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الغنيمة وهو اول غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا
وتعييرا وقيل اصحاب السرية ... بدل الاشتمال عن الشهر الحرام وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل ...
اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام
وفيه خلاف والاولى منع دلالة الاية على حرمته مطلقا في الشهر الحرام فان قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم
صرف ومنع ... اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله تعالى من الطاعات ... اي بالله
على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام كقول ابي كسعاد كل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا ولا يحسن عطفه
على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يتقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على
الهاء في به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار ... اهل المسجد وهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم
والمؤمنون ... مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش
وافعل من يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ... اي ما يرتكبونه من الاخراج والشرك افظع مما
ارتكبوا من قتل الحضرمي ... اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن
دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة لقوله ... وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته

على قرينة ان ظفرت بي فلا تبقي علي وايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم
قيد الردة بالموت عليها في احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعي رحمه الله والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت
بالفتح وهو لغة فيه في الدنيا لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية والآخرة بسقوط الثواب واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون كساير الكفرة ان الذين امنوا نزلت ايضا في السرية لما ظن بهم انهم وان سلموا من الاثم فليس لهم
اجر والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كانهما مستقلان في تحقق الرجاء اولئك يرجون رحمة الله
ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوا خطأ
او قلة احتياط رحيم باجزال الثواب والاجر يسئلونك عن الخمر والميسر روي انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب
تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا في نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله في
الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الاية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا
فسكروا فام احدهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك
سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير
فشجه فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عمر رضي الله عنه اللهم بين لنا بيانا شافيا في الخمر فنزلت انما الخمر و
الميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر
اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهو حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال
ابو حنيفة رحمه الله نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد
سمي به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعنى يسالونك عن تعاطيهما لقوله قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير
حيث يؤدي الى الانتكاب عن المامور وارتكاب المحظور وقرأ حمزة والكسائي كثير بالثاء ومنافع للناس من كسب المال
والطرب والاستلذاذ ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما
اي المفاسد التي تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولذلك قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة
اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر ويسئلونك ماذا ينفقون قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سأل اولا عن المنفق والمصرف
ثم سأل عن كيفية الانفاق قل العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة العفو وهو ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه
الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وآله
وسلم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرره مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها
فحذفه بها حذفا لو اصابه لشجه ثم قال ياتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى وقرأ ابو عمرو
برفع الواو كذلك يبين الله لكم الآيات اي مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة
لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب به جمع على تاويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في
الدلائل والاحكام في الدنيا والآخرة في امور الدارين فتاخذون بالاصلح والانفع منهما وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم
او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسئلونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام
بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم خير

من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة
والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد او اصلاح اي يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي لو شاء الله
لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم
يحكم ما تقتضيه الحكمة ويتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي لا تتزوجوهن وقرئ بالضم اي لا تزوجوهن من المؤمنين
والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى
قوله سبحانه عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روي انه عليه السلام بعث مرثد الغنوي الى
مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل
لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة اي ولامرأة
مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عباد الله واماؤه ولو اعجبتكم بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير
ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهي
عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون الى النار اي الكفر
المؤدي الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم والله اي اولياؤه يعني المؤمنين حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه
تفخيما لشأنهم يدعو الى الجنة والمغفرة اي الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه بتوفيق الله وتيسيره
او لقضائه وارادته ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من
ميل الخير ومخالفة الهوى ويسئلونك عن المحيض روي ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يؤاكلوها كفعل
اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سأل ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت ولعله
سبحانه انما ذكر يسالونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان السؤالات الاول كانت في اوقات متفرقة والثلاثة الاخيرة كانت في
وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اي الحيض مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء في المحيض
فاجتنبوا مجامعتهن لقوله صلى الله عليه وآله وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت
كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه
بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن
بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عياش يطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله
فاذا تطهرن فاتوهن فانه يقتضي تاخير جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل وان طهرت لاقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل او يمضي
من حيث امركم الله اي المأتي الذي امركم به وحلله لكم ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن
الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان في غير المأتي نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما
يلقى في ارحامهن من النطف بالبذور فاتوا حرثكم انى شئتم اي فاتوهن كما تاتون المحارث وهو كالبيان لقوله تعالى فاتوهن
من حيث امركم الله انى شئتم من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امراته من دبرها في قبلها كان
ولده احول فذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت وقدموا لانفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل
التسمية على الوطي واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين

الكاملين في الايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم
ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت في الصديق رضي الله عنه لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه
على عائشة رضي الله عنها او في عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان رضي الله عنه ولا يصلح بينه وبين اخته
والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة يطلق لما يعرض دون الشيء وللمعرض للامر ومعنى الاية على الاول ولا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم
عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها
فات الذي هو خير وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان يكون
للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اي ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبذلوه
بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهي اي نهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم
واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين والله سميع
لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق
به اللسان او تكلم به جاهلا بمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التاكيد لقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا
يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطات فيه قلوبكم السنتكم
وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطاتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب
فيها والله غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اي
يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن تربص اربعة اشهر مبتدا
ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي حق التلبث في
هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك قال الشافعي لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان فاءوا وارجعوا في
اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولي اثم حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرار المراة ونحوه بالفيئة التي كالتوبة وان عزموا
[illegible] وان صمموا قصده [illegible] لطلاقهم [illegible] بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة رضي الله عنه الايلاء في اربعة
اشهر فادونها وحكمه عنده ان المولي ان فاء في المدة بالوطي ان قدر و[illegible] بالوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطي ان يكفر والا
بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم [illegible] يريد بها المدخول بهن من
ذوات الاقراء لما دلت الايات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر [illegible] خبر في معنى الامر وتغيير العبارة للتاكيد والاشعار
بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه على
المبتدا يزيده فضل تاكيد [illegible] تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعنها
ويحملنها على التربص ثلاثة قروء نصب على الظرف او المفعول به اي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله
عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين الحيضتين لقول الاعشى مورثة مالا وفي الحي رفعة لما ضاع فيها
من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الاية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قالت الحنفية لقوله تعالى
فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في الحيض واما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان
وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر رضي الله عنهما مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض

ثم تطهر

ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله تعالى ان يطلق لها النساء وكان القياس
ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الاخر ولعل
الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن
من الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك [illegible]
ليس المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له ان يفعل
اي ازواج المطلقات [illegible] الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للاية التي تتلوها
فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتانيث الجمع كالعمومة و
الخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اي واهل بعولتهن وافعل ههنا بمعنى
الفاعل في ذلك اي في زمان التربص [illegible] بالرجعة لاضرار المراة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح
للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن
في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن
وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن في غرض
الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم يشرعها لحكم ومصالح
الطلاق مرتان اي التطليق الرجعي اثنان لما روي انه عليه السلام سئل اين الثالثة فقال عليه الصلوة والسلام او تسريح باحسان
وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة فامساك
بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى
المعنى الاخير حكم مبتدا وتخيير مطلق عقب به تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن اي من الصدقات روي ان
جميلة اخت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالت
لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعتبه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا
اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه
بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الامرون بهما عند الترافع وقيل انه خطاب للازواج
وما بعده خطاب الحكام وهو تشويش النظم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير
الخوف بالظن الا يقيما حدود الله بترك اقامة احكامه من مواجب الزوجية وقرا حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان
بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الاحكام فلا جناح عليهما فيما افتدت به
على الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المراة في اعطائه [illegible] اشارة الى ما حد من الاحكام
فلا تعتدوها فلا تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم ان
ظاهر الاية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله
عليه السلام ايما امراة سالت زوجها طلاقا في غير باس فحرام عليها رائحة الجنة وما روي انه عليه السلام قال لجميلة اتردين
عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه السلام اما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن

العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء واختلف في انه اذا جرى بلفظ الطلاق فسخ او طلاق ومن جعله
فسخا احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر
انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله
او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا مرة وبعوض اخرى والمعنى ان طلقها بعد الثنتين فلا
تحل له من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر
على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روي ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال عليه السلام لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية مطلقة قيدتها السنة
ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق و
العود الى المطلقة ثلثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم المحلل والمحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل واحد من المراة والزوج
الاول الى الآخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حده الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن
ههنا بالعلم غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم
وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن
والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي به ينتهي قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله
والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في الآية ليصح ان يرتب عليه فامسكوهن بمعروف
او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو
اعادة للحكم في بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن ارادة الضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف
الاجل ثم يراجعها لتطول العدة عليها فنهي عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا
لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب
ولا تتخذوا آيات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه نهي عن
الهزء واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه السلام ثلث جدهن جد
الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية وبعثة محمد عليه السلام بالشكر والقيام بحقوقها
وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا
ان الله بكل شيء عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن الشافعي دل سياق الكلامين على افتراق
البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جملاء ان ترجع
الى زوجها الاول بالاستيناف فيكون دليلا على ان المراة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض
باسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة لا يتركونهن او
يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم

هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا
نشب بيضها فلم تخرج اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه
الشرع ويستحسنه المروة حال عن الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان
العضل عن التزوج من غير كفو غير منهي عنه ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجميع على تاويل القبيل او كل واحد
او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول على طريقة قوله يا ايها
النبي اذا طلقتم للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر
لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر من دنس الآثام والله يعلم ما فيه من النفع و
الصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا
لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات تعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص
بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك
لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى
مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى المولود له اي الذي يولد له يعني الوالد فان الولد
يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن
اجرة لهن واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي ومنع ابو حنيفة ما دامت زوجة او معتدة نكاح بالمعروف
حسب ما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى
لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب اي لا يكلف كل
منهما الآخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف و
اصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر
والباء من صلته اي لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على
نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه
حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى
المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي اي مؤن المرضعة
من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي اذ لا
نفقة عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة وقيل
عصابته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور
اي فصالا صادرا عن التراضي منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة استخراج الراي من شرت
العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما في ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم احدهما على
ما يضر به لغرض او غيره وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المراة الطفل واسترضعتها
اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان

کتابخانه آستان قدس
ویژه خطی

للزوج ان يسترضع الولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله اذا قمتم الى الصلوة
وقرا ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم
اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع
بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل [illegible] مبالغة في المحافظة على ما شرع في امر الاطفال والمراضع [illegible]
بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي وازواج الذين او
الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون منكم بفتح اليا اي
يستوفون اجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير في مثله قط ذهابا
الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين
في غالب الامر يتحرك لثلثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ
ربما تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قاله الاصم والحامل و
غيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن
علي وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة او المسلمون
جميعا [illegible] من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليها للعدة [illegible] بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه انهن
لو فعلن ما ينكره فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به
من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية
هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة
غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفات وتعريض خطبتها ان يقول لها
انك جميلة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك [illegible] او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا
علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك
عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطي لانه يسر ثم عن
العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن في السر على ان المعنى بالمواعدة في السر المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا
قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اي لا تواعدوهن مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول
معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود و
فيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه
[illegible] ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد اي ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه لا تقطعوا عقدة
النكاح فان اصل العزم القطع [illegible] حتى ينتهي ما كتب من العدة [illegible] من العزم
على ما لا يجوز [illegible] ولا تعزموا [illegible] لمن عزم ولا يفعل خشية من الله [illegible] لا يعاجلكم بالعقوبة [illegible]
عليكم لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكثر
النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي تجامعوهن وقرا حمزة والكسائي ما لم تماسوهن

(حاشية: ... والامة كما قاله)
(حاشية: الا مواعدة)

بعض القار

بضم التاء وبمد الميم في جميع القرآن [illegible] الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا ولم تفرضوا والفرض تسمية المهر و
فريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا
تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهرا اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل
ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمي لها فلها نصف المسمى فمنطوق الاية ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي
الوجوب على الجملة في الاخيرتين ومتعوهن عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش
الطلاق وتقديرها مفوض الى راي الحاكم ويؤيده قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي على كل من الذي له سعة ومن المقتر
الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه السلام لانصاري طلق امراته المفوضة قبل ان يمسها متعها ولو بقلنسوتك
وقال ابو حنيفة هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الاية يقتضي
تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو
مقدم على المفهوم وقرا حمزة والكسائي وحفص وابن ذكوان بفتح الدال متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه الشرع
والمروة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى
المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف
ما فرضتم اي فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها وهو دليل على ان الجناح المنفي ثم تبعة
المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون اي المطلقات فلا ياخذن شيئا والصيغة تحتمل التذكير والتانيث و
الفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان
هاهنا ونصب المعطوف عليه او يعفو الذي بيده عقدة النكاح اي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر
اليها كملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي
يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المراة صغيرة وهو قول قديم للشافعي [illegible] يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج
على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الاخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء
عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها
قبل المسيس فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما
تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام
الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنها والصلوة الوسطى اي الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا وهي صلوة
العصر لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال
الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله عليه السلام
افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها بين صلوتي النهار والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل
المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين طرفي الليل وعن عائشة انه كان عليه السلام
يقرا الصلوة الوسطى وصلوة العصر فيكون صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على
الاختصاص والمدح وقوموا لله قانتين في الصلوة ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب

المراد به القنوت في الصبح فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او راكبين ورجالا جمع راجل او رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف فاذا امنتم وزال خوفكم فاذكروا الله صلوا صلوة الامن او اشكروه على الامن كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرايع وكيفية الصلوة حالي الخوف والامن او شكرا يوازيه وما موصولة او مصدرية ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم قراها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرا الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون اهل وصية او كتب عليهم وصية وقرا متاع بدلها متاعا الى الحول نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قراه لانه بمعنى التمتع غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة فهو متاخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عند نا خلافا لابي حنيفة فان خرجن عن منزل الازواج فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن كالتطيب وترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم راعى مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعد ما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد او لتكرار القصة كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة يبين الله لكم اياته وعد بانه سيبين لعباده من الدلايل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجب الى الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله تعالى ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره او قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف اي الاف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل متالفون جمع الف او الف كقاعد وقعود والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اي قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله ومشيته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا ثم احياهم قيل مر على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى الله اليه نادهم ان قوموا باذن الله تعالى فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفايدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعريض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم لتستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء

غيرم

اجلهم

اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي به يطلب ثوابه قرضا حسنا اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقراءة عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله احد وقرا ابن كثير يضعفه بالرفع والتشديد وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة كثرة لا يقدرها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسب ما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم وقرا نافع والكسائي والبزي وابو بكر بالصاد ومثله في الاعراف في قوله تعالى في الخلق بسطة واليه ترجعون فيجازيكم على ما حسب ما قدمتم الم تر الى الملا من بني اسرائيل الملا الجماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اي من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل عليه السلام ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رايه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا وقرا نافع عسيتم بكسر السين قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي اي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روي ان نبيهم عليه السلام لما دعا الله ان يملكهم اتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له الملك علينا من اين يكون له ذلك ويستاهل ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال والحال انا احق منه بالملك وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة في اولاد لاوي والملك في اولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال راسه وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق ومن قراه بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق التورية وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم

الضمير للإتيان أي في إتيانه سكون لكم وطمأنينة أو للتابوت أي مودع فيه ما تسكنون إليه وهو التوراة وكان موسى عليه السلام
إذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة
وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فإذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الأنبياء من
آدم إلى محمد عليهم السلام وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والإخلاص وإتيانه مصير قلبه مقر العلم والوقار
بعد أن لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون رضاض الألواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هارون وآلهما أبناؤهما أو أنفسهما والآل
مقحم لتفخيم شأنهما أو أنبياء بني إسرائيل لأنهم أبناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله تعالى بعد موسى فنزلت به الملائكة
وهم ينظرون إليه وقيل كان بعده مع أنبيائهم يستفتحون به حتى أفسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في أرض جالوت إلى أن ملك
طالوت فأصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقهما الملائكة إلى طالوت إن في
ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين يحتمل أن يكون من تمام كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأن يكون ابتداء خطاب من الله تعالى
فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة وأصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي
أنه قال لهم لا يخرج معي إلا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع عليه مما اختار ثمانون ألفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسألوا أن
يجري الله لهم نهرا قال إن الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه فليس مني فليس من أشياعي أو ليس
بمتحد معي ومن لم يطعمه فإنه مني أي من لم يذقه من طعم الشيء إذا ذاقه مأكولا أو مشروبا قال وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا وإنما علم ذلك
بالوحي إن كان نبيا كما قيل أو بإخبار النبي إلا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب وإنما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية
بها كما قدم الصابئون على الخبر في قوله إن الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير وقرأ ابن عامر والكوفيون
بضم الغين فشربوا منه إلا قليلا منهم فكرعوا فيه إذ الأصل في الشرب منه أن لا يكون بوسط وتعميم الأول ليتصل الاستثناء أو أفرطوا في
الشرب إلا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فإن قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا و
قيل ثلاثة آلاف وقيل ألفا روي أن من اقتصر على الغرفة كفته لشربه وإداوته ومن لم يقتصر غلب عليه العطش واسودت شفته و
لم يقدر أن يمضي وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه أي القليل الذين لم يخالفوه قالوا أي بعضهم
لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله أي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا
ثوابه أو علموا أنهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخزلين عنه
اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل وكانوا تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بحكمه وتيسيره وكم
تحتمل الاستفهام والخبر ومن مبينة أو مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فأوت رأسه إذا شققته أو من فاء إذا رجع فوزنها
فعة أو فلة والله مع الصابرين بالنصر والإثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده أي ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا
وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجاء إلى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ إذ سألوا أولا إفراغ الصبر في قلوبهم الذي
هو ملاك الأمر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا فهزموهم بإذن الله فكسروهم
بنصره أو مصاحبين لنصره إياهم إجابة لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان إيشا أبو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان
داود صلى الله عليه وآله وسلم سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فأوحى الله إلى نبيهم أنه الذي يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاء وقد
كلمه في الطريق ثلاثة أحجار وقالت له إنك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته وآتاه الله الملك

أي ملك بني إسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ولولا أنه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على
الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وأفسدوا في الأرض أو لفسدت الأرض بشؤمهم وقرأ نافع هنا وفي الحج دفاع الله تلك آيات الله
إشارة إلى ما قص من حديث الألوف وتمليك طالوت وإتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق
بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه أهل الكتاب وأرباب التواريخ وإنك لمن المرسلين لما أخبرت بها من غير تعرف واستماع تلك
الرسل إشارة إلى الجماعة المذكورة قصصها في السورة أو المعلومة للرسول أو جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على
بعض بأن خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفضيلا له وهو موسى عليه السلام وقيل موسى ومحمد عليهما السلام
كلم موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج حين كان قاب قوسين أو أدنى وبينهما بون بعيد وقرئ
كلم الله وكالم الله بالنصب فإنه كلم الله كما أن الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بأن فضله على
غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإنه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات
المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والإبهام لتفخيم شأنه كأنه العلم المتعين
لهذا الوصف المستغني عن التعيين وقيل إبراهيم عليه السلام خصصه بالخلة التي هي أعلى المراتب وقيل إدريس عليه السلام لقوله
تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل أولو العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس خصه بالتعيين لإفراط اليهود
والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لأنها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله
هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل
بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه لالتزام دين الأنبياء تفضلا ومنهم من كفر لإعراضه عنه بخذلانه ولو
شاء الله ما اقتتلوا كرره للتأكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على أن الأنبياء
عليهم السلام متفاوتة الأقدار وأنه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لأن اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وأن الحوادث
بيد الله تابعة لمشيئته خيرا كان أو شرا إيمانا أو كفرا يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم ما أوجبت عليكم إنفاقه من قبل أن
يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل أن يأتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه إذ لا بيع فيه فتحصلون
ما تنفقونه أو تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه أخلاؤكم أو يسامحوكم به ولا شفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضي له
قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم وإنما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لأنها في التقدير جواب هل فيه بيع
أو خلة أو شفاعة وقد فتحها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب على الأصل والكافرون هم الظالمون يريد التاركون للزكاة هم الذين ظلموا
أنفسهم إذ وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان من
لم يحج وإيذانا بأن ترك الزكاة من صفات الكفار كقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة الله لا إله إلا هو مبتدأ وخبر والمعنى أنه
المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في أنه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود أو يصح أن يوجد الحي الذي يصح أن يعلم ويقدر و
كل ما يصح له فهو واجب له لا يزول لامتناعه عن القوة والإمكان القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالأمر إذا
حفظه لا تأخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم
والنوم حال يعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة

عن الاحساس راسًا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه وتاكيد لكونه حيًا قيومًا فان من
اخذه نعاس او نوم كان ماووف الحيوة قاصرًا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجملة التي بعده له ما في السموات و ما
في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلًا في حقيقتهما او خارجًا عنهما متمكنًا
فيهما فهو ابلغ من قوله له السموات والارض وما فيهن من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه وانه لا احد يساويه او
يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلًا ان يعاوقه عنادًا ومناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما
بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا والاخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه
او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء
ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام
الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعًا
قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من
كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيًا محيط بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع والارضون
السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك
البروج وهو في الاصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرسي وهو الملبد ولا يؤده ولا يثقله
ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج حفظهما اي حفظ السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول و
هو العلي المتعالي عن الانداد والاشباه العظيم المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الاية مشتملة على امهات المسائل
الالهية فانها دالة على انه تعالى وتقدس موجود واحد في الالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم
هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك
الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا من اذن له عالم وحده بالاشياء كلها جليها و
خفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤده شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم لا
يحيط به فهم ولذلك قال عليه السلام ان اعظم اية في القران اية الكرسي من قراها بعث الله ملكًا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى
الغد من تلك الساعة وقال من قرا اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق
او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله لا اكراه في الدين اذ الاكراه في الحقيقة
الزام الغير فعلًا لا يرى فيه خيرًا يحمله عليه ولكن قد تبين الرشد من الغي تميز الايمان من الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلايل على ان
الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية العاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان
طلبًا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله
تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريًا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما
المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت فمن يكفر
بالطاغوت بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه
ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل فقد استمسك بالعروة الوثقى طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل

الوثيق وهي مستعارة للمتمسك المحق من النظر الصحيح والراي القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته
والله سميع بالاقوال عليم بالنيات ولعله تهديد على النفاق الله ولي الذين امنوا محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من
اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس و
الشبه المودية الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من
الموصول او منهما او استيناف مبين او مقرر للولاية والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اي الشيطان او المضلات من الهوى
والشيطان وغيرهما يخرجونهم من النور الى الظلمات من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في
الشهوات او من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج
الى الطاغوت باعتبار التسبب لا يابى تعلق قدرته تعالى او ارادته به اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير ولعل
عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشانهم الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود وحماقته ان اتيه
الله الملك لان اتاه اي بطر ايتاه الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرًا له على طريقة العكس كقولك عاديتني لاني
احسنت اليك او وقت ان اتاه الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابرهيم ظرف لحاج
بدل من اتاه على الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت بخلق الحيوة والموت في الاجساد وقرا حمزة رب بحذف الياء قال انا احيي
واميت بالعفو عن القتل والقتل وقرا نافع انا بالالف قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
اعرض ابرهيم عليه السلام عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعًا للمشاغبة
وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود
زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله تعالى فنقضه ابرهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته واعتقاد الحلول
وقيل لما كسر ابرهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعوا اليه وحاجه فيه فبهت الذي كفر
فصار مبهوتًا وقرئ فبهت اي فغلب ابرهيم الكافر والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن
قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية تقديره او
ارايت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من
ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج والذي مر وقيل انه عطف
محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام ابرهيم ذكره جوابًا لمعارضته وتقديره او ان كنت
تحيي فاحي كاحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين
خربه بخت نصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع وهي خاوية على عروشها
خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اعترافًا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظامًا لقدرة
المحيي ان كان القائل مؤمنًا واستبعادًا ان كان القائل كافرًا وانى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف
فاماته الله مائة عام فالبثه ميتًا مائة عام او اماته فلبث ميتًا مائة عام ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله
سبحانه وساغ ان يكلمه وان كان كافرًا لانه امن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبي قال لبثت يومًا او بعض يوم
كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يومًا ثم التفت فراى بقية منها فقال او

بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من
السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء او هاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحمإ المسنون فابدلت النون
الثالثة حرف علة كتقضى البازي وانما افرد الضمير في لم يتسنه لان الطعام والشراب كالجنس الواحد قيل كان طعامه تينا و
عنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله وقرا حمزة والكسائي لم يتسن بغير الهاء في الوصل وانظر الى حمارك كيف تفرقت
عظامه او انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال و
اوفق لما بعده ولنجعلك اية للناس اي وفعلنا ذلك لنجعلك اية روي انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرا التورية
من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله تعالى الله عن ذلك وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا
فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعني عظام الحمار او الاموات الذين تعجب من احيائهم
كيف ننشزها كيف نحييها او نرفع بعضها على بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة وقرا
ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى انشر ثم نكسوها لحما فلما
تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول
لدلالة الثاني عليه او ما قبله اي فلما تبين له ما اشكل عليه وقرا حمزة والكسائي قال اعلم على الامر والامر مخاطبه او هو نفسه
خاطبها به على طريق التبكيت واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى انما سال ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمرود
انا احيي واميت قال له ان احياء الله تعالى برد الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير اخر
ثم سال ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم تؤمن بانى قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال
له ذلك وقد علم انه اعرف الناس في الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اي بلى امنت
ولكن سالت لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال قال فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا
وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمام وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما ياتي باماتة حب
الشهوات والزخارف الذي هو صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب
والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بهما الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي
به او جمع كصحب فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك لتتاملها وتعرف شانها لئلا تلتبس عليك بعد الاحياء وقرا حمزة
ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان كما قال الشاعر ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه على
الليت قنوان الكروم الدوالح وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية
وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة
وقرا ابو بكر جزؤا بضم الزاء حيث وقع ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله تعالى ياتينك سعيا ساعيات مسرعات
طيرانا او مشيا روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤسها ويخلط ساير اجزائها ويوزعها على الجبال ثم
يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة الى ان من اراد
احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات
متى دعاهن بداعية العقل او الشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابراهيم ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال

انه تعالى اراه ما اراد ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريد حكيم ذو
حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل
باذر حبة على حذف مضاف انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند
الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة
حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وذلك قد يكون في الذرة والدخن والبر في الاراضي المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة
لمن يشاء بفضله وعلى حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجله تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا
يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى
نزلت في عثمان فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها او عبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم
باربعة الاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت
بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم تدخل الفاء فيه وقد
تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف وجميل ومغفرة وتجاوز
عن السائل للحاجة او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى
خبر عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غني عن انفاق بمن وايذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي
بالعقوبة يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس
ولا يؤمن بالله واليوم الاخر كابطال المنافق الذي يرائي بانفاقه ولا يريد به رضاء الله ولا ثواب الاخرة او مماثلين الذي
ينفق رئاء فالكاف في محل النصب على المصدر او الحال ورئاء نصب على المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اي انفاق
رئاء فمثله فمثل المرائي في انفاقه كمثل صفوان كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا
املس نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق
باعتبار المعنى لان المراد به الجنس او الجمع كما في قوله وان الذي حانت بفلج دماؤهم والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد
وفيه تعريض بان الرئاء والمن والاذى على الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن من ان يجتنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم
ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه
ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدئا من اصل انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق
تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاء كمثل بستان في موضع مرتفع فان
شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرا ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلثتها لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم
القطر فاتت اكلها ثمرتها وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل و
المراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد في قوله تعالى من كل زوج اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اي مضاعفا
فان لم يصبها وابل فطل اي فيصيبها او فالذي يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها
وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احوالهم و
يجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين في زلفاهم بالوابل والطل والله بما تعملون

بصير تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص ايود احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري
من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان
فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر الانواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر اي كبر السن
فان اصابة الفاقة والعالة في الشيخوخة اصعب والواو للحال او للعطف حملا على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه
الكبر وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف على اصابه او تكون باعتبار
المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها
ما يحبطها كرياء وايذاء في الحسرة والاسف فاذا كان يوم القيمة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم به
من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل
سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون اي تتفكرون فيها وتعتبرون بها يا ايها الذين
امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات ما اخرجنا لكم من
الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا الردي منه اي من المال او مما اخرجنا
وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا تاممو ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا و
يجوز ان يتعلق منه به ويكون الضمير للخبيث والجملة حالا منه ولستم باخذيه اي وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم لرداءته
الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا اي تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين
وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم
حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق والوعد في الاصل شايع في الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون و
بضمتين وفتحتين ويامركم بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله يعدكم مغفرة منه اي يعدكم
في الانفاق مغفرة لذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا وفي الاخرة والله واسع اي واسع الفضل لمن انفق عليم
بانفاقه يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول الثاني ومن يؤت
الحكمة بناء للمفعول لانه المقصود وقرا يعقوب بالكسر اي ومن يؤته فقد اوتي خيرا كثيرا اي اي خير
كثير اذ حيز له خير الدارين وما يذكر وما يتعظ بما قص من الايات او ما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله تعالى
في قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذوي العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وما
انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية في حق او باطل او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط في طاعة او معصية
فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون الصدقات ولا
يوفون بالنذور من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرا
ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرا ابو عمرو وابو بكر وقالون بكسر النون وسكون
العين وروي عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو اقيس وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اي تعطوها مع اخفائها
فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره افضل لنفي التهمة
عن ابن عباس صدقة السر في التطوع افضل من علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها

بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم قرا ابن عامر وعاصم في رواية حفص ويكفر اي والله يكفر او الاخفاء و
قرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتداة او اسمية معطوفة
على ما بعد الفاء اي ونحن نكفر وقرا نافع وحمزة والكسائي به مجزوما معطوفا على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا و
مجزوما والفعل للصدقات والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس
مهديين انما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث ولكن الله يهدي من يشاء
صريح بان الهداية من الله وبمشيته وانها تخص بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة فلانفسكم فهو
لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال فكانه قال وما تنفقوا من
خير فلانفسكم غير منفقين الا ابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اي وليس نفقتكم الا ابتغاء وجه الله فما لكم تمنون
بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي بمعنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تاكيد للشرطية السابقة
او ما يخلف المنفق استجابة لقوله صلى الله عليه واله وسلم اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي ان اناسا
من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت وهذا
في غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكفار وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقراء متعلق
بمحذوف اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله احصرهم
الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة من
فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين اغنياء من التعفف
من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول او لكل احد لا يسألون
الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى
انهم لا يسألون وان سالوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره ونصبه على المصدر
فانه كنوع من السؤال او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق خصوصا على هؤلاء الذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر تصدق باربعين الف دينار
عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي عليه السلام لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق
بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها فلهم
اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر للذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف
اي ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية الذين ياكلون الربوا اي الاخذون له وانما ذكر الاكل لانه
اعظم منافع المال ولان الربا شايع في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد
الى اجل او في العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة من يفخم وزيدت
الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما
كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق

يتخبط العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختبط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون
اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال
عقلهم ولكن لان الله اربى في بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب
بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل البيع
ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما
ومن اشترى سلعة تساوي درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع
وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال للقياس بمعارضة النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر
بالنهي عن الربوا فانتهى فاتعظ وتبع النهي فله ما سلف تقدم اخذه قبل التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف
ان جعل من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على راي سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه
على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد اي الى تحليل الربوا اذ
الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل
فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه السلام ان الله يقبل الصدقات ويربيها كما
يربي احدكم مهره وعنه ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب لا يرضى ولا يحب محبته للتوابين كل كفار مصر
على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابها ان الذين امنوا بالله ورسله وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات و
اقاموا الصلوة واتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما لانافتهما على سائر الاعمال الصالحات لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
من ات ولا هم يحزنون على فائت يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا
ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل
بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن بشيء اذا علم به وقراءة حمزة و
عاصم في رواية ابن عياش فاذنوا اي فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم
وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء الى امر الله كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قالت ثقيف
لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون
بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم راس مالهم وهو سديد على ما قلناه اذ المصر على التحليل مرتد
وماله فيء وان كان ذو عسرة وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم
نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار وقرئ فناظرة على الخبر اي فالمستحق ناظرة بمعنى منتظرة او صاحب نظرة على طريقة النسب
او فناظره على الامر اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة يسار وقرا نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما
مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا بالابراء وقرا عاصم بتخفيف
الصاد خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار
لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر
الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيمة او يوم الموت فتاهبوا لمصيركم اليه وقرا ابو عمرو ويعقوب بفتح

التاء وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس
رضي الله عنه انها اخر اية نزل بها جبريل وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين
اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او اخذا وفائدة ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة و
يعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر
لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه ظاهرة في الوجوب لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس
ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو
في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد
من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه من كتبة الوثائق او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمه كقوله واحسن
كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تاكيدا ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر
فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود
عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي او الكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من الحق
او مما املى عليه فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا اي صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان
يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان
صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او
الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان من رجالكم من المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه
ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل
وامراتان فليشهد او فالمستشهد رجل وامراتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة ممن
ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار العدد اي لاجل ان احديهما ان ضلت
الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح
ان يجيء عدو فادفعه فكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقراءة حمزة
ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من قبل الحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا يأب
الشهداء اذا ما دعوا ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كني بالسام عن الكسل لانه صفة المنافق
ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت ولا تسئموا ان تكتبوه صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا
الى اجله الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم
للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير قياس او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما
صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى الا ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله و
الشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها استثناء عن الامر بالكتابة
والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اي الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوا لبعده

عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني اسد هل
تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا ورفعها الباقون على انه الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا
تبايعتم هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التي في هذه الاية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب
ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البنائين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر و
الفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم
ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وان تفعلوا الضرار وما نهيتم
عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم
والله بكل شيء عليم كرر لفظة الله في الجمل الثلاث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة
تعظيم لشانه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر اي مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذي
يستوثق به رهان او فعليكم رهان اي فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لانه
عليه السلام رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثيق
بالكتب في السفر الذي هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرا ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما
جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف فان امن بعضكم بعضا اي بعض الداينين بعض المديونين
واستغنى بامانته عن الارتهان فليؤد الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة لايتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ
الذيتمن بقلب الهمزة ياء والذتمن بادغام الياء في التاء وهو خطاء لان المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا تدغم وليتق الله ربه
في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المديونون والشهادة شهادتهم على انفسهم ومن
يكتمها فانه اثم قلبه اي ياثم قلبه او قلبه ياثم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان مقترفه ونظيره العين
زانية والاذن زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزائه
وفاق ساير ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد لله ما في السموات وما في الارض
تهديدا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم
به الله يوم القيمة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه
وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا على
جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا منه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا
جزلا ونارا تاججا وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا تدغم الا في مثله والله على كل شيء قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة
امن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من الله على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك
فيه والمؤمنون كل امن بالله وملئكته وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه
التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنون او يجعل مبتدا فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتداء ويكون
افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرا حمزة والكسائي وكتابه
يعني القران او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في وحدان الجنس في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب

لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون لا نفرق وقرا يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا
على معناه كقوله تعالى وكل اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين
ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر لنا
غفرانك او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها
الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وهو
يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها
ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب
اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطا
من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطا
فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن له عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه فضلا ورحمة فيجوز ان يدعو الانسان
به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطاء والنسيان ربنا ولا تحمل علينا
اصرا عبئا ثقيلا يا صر صاحبه اي يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته
على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من
قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم من الشدايد و
المحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي لا تفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف
بما لا يطاق والا لما سئل التخلص منه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا
واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين
فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روي انه عليه الصلوة والسلام لما دعا بهذه الدعوات
قيل له فعلت وعنه عليه الصلوة والسلام انزل الله ايتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي
سنة من قراهما بعد العشاء الاخرة اجزاتاه عن قيام الليل وعنه عليه الصلوة والسلام من قرا الايتين من اخر سورة
البقرة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال
عليه الصلوة والسلام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القران فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن
تستطيعها البطلة فقيل وما البطلة قال السحرة سورة ال عمران مدنية وهي مائتا اية بسم الله الرحمن الرحيم الم الله
انما فتح الميم في المشهورة وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت
للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك
لم يحرك في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرا ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل لا اله الا هو الحي
القيوم روي انه عليه الصلوة والسلام قال ان اسم الله الاعظم في ثلاث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي
ال عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القران نجوما بالحق بالعدل
او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله تعالى وهو في موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب و

التوراة والانجيل جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العرب من قبل من قبل تنزيل القرآن هدى للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة ليعم ما عداها كانه قال وانزل سائر الكتب مما يفرق به بين الحق والباطل او الزبور او القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين الحق والباطل او المعجزات ان الذين كفروا بآيات الله من الكتب المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاجمال هن ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات فافرد على تأويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة واخر متشابهات محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما قوله تعالى الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لانه في معنى المعرف او عن آخر من فاما الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بظاهره او بتأويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تأويله وطلب ان يؤولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل واحد منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل وما يعلم تأويله اي الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد يقولون آمنا به استئناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدأ كل من عند ربنا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده وما يذكر الا اولو الالباب مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما

انه جواب قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو اباه بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب وغيرها وبانه صوره في الرحم والمصور لا يكون اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استئناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال عليه الصلاة والسلام قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبتلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق والايمان بالقسمين المحكم والمتشابه وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤال وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله تعالى وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزائه لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركو العرب لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله اي من رحمته او طاعته على معنى البدلية او من عذابه فاولئك هم وقود النار وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كدأبهم في الكفر والعذاب وهو مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشأن والذين من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل استئناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدأت بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه السلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استئناف وتقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين وكانوا قريبا من الف او مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلاثمائة و عشر وذلك كان بعدما قللهم في اعينهم حتى اجترؤوا عليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله به في قوله وان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا رأي العين رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان في ذلك اي التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون ايضا يحتملهما ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول لعبرة لاولي الابصار لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا في حبها حتى احبوا شهوتها كقوله اني احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله او لانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية في معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة مأخوذة

كدأب آل فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او استئناف مرفوع المحل وتقديره دأب هؤلاء

كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استئناف

منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام
الابل والبقر والغنم ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب اي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده
من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا
للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استئناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على
هي جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من بخير وازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من الله قرأه عاصم بضم الراء وهما لغتان
والله بصير بالعباد اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الآية على
نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار
صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة
والاستعداد بها الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان معاملته مع الله
اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملها واما بالبدن وهو اما قولي
وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فبالاستغفار
لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين
بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم
كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات
الناطقة بها والملائكة بالاقرار واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما
بالقسط مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس
كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او من هو والعامل معنى الجملة اي تفرد قائما او احقه لانه حال مؤكدة او على المدح او الصفة
للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا من الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو
او خبر لمحذوف لا اله الا هو كرره للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة ليبني عليه قوله العزيز
الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد
وقد روي في فضلها انه عليه الصلوة والسلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى
بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهي دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للاولى
اي لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقرأ الكسائي بالفتح
على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح
على وقوع الفعل على الثاني واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف الذين اوتوا الكتاب
من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون
مطلقا او في التوحيد فثلث النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى عليه السلام
الا من بعد ما جاءهم العلم اي بعد ما علموا حقيقة الامر او تمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا
للرياسة لا للشبهة او خفاء في الامر ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك في الدين و

لقوله تعالى ورضوان من الله

وجادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج فقل اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القيم الذي قامت
عليه الحجج ودعت اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس
ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب
ءاسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة فان
اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال وان تولوا فانما عليك البلاغ اي فلم يضروك اذ ما عليك الا ان
تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم
بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي والمؤمنين ولكن الله
عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل ولذلك
قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما وما
لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التورية او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض او
للبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم او التحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكتاب الله القرآن
او التورية لما روي انه عليه السلام دخل مدارسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت فقال على دين ابراهيم
فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فأبيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على
البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم
استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق
وانما ساغ لتخصيصه بالصفة ذلك اشارة الى التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم
امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل
او ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب
فيه استعظام لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات
الكفر راية اليهود فيفضحهم الله على رؤوس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل
على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذن بعد الخلاص منها
وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص
هذا الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بالخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات
الفعل وهمزته مالك الملك يتصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك
من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منهما ما تشاء لمن تشاء وتسترد فالملك الاول عام والآخران بعضان منه وقيل المراد بالملك
النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا او في الآخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق
والخذلان بيدك الخير انك على كل شيء قدير ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي
ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب في الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روي انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل
عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله يخبره فجاء

فاخذ المعول منه فضرب بها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون
وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم
ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبرئيل عن ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم
ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان
الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق
من تشاء بغير حساب عقب ذلك بيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضل دلالة على ان من قدر على ذلك قدر
على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الاخر بالتعقيب
او الزيادة او النقص واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها وانشاء الحيوان من النطفة و
النطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة
جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر امور الدينية من دون المؤمنين
اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس
من الله في شيء من ولايته في شيء يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتنافيين لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك
ليس الود عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدى بمن لانه في
معنى تحذروا او تخافوا وقرا يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا او باطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة
ح جايز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا السخطه بمخالفة احكامه وموالاة
اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر
من الكفرة قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله اي انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما
في السموات وما في الارض فيعلم سركم وعلانيتكم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والاية بيان
لقوله ويحذركم الله نفسه فكانه قال ويحذركم الله نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم
المقدورات باسرها فلا تجترؤا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود اي يتمنى كل نفس يوم تجد صحائف اعمالها او جزاء
اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر و تود حال من الضمير او خبر لما عملت
من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا يكون ما شرطية لارتفاع تود وقرا ودت وعلى هذا يصح ان يكون شرطية ولكن الحمل
على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كاين واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره للتوكيد والتذكير والله رؤف بالعباد اشارة
الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رافة بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عذابه قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادرك فيه بحيث يحملها ما يقربه اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان
كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه
فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم
جواب للامر اي يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن

ذكره

على

61

ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روي انها نزلت لما قال اليهود نحن
ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده عليه السلام انهم يحبون الله فامروا
ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين
لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل ولا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله
وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك
قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك بان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على
فضلهم على الملائكة وال ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وال عمران موسى وهرون
ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن اسعاد بن ابي يوذ بن ... ابن يوا
بن ساقط بن ايشا بن راجيم بن سليمان داود بن ايشى بن عوبد ... مسلمون بن عامر بن يحشون بن عميا بن زام بن خضروم بن فارض
بن يهوذ بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانون مائة سنة ذرية بعضها من بعض حالا او بدل من الالين او منهما ومن نوح
اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من
الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم
القول والعمل او سميع بقول امراة عمران عليم بنيتها اذ قالت امرأت عمران رب اني نذرت فينتصب به اذ ونصبه باضمار اذكر
وهذه حنة بنت فاقود ابجدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هرون فظن ان المراد زوجته ويرده كفالة زكريا
فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى ابني خالة من الاب روي انها كانت عاقرا عجوزا فبينا هي
في ظل شجرة اذ رات طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس
فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا في عهدهم في الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او
طلبت ذكرا لك ما في بطني محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشيء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل مني انك انت السميع العليم لقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتانيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان تانيثها
علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تاويل مؤنث كالنفس والجبلة وانما قالته تحسرا او تحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان
تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريرا والله اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي وضعت وهو استيناف من الله تعظيما لموضوعها وتجهيلا
لها بشانها وقرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها اي ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا
وقرئ وضعت على خطاب الله لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله والله اعلم اي وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت
واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فيكون اللام للجنس واني سميتها مريم عطف
على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها
مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة واني اعيذها بك اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما من مولود
يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث
يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمها ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها بقبول حسن فرضي بها في النذر مكان الذكر

بن م

موسى وم

حسبي بوجه حسن تقبل بها النذائر وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان
حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها الى الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت
امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة
وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا
على تقدير مضاف اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول
حسن [illegible] مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها [illegible] شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا
زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون
ومدوا زكرياء مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اي الغرفة التي بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به
لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه روي انه
كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وكان عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس قال يا مريم انى
لك هذا من اين لك هذا الرزق الآتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك
معجزة زكرياء يدفعه اشتباه الامر عليه [illegible] فلا تستبعده قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها
ينزل عليها من الجنة [illegible] بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلامها
وان يكون من كلام الله روي ان فاطمة عليها السلام اهدت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع
بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا او لحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق
من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته حتى
الطعام كما هي فاوسعت على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه في ذلك المكان او الوقت او يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى كرامة مريم
ومنزلتها من الله [illegible] كما وهبها لحنة العجوز العاقر وقيل لما راى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز
ولادة العاقر من الشيخ فسال فقال هب لي من لدنك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعاء
مجيبه [illegible] اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان جبريل عليه السلام وحده وقراحمزة و
الكسائي ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل [illegible] اي بعيسى سمي بذلك
لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة بقصيدته [illegible]
يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم في انه ما هم بمعصية [illegible] مبالغة في حبس النفس عن الشهوات
والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت [illegible] ناشيا منهم او
كائنا من عداد من لم يات كبيرة ولا صغيرة قال رب انى يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة او استعظاما وتعجبا
او استفهاما عن كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان و
تسعون [illegible] لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد [illegible] اي يفعل
ما يشاء من العجائب مثل ذلك ايضا وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر
يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتدأ وخبر اي الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك مبتدأ

محذوف اي الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان له [illegible] علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر
وتزيح مشقة الانتظار [illegible] اي لا تقدر على تكليم الناس ثلاثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة
ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة وكانه قال آيتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق من السؤال
الا رمزا اشارة بنحو يد او راس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على
مثل ذلك التبيين [illegible] دلائله [illegible] ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه [illegible]
[illegible] من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له
كل احد اذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام
بها خاطب الجميع وطلب بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وكذا كل ما
هو فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة آمرين لقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء
الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك
هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح روي انه عليه السلام سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم
لله واوصلهم للرحم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يامر به والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع
حرام والاظهر ان العاصي يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر ولا تكونوا كالذين
[illegible] كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ما عرف [illegible] الآيات و
الحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالتفرق في الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف امتي
رحمة ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر واحد [illegible] وعيد للذين تفرقوا
وتهديد على التشبيه بهم [illegible] نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجوه وسواده كنايتان
عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق بياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه
واهل الباطل باضداد ذلك [illegible] على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجب
من حالهم وهم المرتدون واهل الكتاب كفروا برسول الله بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار وكفروا بعد ما اقروا به حين
اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والآيات [illegible] امر اهانة [illegible] بسبب كفرهم
او جزاء لكفركم [illegible] يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان
استغرق عمره في طاعة الله لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم ولكن قصد ان يكون مطلع
الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم [illegible] اخرجه مخرج الاستيناف للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها
فقال هم فيها خالدون تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها
وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك
على الاطلاق كما قال [illegible] فيجازي كلا بما وعد له واوعد [illegible] دال على
خير يتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طري كقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين
[illegible] اظهرت لهم [illegible] استيناف بين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم

بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به و
انما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا
لدينه واستدل بهذه الاية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم امرين بكل معروف ناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما
للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو امن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان
الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة
والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم
الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع باسكم عنهم نفي اضرارهم سوى
ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدائرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ
لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الاية من المغيبات التي
وافقها الواقع وكان كذلك حال قريظة وبني قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او
ذل التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت
عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او متلبسين بذمة الله تعالى او كتابه الذي اتاهم وذمة المسلمين او بدين الاسلام
واتباع سبيل المؤمنين وباءوا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم احاطة
البيت المضروب على اهله واليهود في غالب الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة
والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالايات وقتلهم الانبياء والتقييد
بغير حق مع انه كذلك في نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم ايضا ذلك اي الكفر والقتل بما عصوا
وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي
الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الاخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن
عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء في المساوي والضمير لاهل الكتاب
من اهل الكتاب امة قائمة استيناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين
اسلموا منهم يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون يتلون القران في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع
السجود ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي انه عليه السلام
اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون
بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات اخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت
في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الاخر بخلاف
صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات واولئك من الصالحين اي الموصوفون بتلك الصفات
ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه وما يفعلوا من خير فلن يكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه
البتة سمي توفية الثواب شكرا وعداه الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرأ حمزة وحفص والكسائي فلن
يكفروه بالياء والباقون بالتاء والله عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل و

ان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او من الغناء فيكون
مصدرا واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او
المنافقون رياء وخوفا في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر
فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم
بالكفر والمعاصي فاهلكته عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث
كفار ضربته صر فاستاصله ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والاخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال
بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون
اي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها او وما ظلم اصحاب الحرث
باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا
يجوز ان يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال
عليه السلام الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو
صفة بطانة اي بطانة كائنة من دونكم لا يالونكم خبالا لا يقصرون لكم في الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم
عدي الى مفعولين كقولهم لا الوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر و
المشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء من افواههم اي في كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم وما تخفي
صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الايات الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة
المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستانفات على التعليل ويجوز
ان يكون الثلث الاول صفات البطانة ها انتم اولاء اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة الكفار تحبونهم ولا
يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلة او
حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده ويكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب
كله بجنس الكتب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم
تحبونهم ولا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا امنا نفاقا وتغريرا
واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تاسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء
عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدورهم
من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي قل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا
وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم
ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة
وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة وان تصبروا على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا
موالاتهم او ما حرم الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان

المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرا ابن كثير
ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره ان الله بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط علمه
فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون في عداوتكم عليم فيعاقبكم عليه واذ غدوت اي واذكر اذ غدوت من
اهلك من حجرة عائشة تبوئ المؤمنين تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف و
اماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله في مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك
والله سميع باقوالكم عليم بنياتكم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر من شوال سنة ثلث من الهجرة فاستشار
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اصحابه فدعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله
بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصيب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان
اقاموا اقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار
بعضهم الى الخروج فقال عليه السلام رايت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلمة
فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال
رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما راوا ذلك ندموا على
مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة و
اصبح بشعب احد يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير
على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت طائفتان
منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا ان تجبنا وتضعفا روي انه عليه السلام
خرج في زهاء الف رجل ووعد لهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابي في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو
بن حزم الانصاري وقال انشدكم الله والاسلام في نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله
فمضوا مع رسول الله والظاهر انه ما كانت عزيمة لقوله والله وليهما اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما
فما لهما يفشلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر
تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر ما بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة حال من الضمير وانما قال اذلة
ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون بما انعم
الله به عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم
وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قولهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا واخلفوا عن الغنائم
وخالفوا امر الرسول لم تنزل الملائكة الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما
جيء بلن واشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم ولا قيل امدهم الله يوم بدر اولا
بالف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة وقرا ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج بلى ايجاب لما بعد
لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا وياتوكم اي
المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال

التي لا ريب فيها ولا تراخي والمعنى ان ياتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ وتاخير مسومين
معلمين من التسويم الذي هو اظهار سيماء الشيء لقوله عليه السلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين
من التسويم بمعنى الاسامة وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل امدادكم بالملائكة
الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله الا من العزيز و
العدد وهو تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى مددهم وانما امدهم ووعدهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان
نظر العامة الى الاسباب اكثر وحث على ان لا يبالوا بمن تاخر عنهم العزيز الذي لا يغالب في اقضيته الحكيم الذي ينصر و
يخذل بوسط وغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم وما النصر ان كان اللام فيه
للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان في يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم او
يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب واو للتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي
الآمال ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما
ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد مامور لانذارهم
وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء
او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون او بمعنى الا ان اي ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم
فتسر به او يعذبهم فتتشفى منهم روي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول
كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون قد
استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي
وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر الدعاء عليهم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا
الربوا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى
حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم
تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة
للكفار وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد ترهيبا للمخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال
ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام
والتوبة والاخلاص وقرا نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة عرضها السموات والارض اي عرضها كعرضها وذكر العرض للمبالغة
في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض
اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة
للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء في حالي الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن
مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين
عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت راسها وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كظم غيظا
وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي

صلى الله عليه وآله وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصمه الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يحتمل
الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فيكون اشارة اليهم والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم
بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا
الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض
بين المعطوف والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على
ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون وجنات
اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفته على المتقين او على الذين
ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد
النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك
الصفات المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة
الله تعالى وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله ونعم اجر العاملين
لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل
تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة او
الجنات قد خلت من قبلكم سنن وقائع سنها الله في الامم المكذبة لقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل و
قيل امم وقيل ما عليه الناس من فضل كفضلكم ولا ترى مثله في سالف السنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان
عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم
قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ما لخص من امر المتقين والتائبين
وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد
والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانكم على
الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر
اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق
بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله
قراءة حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو
بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انه لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم
اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا
امر الرسول وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما
نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام يحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر
والحال والمراد بها اوقات النصرة والغلبة وليعلم الله الذين آمنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت
وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف

تقديره

تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه
بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم
شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على
الشدائد والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرون وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر
الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا واستدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين آمنوا ليطهرهم ويصفيهم من
الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
بل احسبتم ان تدخلوها ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا بعضكم وفيه دليل على انه فرض الكفاية ولم يجاهدوا
والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذف النون ويعلم الصابرين
نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون
الموت اي الحرب فانها من اسباب الموت والموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول
الله مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا
شدته فقد رأيتموه وانتم تنظرون اي فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا
الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل افإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين
لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة للانكار ان يجعلوا خلو
الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى
انه قتل النبي عليه السلام فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول عليه السلام يدعو
الي عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ امانا
من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم
ان كان قتل محمد فان الله رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر
اليك مما يقولون وابرأ منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه
وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله الا بمشيئته تعالى او باذنه
لملك الموت عليه السلام في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستاخرون عنه ساعة ولا يستقدمون
بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول بالحفظ وتاخير الاجل كتابا مصدر
مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له اي موقتا لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض بمن
شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما راى الرماة ذلك اقبلوا على
النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اي من ثوابها و
سنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء من الجهاد وكأين اصله اي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى

كم والكون تنوين اثبت في الخط على غير قياس وقرا ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولك
وعملي في لعمري فصار كيئن ثم حذف الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائي قتل معه
بيان له وان ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة
للمبالغة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغيرات النسب كالكسرة
فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبي او بعضهم وما ضعفوا عن العدو او في الدين وما
استكانوا وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريد والالف من اشباع الفتحة
او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه السلام
والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا
على القوم الكافرين اي ما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف
الى انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو
ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث
فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر
في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا
يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل و
قيل ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستامنوهم يردوكم الى دينكم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى
موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره
سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى
ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا
ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرا ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن بما
اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا اي آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطانا وهو كقوله لا ترى الضب
بها ينجحر واصله السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم
فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك
حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على
آثارهم اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رايكم او ملتم الى الغنيمة فان
الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال
آخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم
من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم الذين تركوا
المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم
ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة والله ذو

فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق
بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على
احد لا يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة
في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله على فشلكم
وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول او مجازاكم غما بسبب غم
اذقتموه رسول الله بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق وقيل لا مزيدة و
المعنى لتاسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة على ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في ما فاتكم للرسول
اي فآساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على
ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا
انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد
احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول
له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن يغشى طائفة منكم
اي النعاس وقرا حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون قد
اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى
لطائفة او حال او استئناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به و
ظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها يقولون اي لرسول الله وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء هل لنا
مما امر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها
باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شيء قل ان الامر كله لله اي الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه
فان حزب الله هم الغالبون او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرا ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء يخفون
في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب
يقولون اي في انفسهم واذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون او استئناف على وجه البيان لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد صلى الله
عليه وآله وسلم او زعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان راي ابن ابي وغيره ما قتلنا
ههنا لما غلبنا ولما قتل من قتل منا في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لخرج الذين قدر الله عليهم
القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم تنفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها في سابق
قضائه ولا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم وليختبر ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق
وهو علة فعل محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي او عطف على فعل محذوف اي لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء او على قوله
لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها و
فيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك ليميز المؤمنين واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم
يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب

صاحب يس اسمه حبيب [ابن] اسرائيل النجار ينحت الاصنام
وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما
آمن تبع الاكبر وورقة بن نوفل

منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا لمخالفة النهي بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحيوة بمخالفة النبي فمنعوا التأييد وقوة القلب
وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر
ذنوب سلفت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور
للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم
وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان
حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول
قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في
ليكون لهم عدوا وحزنا دون الغرض ولا تكونوا اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة
فذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم
مما يغمهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر في الحيوة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر
والغازي ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء
على انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اي متم في سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات
لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزاء ليس مما يجلب الموت ويقدم
الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما يجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا
ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لالى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه
لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائي متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة
وما مزيدة للتأكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم
بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيئ الخلق جافيا غليظ القلب قاسية لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك
فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا
برايهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى
فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي فاذا عزمت لك على شيء
وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم
بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده اي من بعد خذلانه او من بعد الله
بمعنى لو كان اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يست
تجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به وما كان لنبي ان يغل ان يخون وما صح لنبي
في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية والمراد به اما براءة
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ما اتهم به اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول
الله اخذها او ظن الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول على ما روي انه بعث طلائع فغنم رسول الله صلى الله

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي اكرمنا بكتابه الكريم، ومنّ علينا بالسبع المثاني والقرآن العظيم، وما ضمّنه من الآيات والذكر الحكيم، فهو النور الساطع برهانه، والفرقان الصادع تبيانه، والمعجز الباقي على مر الدهور، والحجة الثابتة تجدد العصور، يهدي الى صالح القول والعمل، ويثبت من الزلل والميل، لا تمجه الاسماع، ولا تمله الطباع، معدن كل علم ومنبع كل حكم، وشفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين، نزل به الروح الامين، على خاتم النبيين، ليكون من المنذرين، بلسان عربي مبين، ثم الصلوة والسلام على الرسول الامين، والنبي المكين، محمد خير البشر، وسيد البدو والحضر، واكرم المنذر المنتجب من اشرف المناصب، المنتخب من اعلى المناسب، الذي سما بسمو انتسابه اسم عدنان ومضر، وبعلو قدره علا كعب بني كعب وكبر، وبنضرة جاهه وجه النضر نضر، وبرفعة امره استمر امر مرة وأمر، فاسرته خير الاسر، وشجرته اكرم الشجر، وعترته افضل العتر، صلى الله عليه وعلى اهل بيته الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

اما بعد فاني لما فرغت من كتابي الكبير في التفسير الموسوم بمجمع البيان لعلوم القرآن ثم عثرت من بعد بالكتاب الكشاف لحقائق التنزيل لجار الله العلامة واستخلصت من بدائع معانيه وروائع الفاظه ومبانيه ما لا يلفى مثله في كتاب مجموع من الاطراف ورأيت ان اسمه واسميه بالكاف الشافي فخرج الكتابان الى الوجود وقد ملكا ازمة القلوب اذ احرزا من فنون العلم غاية المطلوب وجادت جداولهما وتراءت تلاحاهما وبعد في جواهر الالفاظ وزواهر لمعا مداهما فسارا في الامصار مسير الامثال وسريا في الاقطار سرى الخيال اقترح علي من حل مني محل السواد من البصر والفؤاد ولدي ابو نصر الحسن احسن الله نصره وارشد امري وامره ان اجرد من الكتابين كتابا ثالثا يكون مجمع بينهما ومحجر عينهما يأخذ باطرافهما ويتصف باوصافهما ويزيد بابكار طرائف وبواكر لطائف عليهما فيتحقق ما قيل ان الثالث خير فان الكتب الكبار قد يشق على الناس حملها ويثقل على الناقل نقلها واكثر ابناء الزمان تقصر هممهم عن احتمال اعباء العلوم المثقلة والاجراء في حلبتها المديدة الطويلة فاستعفيته من ذلك مرة بعد اخرى لما كنت اجده في نفسي من ضعف المنة ووهي القوة فلقد ذرفت على السبعين سنينا وبلغت من الكبر عتيا وصرت كالحنية حنيا واشتعل الرأس شيبا وقاربت شمس العمر غيبا فابى الا المراجعة فيه والعود والاستشفاع بمن لم استجز له الرد فلم اجد بدا من صرف وجه الهمة اليه والاقبال بكل العزيمة عليه وهممت ان اضع يدي فيه ثم استخرت الله تعالى في الابتداء منه بمجموع مجمع جامع للكلم الجوامع اسميته كتاب جوامع الجامع ولا شك انه اسم وفق للمسمى ولفظ طبق للمعنى وارجو ان يكون بتوفيق الله تعالى وعونه وفيض فضله ومنه كتابا وسيطا خفيف الحجم كثير الغنم لا يصعب حمله ويسهل حفظه ويكثر معناه وان قل لفظه يروع نحره ويروق سموطه بنظم وسائط القلائد ويحوي بسائط الفوائد يستضيء العلماء بغرره ودرره ويفتقر الفضلاء الى فقره فيكتب على وجه الدهر ويعلق في كعبة المجد والفخر ومما حداني الى تصنيفه وبعثني عليه ان خطر ببالي وهجس بضميري بل القي في روعي محبة الاستمداد من كلام جار الله ولطائفه فان لالفاظه

لذة الجدة

٦٨

لذة الجدة ورونق الحداثة مقتصرا فيه على ايراد المعنى البحت والاشارة الى مواضع النكت بالعبارات الموجزة والايماءات المعجزة مما يناسب الحق والحقيقة ويطابق الطريقة المستقيمة واذا ورد في اثناء الآيات ما قد تقدم الكلام في نظيره اعول في الكرة على المذكور وقبل ايثارا للايجاز والاختصار وانا اسأل الله الكريم المنان مستشفعا اليه بمحمد المصطفى وآله معادن الايمان ومفاتيح الجنان عليه وعليهم الصلوة والسلام ما اختلف الضياء والظلام ان يجعل كدي وكدحي في تأليفه مع تخاذل الاعضاء وتواكل الاجزاء موجبا لغفرانه ومؤديا الى رضوانه ويمن بالتسهيل والتيسير فان تيسير العسير عليه جلت قدرته يسير وهو على ما يشاء قدير نعم المولى ونعم النصير

سورة فاتحة الكتاب سبع آيات بلا خلاف الا ان اهل مكة والكوفة عدوا بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة وغيرهم عدوا انعمت عليهم آية وروي عن ابن عباس انه قال من ترك بسم الله الرحمن الرحيم فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله وعن الصادق عليه السلم انه سئل عن قوله تعالى سبعا من المثاني فقال هي سورة الحمد وهي سبع آيات منها بسم الله الرحمن الرحيم وعن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ايما مسلم قرأ فاتحة الكتاب اعطي من الاجر كانما قرأ ثلثي القرآن واعطي من الاجر كانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وعن جابر بن عبد الله عنه ع قال هي شفاء من كل داء الا السام والسام الموت

بسم الله الرحمن الرحيم اصل الاسم سمو لان جمعه اسماء وتصغيره سمي الله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بقطع الهمزة كما يقال يا اله ومعناه انه الذي يحق له العبادة لقدرته على اصول النعم فهو مختص بالمعبود بالحق لا يطلق على غيره وهو اسم غير صفة لانك تصفه فتقول اله واحد ولا تصف به ولا تقول شيء اله والرحمن فعلان من رحم كغضبان والرحيم فعيل منه كعليم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قيل الرحمن بجميع الخلق والرحيم بالمؤمنين خاصة وروي عن الصادق ع انه قال الرحمن اسم خاص بصفة عامة والرحيم اسم عام بصفة خاصة وتعلقت الباء في بسم الله بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ ليختص اسم الله بالابتداء به كما يقال للمعرس باليمن والبركة بمعنى اعرست وانما قدر المحذوف متأخرا لانهم يبتدأون بالاهم عندهم ويدل على ذلك قوله بسم الله مجريها ومرسيها

الحمد لله رب العالمين الحمد والمدح اخوان وهو الثناء على الجميل من نعمة وغيرها واما الشكر فعلى النعمة خاصة والحمد باللسان وحده والشكر يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح ومنه قوله ع الحمد رأس الشكر والمعنى في كونه رأس الشكر ان الذكر باللسان اجلى واوضح وادل على مكان النعمة واشيع للثناء على موليها من الاعتقاد وعمل الجوارح ونقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفران وانما عدل بالحمد عن النصب الذي هو الاصل في كلامهم على انه من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة كقولهم شكرا وعجبا ونحو ذلك الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره دون تجدده وحدوثه في نحو قولك احمد الله حمدا ومعناه الثناء الحسن الجميل والمدح الكامل الجزيل للمعبود المنعم بجلائل النعم المسدي للخلائق والامم والرب السيد المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من

ان يربّني رجل من هوازن يقال ربّه يربّه فهو ربٌّ ولم يطلقوا الربّ الا في الله وحده ويقيد في غيره فيقال ربّ الدار وربّ الضيعة والعالم اسم لاولي العلم من الملائكة والثقلين وقيل هو اسم لما يعلم به الصانع من الجواهر والاجسام والاعراض وجمع بالواو والنون وان كان صفة لدلالته على معنى العلم ولتنزيل كل جنس مما سمّي به الرحمن الرحيم مرّ معناها مالك يوم الدين من قرا ملك فلان الملك يعمّ والملك يخص ولقوله سبحانه ملك الناس ومن قرا مالك بالالف فهو اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع اجرى الظرف مجرى المفعول به والمعنى على الظرفية والمراد مالك الامر كله في يوم الدين وهو يوم الجزاء من قولهم كما تدين تدان وهذه الاوصاف التي هي كونه سبحانه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته وكونه منعما بالنعم المتواترة الباطنة والظاهرة وكونه مالكا للامر كله في الدار الاخرة بعد الدلالة على اختصاص الحمد به في قوله الحمد لله فيها دلالة باهرة على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء اياك نعبد واياك نستعين ايّا ضمير منفصل للمنصوب والكاف والهاء والياء اللاحقة به في اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب اذ هي حروف عند المحققين وليست باسماء مضمرة كما قاله بعضهم وتقديم المفعول انما هو لقصد الاختصاص والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة والعبادة ضرب من الشكر وغاية فيه وكيفية وهي اقصى غاية الخضوع والتذلل ولذلك لا تحسن الا لله سبحانه الذي هو مولى اعظم النعم فهو حقيق بغاية الشكر وانما عدل فيه عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب على عادة العرب في تفننهم في محاورتها ويسمى هذا التفاتا وقد يكون من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى الخطاب ومن الغيبة الى التكلم كقوله سبحانه حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه واما الفائدة المختصة به في هذا الموضع ان المعبود الحقيق بالحمد والثناء لما اجري عليه صفاته العلى تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالعبادة والاستعانة به في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات وقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب ادل على ان العبادة لذلك المتميز الذي لا تحق العبادة الا له وقرنت الاستعانة بالعبادة ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته وقدمت العبادة على الاستعانة لان تقديم الوسيلة يكون قبل طلب الحاجة لتحق وجوب الاجابة اليها واطلقت الاستعانة ليتناول كل مستعان فيه والاحسن ان يراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة فيكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم اصل هدى ان يتعدى باللام او بالى كقوله يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه والسراط بالسين الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه لانه يسترط المارة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقم السابلة وبالصاد من قلب السين صادا لاجل الطاء وهو اللغة الفصحى والصراط المستقيم هو الدين الحق الذي لا يقبل الله من العباد غيره وانما سمي الدين صراطا لانه يؤدي بمن يسلكه الى مقصده وعلى هذا فمعنى اهدنا زدنا هدى بمنح الالطاف كقوله سبحانه والذين اهتدوا زادهم هدى وروي عن امير المؤمنين عليه السلم ان معناه ثبتنا وروي في بعض الاخبار ان الصادق ع

قراهدنا

قرا اهدنا صراط المستقيم باضافة صراط الى المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين هو بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل فكانه قال اهدنا صراط الذين انعمت عليهم وفائدة البدل التوكيد والاشعار بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط من خصهم الله بعصمته وامدهم بخواص نعمته واحتج بهم على بريته وفضلهم على كثير من خليقته فيكون ذلك شهادة لصراطهم بالاستقامة على اكد الوجوه كما تقول هل ادلك على اكرم الناس فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم من قولك هل ادلك على فلان الاكرم لانك بيّنت كرمه مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا تفسيرا للاكرم فجعلته علما في الكرم فكانك قلت من اراد رجلا جامعا للكرم فعليه بفلان فهو المعين لذلك غير مدافع فيه واطلق الانعام ليشمل كل انعام وروي عن اهل البيت عليهم السلم صراط من انعمت عليهم وعن عمر بن الخطاب وعمرو بن الزبير والصحيح هو المشهور غير المغضوب عليهم بدل من الذين انعمت عليهم على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة العصمة وبين السلامة من غضب الله والضلال ويجوز ان يكون غير هنا صفة وان كان غير لا يقع صفة للمعرفة ولا يتعرف بالاضافة الى المعرفة لان الذين انعمت عليهم لا توقيت فيهم وهو كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني ولان المغضوب عليهم ولا الضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير اذا الابهام الذي يابى له ان يتعرف وقيل ان المغضوب عليهم هم اليهود لقوله من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله قد ضلوا من قبل ومعنى غضب الله ارادة الانتقام منهم وانزال العقاب بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده ومحل عليهم الاولى نصب على المفعولية ومحل عليهم الثانية رفع على الفاعلية واصل الضلال الهلاك ومنه قوله واضل اعمالهم اي اهلكها والضلال في الدين هو الذهاب عن الحق سورة البقرة مدنية مائتان وست وثمانون اية كوفي سبع بصري الم ويتفكرون كوفي الا خائفين وقولا معروفا والحي القيوم بصري ابي عن النبي صلى الله عليه واله وسلم قال من قرا سورة البقرة فصلوات الله عليه ورحمته واعطي من الاجر كالمرابط في سبيل الله سنة لا تسكن روعته وقال لي يا ابي مر المسلمين ان يتعلموا سورة البقرة فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة قلت يا رسول الله من البطلة قال السحرة ص قال من قرا البقرة وال عمران جاءا يوم القيمة يظلانه على راسه مثل الغمامتين او مثل الغيابتين بسم الله الرحمن الرحيم الم اختلف في هذه الفواتح المفتتح بها السور فورد عن ائمتنا عليهم السلم انها من المتشابهات التي استاثر الله بعلمها ولا يعلم تاويلها غيره وعن الشعبي قال لله في كل كتاب سر وسره في القران حروف التهجي في اوائل السور وقال الاكثرون في ذلك وجوها منها انها اسماء للسور تعرف كل سورة بما افتتحت به ومنها انها اقسام اقسم الله بها لكونها مباني كتبه ومعاني اسمائه وصفاته واصول كلام الامم كلها ومنها انها ماخوذة من صفات الله عز وجل كقول ابن عباس في كهيعص ان الكاف من كاف والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق والم معناه انا الله اعلم ومنها ان كل حرف منها يدل على مدة قوم واجال اخرين الى غير ذلك من الوجوه على ان هذه الفواتح وغيرها من الالفاظ التي يتهجى بها عند المحققين اسماء مسمياتها حروف الهجاء التي ركبت منها الكلم وحكمها ان تكون موقوفة

كاسماء الاعداد تقول الف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلث فاذا وليتها العوامل اعربت فقيل هذه الف
كتبت لاما ونظرت الى ميم قال الشاعر اذا اجتمعوا على الف وياء وواو هاج بينهم جدال ذلك الكتاب
لا ريب فيه هدى للمتقين ان جعلت الم اسما للسورة ففيه وجوه احدها ان يكون الم مبتدا و ذلك مبتدا ثانيا
والكتاب خبره والجملة خبر المبتدا الاول فيكون المعنى ان ذلك هو الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا كان
ماسواه من الكتب ناقص بالاضافة اليه كما تقول هو الرجل اى الكامل في الرجولية والثانى ان يكون الكتاب صفة فيكون
المعنى هو ذلك الكتاب الموعود والثالث ان يكون التقدير هذه الم فيكون جملة و ذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت
الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدا والكتاب خبره اى ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفته
والخبر ما بعده او قدر مبتدا محذوف اى هو يعنى المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب والريب مصدر رابه
يريبه اذا حصل فيه الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها وفى الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك
والمعنى انه من وضوح دلالته بحيث لا ينبغى ان يرتاب فيه اذ لا مجال للريبة فيه والمشهور الوقف على فيه وبعض القراء
يقف على لا ريب ولا بد لمن يقف عليه ان ينوى خبرا ونظيره قوله لا ضير والتقدير لا ريب فيه فيه هدى والهدى
مصدر على فعل كالسرى وهو الدلالة الموصلة الى البغية وقد وضع المصدر الذى هو هدى موضع الوصف الذى
هو هاد والمتقى في الشريعة هو الذى يقى نفسه تعاطى ما يستحق به العقاب من فعل او ترك وسماهم عند مشارفتهم
لاكتساء لباس التقوى متقين كقول النبى صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وقوله ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اى صايرا
الى الفجور والكفر فكانه قال هدى للصايرين الى التقى ولم يقل هدى للضالين لان الضالين فريقان فريق علم
بقاؤهم على الضلالة وفريق علم مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى لجميعهم وايضا فقد صدرت السورة التى هى
الزهراوين وسنام القران واول المثانى بذكر المرتضين من عباد الله وهم المتقون الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون
الصلوة الموصول اما ان يكون مجرورا بانه صفة للمتقين او منصوبا او مرفوعا على المدح على تقدير اعنى الذين
يؤمنون او هم الذين يؤمنون واما ان يكون منقطعا عما قبله مرفوعا على الابتداء وخبره اولئك على هدى
والايمان افعال من الامن يقال امنت شيئا وامنته غيرى ثم يقال امنه اذا صدقه وحقيقته امنه التكذيب
والمخالفة وعدى بالباء فقيل امن به لانه ضمن معنى اقر واعترف ويجوز ان يكون من قياس فعاله فافعل
فيكون امن بمعنى صار ذا امن في نفسه باظهار التصديق وحقيقة الايمان في الشرع هو المعرفة بالله وصفاته
وبرسله وبجميع ما جاءت به رسله وكل عارف بشيء فهو مصدق به ولما ذكر سبحانه الايمان علقه بالغيب ليعلم
انه التصديق لله تعالى فيما اخبر به رسوله مما غاب مما غاب عن العباد علمه من ذكر القيمة والجنة والنار وغير ذلك
ويجوز ان يكون بالغيب في موضع الحال ولا يكون صلة ليؤمنون اى يؤمنون غايبين عن مراى الناس وحقيقته
متلبسين بالغيب كقوله يخشون ربهم بالغيب فيكون الغيب بمعنى الغيبة والخفاء وعلى المعنى الاول يكون الغيب
بمعنى الغايب من قولك غاب الشيء غيبا فيكون مصدرا سمى به ثم عطف سبحانه على الايمان بذكر الصلوة التى
هى راس العبادات البدنية فقال ويقيمون الصلوة اى يحافظون عليها ويتشمرون لادائها من قولهم قام
بالامر اى يؤديه فهذا معبر عن الاداء بالاقامة او يعدلون اركانها من قولهم اقام العود اذا قومه ومما

رزقناهم ينفقون ثم عطف على ذلك بالعبادة المالية التى هى الانفاق فقال ومما رزقناهم ينفقون
اسند الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستاهل ان يسمى رزقا من الله ومن للتبعيض
فكانه يقول ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به وجايز ان يراد به الزكوة المفروضة لاقترانها بالصلوة
وان يراد هى وغيرها من الصدقات والنفقات فى وجوه البر لمجيئه مطلقا وعن ص وما علمناهم يبثون والذين
الذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون يحتمل ان يراد بهؤلاء مؤمنوا
اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وغيره فيكون المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل ان يراد وصف الاولين فيكون
المعنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه وقوله يوقنون تعريض باهل الكتاب وانهم يثبتون امر
الاخرة على خلاف حقيقته ولا يصدر قولهم عن ايقان والاخرة تانيث الاخر وهى صفة الدار بدليل قوله تلك
الدار الاخرة وهى من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا والايقان واليقين هو العلم الحاصل بعد استدلال
ونظر وكذلك لا يطلق الموقن على الله تعالى لاستواء الاشياء في الجلاء عنده اولئك على هدى من ربهم و
اولئك هم المفلحون الجملة فى موضع الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب مبتداء والا فلا محل لها وفى اسم
الاشارة الذى هو اولئك ايذان بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله اهل له من اجل الخصال التى عددت
ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه شبهت حالهم بحال من اعتلى
شيئا وركبه ومعنى من ربهم منحوه واعطوه من عنده وهو اللطف والتوفيق على اعمال البر ونكر هدى ليفيد
ضربا مبهما لا يبلغ كنهه كانه قيل على اى هدى وفى تكرير اولئك تنبيه على انهم تميزوا بكل واحدة من
الاثرتين اللتين هما الهدى والفلاح عن غيرهم وهم سماه البصريون فصلا والكوفيون عمادا وفايدته
الدلالة على ان المذكور بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فايدة الخبر ثابتة للمخبر عنه دون غيره
ويجوز ان يكون هم مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح الفايز بالبغية كانه الذى انفتحت
له وجوه الظفر والمفلح بالجيم مثله وقوله على هدى من ربهم ادغمت بغنة وبغير غنة والغنة صوت خفى يخرج
من الخيشوم والنون الساكنة والتنوين لهما اربعة احوال مع الحروف فى جميع القران الاظهار وذلك مع حروف
الحلق والادغام وذلك مع الميم نحو هدى من ربهم وعلى امم ممن معك لا يجوز الا الادغام هنا لاشتراك
النون والميم فى الغنة والاخفاء وذلك مع ساير الحروف نحو من دابة ومن فيها وهذا عند جميع القراء
الا ابا عمرو وحمزة والكسائى فانهم يدغمونها فى اللام والراء نحو هدى للمتقين ومن ربهم ويدغمها حمزة
والكسائى فى الياء نحو من يقول ويدغمها حمزة فى الواو نحو ظلمات ورعد وبرق فاللام والراء والواو والياء
والواو عندهم بمنزلة الميم ويقال لها حروف يرملون لانها تدغم اليها النون نحو من ومنا ان
الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون لما قدم سبحانه ذكر اوليائه واعقبه
بذكر الاشقياء وهم الكفار الذين لا ينفع فيهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وانذار
الرسول وترك انذاره وسواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر وهو خبر ان
وءانذرتهم ام لم تنذرهم فى موضع الرفع بالفاعلية كانه قيل مستو عليهم انذارك وعدمه كما تقول

ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او يكون اانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما
بمعنى سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان كذا ذكره جار الله رحمه الله وما اوردناه في مجمع البيان
فهو من كلام ابي علي الفارسي رحمه الله والانذار التخويف من عقاب الله تعالى وقوله لا يؤمنون جملة مؤكدة
للجملة قبلها او خبر لان والجملة قبلها اعتراض قيل نزلت هذه الآية والتي بعدها في ابي جهل واضرابه
وعلى هذا فيكون التعريف في الذين كفروا للعهد وقيل هي في جميع من صمم على كفره على العموم فيكون التعريف
للجنس ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم الختم والكتم اخوان
والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعمامة والختم على القلوب والاسماع
وتغشية الابصار من باب المجاز وهو نوعان استعارة وتمثيل ويحتمل هنا كلا النوعين اما الاستعارة
فان تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها لاعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واسماعهم لانها تنبو عن استماعه
كانها مختوم عليها وابصارهم كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الادراك واما التمثيل فان تمثل حيث
لم يستنفعوا بها في الاغراض الدينية التي خلقوا من اجلها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها
بالختم والتغطية فاما اسناد الختم الى الله فللتنبيه على ان هذه الصفة في فرط تمكنها كالشيء الخلقي غير العرضي
كما يقال فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون انه مبالغ في الثبات عليه ووجه آخر وهو انهم لما علم الله
سبحانه انه لا طريق الى ان يؤمنوا طوعا واختيارا فلم يبق الا القسر والالجاء ولم يقسرهم لئلا ينتقض
الغرض في التكليف عبر عن ترك الالجاء والقسر بالختم اشعارا بانهم قد بلغوا الغاية القصوى في لجاجهم
واستمرارهم في الغي والضلال ووحد السمع لانه مصدر في الاصل والمصادر لا تجمع ولانهم قالوا كلوا
في بعض بطنكم يفعلون ذلك اذا امن اللبس واذا لم يؤمن لم يفعلوا الا تقول ثوبهم وغلامهم وانت تريد
الجمع والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل
والعقاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه
فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني والعظيم نقيض الحقير كما ان الكبير
نقيض الصغير والعظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا
تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم
بمؤمنين افتتح سبحانه بذكر الذين امنوا بالله سرا وعلانية ثم ثنى بالذين كفروا قلوبا والسنة ثم ثلث
بالمنافقين الذين ابطنوا خلاف ما اظهروا وهم اخبث الكفار وامقتهم عنده ووصف حال الذين
كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلث عشرة آية وقصتهم معطوفة على قصة الذين كفروا كما يعطف الجملة على الجملة
واصل ناس اناس حذفت همزته تخفيفا وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الاناس ويشهد
لاصله انسان وانس وسموا لظهورهم وانهم يؤنسون اي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ومن في من يقول
موصوفة كانه قال ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال هذا ان جعلت اللام للجنس وان
جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي ... انهم ادعوا كل واحد من

الايمانين على صفة الصحة وفي قوله وما هم بمؤمنين من التوكيد والمبالغة ما ليس في قولك وما امنوا لان فيه
اخراج ذواتهم وانفسهم من ان تكون طائفة من طوائف المؤمنين فقد انطوى تحته نفي ما ادعوه لانفسهم من الايمان
على القطع يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون المعنى ان هؤلاء المنافقين صنعوا
صنع الخادعين حيث تظاهروا بالايمان وهم كافرون وصنع الله معهم صنع الخادع حيث امر باجراء احكام المسلمين
عليهم وهم عنده اهل الدرك الاسفل من النار وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فان
حقيقة الخدع ان يوهم الرجل صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه ويجوز ان يريد يخادعون رسول الله لان طاعته
طاعة الله ومعصيته معصية الله كما يقال قال الملك كذا وانما القائل وزيره او خاصته الذين قولهم قوله وما
يخدعون الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ولا يعدوهم الى غيرهم ومن قرأ يخادعون اتى به على لفظ يفاعلون للمبالغة
والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للقلب نفس لان قوام النفس به قالوا المرء باصغريه اي بقلبه ولسانه وقيل
ايضا للروح نفس وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه ونفس الرجل اي عين وحقيقته
اصيبت نفسه كما قيل صدر الرجل وقيل وقالوا فلان يوامر نفسيه اذا تردد في الامر واتجه له رأيان لا يدري
على ايهما يعول كانهم ارادوا داعيي النفس والمراد بالانفس هنا ذواتهم ويجوز ان يراد قلوبهم ودواعيهم و
آراؤهم والشعور علم الانسان الشيء علم حس ومشاعر الانسان حواسه في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا
ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون استعير المرض لاغراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد وغير
ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد به هنا ما في
قلوبهم من الكفر او من الغل والحنق على رسول الله والمؤمنين فزادهم الله مرضا بما ينزل على رسوله من الوحي
فيكفرون به ويزدادون كفرا الى كفرهم فكانه سبحانه زادهم ما ازدادوه اسند الفعل الى المسبب كما اسنده
الى السورة في قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم لكونها سببا وازداد كلما ازداد رسوله نصرة وتمكنا في العباد
والبلاد ازدادوا غلا وحسدا وازدادت قلوبهم ضعفا وجبنا وخورا والاليم بمعنى الم كوجيع بمعنى موجع
ووصف العذاب به كقوله تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة
للمؤلم كما ان الجد للجاد بما كانوا يكذبون اي بكذبهم وفي هذا اشارة الى قبح الكذب وان لحوق العذاب
الاليم من اجل كذبهم ويكذبون من كذب الذي هو نقيض صدق او من كذب الذي هو مبالغة في
كذب او بمعنى الكثرة واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون هذا معطوف على
يكذبون ويجوز ان يكون معطوفا على يقول آمنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا
صح الكلام والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وكان فساد
المنافقين بميلهم الى الكفار وافشاء اسرار المسلمين اليهم واغرائهم عليهم ومعنى انما نحن مصلحون ان صفة
المصلحين تمحضت لهم وخلصت من غير شائبة قادح فيها من وجوه الفساد الا انهم هم المفسدون
ولكن لا يشعرون الا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقيق ما بعدها
والاستفهام اذا دخل على النفي افاد تحقيقا ليس ذلك بقادر رد الله سبحانه دعويهم في انهم المصلحون
قولهم

الحور بالتحريك الضعف ق

ايذرد بما في كلتا الكلمتين الاولى من التاكيد وبتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون واذا
قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا انؤمن كما امن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون
السفه خفة الحلم وسخافة العقل والمعنى اذا نصحوا وبصروا طريق الرشد بان قيل لهم صدقوا رسول الله
كما صدق الناس واللام في الناس للعهد اى كما امن اصحاب رسول الله وهم ناس معهودون او
عبد الله بن سلام واضرابه اى كما امن اصحابكم واخوانكم او للجنس اى كما امن الكاملون في الانسانية
او جعل المؤمنون كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل ورد استفهام
في انؤمن للانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس وفصلت هذه الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا
يشعرون لان امر الديانة والوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال
حتى يعلم واما النفاق وما فيه من الفساد فامر دنيوي فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وكان
ذكر العلم معه احسن واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما
نحن مستهزؤن هذا بيان ما كانوا يعملونه مع المؤمنين اى اذا لقوهم او هم هم انفسهم معهم واذا
فارقوهم الى رؤسائهم من الكفار او اليهود الذين امروهم بالتكذيب قالوا انا على دينكم وصلوا
ما في قلوبهم وخلوت بفلان وخلوت اليه بمعنى انفردت معه وانا معكم اى انا مصاحبوكم وموافقوكم
على دينكم وقولهم انما نحن مستهزؤن توكيد لقولهم انا معكم لان المعنى انا معكم الثبات على اليهودية
وقولهم انما نحن مستهزؤن رد للاسلام ودفع له لان المستهزئ بالنبي وهو المستخف به منكر له ودافع
ويجوز ان يكون بدلا منه او استينافا الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون معنى استهزاء الله
سبحانه وتعالى بهم انزال الهوان والحقارة بهم او اجراء احكام المسلمين عليهم عاجلا وقد اعد لهم اليم العقاب
آجلا او سمى جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وفي استيناف قوله الله يستهزئ
من غير حرف عطف ان الله تعالى هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين الى
ان يعارضوهم بذلك وقوله ويمدهم من مد الجيش وامده اذا زاده والمعنى انه يمنعهم الطافه التي يمنحها
المؤمنين ويخذلهم بسبب كفرهم فتبقى قلوبهم تتزايد الرين والظلمة فيها كما يتزايد الانشراح والنور
في قلوب المؤمنين واسند ذلك التزايد الى الله سبحانه لانه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم وحكى الحسن
في ضلالتهم يتمادون والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو وفي اضافة الطغيان اليهم
ما يدل على ان الطغيان والتمادي في الضلال مما اقترفته نفوسهم والعمه مثل العمى الا ان العمى في
الراى خاصة وهو التحير والتردد لا يدرى اين يتوجه اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين معنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها
على سبيل الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر والضلالة الجور عن القصد وفي المثل
ضل دريص نفقه واستعير للذهاب عن الصواب في الدين والربح الفضل على راس المال والربح
وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين معا لان راس المال كان هو الهدى فلم يبق لهم ولم يصيبوا الربح لان

واسند الخسران الى التجارة مجازا والمعنى ان المطلوب في التجارة سلامة راس المال

الضال

الضال خاسر مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم
في ظلمات لا يبصرون زاد سبحانه في الكشف عن حالهم بضرب المثل فقال مثلهم اى حالهم كحال
الذي استوقد نارا ووضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا او قصد جنس المستوقد
او اراد الجمع الذي استوقد نارا على ان المنافقين لم يشبهوا ذواتهم بذات المستوقد بل شبهت قصتهم
بقصة المستوقد فلا يلزم تشبيه الجماعة بالواحد واستوقد طلب الوقود والوقود سطوع النار وارتفاع
لهبها والاضاءة فرط الانارة وهي متعدية في هذه الاية ويحتمل ان يكون غير متعدية مسندة الى ما حوله
والتانيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اشياء واماكن وجواب لما ذهب الله بنورهم ويجوز
ان يكون محذوفا لطول الكلام وامن الالتباس كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا متحيرين
متحيرين على فوت الضوء وعلى هذا فيكون ذهب الله بنورهم كلاما مستانفا كانهم لما شبهت حالهم
بحال المستوقد اعترض سائل فقال ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله
بنورهم ويجوز ان يكون قوله ذهب الله بنورهم بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان والفرق بين
اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا وذهب به استصحبه ومعنى به معه قال
فلما ذهبوا به فالمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب
وترك بمعنى طرح وخلى قالوا تركه ترك الظبي ظله فاذا ضمن معنى صير تعدى الى مفعولين وجرى
مجرى افعال القلوب نحو قول عنترة فتركته جزر السباع ينشنه يقضمن حسن بنانه والمعصم والمراد
بالاضاءة انتفاع المنافقين بالكلمة الجارية على السنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق
الذى ترمي بهم الى ظلمة سخط الله والعقاب الدائم ويجوز ان يكون قد شبه اطلاع الله على اسرارهم
بذهاب الله بنورهم وجزاؤهم انهم لما وصفوا باشتراء الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا
التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها
بنورهم صم بكم عمي فهم لا يرجعون كانت حواسهم صحيحة لكنهم لما ابوا ان يصيخوا اسماعهم الى الحق
وان ينطقوا السنتهم بالحق وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كانهم انتقضت بنى مشاعرهم
التي هي اصل الاحساس والادراك كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا
ولا يرجعون معناه ولا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها او بقوا
متحيرين لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدؤوا منه او كصيب من
السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت و
الله محيط بالكافرين الصيب المطر الذي يصوب اى ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب ايضا هذا
تمثيل آخر لحال المنافقين ليكون كشفا لها بعد كشف والمعنى او كمثل ذوي صيب اى كمثل قوم اخذهم المطر
على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا قالوا شبه دين الاسلام بالمطر لان القلوب تحيى به كما تحيى الارض
بالمطر وشبه ما يتعلق به من شبهات الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق

الصيب المطر الصيب اصله صيوب كفيعل من ... لكن اجتمعت الواو والياء اولا ساكنة فصارتا ياء مشددة ومثله سيد وجيد

ومايصيبهم من اهل الاسلام بالصواعق وقيل شبه القران بالمطر وما فيه من الابتلاء والزجر بالظلمات
والرعد وما فيه من البيان بالبرق وما فيه من الوعيد اجلا والدعاء الى الجهاد عاجلا بالصواعق وجاءت
هذه الاشياء منكرة لان المراد انواع منها فكانه قيل في الصيب ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف
والضمير في يجعلون يرجع الى اصحاب الصيب المضاف مع كونه محذوفا وقيام الصيب مقامه ويجعلون استئناف
لا محل له ومن الصواعق يتعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في اذانهم وصعقته الصاعقة
اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق وحذر الموت مفعول له ومعنى احاطة الله بالكافرين
انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ
كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الخطف الاخذ بسرعة لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكان قائلا
قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم فهذه جملة مستانفة ايضا لا محل
لها وكلما اضاء استئناف ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في حالتي خفوق البرق وخفيته
وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما ياتون و
يذرون اذا خفق البرق مع خوفهم ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة
فاذا خفي بقوا واقفين ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في بريق البرق فاعماهم واضاء اما
اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم مسلكا اخذوه واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره
ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها
كثر هذا الحذف في شاء واراد ولم يبرز المفعول الا في الشاذ كقوله لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من
لدنا والشيء ما يصح ان يعلم ويخبر عنه يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ لما عدد سبحانه فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين اقبل عليهم بالخطاب
وهو من الالتفات الذي تقدم ذكره وهو فن من الكلام فيه هز وتحريك من السامع وتنبيه واستدعاء
لاصغائه الى الحديث ويا حرف وضع في اصله لنداء البعيد واي والهمزة لنداء القريب واي وصلة الى
نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذي وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل
وهو اسم مبهم يحتاج الى ما يوضحه فلا بد ان يردفه اسم جنس او ما يجري مجراه يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء
فالذي يعمل فيه حرف النداء اي والاسم التابع لصفته وقد كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة
لاستقلاله باوجه من التاكيد في التدرج من الابهام الى التوضيح وكلمة التنبيه المقحمة بين اي وصفته لتعاضد
حرف النداء بتاكيد معناه ويكون عوضا مما يستحقه من الاضافة وكل ما نادى الله تعالى له عباده من
الاوامر والنواهي والوعد والوعيد وغير ذلك امور عظام ومعان عليهم ان يتيقظوا لها فاقتضت الحال
ان ينادوا بالاكد الذي خلقكم صفة لربكم جرت عليه على سبيل المدح والثناء اي اعبدوا ربكم
والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء ولعل للترجي او الاشفاق وقد جاء في مواضع من القران على

الاطماع ولكن لانه اطماع من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة جرى اطماعه مجرى وعده المحتوم وفاء
ولعل في الاية ليس مما ذكرناه في شيء بل هو واقع موقع المجاز لانه سبحانه خلق عباده ليكلفهم وازاح عللهم
في التكليف من الاقدار والتمكين واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا ليترجح امرهم وهم
مختارون بين الطاعة والمعصية كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل وان لا يفعل ومصداقه قوله ليبلوكم
ايكم احسن عملا وانما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء امرهم على الاختيار الَّذِي جَعَلَ
لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ
أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ قدم سبحانه من موجبات عبادته خلقهم احياء قادرين اولا ثم خلق الارض التي هي
مستقرهم الذي لا بد لهم منه ومفترشهم ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة على هذا المستقر ثم ما سواه سبحانه
من شبه عقد النكاح بينهما بانزال الماء من المظلة منهما على المقلة والاخراج به من بطنها اشباه النسل من
الوان الثمار رزقا لبني آدم ليقابلوا هذه النعمة العظيمة بواجب الشكر ويتفكروا في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم
وتحتهم فيعلموا انه لا بد لها من خالق ليس كمثله شيء حتى لا يجعلوا المخلوقات انداد الله وهم يعلمون انها لا تقدر
على بعض ما هو عليه قادر ومعنى جعل الارض فراشا ومهادا او بساطا للناس انهم يتقلبون عليها كما يتقلب على
الفراش والبساط والبناء مصدر سمي به المبني وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امراته ومن في من الثمرات
للتبعيض كانه قيل اخرجنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم لانه لم ينزل من
السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز ان يكون من للبيان كما تقول
انفقت من الدراهم الفا واذا كان من للتبعيض كان قوله رزقا منصوبا بانه مفعول له واذا كان للبيان كان
رزقا مفعولا به لاخرج والند المثل ولا يقال الند الا للمثل المخالف المناوي اي هو الذي حججكم بهذه الدلائل
النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء وانتم اهل المعرفة والتمييز وانتم تعلمون ما بينه وبينها من
التفاوت او انتم تعلمون انه لا يماثل وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا
شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ لما احتج سبحانه على الناس للتوحيد وعلم الطريق الى تصحيحه
عطف على ذلك الحجة على نبوة نبيه محمد صلعم فقال وان ارتبتم فيما نزلنا اتى بلفظ التنزيل لان المراد النزول
على سبيل التدريج نجوما سورة بعد سورة وآيات بعد آيات على حسب النوازل والحوادث على عبدنا ورسولنا
محمد فهاتوا انتم سورة من اصغر السور والسورة ان كانت واوها اصلها فاما ان سميت بسور المدينة لانها
طائفة من القران محدودة او لانها محتوية على فنون من العلم كاحتواء سور المدينة على ما فيها واما ان سميت
بالسورة التي هي الرتبة لان السور بمنزلة المنازل والمراتب ولرفعة شانها في الدين وان كانت واوها
منقلبة عن همزة فلانها قطعة من القران كالسؤرة التي هي البقية من الشيء من مثله متعلق بسورة صفة لها اي
بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فاتوا والضمير للعبد والمعنى
فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وحسن النظم او فاتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا
واميا لم ياخذ من العلماء ولم يقرا الكتب ورد الضمير الى المنزل اوجه لقوله تعالى بسورة مثله وقوله ولا

يأتون بمثله ولأن الحديث في المنزل لا في المنزل عليه فمن حقه أن لا يرد الضمير إلى غيره لأن المعنى وإن ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم بما يماثله ويجانسه وإن كان الضمير مردودا إلى رسول الله فالمعنى وإن ارتبتم في أن محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة والمعنى ادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والإنس إلا الله تعالى فإنه القادر على أن يأتي بمثله دون كل شاهد فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين لما أرشدهم سبحانه إلى الوجه الذي منه يعرفون صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم فإذا لم تعارضوه بسورة مثله ولم يتيسر لكم ذلك وبان لكم أنه معجز فآمنوا واتقوا النار التي أعدت لمن كذب وفيه دليلان على إثبات نبوته صحة كون القرآن معجزا والإخبار بأنهم لن يفعلوا أبدا وهو غيب لا يعلمه إلا الله والوقود ما يوقد به النار وهو الحطب والمعنى في قوله وقودها الناس والحجارة أنها نار ممتازة عن النيران الأخر بأنها لا تتقد إلا بالناس والحجارة وقرن الناس بالحجارة لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا حيث نحتوها أصناما وجعلوها لله أندادا وعبدوها من دونه قال سبحانه إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومعنى أعدت هيئت وجعلت عدة لعذابهم وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون لم يذكر سبحانه الترغيب بعد الترهيب وشفع الإنذار بالبشارة فبشر عباده الذين جمعوا بين الإيمان وصالح الأعمال بعد أن أنذر الكفار وأوعدهم بالعذاب والنكال والبشارة الإخبار بما يظهر سرور المخبر به والجنة البستان من النخل والشجر وأصلها من الستر وكأنها لتكاثفها والتفاف أغصان أشجارها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه إذا ستره ولولا أن الماء الجاري من أعظم النعم وأكثر اللذات لما جاء الله بذكر الأنهار الجارية من تحتها في قرآن واحد كالشيئين لا بد لأحدهما من صاحبه وإسناد الجري إلى الأنهار إسناد مجازي كقولهم بنو فلان يطأهم الطريق وإنما نكرت الجنات لأن دار الثواب تشتمل على جنات كثيرة مرتبة على حسب استحقاق كل طبقة من أهلها وعرفت الأنهار لإرادة الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والعنب والفواكه أو تراد الأنهار المذكورة في قوله فيها أنهار من ماء غير آسن الآية كلما رزقوا منها إما أن تكون صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة والمعنى أنهم كلما رزقوا من أشجار الجنات نوعا من أنواع الثمار رزقا قالوا هذا مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله وأتوا به متشابها وهذا كقولك أبو يوسف أبو حنيفة تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته والضمير في قوله وأتوا به يرجع إلى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لأن قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالأخرى فيقول هذا الذي أتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف ولهم فيها أزواج مطهرة طهرن مما يختص بالنساء من الحيض ومما لا يختص

بهن من الأقذار والأدناس ويدخل تحت ذلك الطهر من دنس الطباع وسائر العيوب والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين لما ضرب الله المثلين للمنافقين قيل هذه الآية قالوا الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال فنزلت الآية لبيان أن ما استنكروه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار لأن في التمثيل كشفا للمعنى ورفع الحجاب عن المطلوب فإن كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به عظيما وإن كان حقيرا كان المتمثل به كذلك ووصف القديم سبحانه بالحياء في مثل قوله عليه السلام إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع العبد إليه يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا جار مجرى التمثيل لأن الحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحياة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وخشي وشظي الفرس إذا اعتلت هذه الأعضاء منه جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار منتقص الحياة فمثل تركه سبحانه تخييب العبد لكرمه بترك من يترك رد المحتاج إليه حياء منه وكذلك المعنى في الآية أن الله تعالى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يتمثل بها لحقارتها وما هذه الإبهامية وهي التي إذا اقترنت بنكرة زادته شياعا تقول أعطني شيئا ما أو هي صلة زيدت للتأكيد نحو التي في قوله فبما رحمة والمعنى أن الله لا يستحيي أن يتمثل للأنداد بما لا شيء أصغر منه وأقل وانتصب بعوضة بأنها عطف بيان أو مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه أو انتصبا مفعولين ليضرب لأنه أجري مجرى جعل فما فوقها فيه معنيان أحدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة والآخر فما زاد عليها في الحجم والحق الثابت الذي لا يسوغ إنكاره يقال حق الأمر إذا ثبت ووجب وماذا فيه وجهان أحدهما أن يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين وأن يكون ذا مركبة مع ما فتكون كلمة واحدة والضمير في أنه الحق للمثل أو لأن يضرب ومثلا نصب على التمييز وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المتقدمتين وأن فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وأن العلم بكونه حقا من باب الهدى وأن الجهل بحسن مورده من باب الضلالة وإسناد الإضلال إلى الله سبحانه إسناد الفعل إلى السبب لأنه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى قوم تسبب لضلالهم وهديهم والفسق الخروج عن طاعة الله تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون النقض الفسخ وشاع استعمال النقض في إبطال العهد من جهة أنهم سموا العهد بالحبل على الاستعارة ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله إن بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى إن الله أعزك وأظهرك أن ترجع إلى قومك وعهد الله هو ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد أو ما أخذ عليهم في التوراة من اتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو ما أخذ عليهم من الميثاق بأنه

ابن التيهان

٧٤

اذا بعث اليهم رسول مؤيد بالمعجزات صدقوه واتبعوه والضمير في ميثاقه للعهد ويجوز ان يكون الميثاق بمعنى التوثقة كما ان الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى اي من بعد توثقته عليهم ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الانبياء من الاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض والامر طلب الفعل ممن هو دونه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو اليه شبه بآمر يامر به هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون معنى الهمزة التي في كيف مثله في قوله اتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو الانكار والتعجب والواو في قوله وكنتم امواتا للحال اي وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب آبائكم فاحياكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحيوة ثم يحييكم بعد الموت وهذا الاحياء الثاني يجوز ان يراد به الاحياء في القبر وبقوله ثم اليه ترجعون الحشر والنشور ويجوز ان يراد بالاحياء النشور وبالرجوع المصير الى الحساب والجزاء وعطف الاول بالفاء لان الاحياء الاول تعقب الموت بغير تراخ وعطف الآخرين بثم لان الموت قد تراخى عن الاحياء والاحياء الثاني متراخ عن الموت ان اريد به النشور والاحياء القبر والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ عن النشور هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم لكم اي لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم بان تنتفعوا منه بفنون المطاعم والمناكح والمراكب والمناظر البهجة وفي دينكم بان تنظروا فيه وما يتضمنه من عجايب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وفي هذا دلالة على ان اصل الاشياء الاباحة الى ان يمنع الشرع بالنهي وجاير لكل احد ان يتناولها ويستنفع بها وجميعا نصب على الحال من قوله ما في الارض والاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصد قصدا مستويا من غير ان يلوي الى شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قال ثم استوى الى فوق والضمير في فسواهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن واتمه وقومه وهو بكل شيء عليم فلذلك خلق السموات والارض خلقا محكما متقنا من غير تفاوت على حسب ما اقتضته الحكمة واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون لما ذكر سبحانه انعامه علينا بخلق السماء والارض وما فيها ذكر نعمته علينا بخلق ابينا آدم عليه السلام واذ نصب باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا وجاعل من جعل الذي له مفعولان والمعنى مصير في الارض خليفة والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لان الملائكة كانوا سكان الارض فخلفهم آدم فيها وذريته واستغنى بذكر آدم عن ذكر بنيه كما يستغنى

بذكر

٧٦

بذكر ابي القبيلة في قولك ربيعة ومضر او يريد من يخلفكم او خلقا يخلفكم فوحد لذلك ويجوز ان يريد خليفة مني لان آدم كان خليفة الله في ارضه وهو الصحيح لقوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها انما عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه من جهة اللوح او عرفوه باخبار الله ونحن نسبح الواو للحال كما يقال اتحسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء بحمدك في موضع الحال اي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك قال اني اعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم ولا تعلمونه ولم يبين لهم تلك المصالح لان العباد يكفيهم ان يعلموا ان افعال الله كلها حسنة وان خفي عليهم وجه الحكمة على انه قد بين لهم بعض ذلك في قوله وعلم آدم الاسماء الآية وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين اي اسماء المسميات كلها فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل الراس شيبا وليس التقدير وعلم آدم مسميات الاسماء فيكون حذفا للمضاف لان التعليم تعلق بالاسماء لا بالمسميات كقوله انبئوني باسماء هؤلاء ومعنى تعليمه اسماء المسميات انه اراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ثم عرضهم اي عرض المسميات على الملائكة وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم فقال للملائكة انبئوني استنباء لهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت ان كنتم صادقين اي في زعمكم اني استخلف في الارض من يفسد فيها ارادة للرد عليهم وليبين ان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي اصول الفوائد كلها ما يستاهلون لاجله ان يستخلفوا فبين لهم بذلك بعض ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم قالت الملائكة سبحانك تنزيها لك عن ان يعلم الغيب احد سواك او تعظيما لك عن ان يعترض عليك في حكمك لا علم لنا الا ما علمتنا وليس هذا فيما علمتنا انك انت العليم بجميع المعلومات وهو صفة مبالغة للعالم الحكيم الحاكم لافعاله قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون انبئهم اي اخبر الملائكة باسمائهم علق الانباء بالاسماء لا بالمسميات فلم يقل انبئهم بهم لما قلنا من ان التعليم متعلق بالاسماء فلما انباهم آدم اي اخبر الملائكة باسمائهم اي باسم كل شيء ومنافعه ومضاره وخواصه قال سبحانه للملائكة الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض اي اعلم ما غاب فيهما عنكم فلم تشاهدوه كما اعلم ما حضركم فشاهدتموه واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون اي ما تظهرونه وما تضمرونه وفي هذا ان تعليمه سبحانه الاسماء كلها بما فيها من المعاني وفتق لسانه بذلك معجزة اقامها الله للملائكة دالة على نبوته وجلالة قدره وتفضيله عليهم واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين الا ابليس استثناء متصل عند من ذهب الى ان ابليس من الجن وكان بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم ثم استثني منهم استثناء واحد

منهم ويجوز ان يكون منقطعا ابى امتنع مما امر به واستكبر عنه وكان من جنس كافرى الجن وشياطينهم
ولا شك ان الاستثناء متصل عند من ذهب الى انه من الملائكة وفى الآية دلالة على فضل آدم على جميع
الملائكة لانه قدمه على الملائكة اذ امرهم بالسجود له ولا يجوز تقديم المفضول على الفاضل ولو لم يكن سجود
الملائكة له على وجه التعظيم لشانه وتقديمه عليهم لم يكن لامتناع ابليس عن السجود له وقوله ارايتك هذا الذى
كرمت على وقوله انا خير منه وجه ولكان يجب على الله تعالى ان يعلمه انه لم يامره بالسجود له على وجه تعظيمه و
تفضيله عليه ولما جاز ان يفعل ذلك اذ كان ذلك سبب معصية ابليس فعلمنا انه لم يكن ذلك الا على وجه
التفضيل له عليهم وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا
هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ انت تاكيد للضمير المستكن فى اسكن ليصح العطف عليه ورغدا وصف
للمصدر اى اكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم اى اى مكان من الجنة شئتما والمعنى اتخذا انت
وامراتك الجنة سكنا وماوى وكلا منها اى من الجنة كثيرا واسعا حيث شئتما من بقاع الجنة ولا تقربا هذه
الشجرة اى لا تاكلا منها والمعنى لا تقربا ها بالاكل وهو نهى تنزيه عندنا لا نهى تحريم وكانا بالتناول منها
تاركين نفلا وفضلا فتكونا من الظالمين اى الباخسين الثواب لانفسكما بترك هذا المندوب اليه فَأَزَلَّهُمَا
الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ
مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ فازلهما اى حملهما على الزلة الشيطان يعنى ابليس نسب الزلة الى الشيطان
لما وقع بدعائه ووسوسته عنها عن الجنة فاخرجهما مما كانا فيه من المنزلة والنعمة والدعة واضاف
الاخراج الى الشيطان لانه كان السبب فيه وانما اخرج الله آدم من الجنة لان المصلحة اقتضت بعد
تناوله الشجرة اهباطه الى الارض وابتلاءه بالتكليف وسلبه ثياب الجنة كما تقتضى الحكمة الافقار
بعد الاغناء والاماتة بعد الاحياء ومن قرا فازالهما فالمعنى ازالهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة
او من الجنة وقلنا اهبطوا خطاب لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس
جعلا كانهما الانس كلهم ويدل عليه قوله فى موضع آخر اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو والمعنى
فيه ما عليه الناس من التعادى والتخالف وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض والمستقر
موضع الاستقرار او الاستقرار ومتاع اى تمتع بالعيش الى حين الى يوم القيمة وقيل الى الموت قال
السراج لو قيل لكم فى الارض مستقر ومتاع لظن ان ذلك غير منقطع فقيل الى حين اى الى حين انقطاعه
فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ معنى تلقى الكلمات استقبالها بالاخذ
والقبول والعمل بها اى اخذها من ربه على سبيل الطاعة ورغب الى الله بها او سأله بحقها فتاب الله
عليه ومن قرا فتلقى آدم بالنصب كلمات بالرفع فالمعنى ان الكلمات استقبلت آدم بان بلغته والكلمات
هى قوله ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقيل هى قوله لا اله الا
انت ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت وفى رواية اهل البيت عليهم السلم ان الكلمات
هى اسماء اصحاب الكساء عليهم السلم واكتفى بذكر توبة آدم عن ذكر توبة حواء لانها كانت تبعا له والتواب

الكثير

الكثير القبول للتوبة وهو فى صفة العباد الكثير التوبة قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ
مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ كرر سبحانه قلنا اهبطوا للتاكيد
ولما نيط به من قوله فاما ياتينكم منى هدى اى فان ياتكم منى هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله
عليكم فمن تبع هداى بان يقتدى برسولى ويؤمن به وبكتابى فلا خوف عليهم من العقاب ولا هم يحزنون
على فوت الثواب وجواب الشرط الاول الشرط الثانى مع جوابه وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ والذين جحدوا رسلنا وكذبوا بدلائلنا فاولئك الملازمون
للنار هم فيها دائمون مؤبدون يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ لما تمم سبحانه جميع خلقه بالخطاب وذكرهم الحجج على توحيده وعدد
عليهم صنوف نعمه خص بنى اسرائيل عقيب ذلك بذكر ما اسداه اليهم من النعم فقال يا بنى اسرائيل
واسرائيل هو يعقوب لقب له ومعناه فى لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله اذكروا نعمتى التى انعمت
عليكم اى لا تخلوا بشكرها واستعظموها واراد بالنعمة ما انعم به على آبائهم من كثرة الانبياء فيهم و
انجائهم من فرعون وغير ذلك مما عدده سبحانه عليهم واوفوا بعهدى اى بما عاهدتمونى عليه من الايمان بى
والطاعة لى اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب وقيل اوفوا بعهدى فى محمد ان من آمن
به كان له اجران ومن كفر به تكاملت اوزاره اوف بعهدكم ادخلكم الجنة واياى فارهبون اى فلا
تنقضوا عهدى وهو من قولك زيدا رهبته فاياى منصوب بفعل مضمر يفسره ارهبون وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ
مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ اى
وصدقوا بما انزلته على محمد من القران مصدقا لما معكم من التورية ولا تكونوا اول كافر به اوولا
يكن كل واحد منكم اول كافر به كما يقال كسانا الامير حلة اى كسا كل واحد منا حلة وهذا تعريض بانه
كان يجب ان يكون اليهود اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا يبشرون الناس بزمانه
ويستفتحون على الذين كفروا وكانوا يقولون انا نتبعه اول الناس كلهم بعث كان امرهم على العكس
كقوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقيل الضمير فى به لما معكم لانهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا
به ولا تشتروا باياتى ثمنا قليلا الاشتراء استعارة للاستبدال كما فى قوله اشتروا الضلالة بالهدى
اى لا تستبدلوا باياتى ثمنا قليلا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة التى كانت
لهم فى قومهم خافوا فوتها باتباعه فاستبدلوها بآيات الله وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا
الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ الباء فى قوله بالباطل يجوز ان يكون مثل ما فى قولك لبست الشئ خلطته
به فيكون المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذى تكتبونه وتكتموا جزم معطوف على تلبسوا
بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان اى ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تاكل
السمك وتشرب اللبن وانتم تعلمون انه حق وتجحدون ما تعلمون وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ اى واقيموا الصلوة باركانها واعطوا ما فرض الله عليكم

من الزكوة واركعوا مع الراكعين من المسلمين لان اليهود لا ركوع في صلوتهم وقيل ان المراد به صلوة الجماعة اتامرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب
من حالهم والبر سعة الخير ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكانوا يامرون
اقاربهم في السر باتباع محمد ولا يتبعونه وتنسون انفسكم تتركونها من البر وانتم تتلون الكتاب تبكيت مثل
قوله وانتم تعلمون يعني تتلون التورية وفيها صفة محمد افلا تعقلون توبيخ عظيم اي افلا تفطنون لقبح ما تقدمون
عليه فيصدكم استقباحه عن ارتكابه فكانكم قد سلبت عقولكم واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة
الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون واستعينوا في حوائجكم الى الله
بالجمع بين الصلوة وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة وما يجب فيها من اخلاص القلب ودفع الوساوس
او واستعينوا على البلايا بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة وقيل الصبر الصوم ومنه قيل لشهر رمضان
شهر الصبر وانها الضمير للصلوة او للاستعانة لكبيرة اي شاقة ثقيلة الا على الخاشعين لانهم الذين يتوقعون
ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم والخشوع الطمأنينة والاخبات والخضوع اللين والانقياد الذين
يظنون انهم ملاقوا ربهم اي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده وفي مصحف عبد الله يعلمون ولذلك فسر
يظنون بيتيقنون وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا بلال روحنا وقال جعلت قرة عيني في الصلوة يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا
ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون واني فضلتكم في موضع نصب عطف
على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي اياكم على العالمين على الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين
يقال رايت عالما من الناس يراد به الكثرة او تفضيل اياكم في اشياء مخصوصة كانزال المن والسلوى و
الآيات الكثيرة كفلق البحر وتغريق فرعون وكثرة الرسل منكم واتقوا يوما يريد يوم القيمة لا تجزي اي
لا تقضي نفس عن نفس شيئا حقا وجب عليها الله او لغيره كقوله لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز
عن والده شيئا وهذه الجملة منصوبة الموضع صفة ليوما والعائد منها الى الموصوف محذوف تقديره
لا تجزي فيه حذف الجار ثم حذف الضمير ومعنى التنكير ان نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا
من الاشياء ولا يقبل منها شفاعة هذا مختص باليهود فانهم قالوا آباؤنا يشفعون لنا فاوئسوا لان
الامة مجتمعة على ان لنبينا عليه السلام شفاعة مقبولة وان اختلفوا في كيفيتها واجماعها حجة ولا يؤخذ منها عدل
اي فدية لانها معادلة للمفدى ولا هم ينصرون يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة
والتذكير بمعنى العباد والاناسي كما قالوا ثلاثة انفس واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب
يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اصل آل اهل ولذلك صغر
باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشان كالملوك واشباههم وفرعون لقب
لمن ملك العمالقة مثل قيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس يسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما
واصله سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيء

وسوء الفعل

وسوء الفعل قبحه ويذبحون بيان ليسومونكم ولذلك ترك العاطف وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا
فرعون بانه يولد مولود يكون على يديه هلاكه كما انذر نمرود فلم يغن عنهما تحفظهما وكان ما شاء الله ان يكون
والبلاء المحنة ان اشير به الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم
واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون فرقنا بكم البحر فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك
لكم يقال فرق بين الشيئين وفرق بالتشديد بين الاشياء والمعنى في بكم انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند
سلوكهم فكانما فرق بهم ويجوز ان يراد بسببكم وبسبب انجائكم ويجوز ان يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه
متلبسا بكم قالوا الا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحي اليه ان قل بعصاك هكذا
فصارت فيها كوى فتراءوا وسمع بعضهم كلام بعض وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدون ولا تشكون فيه
واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون اي وعدنا ان ننزل عليه
التورية وضربنا له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل ليلة لان الشهور غررها بالليالي ومن قرا
واعدنا فلان الله تعالى وعده الوحي ووعده هو المجيء للميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل من بعده اي بعد
مضيه الى الطور وانتم ظالمون باتخاذكم العجل الها ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون
واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون من بعد ذلك اي من بعد ارتكابكم الامر العظيم
لعلكم تشكرون بالنعمة العفو عنكم واذكروا اذ اعطينا موسى الكتاب والفرقان اي الجامع بين كونه
كتابا منزلا وفرقانا فارقا بين الحق والباطل يعني التورية كقولك رايت الغيث والليث اي الرجل الجامع
بين الجود والجراءة ونحوه قوله ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا اي الكتاب الجامع بين
كونه فرقانا وضياء وذكرا ويجوز ان يريد بالكتاب التورية وبالفرقان البرهان الفارق بين الكفر و
الايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام او انفراق البحر او النصر
الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد يوم بدر واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم
ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب
عليكم انه هو التواب الرحيم واذكروا اذ قال موسى لعبدة العجل من قومه بعد رجوعه اليهم يا قوم انكم
اضررتم بانفسكم باتخاذكم العجل معبودا والباري الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت ومتميزا
بعضهم من بعض بالصور والاشكال المختلفة فتوبوا الى خالقكم ومنشئكم فاقتلوا انفسكم اي ليقتل
بعضكم بعضا امر من لم يعبد العجل ان يقتل من عبده روي ان الرجل كان يبصر ولده وقريبه فلم يمكنهم
المضي لامر الله فارسل الله ضبابة لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم واخذ الذين
لم يعبدوا العجل سيوفهم فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهرون وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية
البقية فكشفت الضبابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من ايديهم وكانت القتلى سبعين الفا ذلكم اشارة
الى التوبة مع القتل خير لكم عند بارئكم من اصرار الحيوة الفانية وكرر ذكر بارئكم تعظيما لما اتوا به مع كونه
خالقا لهم فتاب عليكم تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم القابل التوبة عن عباده

الرحيم بهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون قيل
ان القائلين هذا القول هم السبعون الذين صعقوا اى لن نصدقك فى قولك حتى نرى الله عيانا وهى مصدر
من قولك جهر بالقراءة كأن الذى يرى بالعين جاهر بالرؤية والذى يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على
المصدر لانها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس او على الحال بمعنى ذوى جهرة
والصاعقة نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه
فخروا صعقين ميتين ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ثم احييناكم من بعد موتكم لاستكمال آجالكم لعلكم
تشكرون نعمة الله بعد ما كفرتموها اذ رأيتم بأس الله فى رميكم بالصاعقة او لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت
وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا
انفسهم يظلمون وجعلنا الغمام يظلكم وكان ذلك فى التيه سخر الله لهم السحاب تسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل لهم
بالليل عمود من نار يسيرون فى ضوئه وانزلنا عليكم المن والسلوى كان ينزل عليهم الترنجبين مثل الثلج
الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهى السمانى فيذبح الرجل منها ما يكفيه كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول
وما ظلمونا يعنى فظلموا بان كفروا هذه النعمة وما ظلمونا فاختصر لدلالة وما ظلمونا عليه واذ قلنا ادخلوا هذه
القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد
المحسنين القرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية
وقيل هو باب القبة التى كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى امروا بالسجود عند
الانتهاء الى الباب شكرا لله وتواضعا وقيل السجود ان ينحنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع وقيل طوطئ لهم الباب
ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها وقولوا حطة هى فعلة من الحط كالجلسة والركبة وهى خبر مبتدأ محذوف اى
مسألتنا حطة واصله النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة فرفع ليعطى معنى الثبات كقوله صبر جميل وورد
عن الباقر انه قال نحن باب حطتكم وسنزيد المحسنين اى ومن كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا فى زيادة
ثوابه ومن كان مسيئا نغفر له ونصفح عن ذنوبه فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فانزلنا على
الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون اى فخالف الذين عصوا ووضعوا مكان حطة قولا غير الذى
قيل لهم اى ليس معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وقيل انهم قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا حطا سمقاثا
اى حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وفى تكرير الذين ظلموا زيادة فى تقبيح امرهم وايذان بان انزال العذاب
عليهم لظلمهم والرجز العذاب وروى انه مات منهم فى ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا من كبرائهم واذ
استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس
مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين عطشوا فى التيه فاستسقى موسى لهم
ودعا لهم بالسقيا فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روى انه حجر طورى حمله
معه من الطور وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلث اعين لكل سبط عين تسيل
فى جدول الى السبط الذى هى له واما للجنس اى اضرب الشىء الذى يقال له الحجر فقد روى عن الحسن انه لم يأمره

ان يضرب

ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر فى الحجة وابين فى القدرة فانفجرت اى فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة
عينا لكل سبط عين قد علم كل اناس مشربهم عينهم التى يشربون منها كلوا على ارادة القول واشربوا من رزق الله
مما رزقكم الله من الطعام والشراب وهو المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق
يؤكل منه ويشرب ولا تعثوا العثى اشد الفساد اى لا تتمادوا بالفساد مفسدين اى فى حال فسادكم واذ قلتم يا موسى
لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها
وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما
سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله
ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون واذ قلتم نسب قول اسلافهم اليهم يا موسى
لن نصبر على طعام واحد ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة
يداوم عليها كل يوم لا يبدلها جاز ان يقال لا يأكل فلان الا طعاما واحدا ويراد بالوحدة نفى التبدل
والاختلاف فادع لنا اى لاجلنا ربك يخرج لنا اى يظهر لنا ويوجد مما تنبته الارض من بقلها البقل
ما انبتته الارض من الخضر والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اى اختبزوا وقيل هو الثوم وقيل انهم كانوا
قوما فلاحة فنزعوا الى اصلهم ولم يريدوا الا ما الفوه وضروا به من الاشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب
ونحو ذلك قال اتستبدلون الذى هو ادنى اى هو اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب
يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو دانى المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد
المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو اهبطوا مصرا اى انحدروا اليه من التيه ويمكن ان يريد
به العلم وصرفه مع اجتماع السببين العلمية والتأنيث لسكون وسطه وان اريد به البلد فما فيه الا سبب
واحد وضربت عليهم الذلة اى جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما ان من ضربت عليه القبة
فيكون فيها او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون
اذلاء اهل مسكنة اما على الحقيقة واما لتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية وباؤا بغضب
من الله اى صاروا احقاء بغضب الله من قولهم باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته
له ذلك اشارة الى ما تقدم من الذلة والمسكنة وكونهم اهل غضبه بانهم كانوا يكفرون اى بسبب
كفرهم وقتلهم الانبياء قتلوا زكريا ويحيى وشعيا بغير الحق معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم
لم يقتلوا ولا افسدوا فى الارض فيقتلوا ذلك تكرار للاشارة بما عصوا بسبب معصيتهم واعتدائهم حدود الله
فى كل شىء ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم
الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ان الذين آمنوا
بالسنتهم وهم المنافقون والذين هادوا او تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل فى اليهودية وهو
هائد والجمع هود والنصارى جمع نصران يقال رجل نصران وامرأة نصرانة ونصرانى الياء
فيه للمبالغة كالتى فى احمرى لانهم نصروا المسيح والصابئين من صبا اذا خرج من الدين وهم قوم

على لوامن دين اليهودية والنصرانية وعبد والملائكة او النجوم من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا
وعمل صالحا فلهم اجرهم الذي يستوجبونه بايمانهم واعمالهم ومحل من آمن رفع بالابتداء وخبره فلهم اجرهم
وَاِذْ اَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ
واذكروا اذ اخذنا ميثاقكم بالعمل في التورية ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك ان
موسى جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة فابوا قبولها فامر جبرئيل فقلع الطور من
اصله ورفعه فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا وسجدوا لله تعالى ملاحظين الى الجبل
فمن ثم يسجد اليهود على احد شقي وجوههم خذوا على ارادة القول اي قلنا خذوا ما آتيناكم من الكتاب
بقوة بجد ويقين وعزيمة واذكروا ما فيه وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجاء منكم
ان تكونوا متقين ثم توليتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به فلولا فضل الله عليكم وتوفيقه للطاعة لكنتم
من الخاسرين بخسرتم وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ
فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت
يوم السبت المعنى لقد عرفتم الذين اعتدوا منكم اي جاوزوا ما حد لهم في السبت من تعظيمه واشتغلوا
بالصيد وذلك ان الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا ظهر يوم السبت فاذا مضى تفرقت فحفروا
حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس
في الحياض هو اعتداؤهم فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء
فجعلناها يعني المسخة نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه لما بين يديها لما قبلها وما خلفها وما
بعدها من القرون والامم لان مسختهم ذكرت في كتب الاولين واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين او لما بحضرتها
بما بين يديها ما بحضرتها من الامم وموعظة للمتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق
وَاِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ اَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا اَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ اَعُوذُ بِاللّٰهِ اَنْ
اَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ اِنَّهُ يَقُولُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا
بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله قرابته لكي يرثوه فطرحوه
على طريق سبط من اسباط بني اسرائيل ثم جاءوا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه
ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اتجعلنا اهل هزؤ او مهزوا بنا او الهزؤ نفسه
قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين اي من المستهزئين لبدل على ان الاستهزاء لا يصدر الا عن
الجاهل وقرئ هزؤا وهزوا مثل كفؤا وكفوا بالضمتين والواو فيهما قالوا ادع لنا ربك
وكذا في قراءة عبد الله ما هي سؤال عن حالها وصفتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب
ببعضها ميت فيحيى فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشأن قال موسى انه سبحانه يقول انها
بقرة لا مسنة ولا فتية فرضت البقرة فروضا اي اسنت عوان بين ذلك اي نصف وسط بين

الصغيرة

الصغيرة والكبيرة وجاز دخول بين على ذلك لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر
من الفارض والبكر وجاز ان يشار به الى مؤنثين لانه في تاويل ما ذكر وما تقدم فافعلوا ما تؤمرون اي تؤمرونه
بمعنى تؤمرون به ويجوز ان يكون بمعنى امركم اي مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير قَالُوا
ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ اِنَّهُ يَقُولُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ
قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ اِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَاِنَّا اِنْ شَاءَ اللّٰهُ لَمُهْتَدُونَ قَالَ
اِنَّهُ يَقُولُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْاَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ
جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ فاقع تاكيد لصفراء ولم يقع خبرا عن اللون ولونها
فاعله لان اللون من سبب الصفراء وملتبس بها فلا فرق بين ان يقول صفراء فاقع لونها وصفراء فاقعة
وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور لذة في القلب عند
حصول نفع او توقعه وقولهم ما هي مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها ليزدادوا بيانا لوصفها
وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله
عليهم والاستقصاء شؤم ان البقر تشابه علينا اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير
فاشتبه علينا ايها نذبح وانا ان شاء الله لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفي علينا من امر
القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد اي لو لم يقولوا ان شاء الله لا ذلول لم تذلل
للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح فتسقي الحرث ولا الاولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد
الاولى لان المعنى لا ذلول تثير وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية
مسلمة سلمها الله من العيوب ومعفاة من العمل سلمها اهلها منه او مخلصة اللون من سلم له كذا اذا
خلص له لا شية فيها لم تشب صفرتها بشيء من الالوان فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل
مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر ومنه ثور موشى القوائم قالوا الآن جئت
بالحق اي بحقيقة وصف البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وقوله وما كادوا يفعلون
استبطاء لهم واستثقال لاستقصائهم اي ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم وقيل
وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل فاما اختلاف العلماء في
ان تكليفهم كان واحدا وهو ذبح البقرة المخصوصة باللون والصفات او كان متغايرا وكلما راجعوا
تغيرت مصلحتهم الى تكليف آخر مذكور في كتاب مجمع البيان فمن اراد ذلك فليقف عليه هناك والنسخ قبل
الفعل جائز وقبل وقت الفعل غير جائز لانه يؤدي الى البداء وَاِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا
وَاللّٰهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّٰهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم اي اختلفتم فيها واختصمتم في
امرها لان المتخاصمين يدرء بعضهم بعضا اي يدفعه او تدافعتم بان طرح بعضكم قتلها على بعض
فدفع المطروح عليه الطارح او دفع بعضكم بعضا عن البراءة والتهمة والله مخرج اي مظهر ما كنتم

تكتمونه من امر القتيل ولا يتركه مكتوما وهذه جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم
وقلنا فقلنا اضربوه والضمير في اضربوه اما ان يرجع الى النفس على تاويل الشخص او الى القتيل لما دل عليه قوله ما كنتم
تكتمون ببعضها ببعض البقرة والتقدير فضربوه فحيي كذلك يحيي الله الموتى فحذف لان ما ابقى يدل
على ما القي روي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان فقتل ولم يورث
قاتل بعد ذلك ويريكم آياته دلائله على انه قادر على كل شيء لعلكم تعقلون اي تعملون على قضية عقولكم
في ان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء النفوس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث
وانما قدمت قصته مع بذبح البقرة على ذكر القتيل مع تقدمه لان الغرض ذكر قصتين كل واحدة
منهما تختص بنوع من التقريع فلو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة وذهب الغرض في ذلك ثم قست
قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان
منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون
ثم قست قلوبكم من بعد ذلك المعنى في ثم استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها
من احياء القتيل وغير ذلك من الآيات فهي في قسوتها مثل الحجارة او اشد قسوة منها والمعنى ان من عرفها
شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة او من عرف حالها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى منها وان
من الحجارة بيان لفضل قسوة قلوبهم على الحجارة والتفجر التفتح بالسعة والكثرة والمعنى ان من الحجارة
ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير وان منها لما يشقق اي يتشقق ادغم التاء في الشين
اي ينشق طولا وعرضا فينبع منه الماء وان منها لما يهبط يتردى من اعلى الجبل والخشية مجاز عن انقيادها
لامر الله وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به وما الله بغافل عما تعملون ايها المكذبون
ومن قرأ بالياء فالمراد عما يعمل هؤلاء ايها المسلمون افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم
يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين
اي افتطمعون ان يؤمنوا لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كما قال فآمن له لوط وقد كان فريق منهم اي
طائفة من اسلاف اليهود يسمعون كلام الله في التورية ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله وآية الرجم
من بعد ما عقلوه اي فهموه وضبطوه ولم تبق لهم شبهة في صحته وهم يعلمون انهم كاذبون يعني ان احبار
هؤلاء فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض
قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون اولا يعلمون
ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون واذا لقوا الذين آمنوا يعني اليهود قالوا آمنا بانكم على الحق
وبان محمدا هو النبي المبشر به في التورية واذا خلا بعضهم الى بعض اي صار واحد في الموضع الذي
ليس فيه غيرهم قالوا اي قال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من صفة
محمد ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في
كتابكم هكذا محاجة عند الله كما يقال هو عند الله هكذا او هو في كتاب الله هكذا بمعنى واحد

ويكون

ويكون المراد ليكون لهم الحجة عليكم عند الله في ايمانهم بمحمد اذ كنتم تخبرون بصحة امره من كتابكم افلا تعقلون
ان ذلك حجة عليكم اولا يعلم هؤلاء اليهود ان الله يعلم ما يسرون من الكفر وما يعلنون من الايمان
ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني وان هم الا يظنون اميون لا يحسنون الكتابة
فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب اي التورية الا اماني الا ما هم عليه من امانيهم
ان الله يعفو عنهم ولا يواخذهم بخطاياهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وقيل الا اكاذيب مختلقة
من علمائهم فيقبلونها على التقليد كما قال احدهم هذا شيء رويته ام تمنيته اي اختلقته وقيل الا ما يقرؤون
من قول الشاعر تمنى كتاب الله اول ليله وهذا من الاستثناء المنقطع كقوله ما لهم به من علم الا
اتباع الظن وان هم اي وما هم الا يظنون اي يشكون وهم متمكنون من العلم بالحق فويل للذين يكتبون
الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم
وويل لهم مما يكسبون فويل للذين يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد كما تقول رأيته بعينه وسمعته
باذنه والويل كلمة التحسر والتفجع وهو في الآية العذاب ليشتروا به ثمنا قليلا اي لياخذوا به ما كانوا ياخذونه
من عوامهم من الاموال ووصفه بالقلة لان متاع الدنيا قليل وقوله مما يكسبون اي من الرشى وقالوا
لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون
على الله ما لا تعلمون وقالت اليهود لن تمسنا النار الا اياما معدودة اي لن تصيبنا النار الا اياما معدودة اي قليلة اربعين
يوما عدد ايام عبادة العجل وعن مجاهد قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل الف
الف سنة يوما فلن يخلف الله عهده متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عنده عهدا فلن يخلف الله
عهده وام اما ان تكون معادلة بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما
واما ان تكون منقطعة بمعنى بل اتقولون بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار اي بلى تمسكم
النار على سبيل الخلود بدلالة قوله هم فيها خالدون والسيئة هنا الشرك عن ابن عباس ومجاهد
وقتادة وغيرهم وهو الصحيح لان ما عدا الشرك لا يستحق به الخلود في النار عندنا واحاطت به خطيئته
اي احدقت به من كل جانب كقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين او اهلكته كقوله الا ان يحاط بكم واحيط
بثمره والمراد سدت عليه طريق النجاة وقيل المراد بذلك الاصرار على الذنب وفي قوله والذين
آمنوا الآية وعد لاهل التصديق والطاعة بالثواب الدائم كما اوعد قبله اهل الجحود والاصرار على
الكبائر الموبقة بالعقاب الدائم واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين
احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلوة وآتوا
الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون لا تعبدون اخبار في معنى النهي كما يقال
تذهب الى فلان تقول له كذا يراد به الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كأنه قد سورع الى

وكذا

الى امتثاله فاخبر عنه ويؤيده قراءة عبد الله وابي لا تعبدوا ولا بد من ارادة القول ليدل عليه قوله وقولوا
وتقدير قوله وبالوالدين احسانا وتحسنون بالوالدين احسانا او واحسنوا وقيل انه قوله لا تعبدون
جواب القسم لان اخذ الميثاق في معنى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه ان لا تعبدوا
فلما حذف ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وذي القربى اي وبذي القربى ان تصلوا قرابته
واليتامى ان تعطفوا عليهم بالنفقة والمساكين ان تؤتوهم حقوقهم وقولوا للناس حسنا اي قولا هو
حسن في نفسه لافراط حسنه وقرئ حسنا وحسنى على المصدر كبشرى وعن الباقر قولوا للناس ما تحبون ان
يقال لكم واقيموا الصلوة اي ادوها بحدودها واركانها واتوا الزكوة اعطوها اهلها ثم توليتم هذا على طريقة
الالتفات اي توليتم عن الميثاق وتركتموه الا قليلا منكم وهم الذين اسلموا منهم وانتم معرضون عادتكم الاعراض
عن المواثيق واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم
وانتم تشهدون لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم اي لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل
نفسه اذا اتصل به اصلا ودينا وقيل المعنى فيه انه اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ثم اقررتم
بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها وقيل وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود
على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون
عليهم بالاثم والعدوان وان ياتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم افتؤ
منون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا
ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ثم انتم هؤلاء استبعاد لما
اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم يعني ثم انتم
بعد ذلك هؤلاء الشاهدون يعني انكم قوم اخرون غير اولئك المقرين منزلة لتغير الصفة منزلة تغير
الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به وقوله تقتلون بيان لقوله ثم انتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين
وقرئ تظاهرون بحذف التاء وتظاهرون بادغامها والاصل تتظاهرون اي تتعاونون عليهم
وان ياتوكم اسرى وقرئ اسارى تفدوهم اي وانتم مع قتلكم من تقتلون منهم اذا وجدتموه اسيرا
في ايدي غيركم فديتموه وقتلكم واخراجكم اياهم من ديارهم حرام عليكم كما ان تركهم اسرى في ايدي عدوهم
حرام عليكم فكيف تستجيزون قتلهم ولا تستجيزون ترك فدائهم من عدوهم وقرئ تفادوهم لان الفعل
بين اثنين وهو ضمير الشان ومحرم عليكم اخراجهم خبره ويجوز ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم افتؤمنون
ببعض الكتاب اي بالفداء وتكفرون ببعض اي بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء
الاوس والنضير كانوا حلفاء الخزرج فكان كل فريق منهم يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا ديارهم
واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين فدوه الا خزي قتل بني قريظة واجلاء بني النضير وقيل
الجزية ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب الذي اعد الله لاعدائه وقرئ تردون وتعملون
بالياء والتاء اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم

ينصرون

ينصرون اي رضوا بالحيوة الدنيا عوضا من نعيم الاخرة فلا يخفف عنهم العذاب الدنيا بنقصان الجزية
وكذا العذاب الاخرة ولاهم ينصرون اي لا ينصرهم احد بالدفع عنهم ولقد اتينا موسى الكتاب
وقفينا من بعده بالرسل واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس افكلما جاءكم
رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون الكتاب التورية اتاه
اياها جملة واحدة وقفينا اي اتبعنا من القفاء وقفاه به اتبعه اياه اي ارسلنا على اثره كثيرا من الرسل
كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وعيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم البينات المعجزات الواضحات
كاحياء الموتى وابراء الاكمه والاخبار بالمغيبات وايدناه بروح القدس بالروح المقدسة كما يقال
حاتم الجود لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث وقيل بجبريل وقيل باسم الله الاعظم الذي كان
يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد اتينا يا بني اسرائيل انبياءكم ما اتيناهم افكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم
عن الايمان به فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شانهم ويجوز ان يريد ولقد
اتيناهم ما اتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر ولم يقل وفريقا
قتلتم لانه اريد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب وقالوا
قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون اي هي مغشاة باغطية لا يصل اليها
ما جاء به محمد ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة ثم رد الله عليهم بقوله
بل لعنهم الله بكفرهم اي ليس ذلك كما زعموا ان قلوبهم خلقت كذلك لانها خلقت على الفطرة لكن الله
لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم وابعدهم من رحمته فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة
وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز القلة بمعنى العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق
لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة
الله على الكافرين كتاب من عند الله هو القران مصدق لما معهم من الكتب المنزلة التورية والانجيل
وغيرهما لا يخالفها وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به وما اشبهه وقيل ان قوله فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به موضع جواب لما الاول وكرر لما لطول وقيل ان جواب الثاني اغنى عن جواب الاول وكانوا
من قبل يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم يقولون اللهم انصرنا بالنبي
المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته في التورية وكانوا يقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق
ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على
الرياسة فلعنة الله اي غضبه وعذابه على الكافرين اي عليهم وضع الظاهر موضع المضمر بئسما
اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من
عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله
قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون
انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس اي بئس شيئا

اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيًا اى حسدًا وطلبًا لما ليس
لهم وهو مفعول له ان ينزل اى على ان ينزل الله من فضله الذى هو الوحى والنبوة على من يشاء من عباده
ويقتضى حكمته ارساله فباءوا بغضب على غضب فصاروا احقاء لغضب مترادف لانهم كفروا وابتغوا الحق وبغوا
عليه وقيل بكفرهم بمحمد صلعم بعد عيسى عم وقوله بما انزل الله مطلق فى كل كتاب انزل الله هو قوله بما انزل
علينا مقيد بالتورية ويكفرون بما وراءه اى قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التورية وهو الحق
مصدقًا لما معهم منها غير مخالفة له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها
قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان
بالتورية والتورية لا ترخص فى قتل الانبياء ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل
من بعده وانتم ظالمون يعنى جاءكم موسى بالبينات بالمعجزات الدالة على صدقه ثم اتخذتم العجل
الهًا معبودًا من بعد مجيئه او من بعد موسى لما مضى الى ميقات ربه وانتم ظالمون وانتم واضعون العبادة
غير موضعها فتكون الجملة حالا او تكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم واذ اخذنا ميثاقكم
ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا فى قلوبهم
العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين كرر سبحانه ذكر الطور ورفعه فوقهم لما
فى الثانية من الزيادة غير المذكورة فى الاول مع ما فيه من التوكيد واسمعوا لما امرتم به فى التورية
قالوا سمعنا قولكم وعصينا امرك واشربوا فى قلوبهم العجل اى تغلغل فى بواطنهم وتداخلها حبه
والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله فى قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون
فى بطونهم نارا بكفرهم اى بسبب كفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم بالتورية لانه ليس فى التورية عبادة العجل
واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلوتك تامرك وكذلك اضافة الايمان اليهم وقوله
ان كنتم مؤمنين تشكيك فى ايمانهم وقدح فى صحة دعويهم له قل ان كانت لكم الدار الاخرة
عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين خالصة نصب على الحال
من الدار الاخرة والمراد الجنة اى خالصة لكم خاصة بكم ليس لاحد سواكم فيها حق كما تزعمون فى قولكم
لن يدخل الجنة الا من كان هودا والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون فتمنوا الموت لان من ايقن
انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى نعيمها كما روى ان عليا عم كان يطوف بين الصفين
بصفين فى غلالة فقال له ابنه الحسن عم ما هذا بزى المحاربين فقال يا بنى لا يبالى ابوك على الموت سقط
ام عليه سقط الموت ويروى ان حبيب بن مظاهر ضحك يوم الطف فقيل له فى ذلك فقال واى
موضع احق بالسرور من هذا الموضع والله ما هو الا ان يقبل علينا هؤلاء القوم بسيوفهم فنعانق
الحور العين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين هذا من المعجزات لانه اخبار
بالغيب وكان ما اخبر به وفى الحديث لو تمنوا الموت لغص كل انسان منهم بريقه فمات وما بقى على وجه
الارض يهودى بما قدمت ايديهم اى بما اسلفوا من موجبات النار من تحريف كتاب الله

والكفر

والكفر بمحمد وغير ذلك من انواع الكفر والتمنى قول الانسان بلسانه ليت لى كذا والله عليم بالظالمين
تهديد لهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف
سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون هو من وجدت بمعنى
علمت فى قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم واحرص الناس وتنكير حيوة لانه اراد حيوة
مخصوصة متطاولة ومن الذين اشركوا محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الناس وجاز
ذلك وان دخل الذين اشركوا تحت الناس لانهم افردوا بالذكر من جهة ان حرصهم اشد ويجوز ان يراد
واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ شديد لان حرص المشركين على
الحيوة غير مستبعد لانها جنتهم ولم يؤمنوا بعاقبة فاذا زاد واعليهم فى الحرص وهم مقرون بالجزاء
كانوا احقاء باعظم التوبيخ وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف
نيروز وقيل من الذين اشركوا كلام مبتدا اى ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصوف كقوله وما
منا الا له مقام معلوم والضمير فى وما هو لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اى وما احدهم بمزحزحه
من العذاب تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون هو
مبهما وان يعمر مبينه والزحزحة التبعيد والتنحية وقوله لو يعمر فى معنى التمنى وكان القياس لو اعمر
الا انه اجرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن فقوله لو يعمر حكاية لودادتهم
قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى و
بشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو
للكافرين روى ان عبد الله بن صوريا وهو من احبار فدك سال رسول الله صلعم عمن يهبط عليه
بالوحى فقال جبرئيل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لامنا بك فنزلت جوابا لقوله وردا عليه قل
يا محمد من عادى جبرئيل من اهل الكتاب فانه نزل القران اضمر ما لم يسبق ذكره وفيه فخامة لشانه اذ
جعله لفرط شهرته كانه يدل على نفسه على قلبك اى حفظه اياك وفهمكه باذن الله اى بتيسيره وتسهيله
والمعنى انه لا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا لما بين يديه من الكتب فيكون مصدقا لكتابهم
فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه فى انزاله ما ينفعهم الكتاب المنزل عليهم وهدى وبشرى اى
وهاديا ومبشرا للمؤمنين بالنعيم الدائم وانما اعاد ذكر جبرئيل وميكائيل بعد ذكر الملائكة
فافردهما بالذكر كانهما من جنس اخر وهو ما ذكر ان التغاير فى الوصف ينزل منزلة التغاير فى الذات
حتى كان يقرء جبريل وميكال بغير همزة فان الله عدو للكافرين اراد عدو لهم وضع الظاهر موضع
المضمر ليدل على انه سبحانه انما عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة كفر ولقد انزلنا اليك ايات
بينات وما يكفر بها الا الفاسقون او كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم
لا يؤمنون ايات اى معجزات ظاهرات واضحات وما يكفر بها الا المتمردون من الكفرة وعن الحسن
اذا استعمل الفسق فى نوع من المعاصى وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره واللام فى الفاسقون

المتمردون

للجنس والاولى ان تكون اشارة الى اهل الكتاب اَوَكُلَّما الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا فاليهود موصوفون بنقض العهد قال سبحانه الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وَالنبذ الرمي بالنبي ورفضه وقال فريق منهم لان منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون بالتورية وليسوا من الدين في شيء فلا يبالون بنقض الميثاق ولا يعدونه ذنبا وَلَمّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَاَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ كتاب الله يعني التورية لانهم بكفرهم برسول الله المصدق لها كافرون بها نابذون لها او يريد القرآن نبذوه بعد ان لزمهم ان يتلقوه بالقبول كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني انهم يعلمون ذلك ولكنهم يكابرون ويعاندون ونبذه وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا اُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ اَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا اِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ اَحَدٍ اِلَّا بِاِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ اَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ المعنى ان هذا الفريق المذكور من اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين اى واتبعوا كتب السحر التى كانت تقرأها الشياطين على عهد ملك سليمان وفي زمانه وكانوا يقولون هذا علم سليمان وبه سخر الجن والانس والريح وما كفر سليمان هذا تكذيب للشياطين ودفع لما بهتوه به من العمل بالسحر وسماه كفرا ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه في كتب يقرؤونها ويعلمونها الناس يقصدون بذلك اغواءهم وما انزل على الملكين قيل هو عطف على ما تتلوا اى واتبعوا ما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما والذى انزل عليهما علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه او تعلمه لان لا يعمل به ولكن ليتوقاه كان مؤمنا كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى وما يعلمان من احد اى وما يعلم الملكان احدا حتى ينبهاه ويقولا له انما نحن فتنة اى ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر اى فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر فيتعلمون الضمير لما دل عليه من احد اى فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اى علم السحر الذى يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه وما هم بضارين من احد الا باذن الله لانه ربما يحدث الله عنده فعلا من افعاله وربما لم يحدث ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون به الشر ولقد علموا اى علم هؤلاء اليهود ان لمن اشتراه اى استبدل ما تتلوا الشياطين على كتاب الله ما له في الآخرة من خلاق اى نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم اى باعوها لو كانوا يعلمون اى يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كانهم لم يعلموا وَلَوْ اَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ يريد ولو انهم آمنوا برسول الله واتقوا الله وتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله خير اى لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا ولكنه سبحانه جعلهم

لتركهم

لتركهم العمل بالعلم وجواب لو قوله لمثوبة من عند الله خير وانما اوثرت الجملة الاسمية على الفعلية لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها والمعنى لشيء من الثواب خير لهم وقيل ان جواب لو محذوف يدل الكلام عليه اى لاثيبوا يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ اَلِيمٌ كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى اليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله اى راقبنا وانتظرنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها وهي راعينا فلما سمعوا بقول المسلمين راعنا افترصوه وخاطبوا الرسول به وهم يعنون تلك اللفظة عندهم فنهي المؤمنون عنها وامروا بما هو في معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم به النبي صلى الله عليه وسلم باذان واعية حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا وللكافرين اى ولليهود الذين سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عذاب مولم مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ اَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون والثانية مزيدة للاستغراق والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله اهم يقسمون رحمة ربك والمعنى ان اليهود والمشركين يرون انفسهم احق بالوحي فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم ايذان بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ اَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا اَوْ مِثْلِهَا اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ نسخ الآية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها وننسأها تاخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى ان كل آية نذهب بها على ما توجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها معا او من ازالة احدهما الى بدل او لا الى بدل نات بخير منها للعباد اى باية العمل بها احوز للثواب او مثلها في ذلك الم تعلم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في ذلك وان الله له ملك السموات والارض فهو يملك تدبيركم ويجريه على حسب مصالحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ وما لكم سوى الله من ولي يقوم بامركم ولا نصير اَمْ تُرِيدُونَ اَنْ تَسْاَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْاِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ لما بين سبحانه انه مدبر امورهم اراد ان يوصيهم بالثقة به فيما هو اصلح لهم مما يتعبدهم به وان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحته آباء اليهود على موسى من الاشياء التى كانت عقباها وبالا عليهم كقولهم ارنا الله جهرة وغير ذلك ومن يتبدل الكفر بالايمان بان ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل اى ذهب عن قصد السبيل الطريق واستقامته وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ اِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ اَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَاْتِيَ اللهُ بِاَمْرِهِ اِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ معناه تمنى كثير من اهل

الكتاب كحيي ابن اخطب وكعب بن اشرف وامثالهما لو يردونكم على معنى ان يردوكم يا معشر المؤمنين اى يرجعوكم
من بعد ايمانكم كفارا حسدا منهم لكم بما اعدّ الله لكم من الثواب والفضل وانتصب حسدا بانه مفعول له وتعلق
قوله من عند انفسهم بودّ اى ودّوا ذلك وتمنّوه من قبل انفسهم وشهواتهم لا من قبل الميل مع الحق لانهم ودّوا
ذلك من بعد ما تبيّن لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق ويجوز ان يتعلق بحسدا اى حسدا من اصل
نفوسهم فيكون على طريق التوكيد فاعفوا واصفحوا اى فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل
والعداوة حتى ياتى الله بامره الذى هو قتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير واذلال من سواهم من اليهود
بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شىء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا
تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لمّا امر سبحانه المسلمين بالصفح عنهم عقّبه
بالامر بالصلوة والزكوة ليستعينوا بهما على ما شقّ عليهم من شدة عداوة اليهود لهم كما قال واستعينوا
بالصبر والصلوة وما تقدموا من خير من صلوة او صدقة او غيرهما من الطاعات تجدوا ثوابه عند الله ان الله
بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ
قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الضمير فى قالوا لاهل الكتاب والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا
وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلفّ بين القولين ثقة بان السامع يردّ الى كلّ فريق قوله
وامنا من الالتباس لما علم من الخلاف بين الفريقين ونحوه قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى والهود
جمع هايد ووُحّد اسم كان حملا على لفظ من فى قوله من كان هودا وجمع خبره حملا على معناه تلك امانيّهم
اشارة الى امنيّتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربّهم وامنيّتهم ان يردّوهم كفارا وامنيّتهم ان لا يدخل الجنة
غيرهم اى تلك الامانى الكاذبة امانيّهم قل هاتوا برهانكم اى حجتكم ان كنتم صادقين فى قولكم لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى وفى هذا دليل على انّ قولا لا دليل عليه فهو باطل وهات بمعنى احضر بلى اثبات
لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اى من اخلص نفسه لله لا يشرك به غيره وهو محسن فى عمله فله اجره
الذى يستوجبه ويجوز ان يكون من اسلم مبتدا وتكون من متضمنا معنى الشرط وجوابه فله اجره ويجوز ان يكون فاعلا
لفعل محذوف اى بلى يدخلها من اسلم ويكون فله اجره معطوفا على يدخلها من اسلم وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ
عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ
يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ على شىء مبالغة عظيمة اى ليسوا على شىء يصح ويعتدّ به كقولهم اقلّ
من لا شىء وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اى قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة
للكتب كذلك اى مثل ذلك الذى سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة
الاوثان والدهرية ونحوهم قالوا لاهل كل دين ليسوا على شىء وهذا توبيخ لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم فى سلك
من لا يعلم فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيريهم من يدخل الجنة ومن يدخل
النار عيانا وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن

يدخلوها

يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ان يذكر فى موضع النصب بانه
المفعول الثانى لمنع تقول منعته كذا ومثله وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز ان يكون منصوبا بانه مفعول
له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام فى جنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله فى غاية الظلم وروى
عن الصادق ع ان المراد بذلك قريش حين منعوا رسول الله صـ دخول مكة والمسجد الحرام وبه قال بعض العترة
وقال بعضهم انهم الروم غزوا بيت المقدس وسعوا فى خرابه الى ان اظهر الله المسلمين عليهم فى ايام عمر فصاروا
لا يدخلونها الا خائفين يتهيّبون المؤمنين ان يبطشوا بهم وعلى القول الاول فقد روى انّ رسول الله امر
ان ينادى الا لا يحجّن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفنّ بالبيت عريان فالمعنى اولئك المانعون ما كان لهم فى حكم الله
ان يدخلوا مساجد الله الا خائفين لان الله تعالى قد حكم وكتب فى اللوح انه يعزّ الدين وينصر المؤمنين لهم
فى الدنيا خزى اى قتل وسبى او ذلة بضرب الجزية عليهم وقيل بفتح مدائنهم قسطنطنية ورومية عند قيام
المهدى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم فى نار جهنم وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ ولله بلاد المشرق والمغرب والارض كلها هو مالكها فاينما تولّوا اى ففى اى مكان فعلتم التولية يعنى
تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله فولّ وجهك شطر المسجد الحرام الآية فثمّ وجه الله اى جهته التى امر بها
ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلّوا فى المسجد الحرام فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلّوا فى اى بقعة
شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية لا تختص بمسجد دون مسجد ان الله واسع الرحمة يريد التوسعة
على عباده والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وقيل انها نزلت فى صلوة التطوع على الراحلة للمسافر اينما توجهت وهو
المروى عنهم عليهم السلم وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ بَدِيعُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ثم ردّ الله سبحانه على اليهود والنصارى
قولهم اتخذ الله ولدا وهم الذين قالوا المسيح بن الله وعزير ابن الله وعلى من قال الملائكة بنات الله سبحانه
تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما فى السموات والارض وهو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح
كلّ له قانتون مطيعون منقادون لا يمتنع شىء منهم عن تقديره وتكوينه ومشيته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس
ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد والتنوين فى كلّ عوض من المضاف اليه اى كل من فى السموات والارض
وجاء بلفظة ما دون من كقوله سبحان ما سخّركنّ لنا ويقال بدع الشىء فهو بديع وبديع السموات من اضافة
الصفة المشبهة الى فاعلها اى بديع سمواته وارضه وقيل هو بمعنى المبدع وقوله كن فيكون اى احدث فيحدث
وهو من كان التامة وهذا تمثيل ولا قول هناك والمعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه يتكوّن ويدخل
تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كالمامور المطيع اذا امر لا يتوقف اكّد بهذا استبعاد الولادة لان من
كانت هذه صفته فى كمال القدرة فحاله مباينة لحال الاجسام فى توالدها وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ
أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ
اى وقال الجاهلون من المشركين وقيل من اهل الكتاب نفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله اى
هلّا يكلّمنا كما يكلّم الملائكة وكلّم موسى استكبارا منهم وعتوّا او تاتينا آية هذا جحود منهم لان يكون ما اتيهم من
كلام

آيات الله آيات كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم حيث اقترحوا الآيات على موسى ع تشابهت قلوبهم
اى قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله سبحانه اتواصوا به قد بينا الآيات لقوم يوقنون فيوقنون انها
آيات يجب الاعتراف بها والاكتفاء بوجودها عن غيرها انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل
عن اصحاب الجحيم ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى
ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير انا ارسلناك لان
تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذه تسلية له ع لئلا يضيق صدره باصرارهم على الكفر ولا نسالك عن اصحاب
الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت واجتهدت في الدعوة وانا قراءة نافع ولا تسئل نهو على النهي وقيل
ان معناه تفخيم الشان كما يقول القايل لا تسأل عن حال فلان اى قد صار الى اكثر مما تريد او انت لا تستطيع
استماع خبره وكان اليهود قالوا لن نرضى عنك وان طلبت رضانا جهدك حتى تتبع ملتنا فحكى الله تعالى كلامهم
ولذلك قال قل ان هدى الله هو الهدى جوابا لهم عن قولهم يعني ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى
الحق والذي يصح ان يسمى هدى ولئن اتبعت اقوالهم التي هي اهواء وبدع بعد الذي جاءك من العلم اى
من الدين المعلوم صحته بالدلايل والبراهين الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون
به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون يعني الذين امنوا من جملة اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته ولا
يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال ان حق تلاوته هو الوقوف عند ذكر
الجنة والنار يسأل في الاولى ويستعيذ في الاخرى اولئك يؤمنون بكتابهم دون المحرفين ومن
يكفر به من المحرفين فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدى يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل
منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون قد تقدم مثل الآيتين ولما بعد ما بين الكلامين حسن
الاعادة والتكرير ابلاغا في التنبيه والاحتجاج وتاكيدا للتذكير واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن
قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين العامل في اذ مضمر نحو
اذكر اذ ابتلى اى اختبر ابراهيم ربه بكلمات باوامر ونواه واختبار الله تعالى عبده مجاز عن تمكينه من اختيار
احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك فاتمهن
اى فقام بهن حق القيام وادّاهن حق التادية من غير تفريط وتقصير او يكون تقديره واذ ابتلى ابراهيم
ربه كان كيت وكيت ويجوز ان يكون العامل في اذ قوله قال اني جاعلك ويكون على القول الاول قد استونف
الكلام كانه قيل فماذا قال ربه حين اتم الكلمات فقيل قال اني جاعلك وعلى الثاني هي جملة معطوفة على ما
قبلها او يكون بيانا وتفسيرا لقوله ابتلى فيراد بالكلمات ما ذكره من الامامة وقيل في الكلمات هي خمس في
الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد
والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وقيل هي ثلثون خصلة من شرايع الاسلام عشر في البراءة
التائبون العابدون وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنون وسأل سائل الى قوله

والذينهم

والذينهم على صلوتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج وقيل هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه
فتاب عليه وهي اسماء محمد واهل بيته عليهم السلام عن الصادق عليه السلام والامام اسم من يؤتم به جعله سبحانه
اماما يأتمون به في دينهم ويقوم بتدبيرهم وسياسة امورهم وقوله ومن ذريتي عطف على الكاف كانه
قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا قال لا ينال عهدي الظالمين اى من كان
ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي اليه بالامامة وانما ينال من لا يفعل ظلما وهذا يدل على
وجوب العصمة للامام لان من ليس بمعصوم قد يكون ظالما اما لنفسه او لغيره واذ جعلنا البيت مثابة
للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين
والعاكفين والركع السجود البيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مرجعا يثاب اليه
كل عام وامنا وموضع امن كقوله حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم ولان الجاني يأوي اليه
فلا يتعرض له حتى يخرج واتخذوا على ارادة القول اى وقلنا لهم اتخذوا منه موضع صلوة تصلون فيه
ومقام ابراهيم الذي كان فيه الحجر حين وضع ابراهيم ع قدميه امرنا بالصلوة عنده بعد الطواف وقرئ
واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اى واتخذ الناس من مقام ابراهيم موضع صلوة ومن قرا واتخذوا
على الامر وقف على قوله وامنا ومن قرا واتخذوا على الخبر لم يقف لان قوله واتخذوا عطف على جعلنا
وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل امرناهما بان طهرا بيتي او اى طهرا بيتي فتكون ان المفسرة التي تكون
عبارة عن القول اى طهراه من الاوثان والخبايث كلها واضاف البيت الى نفسه تفضيلا له على ساير
البقاع للطائفين اى الدايرين حوله والعاكفين اى المجاورين له والمقيمين بحضرته والركع السجود
اى المصلين عنده لان الركوع والسجود من هيئات المصلي واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا
امنا وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر قال ومن كفر فامتعه قليلا
ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير اى اجعل هذا البلد وهو مكة بلدا امنا ذا امن كقوله
عيشة راضية اى ذات رضا وبلد آهل اى ذو اهل او امنا يؤمن فيه كقولهم ليل نايم اى ينام
فيه وارزق اهله يعني وارزق المؤمنين منهم خاصة لان قوله من آمن منهم بدل من اهله ومن كفر
عطف على من آمن كما ان قوله ومن ذريتي عطف على الكاف في جاعلك انما خص ابراهيم ع المؤمنين
بالدعاء حتى قال سبحانه ~~الرزق~~ ومن كفر لان الله اعلمه انه يكون في ذريته ظالمون بقوله لا ينال عهدي الظالمين عهدي ح
فعرفه سبحانه الفرق بين الرزق والامامة لان الاستخلاف استرعاء يختص بمن لا يقع منه الظلم بخلاف
الرزق فانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة والمعنى قال وارزق من كفر فامتعه ويجوز ان يكون
ومن كفر مبتدا متضمنا معنى الشرط فامتعه جوابا للشرط اى ومن كفر فانا امتعه وقرئ فامتعه ثم اضطره
اى ادفعه الى عذاب النار دفع المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر اليه واذ يرفع ابراهيم
القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك
ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم يرفع حكاية حال

ماضية والقواعد جمع القاعدة وهي الاساس لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ورفع القواعد
البناء عليها لانها اذا بني عليها ارتفعت ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة لما يبني
عليها ويوضع فوقه وروي ان ابرهيم عم كان يبني واسمعيل يناوله الحجارة ربنا اي يقولان ربنا وهذا الفعل
في محل النصب على الحال تقبل منا فيه دلالة على انهما بنيا الكعبة مسجدا لا مسكنا لانهما التمسا القبول الذي معناه
الاثابة والثواب انما يطلب على الطاعات انك انت السميع العليم لدعائنا العليم بنياتنا وانما لم يقل قواعد البيت
بل ابهمت القواعد ثم بينت بعد الابهام لما في الايضاح بعد الابهام من تفخيم شان المبين ربنا واجعلنا مسلمين
لك اي مخلصين لك او جهنا من قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين لك خاضعين منقادين ومعناه زدنا
اخلاصا او خضوعا واذعانا لك ومن ذريتنا اي واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض او
للتبيين كقوله وعد الله الذين امنوا منكم وروي عن الصادق عم انه اراد بالامة بني هاشم خاصة وارنا
مناسكنا اي وعرفنا وبصرنا متعبداتنا في الحج لنقضي عباداتنا على حد ما توقفنا عليه وقد قوي بسكون
الراء من ارنا قياسا على فخذ في فخذ وهي قراءة مستردلة الا ان يقرا باشمام الكسر وتب علينا قالها
الكلمة انقطاعا الى الله ليقتدي بهما او استتابا لذريتهما انك انت القابل للتوبة الرحيم بعبادك
رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ وابعث في الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم وهو نبينا محمد صلعم قال عم انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى
عيسى ورؤيا امي يتلوا عليهم اياتك يقرا عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه ويعلمهم الكتاب وهو القران والحكمة
وهي الشريعة وبيان الاحكام ويزكيهم ويطهرهم من الشرك والادناس انك انت العزيز القوي في
كل ما تريد الحكيم المحكم لبدايع صنعتك وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ
فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ومن يرغب عن ملة ابرهيم التي هي الحق والحقيقة وهو انكار و
استبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عنه ومن سفه في محل الرفع على البدل من الضمير المستكن في
يرغب ومعنى سفه نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة وقيل ان نفسه منصوبة على التميز
ويجوز ان يكون في نفسه فحذف في نحو غبن رايه والاول اوجه ولقد اصطفيناه بيان لخطأ راي
من رغب عن ملته اي احتبيناه بالرسالة وانه في الاخرة لمن الصالحين الفايزين ومن جمع الكرامة
عند الله تعه في الدارين لم يكن احد اولى بان يرغب في طريقته منه إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ
لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ اذ قال ظرف لاصطفيناه اي اخترناه في ذلك الوقت ومعنى قال له اسلم اخطر بباله
النظر في الدلائل المفضية به الى التوحيد والاسلام قال اسلمت اي فنظر وعرف وقيل ان
معنى اسلم اذعن واطع وقرئ واوصى بالالف والضمير في بها لقوله اسلمت لرب العالمين على تاويل
الكلمة والجملة ومثله الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية فانه يرجع الى قوله انني براء مما تعبدون الا
الذي فطرني ويعقوب عطف على ابرهيم داخل في حكمه يعني ووصى بها يعقوب بنيه ايضا اصطفى

لكم

لكم الدين معناه اعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به فلا تموتن
الا وانتم مسلمون اي فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي على الحقيقة عن كونهم مخالفين
للاسلام اذا ماتوا والنكتة في ادخال حرف النهي على الموت ان فيه اظهارا لكون الموت على خلاف الاسلام
موتا لا خير فيه أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا
نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ام هي المنقطعة
اي بل اكنتم شهداء ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ماكنتم حاضرين يعقوب والشهيد الحاضر اذ حضر
يعقوب الموت اي حين احتضر والخطاب للمؤمنين يعني ما شهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق
الوحي وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية فتكون ام على هذا متصلة
على ان يقدر قبلها محذوف كانه قيل اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب
الموت يعني ان اوايلكم كانوا شاهدين له اذ اراد بنيه على ملة الاسلام وقد علمتم ذلك فما بالكم تدعون
على الانبياء ما هم منه براء ما تعبدون اي شيء تعبدون من بعدي اي بعد موتي فحذف المضاف و
ابرهيم واسمعيل واسحق عطف بيان لابائك وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة ابائه لان العم اب والخالة
ام لانخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما الها واحدا بدل من اله ابائك ونحن له مسلمون
حال من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع الضمير اليه في له ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد او جملة اعتراضية
اي ومن حالنا انا له مسلمون تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ
تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره
متقدما كان او متاخرا وذلك انهم افتخروا بابائهم ولا تسالون عما كانوا يعملون لا تواخذون بسيئاتهم كما لا تثابون
بحسناتهم وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا تصيبوا طريق الهدى والحق قل بل ملة ابرهيم بل نكون
اهل ملة ابرهيم كقول عدي بن حاتم اني من دين اي من اهل دين وقيل بل نتبع ملة ابرهيم وحنيفا حال
من المضاف اليه كقولك رايت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين الى دين الحق وما كان من المشركين
تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ملة ابرهيم وهو على الشرك قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ
وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ
وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ قولوا خطاب للمسلمين امرهم
سبحانه باظهار ما تدينوا به على الشرع فبدا بالايمان بالله لانه اول الواجبات وثنى بالايمان بالقران
والكتب المنزلة على الانبياء المذكورين والاسباط حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر جمع السبط وهو
الحافد وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله لا نفرق بين احد لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود
والنصارى واحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا
وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً
وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ فان امنوا اي ان امن هؤلاء الكفار بمثل ما امنتم به اي مثل ايمانكم بالله وكتبه

وسلم والباء مزيدة وما مصدرية فقد اهتدوا اى سلكوا طريقة الهداية وان تولوا عما تقولون لهم ولم يصنعوا
او تولوا عن الدخول فى مثل ايمانكم فانما هم فى شقاق اى مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق فى شىء
هذا ضمان من الله لاظهار نبيه عليهم وكفايته من يشاقه من اليهود والنصارى وفيه دلالة على صحة نبوته
لانه سبحانه قد انجز وعده فوافق الخبر المخبر ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تاخر الى حين وهو السميع
العليم وعيد لهم او وعد لرسول الله اى يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون فيعاقبهم على ذلك او يسمع ما
تدعوا به ويعلم نيتك وارادتك من اظهار الدين وهو مستجيب لك صبغة الله مصدر مؤكد ينتصب عن قوله
امنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهى فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهى الحالة التى يقع عليها الصبغ
والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم فى ماء
اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم فامر المسلمون ان يقولوا امنا وصبغنا الله بالايمان صبغة
لا مثل صبغتكم وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيركم ولا صبغة احسن من صبغة الله ونحن له عابدون عطف على
امنا بالله قل اتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون امر
نبيه ان يقول لليهود وغيرهم اتحاجوننا فى الله اى اتجادلوننا فى امر الله واصطفائه النبى من العرب دونكم
وهو ربنا وربكم نشترك جميعا فى انا عبيده وهو ربنا وهو يصيب بكرامته من يشاء من عباده اذا كان اهلا
للكرامة ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعنى ان العمل هو اساس الامر وكما ان لكم اعمالا يعتبرها الله فى اعطاء
الكرامة ومنعها فان لنا اعمالا معتبرة فى ذلك ونحن له مخلصون موحدون نخلصه بالايمان والايقان دونكم
فلا تستبعدوا ان نؤهل للكرامة بالنبوة وهذا رد لقولهم نحن احق بالنبوة لانا اهل الكتاب والعرب
عبدة الاوثان ام يقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى
قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك امة
قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون من قرا ام تقولون بالتاء فان ام
يمكن ان تكون متصلة معادلة للهمزة فى اتحاجوننا بمعنى اى الامرين تاتون المحاجة فى حكم الله ام ادعاء
اليهودية والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام الانكار ويمكن ان تكون منقطعة بمعنى بل
اتقولون والهمزة للانكار ومن قرا بالياء فلا تكون ام الا منقطعة قل ءانتم اعلم ام الله يعنى ان
الله شهد لهم بملة الاسلام فى قوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا الاية ومن اظلم ممن كتم شهادة
عنده من الله اى كتم شهادة الله التى عنده انه شهد بها وهى شهادته لابرهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين
احدهما انه لا احد اظلم من اهل الكتاب لكتمانهم هذه الشهادة مع علمهم بها والاخر لا احد اظلم منا
لو كتمنا هذه الشهادة فنحن لا نكتمها ومن فى قوله من الله مثلها فى قولك هذه شهادة منى لفلان اذا
شهدت له ومثله براءة من الله سيقول السفهاء من الناس ما ولىهم عن قبلتهم التى كانوا عليها
قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم سيقول اى سوف يقول الجهال الخفاف
الاحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة ما وليهم عن قبلتهم ما صرفهم عن بيت المقدس

واخرى

واخرى الى الكعبة وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على
الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم وكذلك اى ومثل ذلك الجعل
العجيب والانعام بالهداية جعلناكم امة وسطا اى خيارا وهو وصف بالاسم الذى هو وسط الشىء ولذلك
استوى فيه الواحد والجمع والذكر والمؤنث وانما قيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الفساد والاوساط
محوطة مكنوفة او عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب منه الى بعض لتكونوا شهداء على الناس
يروى ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء ويطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى
بامة محمد فيشهدون لهم وهو صلوات الله عليه يزكيهم ويروى عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال ان الله تعالى ايانا
عنى فرسول الله شاهد علينا ونحن شهداء الله على خلقه وحجته فى ارضه وقيل لتكونوا شهداء على الناس
فى الدنيا اى حجة عليهم فتبينوا لهم الحق والدين ويكون الرسول مؤديا للشرع واحكام الدين اليكم والشاهد
مبين ويقال للشهادة بينة ولما كان الشهيد كالرقيب جىء بعلى التى هى كلمة الاستعلاء كما فى قوله كنت انت الرقيب
عليهم وانت على كل شىء شهيد التى كنت عليها ليست بصفة للقبلة وانما هى المفعول الثانى لجعل يريد وما جعلنا القبلة
الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة لانه عم كان يصلى بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة
تالفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا قبلتك الجهة التى كنت تستقبلها بمكة اولا ثم رددناك
اليها ثانيا الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام ممن هو على حرف منه ينكص على عقبيه ويرتد
وقيل يريد بالتى كنت عليها بيت المقدس اى جعلناها جهتك التى كنت تستقبلها لنمتحن الناس وننظر من
يتبعك منهم ومن لا يتبعك وعن ابن عباس قال كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه
وبينه وقوله لنعلم معناه لنعلم علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلم موجودا حاصلا وان كانت هى ان المخففة التى
تلزمها اللام الفارقة لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على الذين صدقوا فى اتباع الرسول الذين
لطف الله بهم وكانوا اهلا للطفه وما كان الله ليضيع ايمانكم اى ثباتكم على الايمان بل شكر صنيعكم واعد
لكم الثواب الجزيل وقيل معناه من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلوته غير ضايعة ان الله بالناس
لرءوف رحيم لا يضيع اجورهم ولا يترك مصالحهم قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة
ترضيها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب
ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما تعملون قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله
الشاعر: قد اترك القرن مصفرا انامله : تقلب وجهك تردد وجهك فى جهة السماء وكان رسول الله صلى الله
عليه وآله ينتظر الوحى من السماء فى تحويله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم ومفخرة العرب ومطافهم فيكون
ادعى لهم للايمان ولمخالفة اليهود فلنولينك قبلة ترضيها فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من
قولهم وليته كذا اى جعلته واليا عليه او فلنجعلنك تلى سمتها دون سمت بيت المقدس فول وجهك
شطر المسجد الحرام اى نحوه قيل ذلك كان فى رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله

في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلوة وحول الرجال مكان النساء
والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر نصب على الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد
اي في جهته وسمته وحيث ما كنتم اينما كنتم من الارض فولوا وجوهكم شطره هو خطاب لجميع اهل الآفاق وان
الذين اوتوا الكتاب يعني علماء اليهود والنصارى ليعلمون ان التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة
انبيائهم برسول الله صلعم انه يصلي الى القبلتين ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك
وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم
انك اذا لمن الظالمين اللام في لئن اتيت هي الموطئة للقسم وما تبعوا قبلتك جواب القسم المحذوف وقد سد
مسد جواب الشرط يعني ان اتيتهم بكل اية بكل برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك
لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها الحجة انما هو عن عناد ومكابرة لعلمهم بما في كتبهم من نعتك وكونك على
الحق وما انت بتابع قبلتهم حسم لاطماعهم اذ قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره
وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن
القبلة لا يرجى اتفاقهم وذلك ان اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس وقوله ولئن
اتبعت اهواءهم بعد بيان حاله المعلومة عنه في قوله وما انت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض
والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم مثلا من بعد وضوح الامر انك اذا لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك
زيادة تحذير وتهجين لحال من يترك الدليل بعد تبينه الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين يعرفونه
الضمير لرسول الله اي يعرفون رسول الله معرفة جلية كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء
غيرهم وجاز الاضمار وان لم يجر له ذكر لان الكلام يدل عليه ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه لشهرته
معلوم بغير اعلام وقيل الضمير للعلم او للقرآن او لتحويل القبلة وان فريقا منهم خص الفريق منهم استثناء
لمن آمن منهم كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار الحق من ربك مبتدأ وخبر وفيه وجهان ان يكون اللام
للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله وان يكون للجنس على معنى الحق من ربك لا من غيره ويجوز
ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف فيكون من ربك في محل النصب على الحال او يكون خبرا بعد خبر فلا تكونن
من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في انه من ربك ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات
اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير ولكل اي ولكل اهل ملة وجهة اي قبلة هو موليها
وجهه فحذف احد المفعولين وقيل هو لله تعالى اي الله موليها اياه وقرئ هو مولاها اي هو مولى تلك الجهة
قد وليها والمعنى لكل امة قبلة يتوجه اليها منكم ومن غيركم فاستبقوا انتم الخيرات واستبقوا اليها غيركم
في امر القبلة وغيرها ويجوز ان يكون المعنى ولكل منكم يا امة محمد جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او
شرقية او غربية فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما
تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة كانكم تصلون حاضري

المسجد

المسجد الحرام وقيل اينما كنتم من البلاد فيدرككم الموت يأت بكم الله الى المحشر يوم القيمة اي يحشركم جميعا وروي
عنهم عليهم السلام ان المراد به اصحاب المهدي في آخر الزمان ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد
الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد
الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا
تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون ومن حيث خرجت اي ومن اي بلد خرجت
فاستقبل بوجهك نحو المسجد الحرام اذا صليت وانه اي وان هذا المأمور به للحق الثابت الذي لا يزول
بنسخ من ربك وما الله بغافل عما تعملون تهديد وهذا التكرير لتأكيد امر القبلة لان النسخ من مظان
الشبهة ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها الا الذين ظلموا استثناء من الناس
ومعناه لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا المعاندين منهم القائلين ان محمدا ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا
ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء واما الحجة التي كانت تكون للمنصفين
منهم لو لم يحول القبلة فهي انهم كانوا يقولون ماله لا يحول الى قبلة ابيه ابراهيم كما هو مذكور في نعته في التورية
وانما اطلق اسم الحجة عليه لانهم كانوا يسوقونه سياق الحجة ويجوز ان يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم
حجة في ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابراهيم واسمعيل ابي العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة
حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم
واخشوني ولا تخالفوا امري ولاتم نعمتي متعلق اللام محذوف اي ولاتمامي النعمة عليكم وارادتي
اهتداءكم امرتكم بذلك او هو معطوف على علة مقدرة كانه قيل واخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم
وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو
عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم
واشكروا لي ولا تكفرون الكاف اما ان يتعلق بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب
كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول واما ان يتعلق بما بعده اي كما ذكرتكم بارسال الرسول
فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون ولا تجحدوا نعماي
ويعني بالرسول محمدا صلعم منكم اي من نسبكم من حيث انه عليهم بكونه من العرب لما حصل لهم بذلك
من الشرف يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا
لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون خاطب سبحانه المؤمنين وامرهم بان
يستعينوا بالصبر والصلوة هو حبس النفس على المكروه وحبسها عن المحبوب وبالصلوة لما فيها من الذكر
والخشوع ان الله مع الصابرين بالمعونة والنصرة اي لا تقولوا هم اموات بل هم احياء عند الله ولكن
لا تشعرون كيف حالهم في حيوتهم قال الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم
فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع
قالوا ويجوز ان يجمع الله من اجزاء الشهيد جملة فيحييها فيوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة وقيل

نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس
والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم
هل تصبرون وتسلمون لحكم الله ام لا بشيء اي بقليل من كل هذه البلايا اي بطرف منه وبشر الصابرين اي
المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم واذعان قال امير المؤمنين عليه السلام ان قولنا انا لله اقرار على
انفسنا بالملك وقولنا انا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلك وانما قلل في قوله بشيء ليؤذن ان كل بلاء اصاب
الانسان وان جل ففوقه ما يقل هذا بالاضافة اليه وقوله ونقص عطف على شيء او على الخوف بمعنى وشيء
من نقص الاموال وبشر خطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله او لكل من يتأتى منه البشارة والصلوة من الله تعالى العطف
والرأفة جمع بينها وبين الرحمة كقوله رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة بعد رحمة
واولئك هم المهتدون لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله
فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم الصفا
والمروة علمان للجبلين والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة اي هما من اعلام مناسكه ومتعبداته والحج القصد
والاعتمار الزيارة وهما في الشرع قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت
في الاعيان ويطوف اصله يتطوف فادغم وعن ابي جعفر الباقر عليه السلام ان يطوف بهما وانما قال فلا جناح عليه
والسعي بينهما واجب لانه كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامرأة
زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا وكان اهل الجاهلية اذا سعوا
مسحوهما فلما جاء الاسلام كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية فرفع عنهم الجناح ومن تطوع خيرا
اي من تبرع بالسعي بين الصفا والمروة بعد ما ادى الواجب فان الله شاكر مجاز على ذلك عليم بقدر الجزاء
فلا يبخس احد حقه ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في
الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب
عليهم وانا التواب الرحيم يعني احبار اليهود اي يكتمون ما انزلناه في التورية من الآيات الشاهدة
على صحة نبوة محمد المصطفى صلى الله عليه وآله والهادية الى نعته وصفاته وصفته والامر باتباعه والايمان به من بعد ما بيناه
ولخصناه للناس في الكتاب اي في التورية لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فكتموا
ذلك المبين الملخص اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون من الملائكة والمؤمنين الا الذين تابوا اي
ندموا على ما فعلوا واصلحوا نياتهم فيما يستقبل من الاوقات وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما قد بينه الله
في كتابهم او بينوا للناس ما احدثوه من توبتهم وليعرفوا بضد ما عرفوا به ويقتدي غيرهم بهم فاولئك
اتوب عليهم اي اقبل توبتهم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي ان الذين ماتوا من هؤلاء
الكاتمين ولم يتوبوا اولئك عليهم لعنة الله ذكر سبحانه لعنتهم احياء ثم ذكر لعنتهم امواتا ومعنى قوله والناس

اجمعين

اجمعين والمراد به من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل ان يوم القيمة يلعن بعضهم بعضا خالدين فيها في اللعنة
وقيل في النار الا انها اضمرت لتفخيم شانها وتهويل امرها ولا هم ينظرون لا يمهلون من الانظار او لا ينظرون
او لا ينظر الله اليهم نظر رحمة واللعن من الله الابعاد من الرحمة وايجاب العقاب ومن الناس هو الدعاء
عليهم بذلك والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا
به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض
لايات لقوم يعقلون اله واحد فرد في الالهية لا شريك له فيها فلا يصح ان يسمى غيره الها ولا اله الا هو
تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته وهو بدل من موضع لا اله وهو الرفع لان لا مع ما بعده مبتدأ وهكذا في
قولك لا اله الا الله بدل من موضع لا اله والخبر محذوف والتقدير الله في الوجود والرحمن الرحيم المولي لجميع
النعم اصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه وروي ان المشركين
كان لهم حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا هذه الآية قالوا ان كنت صادقا فأت بآية نعرف بها
صدقك فنزل ان في خلق السموات والارض وانشائهما على سبيل الاختراع والابداع واختلاف الليل
والنهار اي اعتقابهما كل واحد منهما يعقب الآخر ويخلفه او اختلافهما في الجنس والهيئة والصفة والفلك
اي السفن التي تجري في البحر بما ينفع الناس اي بالذي ينفعهم فيكون ما مصدرية وما انزل الله من السماء
اي من نحو السماء او من السحاب من ماء فاحيى به الارض بالانبات وانماء النبات او احيى اهل الارض
باخراج الاقوات وبث فيها من كل دابة عطف على انزل اي وما انزل في الارض من ماء وبث فيها
من كل دابة ويجوز ان يكون عطفا على فاحيى اي فاحيى بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة لانهم ينمون
ويعيشون بالحيا والخصب وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا وشمالا وجنوبا وفي احوالها باردة
وحارة ولينة وعاصفة والسحاب المسخر للرياح تقلبه في سكاك الجو بين السماء والارض بمشية الله يمطر حيث
شاء لايات لقوم يعقلون اي ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون بها لانها دلائل على عظيم القدرة وعجيب
الحكمة ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله
ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب ومن الناس
من للتبعيض اي وبعض الناس يتخذ من دون الله اندادا امثالا من الاصنام التي يعبدونها وقيل من
الرؤساء بدلالة قوله اذ تبرأ الذين اتبعوا قال الباقر عليه السلام هم ائمة الظلمة واشياعهم يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم
ويحبون عبادتهم والانقياد لهم كحب الله اي كما يحب الله على انه مصدر من الفعل المبني للمفعول واستغنى عن
ذكر من يحبه لانه معلوم وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم والذين امنوا اشد حبا لله لانهم لا
يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون من صنم الى غيره ولو يرى الذين ظلموا باتخاذ الانداد
اي ولو يعلم هؤلاء الذين اشركوا ان القدرة كلها لله على كل شيء قدير دون انداده ويعلمون شدة عقابه
للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيمة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة فحذف الجواب

فيكون ما موصولة او ينفعهم

وقرئ ولو ترى على خطاب الرسول او لكل مخاطب اى ولو ترى ذلك لرايت امرا عظيما وخطبا جسيما وقرئ
اذ يرون على البناء للمفعول واذ في المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا
وراوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرا منهم كما تبرءوا
منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار اذ تبرا بدل من اذ يرون العذاب
اى اذ تبرا المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع وراوا العذاب الواو للحال اى تبرءوا في حال رؤيتهم
العذاب وتقطعت عطف على تبرا الاسباب الوصلات التى كانت بينهم يتواصلون عليها والارحام
التى كانوا يتعاطفون بها والمعنى زال عنهم كل سبب يمكن ان يتوصل به من مودة او عهد او قرابة فلا ينتفعون
بشئ من ذلك وقال الاتباع لو ان لنا كرة اى عودة الى دار الدنيا فنتبرا من الرؤساء فيها كما تبرءوا منا في
الاخرة ولو في معنى التمنى ولذلك اجيب بالفاء الذى يجاب به التمنى كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرا
منهم كذلك اى مثل ذلك الاراءة الفظيعة يريهم الله اعمالهم حسرات اى ندامات والمعنى ان اعمالهم
تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين من النار اى مخلدون فيها و
هم ولا لدلالة على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا
ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا
تعلمون هذا خطاب لجميع بنى آدم حلالا مفعول كلوا او حال مما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا
تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا في حرام او شبهة ومن للتبعيض لان كل ما في الارض غير ماكول والخطوة
ما بين قدمى الخاطى والخطوة المرة من الخطو كالغرفة والغرفة واتبع خطواته ووطئ على عقبه في معنى اقتدى به
واستن بسنته عدو مبين اى ظاهر العداوة انما يامركم بالسوء بيان لوجوب الكف عن اتباعه وظهور عداوته
اى لا يامركم بخير قط وانما يامركم بالسوء بالقبيح والفحشاء ما يتجاوز الحد في القبح وقيل السوء ما لا حد فيه
والفحشاء ما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهو ان تقولوا هذا حلال وهذا حرام بغير
علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله سبحانه مما لا يجوز عليه وجميع الاعتقادات الباطلة والمذاهب
الفاسدة واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم
لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الضمير في لهم للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات لبيان
ضلالتهم فانه لا ضال اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون والقائل
لهم هو النبى صلى الله عليه وآله او المسلمون والمقول لهم المشركون او قوم من اليهود والفينا وجدنا اولو كان اباؤهم
الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه ايتبعون اباءهم ولو كانوا لا يعقلون شيئا من الدين
ولا يهتدون للصواب ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم
عمى فهم لا يعقلون لا بد هاهنا من حذف مضاف والتقدير ومثل داعى الذين كفروا كمثل الذى
ينعق او مثل الذين كفروا كبهائم الذى ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء
الا جرس النغمة والصوت من غير تفهم واستبصار كمثل الناعق بالبهائم التى لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه

ولا تفقه

ولا تفقه شيئا آخر ولا تعى كما يفهم العقلاء ويعون ونعق الراعى بالغنم اذا صوت بها فاما نعق الغراب فبالغين
صم اى هم صم رفع على الذم يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم
اياه تعبدون اى كلوا من مستلذات ما رزقناكم لان كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا واشكروا
لله الذى رزقكم اياها ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه المنعم على الحقيقة وفي الحديث يقول الله
تبارك وتعالى انى والجن والانس لفى نبا عظيم اخلق ويعبد غيرى وارزق ويشكر غيرى انما حرم عليكم
الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله اى رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية
باسم اللات والعزى فمن اضطر الى اكل هذه الاشياء ضرورة مجاعة او اكراه غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار
عليه ولا عاد سد الجوعة وعنهم عليهم السلام غير باغ على امام المسلمين ولا عاد بالمعصية طريقة المحقين فلا اثم عليه
اى فلا حرج عليه ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما
ياكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان
الذين اختلفوا في الكتاب لفى شقاق بعيد اعيد ذكر اليهود الذين تقدم ذكرهم في بطونهم اى ملء
بطونهم يقال اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يؤدى الى النار فكانه اكل
النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التى هى بدل منه ولا يكلمهم تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة
في اكرام الله اياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفى الكلام عبارة عن غضبه عليهم فما اصبرهم على النار
تعجب من حالهم في جراتهم على النار والتباسهم بموجبات النار وقيل معناه اى شئ صبرهم يقال اصبره
وصبره بمعنى ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب اى نزل ما نزل من الكتب بالحق وان الذين
اختلفوا في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم اهل الكتاب لفى شقاق بعيد اى خلاف
بعيد عن الحق والكتاب للجنس او يكون المعنى كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القرآن بالحق وان الذين
اختلفوا فيه فقالوا سحر او شعر او اساطير الاولين لفى شقاق بعيد عن الاجتماع على الصواب ليس البر
ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب
والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي
الرقاب واقام الصلوة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء و
الضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون الخطاب لاهل الكتاب لان
اليهود كانت تصلى قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك انهم اكثروا الخوض في
امر القبلة حين حول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر التوجه
الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما انتم عليه لانه منسوخ وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر
القبلة فقيل ليس كل البر امر القبلة ولكن البر الذى يجب صرف الهمة اليه بر من آمن بالله وقام بجميع
الاعمال والبر اسم لكل فعل مرضى وقرئ البر بالنصب على انه خبر مقدم ولكن البر من آمن بالله على

فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم الميتة ما يموت من الحيوان وخص لحم الخنزير لانه المعظم والمقصود والا فجملته محرمة وما اهل به لغير الله

على النار

المقرّ به الليالي (?)

تاويل حذف المضاف اى برّ من آمن او يكون البرّ بمعنى ذى البرّ او كما قال فانما هى اقبال وادبار وقال
المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البرّ بفتح الباء والكتاب جنس الكتب او القرآن على حبّه مع حب القران م
المال والشح به كما قال ابن مسعود ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت
الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الايتاء اى يعطيه وهو طيب النفس
باعطائه والمسكين الدايم السكون الى الناس لانه لا شئ له كالمسكير للدايم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع به جعل
ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين
الطالبين للصدقة وقيل المستطعمين وفى الحديث للسائل حق ولو جاء على فرس وفى الرقاب وفى معاونة المكاتبين
حتى يفكوا رقابهم وقيل فى ابتياع الرقاب واعتاقها وعن الشعبى قال ان فى المال حقا سوى الزكوة وتلا هذه
الآية لانه ذكر ايتاء المال فى هذه الوجوه ثم قيل وآتى الزكوة والموفون عطف على من آمن واخرج الصابرين منصوبا
على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر فى الشدايد ومواطن القتال على ساير الاعمال والباساء الفقر
والشدة والضراء المرض والزمانة وحين الباس اى وقت القتال وجهاد الكفار اولئك الذين صدقوا
اى كانوا صادقين جادين فى الدين واولئك الذين اتقوا النار بفعل هذه الخصال يا ايها الذين آمنوا
كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفى له من اخيه شئ فاتباع
بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم
ولكم فى القصاص حيوة يا اولى الالباب لعلكم تتقون كتب عليكم اى فرض واوجب القصاص المساواة
فى القتلى وهو ان يفعل بالقاتل مثل ما فعله بالمقتول الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى ص
قال لا يقتل حر بعبد ولكن يضرب ضربا شديدا ويغرم دية العبد ولا يقتل الرجل بالمرأة الا اذا ادّى
الى اهله نصف ديته فمن عفى له من اخيه شئ معناه فمن عفى له من جهة اخيه شئ من العفو كما يقال سير بزيد
بعض السير ولا يصح ان يكون شئ فى معنى المفعول به لان عفا لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة واخوه هو
ولى المقتول وذكر بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من اخوة الاسلام وبقال
عفوت له ذنبه وعفوت لفلان عما جنى فيعدى الى المذنب باللام ويعدى الى الجانى والى الذنب
بعن فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه وانما قيل شئ من العفو للاشعار بانه اذا عفى له طرف من العفو
وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم يجب الا الدية
فاتباع بالمعروف اى فليكن اتباع او فالامر اتباع وهذه توصية للعافى والمعفو عنه جميعا اى فليتبع الولى
القاتل بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة وليؤد اليه القاتل بدل الدم اداء باحسان
بان لا يمطل ولا يبخس ذلك الحكم المذكور من القصاص او العفو او الدية تخفيف من ربكم ورحمة لان اهل
التورية كتب عليهم القصاص او العفو وحرم عليهم اخذ الدية وعلى اهل الانجيل العفو او الدية وحرم
القصاص فمن اعتدى بعد ذلك بان قتل بعد قبول الدية او العفو او تجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل
فله عذاب اليم اى نوع من العذاب شديد الالم فى الآخرة ولكم فى القصاص حيوة فيه فصاحة عجيبة وذلك

ان القصاص

ان القصاص قتل وتفويت للحيوة وقد جعل ظرفا ومكانا للحيوة وفى تعريف القصاص وتنكير الحيوة معنى ان
لكم فى هذا الجنس من الحكم الذى هو القصاص حيوة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة و
يقتلون بالمقتول غير قاتله فيقع الفتنة فكانت فى القصاص حيوة اى حيوة او نوع من الحيوة وهى الحيوة
الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل فسلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود
فكان القصاص سبب حيوة نفسين لعلكم تتقون القتل خوفا من القصاص او لعلكم تعملون عمل اهل التقوى
كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين
الوصية فاعل كتب وذكر للفاصل ولانه بمعنى ان يوصى ولذلك ذكر الراجع فى قوله فمن بدله بعد ما
سمعه اذا حضر احدكم الموت اذا دنا منه وظهرت اماراته ان ترك خيرا اى مالا للوالدين والاقربين
اى لوالديه واقربائه بالمعروف اى بالشئ الذى يعرف العقلاء انه لا جور فيه ولا جنف حقا مصدر
مؤكد اى حق ذلك حقا على المتقين على من آثر التقوى قالوا ان هذه الآية منسوخة بقوله لا وصية
لوارث ولم يجوز اصحابنا نسخ القرآن بخبر الواحد وقالوا ان الوصية لذى القرابة من اوكد السنن ورووا
عن الباقر ع انه سئل هل يجوز الوصية للوارث فقال نعم وتلا هذه الآية فمن بدله بعد ما سمعه فانما
اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه
ان الله غفور رحيم فمن بدله اى فمن غيّر الايصاء عن وجهه من الاوصياء او الشهود بعد ما سمعه وتحققه
فانما اثمه على الذين يبدلونه اى فما اثم الايصاء المغير او اثم التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصى
والموصى له لانهما بريّان من الحيف ان الله سميع عليم وعيد للمبدل فمن خاف اى فمن توقع وعلم وقد شاع
فى كلامهم اخاف ان يقع كذا يريدون التوقع والظن الغالب الجارى مجرى العلم من موص جنفا اى ميلا
عن الحق بالخطاء فى الوصية او اثما او تعمدا للجنف فاصلح بينهم اى بين الورثة والموصى لهم فلا اثم عليه لان
تبديله تبديل باطل الى حق يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم
تتقون اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه
فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون كتب عليكم اى فرض
عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم من الانبياء واممهم من لدن عهد آدم الى عهدكم وروى عن
امير المؤمنين ع انه قال اولهم آدم يعنى ان الصوم عبادة قديمة ما اخلى الله امة من ايجابها عليهم لم يوجبها
عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها او لعلكم تتقون المعاصى لان الصيام اردع لنفسه
من مواقعة السوء اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلايل كقوله دراهم معدودة واصله
ان المال القليل يقدر بالعدد والكثير يحثى حثيا والمعنى يقتضى ان يكون اياما منصوبا بالصيام
كما يقال نويت الخروج يوم الجمعة الا ان الصفة تاباه للفصل بينه وبين ايام بقوله كما كتب فينبغى ان
يكون انتصابه بفعل مضمر كقولهم صوموا اياما للدلالة قوله كتب عليكم الصيام عليه او على سفر او راكب
سفر فعدة اى فعليه عدة من ايام اخر وفيه دلالة على ان المسافر والمريض مكتوب عليهما الافطار وان

قال صاحب الكشاف ... كتب عليكم الصيام ... [illegible] ... حشرة ووجه الارتياب [illegible]

وان يصوموا اياما أخر وفى الحديث الصائم فى السفر كالمفطر فى الحضر وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام
الذين لاعذر لهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع وعن الباقر طعام مساكين وكان ذلك فى
بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوا فاشتد عليهم فرخص لهم فى الافطار والفدية فمن تطوع خيرا
فزاد على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع اخير له وقرئ ومن يطوع وان تصوموا ايها المطيقون خير لكم
من الفدية وتطوع الخير ثم نسخ ذلك بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وروى اصحابنا عن ابى عبد الله ع
ان معناه وعلى الذين كانوا يطيقون الصوم ثم اصابهم كبر او عطاش او شبه ذلك فدية لكل يوم مد من طعام
وعلى هذا فلا نسخ شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان
فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد
بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون الرمضان مصدر رمض اذا احترق
من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون وهو مبتدأ خبره الذى
انزل فيه القرآن او بدل من الصيام فى قوله كتب عليكم الصيام او خبر مبتدأ محذوف اى هذه الايام المعدودات
شهر رمضان ومعنى انزل فيه القرآن ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك فى ليلة القدر وقيل انزل جملة الى السماء
الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما وقيل انزل فى شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام هدى للناس وبينات
نصب على الحال اى انزل وهو هاد للناس الى الحق وهو آيات واضحات مما يهدى الى الحق ويفرق بين الحق
والباطل ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى الله به وفرق به بين الحق والباطل من الكتب
السماوية فمن شهد منكم الشهر فليصمه اى من كان حاضرا مقيما غير مسافر فى الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر
منصوب على الظرف وكذلك الهاء فى فليصمه ولا يكون مفعولا به لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر
ومن كان مريضا او على سفر حد المرض الذى يوجب الافطار ما يخاف بالصوم الزيادة المفرطة فيه
وحد السفر الذى يوجب الافطار ثمانية فراسخ يريد الله بكم اليسر اى يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر وقد
نفى عنكم الحرج فى الدين وامركم بالحنيفية السمحة التى لا اصر فيها ومن جملة ذلك ما امركم بالافطار فى السفر
والمرض ولتكملوا العدة الفعل المعلل محذوف يدل عليه ما سبق والتقدير ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على
ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع لكم ويجوز ان يكون ولتكملوا العدة معطوفا على علة مقدرة كانه قيل يريد الله
ليسهل عليكم ولتكملوا العدة والمراد بالتكبير عندنا التكبير عقيب اربع صلوات المغرب والعشاء ليلة الفطر
والغداة وصلوة العيد واذا سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا
لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون فانى قريب تمثيل لحاله فى سرعة اجابته لمن دعاه بحال من قرب مكانه
ونحوه قوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد فليستجيبوا لى اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما انى اجيبهم
اذا دعونى لحوائجهم وليؤمنوا بى روى عن الصادق ع ان معناه وليتحققوا انى قادر على اعطائهم ما
سالوه لعلهم يرشدون اى لعلهم يصيبون الحق ويهتدون اليه احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم
هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن

منكم صم

باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد تلك حدود الله
فلا تقربوها كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون الرفث اصله القول الفاحش فكنى به
عن الجماع وعدى بالى لتضمنه معنى الافضاء هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف كالبيان
لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن المخالطة والمعانقة قل صبركم عنهن فلذلك رخص
لكم فى مباشرتهن والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب اى علم الله انكم كنتم تنقصون انفسكم حظها
من الخير فتاب عليكم فرخص لكم وازال التشديد عنكم قال الصادق ع كان الاكل محرما فى شهر رمضان
بالليل بعد النوم وكان النكاح حراما بالليل والنهار وكان رجل من اصحاب رسول الله صلى يقال له مطعم بن جبير نام
قبل ان يفطر وحضر حفر الخندق فاغمى عليه وكان قوم من الشبان ينكحون بالليل سرا فى شهر رمضان فنزلت الاية
فاحل النكاح بالليل والاكل بعد النوم فذلك قوله وعفا عنكم وابتغوا ما كتب الله لكم من الولد بالمباشرة اى لا
تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله النكاح له من التناسل وقيل وابتغوا ما كتب الله
لكم من الاباحة بعد الحظر وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض وهو اول ما يبدو من الفجر المعترض فى الافق
كالخيط الممدود من الخيط الاسود وهو ما يمتد معه من ظلمة الليل شبها بخيطين وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض
واكتفى به عن بيان الخيط الاسود ولا تباشروهن وانتم عاكفون اى معتكفون فى المساجد والاعتكاف الحبس
نفسه فى المسجد للعبادة تلك الاحكام التى ذكرت حدود الله اى حرمات الله ومناهيه فلا تقربوها
فلا تاتوها وفى الحديث ان لكل ملك حمى وان حمى الله تعالى محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه
والرتع حول الحمى والقرب منه واحد كذلك اى مثل ذلك البيان يبين الله حججه ودلائله للناس على ما امرهم
به ونهيهم عنه لعلهم يتقون معاصيه ومناهيه ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام
لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون اى لا ياكل بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه الذى
لا يحل ولم يشرعه الله ولا تدلوا بها اى ولا تلقوا امرها والحكومة فيها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا
طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضى له ظالم وقيل
وقيل وتدلوا وتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع
العلم بقبحها اقبح يسالونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها
ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون يسالونك عن احوال الاهلة
فى زيادتها ونقصانها ووجه الحكمة فى ذلك قل هى مواقيت اى معالم يوقت بها الناس مزارعهم و
متاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها
وقته وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها كانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيوتهم من ابوابها ونقبوا
فى ظهر بيوتهم نقبا منه يدخلون ويخرجون فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر بر من
اتقى ما حرم الله واتوا البيوت من ابوابها وقيل معناه باشروا الامور من وجوهها التى يجب ان

يباشر عليها اى الامور كان وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ
قيل انها اول آية نزلت في القتال بالمدينة والمقاتلة في سبيل الله هو الجهاد لاعزاز دين الله واعلاء
كلمته الذين يقاتلونكم يناجزونكم القتال دون المحاجزين فعلى هذا فيكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين
كافة ويجوز ان يريد الذين يناصبونكم القتال دون الصبيان والنساء او يريد الكفرة كلهم لانهم جميعا
يقصدون مقاتلة اهل الاسلام فهم في حكم المقاتلة فلا يكون حكم الآية منسوخا ولا تعتدوا بقتال من
نهيتم عن قتاله او بالمثلة او بالمفاجاة من غير دعوة وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ
مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ
فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ حيث
ثقفتموهم وجدتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم اى اخرجوهم من مكة كما اخرجوكم منها وقد فعل ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لمن لم يسلم منهم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام
اى المحنة والبلاء الذى ينزل بالانسان يتعذب به اشد عليه من القتل جعل الاخراج من الوطن من
المحن التى يتمنى عندها الموت وقيل الفتنة عذاب الآخرة كما قال ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك اعظم من
القتل في الحرم وذلك انهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون المسلمين به وقرئ ولا تقتلوهم
حتى يقتلوكم فيه فان قتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم قال فان قتلونا نقتلكم فان
انتهوا عن الشرك والقتال كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ
وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ حتى لا تكون فتنة اى شرك ويكون
الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين اى
فلا تعتدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين اى تعتدوا
موضع على المنتهين الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا
عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ قاتلهم المشركون عام
الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لقضاء العمرة وكراهتهم القتال وذلك
في ذى القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام اى هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه تهتكون حرمته عليهم
كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص اى كل حرمة يجرى فيها القصاص فمن هتك حرمة
اقتص منه بان يهتك له حرمته فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم مثل ذلك ولا تبالوا ثم اكد
ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم الى آخره واتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا
تعتدوا الى ما لا يحل لكم وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وانفقوا من اموالكم في الجهاد وابواب البر ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة اى الهلاك
والباء مزيدة كما يقال للنقاد اعطى بيده بزيادة الباء والمعنى التهلكة ايديكم اى لا تجعلوها ولا تقبضوا ح
آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل معناه ولا تلقوا انفسكم الى التهلكة بايديكم بان تتركوا الانفاق

في سبيل

في سبيل الله فيغلب عليكم العدو كما يقال فلان اهلك نفسه بيده وقيل هو نهى عن الاسراف في النفقة
واحسنوا امر بالاقتصاد ان الله يحب المحسنين اى المقتصدين وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ
فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى
مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ
مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ
لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ واتموا
الحج والعمرة اى ايتوا بالحج والعمرة تامتين كاملين بشرائطهما واركانهما ومناسكهما لله اى لوجه الله
خالصا واقيموهما الى آخر ما فيهما وظاهر الامر يقتضى الوجوب فدل الامر باتمامهما على ان العمرة
واجبة مثل الحج فان احصرتم اى منعكم خوف او عدو او مرض عن المضى اليه وانتم محرمون بحج او عمرة
فامتنعتم لذلك فما استيسر من الهدى اى ما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر وصعب واستصعب
ضده والهدى جمع هدية اى فعليكم اذا اردتم التحلل من الاحرام ما تيسر من الهدى من بعير او بقرة
او شاة او فاهدوا ما تيسر ولا تحلقوا رءوسكم الخطاب للمحصرين اى لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدى الذى
بعثتموه قد بلغ محله اى مكانه الذى يجب نحره فيه او ذبحه ومحله منى يوم النحر ان كان بالحج ومكة الحرام ح
ان كان الاحرام بالعمرة وهذا اذا كان محصرا بالمرض واما اذا كان محصرا بالعدو فهو الصدود
محله الذى يصد فيه لان النبى صلى الله عليه وسلم نحر هديه بالحديبية فمن كان منكم مريضا او به اذى من رأسه
يحتاج فيه الى الحلق للمداوات او تأذى بهوام رأسه فحلق لذلك العذر ففدية اى فعليه فدية
اى بدل وجزاء يقوم مقامه من صيام او صدقة او نسك وروى عن ائمتنا عليهم السلام ان الصيام
ثلثة ايام والصدقة على ستة مساكين وروى عشرة والنسك شاة وهو مخير فيها ورووا ذلك ايضا روى ذ
عن النبى صلى الله عليه وسلم والنسك مصدر وقيل هو جمع نسيكة اى ذبيحة فاذا امنتم الاحصار يعنى اذا لم تحصروا
وكنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج وتمتعه بالعمرة الى وقت الحج هو انه اذا احل من عمرته انتفع
باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدى هو هدى المتعة وهو واجب بالاجماع
على خلاف في انه نسك او جبران فعندنا وعند ابى حنيفة انه نسك يأكل منه وعند الشافعى هو
جبران جار مجرى الجنايات ولا يأكل منه فمن لم يجد الهدى فعليه صيام ثلثة ايام في الحج اى في وقته
والافضل ان يصوم يوما قبل التروية والتروية وعرفة وسبعة اذا رجعتم الى اهاليكم تلك عشرة
كاملة تأكيد فيه زيادة توصية بصيامها واتمامها ذلك اشارة الى التمتع لمن لم يكن اهله حاضرى
المسجد الحرام وحاضروا المسجد الحرام من كان بينهم وبينه اثنا عشر ميلا فما دونها من كل جانب
واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالف امره وتعدى
حدوده الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ
وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ

اى وقت الحج اشهر كقولك البرد شهران والاشهر المعلومات شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة وفائدة
كونها اشهر الحج ان الاحرام بالحج او بالعمرة التى يتمتع بها الى الحج لا يصح الا فيها فمن فرض فيهن الحج اى احرم
فيهن بالحج فلا رفث اى فلا جماع ولا فسوق اى ولا كذب وقيل لا خروج عن حدود الشريعة ولا جدال فى
الحج وهو قول لا والله وبلى والله عندنا وقالوا انه المراء والسباب وما تفعلوا من خير يعلمه الله هذا
حث على افعال الخير والبر وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد
التقوى واتقون وخافوا عقابى يا اولى الالباب فان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء
فكانه لا لب له ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند
المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين كانوا يتحرجون عن التجارة فى الحج و
يسمون من يخرج بالتجارة الداج فرفع عنهم الجناح فى ذلك ان تبتغوا فى ان تبتغوا فضلا من ربكم اى عطاء
منه وتفضلا وهو النفع والربح فى التجارة فاذا افضتم من عرفات اى دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء
وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم وعرفات علم للموقف سمى بجمع كاذرعات وهى من الاسماء المرتجلة
فاذكروا الله عند المشعر الحرام فيه دلالة على ان الوقوف بالمشعر الحرام فريضة لان ظاهر الامر على الوجوب
فاذا اوجب الله الذكر فيه فقد اوجب الكون فيه والمعنى فاذا افضتم من عرفات فكونوا بالمشعر الحرام واذكروا الله
عنده واذكروه كما هداكم ما مصدرية او كافة اى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم
كيف تذكرونه وان كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين اى الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه و
تعبدونه وان هى المخففة من الثقيلة وروى عن جابر ان النبى صلعم لما صلى الفجر بالمزدلفة ركب ناقته
حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر والمشعر المعلم لانه معلم للعبادة ووصف
بالحرام لحرمته وسميت المزدلفة جمعا لان آدم اجتمع فيها مع حواء وازدلف منها اى دنا منها وقيل لانه
يجمع فيها بين الصلوتين ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم
فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا اتنا فى
الدنيا وما له فى الاخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا اتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا
عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب ثم لتكن افاضتكم من حيث
افاض الناس ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس عن ان يساووهم
فى الموقف وقولهم نحن اهل الله وسكان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وساير الناس بعرفات وقيل
ثم افيضوا من حيث افاض الناس وهم الحمس اى من المزدلفة الى منا بعد الافاضة من عرفات واستغفروا الله
واطلبوا المغفرة منه فاذا قضيتم مناسككم فاذا اديتم مناسككم والمنسك اما موضع النسك او مصدر
جمع لانه يشتمل على افعال اى فاذا فرغتم من افعال الحج فاذكروا الله كذكركم اباءكم فاكثروا ذكر الله وبالغوا
فيه كما تفعلونه فى ذكر آبائكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين
الجبل فيعدون فضائل اباءهم ويذكرون ايامهم او اشد ذكرا فى موضع جر عطفا على ما اضيف اليه

الذكر

الذكر فى قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش اباءهم او قوم اشد منهم ذكرا او فى موضع نصب عطفا على اباءكم
بمعنى او اشد ذكرا من ابائكم على ان ذكرا من فعل المذكور فمن الناس من يقول فان الناس من بين مقل
لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين اتنا فى الدنيا اجعل ايتاءنا
اى اعطاءنا فى الدنيا خاصة وما له فى الاخرة من خلاق يعنى من طلب خلاق اى من نصيب لان همته
مقصور على الدنيا اولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو
الثواب الذى هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا ولهم نصيب مما دعوا به يعطيهم منه بحسب مصالحهم
فى الدنيا واستحقاقهم فى الاخرة وسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب ويجوز
ان يكون اولئك للفريقين جميعا والله سريع الحساب يحاسب الخلق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم
لا يشغله حساب احد عن حساب غيره وروى انه يحاسب الخلق فى قدر حلب شاة وروى فى مقدار فواق
ناقة وروى فى مقدار لمحة واذكروا الله فى ايام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه
ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون الايام المعدودات
ايام التشريق والمعلومات عشر ذى الحجة وذكر الله فيها التكبير فى اعقاب الصلوات فمن تعجل اى
من تعجل فى النفر واستعجل النفر من منا فى يومين بعد يوم النحر اذا فرغ من رمى الجمار فلا اثم عليه فى
التعجيل ومن تاخر حتى رمى فى اليوم الثالث فلا اثم عليه لمن اتقى الصيد وقيل لمن اتقى الكبائر
واتقوا الله باجتناب معاصيه واعلموا انكم اليه تحشرون فيجازيكم على اعمالكم ومن الناس من
يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى فى الارض
ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ثم ذكر سبحانه حال المنافقين بعد
ذكره احوال المؤمنين فقال ومن الناس من يعجبك قوله اى يروقك ويعظم فى قلبك فى الحيوة الدنيا
الجار والمجرور يتعلق بالقول اى يعجبك ما يقوله فى معنى الدنيا لانه يطلب به حظا من حظوظ الدنيا
ويشهد الله على ما فى قلبه من محبتك وهو الد الخصام وهو شديد الجدال فى المخاصمة واضافة
الالد الى الخصام بمعنى فى كقولهم ثبت الغدر واذا تولى اى ملك الامر وصار واليا فعل الظلم
وسوء وسيرته ما يفعله ولاة السوء من الفساد فى الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل
يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقيل معناه واذا تولى عنك
واعرض بعد الالانة المنطق والله لا يحب العمل بالفساد واذا قيل له اتق الله اخذته العزة
بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد اخذته العزة بالاثم من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه
والزمته اياه اى حملته العزة التى فيه على الاثم المنهى عنه والزمته ارتكابه ومن الناس من
يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد يشرى نفسه اى يبيعها لابتغاء مرضات الله
اى يبذل نفسه حتى تقتل وقيل نزلت فى امير المؤمنين عم حين بات على فراش النبى صم وهرب
النبى الى الغار وقيل نزلت فى كل مجاهد فى سبيل الله والله رؤف بالعباد حيث كلفهم

للجهاد وعرضهم لثواب الشهداء يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان
انه لكم عدو مبين فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم السلم بكسر السين
وفتحها قال ابو عبيدة السلم بالكسر والاسلام واحد والسلم الاستسلام والمعنى ادخلوا في الاسلام
والطاعة وروى اصحابنا انه الدخول في الولاية كافة اي جميعا لا يخرج احد منكم يده عن طاعته وهو من
الكف كانهم كفوا ان يخرج منهم احد باجتماعهم فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم الحجج على ان
ما دعيتم اليه حق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم الا بحق هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر والى الله ترجع الامور اتيان الله اتيان
امره وباسه كقوله او ياتي امر ربك فجاءهم باسنا ويجوز ان يكون الماتي به محذوفا بمعنى ان ياتيهم الله
بباسه لدلالة عليه بقوله فاعلموا ان الله عزيز في ظلل من الغمام جمع ظلة وهي ما اظلك والملائكة بالرفع
وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر وتم امر اهلاكهم وفرغ منه وقرئ يرجع ويرجع بالتانيث
والتذكير فيهما سل بني اسرائيل كم اتيناهم من اية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله
شديد العقاب سل امر للرسول او لكل احد كم اتيناهم من اية بينة اي دلالة معجزة على ايدي انبيائهم
او اية في التورية شاهدة على صحة نبوة محمد فمنهم من امن ومنهم من جحد ومنهم من اقر ومنهم من بدل ومن
يبدل نعمة الله ايات الله التي هي اجل نعمة من الله لكونها اسباب الهدى والنجاة من النار وتبديلهم
اياها ان الله سبحانه اظهرها لتكون اسباب نجاتهم فجعلوها اسباب ضلالتهم او حرفوا ايات التورية
الدالة على نعت محمد صلعم وكم يحتمل معنى الاستفهام والخبر معا من بعد ما جاءته معناه من بعد ما تمكن من
معرفتها او من بعد ما عرفها فان الله شديد العقاب له زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من
الذين امنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب الذي زين
لهم الدنيا هو الشيطان لانه حسنها في اعينهم بوساوسه فلا يريدون غيرها ويجوز ان يجعل ما خلق الله
فيها من الاشياء المشتهاة وما ركب فيهم من الشهوة لها تزيينا لان التكليف لا يتم الا مع الشهوة
ويسخرون من الذين امنوا لزهدهم فيها اي من المؤمنين الذين لا حظ لهم منها والذين اتقوا فوقهم
يوم القيمة لانهم في عليين وهم في سجين او حالهم عالية لحالهم لانهم في كرامة وهم في هوان والله يرزق
من يشاء بغير حساب بغير تقدير فيوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه او يعطي اهل الجنة ما
لا ياتي عليه الحساب كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل
معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه
من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق
باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم كان الناس امة واحدة متفقين على الفطرة
فاختلفوا فبعث الله النبيين فحذف فاختلفوا لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه
عليه وفي قراءة عبد الله كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث الله وقيل ان معناه كان الناس

امة واحدة

امة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول اوجه وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس او
انزل مع كل واحد منهم كتابه ليحكم الله او الكتاب او النبي المنزل عليه بين الناس فيما اختلفوا فيه في الحق و
الدين الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف فيه الا الذين اوتوا الكتاب المنزل لازالة الخلاف
يعني انهم جعلوا نزول الكتاب الذي انزل لازالة الاختلاف سببا في شدة الاختلاف بغيا بينهم حسدا
وظلما بينهم لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق من للتبيين اي فهداهم للحق
الذي اختلف فيه من اختلف ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم
مستهم الباساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله
قريب ام منقطعة معناها بل احسبتم والهمزة فيها للتقرير واستبعاد الحسبان لما ذكر ما كانت عليه
الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله صلعم والمؤمنين على الصبر مع الذين
اختلفوا عليه من المشركين واليهود وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
ولما ياتكم لما للتوقع وهي في النفي نظيرة قد في الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك متوقع منتظر مثل الذين
خلوا من قبلكم اي حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم بيان للمثل وهو استيناف كان قايلا قال كيف كان
ذلك المثل فقيل مستهم الباساء والضراء من القتل والخروج عن الاهل والمال وزلزلوا وازعجوا ازعاجا
شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من الاهوال حتى يقول الرسول الى الغاية التي قال الرسول ومن معه
فيها متى نصر الله طلبوا النصر وتمنوه واستطالوا زمان الشدة وفيه دليل على تناهي الامر في الشدة
لان الرسل اذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا وضجروا كان ذلك الغاية في الشدة الا ان نصر الله قريب على ارادة
القول اي فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقول الرسول بالنصب على اضمار
ان ومعنى الاستقبال لان ان علم له وبالرفع على معنى الحال الا انها حال ماضية محكية يسالونك ماذا
ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا
من خير فان الله به عليم ماذا ينفقون اي شيء ينفقون والسؤال عن الانفاق يتضمن السؤال عن مصرف
النفقة لان النفقة لا يعتد بها الا اذا وقعت موقعها فلذلك جاء الجواب ببيان مصارف النفقة
وما انفقتم من خير اي مال فللوالدين والاقربين كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان
تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون وهو كره
لكم من الكراهة بدليل قوله وعسى ان تكرهوا شيئا ثم انه يجوز ان يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر
موضع الوصف كقول الخنساء فانما هي اقبال وادبار كانه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم اياه ويجوز
ان يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم وقد يكون الشيء مكروها في طبع
الانسان وان كان يريده لان الله تعالى امره بذلك وعسى ان تكرهوا شيئا في الحال وهو خير لكم في العاقبة
كما تكرهون القتال لما فيه من المخاطرة بالروح وهو خير لكم لان فيه احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة
واما الشهادة والجنة والله يعلم ما يصلحكم وما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك يسالونك عن

الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله
منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان
استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون بعث رسول الله صم عبد الله بن جحش على سرية في جمادى
الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عير القريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي فقتلوه واستاقوا
العير وفيها من تجارة الطايف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الاخرة فقالت
قريش قد استحل محمد الشهر الحرام فنزلت الآية اى يسألك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام و
قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر الحرام قل قتال فيه كبير اى اثم كبير وجاز الابتداء بالنكرة لانه تخصص
بقوله فيه وصد عن سبيل الله مبتدا واكبر خبره والمعنى وكبائر قريش من صدكم عن سبيل الله وعن
المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراج اهل المسجد الحرام منه وهم رسول الله والمؤمنون اكبر منه عند الله مما
فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطاء والبناء على الظن والفتنة الاخراج او الشرك
والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يزالون يقاتلونكم اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وحتى
معناه التعليل اى يقاتلونكم كى يردوكم عن دينكم وان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم ومن يرجع عن دينه
الى دينهم فيمت على الردة فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا لما يفوتهم فيها من ثمرات الاسلام وفي
الاخرة لما يفوتهم من الثواب ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك
يرجون رحمة الله والله غفور رحيم نزلت في عبد الله بن جحش واصحابه وقتلهم الحضرمي في رجب
ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر فنزلت اولئك يرجون رحمة الله وهى النصرة والغنيمة
في الدنيا والمثوبة في العقبى وعن قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه
من رجا طلب ومن خاف هرب يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس
واثمهما اكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات
لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم
فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم اثم كبير من
قرا بالباء فلانهم استعملوا في الذنب اذا كان موبقا الكبير كقوله كبائر الاثم وكبائر ما تنهون عنه
وقالوا في غير الموبق صغير وصغيرة ولم يقولوا قليل ومقابلا الكثير القليل ومن قرا بالثاء فللآية
في المائدة انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء الآية وللخبر لعن رسول الله عم في الخمر
عشرة والخمر كل شراب مسكر مغط للعقل والتميز وكانها سميت بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره
للمبالغة والميسر مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما واشتقاقه من اليسر كانه اخذ مال
بيسر من غير كد او من اليسار لانه سلب يساره وعن النبي صم اياكم وهاتين الكعبتين المشومتين
فانهما من ميسر العجم وعن امير المؤمنين ان النرد والشطرنج من الميسر واثمهما اى وعقاب الاثم

في طعاطيهما

٩٥

في طعاطيهما اكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما
الى مصادقة الفتيان ومعاشرتهم والنيل من اعطيتهم يسألونك ماذا ينفقون والسائل
عمرو بن الجموح قل العفو العفو نقيض الجهد وهو ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ
الوسع قال خذى العفو منى تستديمى مودتى وقرئ بالرفع والنصب في الدنيا والاخرة يتعلق
بتتفكرون اى لعلكم تتفكرون في الدارين وما يتعلق بهما فتاخذون بما هو اصلح لكم كما بينت لكم
ان العفو اصلح من الجهد في النفقة او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع
او يتعلق بيبين على معنى يبين لكم الآيات في امور الدارين لعلكم تتفكرون ولما نزل ان الذين
ياكلون اموال اليتامى الآية اعتزلوا اليتامى وتركوا مخالطتهم والاهتمام بامورهم فشق ذلك
عليهم فقيل اصلاح لهم خير اى مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان
تخالطوهم وتعاشروهم فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه والله يعلم المفسد من
المصلح اى لا يخفى على الله من داخلهم باصلاح وافساد فيجازيه على حسب مداخلته ولو شاء الله لاعنتكم
لحملكم على العنت وهو المشقة وضيق عليكم في امر اليتامى ومخالطتهم ان الله عزيز غالب قادر
على ما يشاء حكيم يفعل ما توجبه الحكمة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من
مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم
اولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس
لعلهم يتذكرون اى لا تتزوجوا النساء الكافرات حتى يؤمن ولامة مؤمنة اى مملوكة مؤمنة
خير من حرة مشركة ولو اعجبتكم اى ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم بجمالها او مالها وحسبها فان
المؤمنة خير منها ولا تنكحوا المشركين النساء المسلمات حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من حر مشرك
ولو اعجبكم جماله او ماله او حاله اولئك اشارة الى المشركين والمشركات يدعون الى النار اى
يدعون الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا والله يدعو الى الجنة اى الى فعل ما يوجب
الجنة والمغفرة من الايمان والطاعة باذنه اى بامره وتوفيقه للعمل الذى يوصل الى الجنة ويبين
آياته اوامره ونواهيه للناس لعلهم يتذكرون اى يتعظون ويسألونك عن المحيض قل
هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من
حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين المحيض مصدر حاضت محيضا نحو
جاء مجيئا وبات مبيتا قل هو اذى اى الحيض شئ يستقذر ويؤذى من يقربه نفرة منه فاعتزلوا
النساء فاجتنبوا مجامعة النساء في وقت الحيض ولا تقربوهن بالجماع حتى يطهرن اى ينقطع الدم
عنهن ومن قرا يطهرن فانما هو يتطهرن اى يغتسلن فاذا تطهرن اى اغتسلن وقيل توضأن
او غسلن الفرج بعد انقطاع دم الحيض فأتوهن من حيث امركم الله اى من الجهة التى يحل ان
يؤتين منها ولا تقربوهن من حيث لا تحل بان يكن محرمات او معتكفات او صائمات ولو اراد

اى شئ ينفقون

قال صاحب المرشد ... في الدنيا والآخرة ... تتفكرون ... [illegible]

في الفرج لقال في حيث ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين بالماء نساؤكم حرث
لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين
نساؤكم ذوات حرث لكم منهن تحرثون الولد واللذة فأتوا حرثكم اى نساءكم انى شئتم من اين شئتم
وكيف شئتم كما تأتون اراضيكم التى تحرثونها من اى جهة شئتم وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال
الصالحة وقيل هو التسمية عند الوطي وقيل هو طلب الولد واتقوا الله ولا تجترئوا على المناهي واعلموا
انكم ملاقوه اى ملاقوا جزائه فتزودوا ما لا تفتضحون به ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا
وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم العرضة فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة وهي
اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول
فلان عرضة دون الخير والعرضة ايضا المعرض للامر قال فلا تجعلوني عرضة للوائم ومعنى الآية
على الاولى ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة الرحم او غيرها ثم يقول اخاف الله
ان احنث في يميني فيترك البر ارادة ان يبر في يمينه فقيل لهم لا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اى حاجزا
لما حلفتم عليه وسمى المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما جاء في الخبر اذا حلفت على يمين اى على شيء مما
يحلف عليه وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لايمانكم اى للامور المحلوف عليها التى هى
البر والتقوى والاصلاح بين الناس وتعلقت اللام في قوله لايمانكم بالفعل اى ولا تجعلوا الله
لايمانكم برزخا وحاجزا ويجوز ان يتعلق بعرضة لان فيها معنى الاعتراض اى لا تجعلوه شيئا
يعترض البر من اعترضنى كذا ويجوز ان تكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة
اى ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا ومعنى الآية على الاخرى ولا تجعلوا الله معرضا
لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به وان تبروا علة للنهي اى ارادة ان تبروا وتتقوا لان الحلاف مجترئ
على الله فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في اصلاح ذات بينهم لا يؤاخذكم الله
باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم اللغو الساقط الذى
لا يعتد به من كلام وغيره واللغو من اليمين الساقط الذى لا يعتد به في الايمان وهو ما يجرى
على عادة اللسان من قول لا والله وبلى والله من غير عقد على يمين يقتطع بها مال او يظلم بها
احد والمعنى لا يؤاخذكم بلغو اليمين الذى لا قصد معه ولا يلزمكم به الكفارة ولكن يؤاخذكم
بما كسبت قلوبكم من الايمان وهو ما عزمتموه كقوله سبحانه بما عقدتم الايمان لان كسب القلب
هو العقد والنية اى بما نوت قلوبكم وقصدته من الايمان والله غفور حليم حيث لم
يؤاخذكم بلغو الايمان للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاءوا فان الله
غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم للذين يؤلون من نسائهم عدى الى الذى
هو بمعنى حلف بمن لان هذا الحلف تضمن معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم مولين
او حالفين ويجوز ان يكون المراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لى منك كذا والايلاء

من المراة ان يقول الرجل والله لا اقربك ثم اقام على يمينه والحكم في ذلك ان المراة اذا استعدت
عليه الى الحاكم انظره الحاكم بعد الرفع اليه اربعة اشهر ويقول له بعد مضى الاشهر الاربعة اذا لم
يراجع زوجته فئ او طلق فان فاءوا اى رجعوا بان يكفروا عن اليمين ويجامعوا عند القدرة عليه
او يراجعوا بالقول عند العجز عن الجماع فان الله غفور رحيم لا يتبعه بعقوبة وان عزموا الطلاق
ويتلفظوا به فان الله سميع عليم قوله ويعلم ضميره والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولا
يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر وبعولتهن احق
بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن
درجة والله عزيز حكيم والمطلقات يعنى المدخول بهن من ذوات الحيض غير الحوامل
لان في الآية بيان عدتهن واللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه وجاء في احدهما
يصلح له كاللفظ المشترك يتربصن بانفسهن خبر في معنى الامر والمراد وليتربص المطلقات و
اخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالامتثال فكانهن
امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه في الدعاء قولهم رحمك الله ومعنى يتربصن
ينتظرن بانفسهن انقضاء ثلثة قروء فلا يتزوجن والمراد بالقروء الاطهار عندنا وعند
الشافعي وذهب ابو حنيفة الى انها ثلث حيض وهى جمع قرء او قرء وانتصب ثلثة قروء على انه مفعول به
اى يتربصن مضى ثلثة قروء او على انه ظرف اى مدة ثلثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله
في ارحامهن من الولد او من دم الحيض وذلك اذا ارادت المراة فراق زوجها فكتمت حملها
لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك طلاقها او كتمت حيضها وقالت وهي
حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيم لفعلهن وان من آمن
بالله لا يجترى على مثله من العظائم وبعولتهن احق بردهن في ذلك اى ازواجهن اولى بمراجعتهن
وهى ردهن الى الحالة الاولى في ذلك الاجل الذى قدر لهن في مدة العدة ان ارادوا بالرجعة
اصلاحا لما بينهم وبينهن ولم يريدوا اضرارهن ولهن مثل الذى عليهن ويجب لهن من
الحق على الرجال مثل الذى يجب لهم ولا يكلفونهن ما ليس لهم وللرجال عليهن درجة اى زيادة
في الحق وفضيلة بقيامهم عليهن الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا
يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما
حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله
فاولئك هم الظالمون الطلاق بمعنى التطليق كالسلام والكلام بمعنى التسليم والتكليم اى التطليق
الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية
ولكن التكرير كقوله ثم ارجع البصر كرتين اى كرة بعد كرة فامساك بمعروف او
تسريح باحسان هذا تخيير لهم بعد ان علمهم كيف يطلقون بين ان يمسكوا النساء مع حسن العشرة

والقيام بحقوقهن وبين ان يسرحوهن سراحا جميلا وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة بعد الثلث فامساك برجعة او تسريح بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة وقيل بان يطلقها الثالثة وروى ان سايلا سال رسول الله صلعم اين الثالثة فقال عم او تسريح باحسان ولا يحل لكم خطاب للازواج ان تاخذوا مما اتيتموهن من المهر شيئا الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المراة وسوء خلقها فلا جناح عليهما فلا جناح على الرجل فيما اخذ وعلى المراة فيما افتدت به اى فدت به نفسها واختلعت به من بذل ما اوتيت من المهر او الزيادة على المهر ان كان النشوز والبغض منها وحدها وان كان منهما فدون المهر وقرى ان يخافا على البناء للمفعول وابدال ان يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه واسروا النجوى الذين ظلموا فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون فان طلقها الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان وتسريح باحسان او فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد اى من بعد ذلك التطليق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المراة كما يسند الى الرجل كالتزوج فان طلقها الزوج الثانى فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالمزاوجة ان ظنا ان كان في ظنهما انهما يقيمان حدود الله الزوجية ولم يقل ان علما لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله ومن فسر الظن هنا بالعلم فقد وهم لفظا ومعنى لانك لا تقول علمت ان يقوم زيد ولكن علمت انه يقوم لان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما يظن ظنا واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم فبلغن اجلهن اى اخر عدتهن وقاربن انقضاءها والاجل يقع على المدة كلها وعلى اخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذى ينتهى به اجل فامسكوهن اى راجعوهن قبل انقضاء العدة بمعروف بما يجب لها من القيام بمواجبها من غير طلب ضرار بالمراجعة او سرحوهن او اتركوهن حتى تنقضى عدتهن فيكن املك بانفسهن ولا تمسكوهن ضرارا لا لرغبة فيهن بل لطلب الاضرار بهن بتطويل العدة عليهن لتعتدوا اى لتظلموهن ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها لعذاب الله ولا تتخذوا آيات الله هزوا اى لا تستخفوا باوامره ونواهيه واذكروا نعمة الله عليكم فيما اباحه لكم من الازواج والاموال وما انزل عليكم من القران والعلوم التى يبينها لكم يعظكم به اى بما انزل عليكم لتتعظوا وذكر النعمة مقابلتها بالشكر واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف

ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون فبلغن اجلهن اى انقضت عدتهن فلا تعضلوهن لا تمنعوهن ظلما عن التزوج وهذا اما ان يكون خطابا للازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما لا يتركوهن يتزوجن من شئن من الازواج واما ان يكون خطابا للاولياء في عضلهن ان يرجعن الى ازواجهن والعضل الحبس والتضييق اذا تراضوا اذا تراضى الخطاب والنساء بالمعروف بما يحسن في الدين والمروة من الشرائط ذلك الذى سبق من الامر والنهى يوعظ به ذلكم ازكى لكم اى خير لكم وافضل واطهر من ادناس الاثام والله يعلم ما في ذلك من الزكاء والطهر او يعلم ما تستصلحون به من الاحكام والشرايع وانتم لا تعلمون والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير يرضعن مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد اى ولترضع الامهات اولادهن حولين كاملين تامين اربعة وعشرين شهرا وانما اكد لرفع الابهام لانه يتسامح فيه يقول الرجل اقمت عند فلان حولين ولم يستكملهما وقوله لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان لمن توجه اليه الحكم اى هذا الحكم لمن اراد اتمام الرضاع اى ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد ان لا يكون في الفطام ضرر وقيل ان اللام يتعلق بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده اى يرضعن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الاباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهى مندوبة الى الارضاع ولا تجبر على ذلك والامر للوالدات بالارضاع امر على الندب وقيل اراد بالوالدات المطلقات وايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع وعلى المولود له رزقهن اى وعلى الذى ولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية ان يرزقهن ويكسوهن اذا ارضعن ولده بالمعروف تفسيره ما يليه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضار وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار ويحتمل ان يكون الاصل لا تضارر ولا تضارر بكسر الراء وفتحها ولا تضار بالفتح على النهى والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها بان تطلب منه ما ليس بعدل من النفقة والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط في شان الولد ولا يضار مولود له امراته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه او ياخذه منها وهى تطلب ارضاعه وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهى عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف ومعترض بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى وعلى وارث المولود له بعد موته مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة بالمعروف فان ارادا فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما في ذلك زادا

على الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد وان اردتم خطاب للاباء ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين للاستغناء عنه اذا سلمتم الى الام اجرة المثل بمقدار ما ارضعت
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير هو على تقدير حذف المضاف تقديره وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه والذين يتوفون منكم اى يقبضون ويموتون ويتركون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم اى منوان منه ومعنى يتربصن بانفسهن يعتددن هذه المدة وهى اربعة اشهر وعشرة ايام وقيل عشرا ذهابا الى الليالى والايام داخلة معها ولا يستعمل التذكير فيه على ارادة الايام يقال صمت عشرا فاذا بلغن اجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الاولياء او الائمة فيما فعلن في انفسهن من التعريض للخطاب بالمعروف بالوجه الذى لا ينكره الشرع وهذه الآية ناسخة للآية المتأخرة عنها الواردة في عدة المتوفى عنها زوجها وان كانت مقدمة عليها في التلاوة ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم ولا جناح عليكم ايها الرجال فيما عرضتم به من خطبة النساء المعتدات والتعريض هو ان يقول لها انك لجميلة او صالحة وانى احب امراة صفتها كذا ونحو ذلك من الكلام الذى يوهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول انى اريد ان انكحك او اتزوجك او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين علم الله انكم ستذكرونهن لا محالة برغبتكم فيهن خوفا منكم ان يسبقكم غيركم اليهن فاباح لكم ذلك فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر كناية عن الوطى لانه مما يسر ثم عبر به عن النكاح الذى هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا اى لا تواعدوهن الا بالتعريض او لا تواعدوهن الا مواعدة معروفة غير منكرة ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه وهو مبالغة في النهى عن عقد النكاح في العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهى عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله يعنى ما كتب وفرض من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن ويجوز ان يكون ما هاهنا شرطية بمعنى ان لم تمسوهن ويجوز ان يكون بمعنى المدة اى مدة لم تمسوهن فيها فتكون نصبا على الظرف وقرئ تماسوهن والمعنى فيها

واحد

ويذكر بعض صفاتها

واحد او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا لهن فريضة وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير المدخول بها ان سمى لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها مهر فليس لها الا المتعة ومتعوهن اى اعطوهن من مالكم ما يتمتعن به على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اى على الغنى الذى هو في سعة لغناه على قدر حاله وعلى الفقير الذى هو في ضيق على قدر حاله ومعنى قدره مقداره الذى يطيقه والقدر والقدر لغتان متاعا تاكيد لمتعوهن اى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذى يحسن في الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا اى واجبا عليهم او حق ذلك على المحسنين على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عم من قتل قتيلا فله سلبه وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذى بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير هذا يدل على ان الجناح في الآية المتقدمة المراد به تبعة المهر لان قوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفى هناك وتقديره فالواجب نصف ما فرضتم الا ان يعفون يعنى المطلقات اى يتركن ما يجب لهن من نصف المهر فلا يطلبن الازواج بذلك او يعفو الذى بيده عقدة النكاح وهو الولى الذى يلى عقد نكاحهن وان هذه هى الناصبة للفعل ونون يعفون ضمير النسوة في محل النصب ولا تنسوا الفضل بينكم اى التفضل معناه ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ولا تستقصوا حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين داوموا على الصلوات في مواقيتها باداء اركانها والصلوة الوسطى بين الصلوات او الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وروى عنه عم انها صلوة الظهر وقيل هى صلوة العصر وروى ذلك ايضا مرفوعا وقيل صلوة الفجر يدل عليه قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا وقوموا لله قانتين اى داعين في قيامكم ص قال القنوت الدعاء في الصلوة في حال القيام فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون اى فان كان بكم خوف من عدو او غيره فصلوا راجلين والرجال جمع راجل كالقيام جمع قائم او ركبانا على ظهور دوابكم يعنى بذلك صلوة الخوف فاذا امنتم من الخوف فاذكروا الله كما علمكم من صلوة الامن او فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم كيف تصلون في حال الخوف والامن والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم من قرا وصية بالرفع فالتقدير وحكم الذين يتوفون او وصية الذين يتوفون وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية فحذف المضاف ومن قرا وصية بالنصب فالتقدير والذين يتوفون يوصون وصية كقولك انما انت سير البريد باضمار تسير ومتاعا نصب بالوصية او بيوصون اذا اضمرته وغير اخراج مصدر مؤكد او بدل من متاعا او حال من الازواج اى غير

يحسنون

معزجات والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يموتوا بان تمتع ازواجهم
بعدهم حولا كاملا اى ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت
المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا فيما فعلن فى انفسهن من التزين والتعرض للازواج من معروف ليس
بمنكر شرعا وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون
قيل المراد بالمتاع النفقة المذكورة فى قوله متاعا الى الحول وقيل المراد بالمتاع المتعة فتكون مخصوصة
بالاية المتقدمة فان المتعة للمطلقة التى لم يدخل بها ولم يفرض لها مهر فاما المدخول بها فلها مهر
مثلها ان لم يتم لها مهر وما سمى لها ان فرض لها مهر وان لم يدخل بها فنصف المهر الم تر الى الذين
خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو
فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب
وتعجيب من شأنهم ويجوز ان يخاطب به من لم يرو لم يسمع لان هذا الجرى مجرى المثل فى معنى التعجب
وهؤلاء قوم وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه
لا مفر من حكم الله وقيل هم قوم من بنى اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذرا من الموت
فاماتهم الله ثم احياهم وهم الوف فيه دليل على الالوف الكثيرة فقال لهم الله موتوا معناه فاماتهم الله
وانما جى به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة انسان واحد بمشية الله ان الله لذو فضل
على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به وساق سبحانه هذه القصة بعثا على الجهاد بدلالة قوله
وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم اى سميع يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون عليم
بما يضمرونه من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض و
يبسط واليه ترجعون اقراض الله مثل لتقديم العمل الذى يطلب به ثوابه وهو تلطف للدعاء الى
فعله وتاكيد للجزاء عليه والقرض الحسن اما المجاهدة نفسها واما النفقة فى سبيل الله اضعافا كثيرة
لا يعلم كنهها الا الله وقيل هو ان الواحد بسبع مائة والله يقبض ويبسط يوسع على عباده ويقتر
ولا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدل لكم الضيقة بالسعة الم تر الى الملا من بنى اسرائيل من
بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم
القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا
فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين الملا الجماعة الاشراف
من الناس لان هيبتهم تملاء الصدور من بعد موسى من بعد وفاته اذ قالوا لنبى لهم هو يوشع
او شمعون او اشمويل وهو الاعرف ابعث لنا ملكا انهض للقتال معنا اميرا ننتهى الى امره
نقاتل فى سبيل الله ونصدر فى تدبير الحرب عن رايه قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا
اى لعلكم ان فرض عليكم القتال مع ذلك الملك ان لا تقاتلوا وتجبنوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال
فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام التقرير وان يثبت

ان المتوقع

ان المتوقع كاين قالوا وما لنا ان لا نقاتل فى سبيل الله اى واى داع لنا الى ترك القتال واى غرض لنا فيه
وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر و
فلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربع مائة واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم كان عددهم
ثلث مائة وثلث عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم فى ترك الجهاد والقعود
عن القتال وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى له الملك علينا ونحن احق
بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفيه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم
والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم طالوت اسم اعجمى كجالوت وداود وفيه سببان التعريف
والعجمة انى يكون كيف يكون ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك
لوجود من هو احق بالملك منه وانه فقير ولا بد للملك من مال يتعوى به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت
فى سبط لاوى بن يعقوب والملك فى سبط يهودا ولم يكن طالوت من احد السبطين قال ان الله اصطفيه
اى اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ثم ذكر سبحانه خصلتين هما اعلى رتبة فى الفضل من النسب والمال
وهو العلم المبسوط والجسامة فقال وزاده بسطة فى العلم اى سعة وامتدادا فى العلم والجسم وكان اعلم بنى
اسرائيل فى وقته واتمهم جسما واشجعهم والله يؤتى ملكه من يشاء اى الملك له فهو يعطيه من يشاء والله
واسع الفضل والعطاء عليم بمن يصطفيه للرياسة والملك وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم
التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك ال موسى وال هرون تحمله الملائكة ان فى ذلك لاية
لكم ان كنتم مؤمنين التابوت صندوق التورية وكان موسى عم اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس
بنى اسرائيل ولا يفرون والسكينة السكون والطمانينة وقيل هو صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت
لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه فيرف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر
ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن على عم كانت فيه ريح هفافة من الجنة لها وجه كوجه الانسان وبقية مما
ترك ال موسى هى عصا موسى ورضاض الالواح وشى من التورية وكان قد رفعه الله بعد موسى فنزلت
به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه وكان ذلك اية لاصطفاء الله طالوت وال موسى وال هرون الانبيا
من بنى يعقوب بعدهما لان عمران هو ابن فاهث بن لاوى بن يعقوب وكان اولاد يعقوب الهما ويجوز
ان يراد مما ترك موسى وهرون والال مقحم فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن
شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم
فلما جاوزه هو والذين امنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون
انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين فصل
عن موضع كذا اذا انفصل عنه وجاوزه واصله فصل نفسه ثم كثر حذف المفعول حتى صار فى حكم
اللازم ومعناه انفصل عن البلد بالجنود وكانوا ثلثين الف مقاتل وقيل سبعين الفا قال
طالوت ان الله مبتليكم اى مختبركم بنهر فمن شرب من النهر بان كرع فى مائه فليس منى اى من جملتى واشياعى

يكون و

واشياعى ومن لم يطعمه اى لم يذقه فانه منى يقال طعم الشئ اذا ذاقه الا من اغترف غرفة استثناء من قوله
فمن شرب منه ليس منى ومعناه الرخصة فى اغتراف الغرفة باليد دون الكروع يدل عليه قوله فشربوا
منه اى فكرعوا فيه الا قليلا منهم وقرئ غرفة بفتح الغين وضمها فالفتح بمعنى المصدر والضم
بمعنى المغروف وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا فلما جاوزه اى تخطى النهر
طالوت الا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا والذين امنوا معه يعنى القليل من اصحابه ورأوا كثرة عدد
جنود جالوت قالوا لا طاقة لنا قيل ان الضمير فى قالوا للكثير الذين شربوا وانخزلوا والذين يظنون
هم القليل الذين ثبتوا معه ثبتوا وتيقنوا انهم يلقون الله كم من فئة اى فرقة قليلة غلبت فئة
كثيرة باذن الله بنصر الله لانه اذا اذن فى القتال نصر فيه ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا
ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله
وقتل داود جالوت واتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين اى ظهروا لمحاربة جالوت وجنوده
قالوا ربنا افرغ اى صب علينا صبرا وثبت اقدامنا اى وفقنا للثبوت فى مداحض الحرب بتقوية
القلوب والقاء الرعب فى قلوب الاعداء وكان ايشا ابو داود فى عسكر طالوت مع ستة من بنيه او
عشرة وكان داود اصغرهم يرعى الغنم فبعث طالوت الى ايشا ان احضره واحضر ولدك فجاء
معه ولده فمر داود فى طريقه بثلثة احجار ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت ابنته واتاه
الله الملك فى الارض المقدسة وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة النبوة
وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والنمل ولولا دفع الله ولولا ان يدفع الله بعض
الناس ببعض لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها وقيل ولولا ان الله ينصر
المسلمين على الكفار لعم الكفر ونزل العذاب واستؤصل اهل الارض تلك ايات الله نتلوها
عليك بالحق وانك لمن المرسلين تلك اشارة الى القصص التى اقتصها من حديث اماتة الالوف
من الناس واحيائهم وتمليك طالوت ونزول التابوت وغلبة الجبابرة على يدى صبى ايات الله
دلالة على كمال قدرته نقرؤها عليك وتلك مبتداء وايات الله خبره ونتلوها حال ويجوز ان يكون
ايات الله بدلا من تلك ونتلوها الخبر بالحق باليقين الذى لا يشك فيه اهل الكتاب لانه فى كتبهم
كذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة وكتابة تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه
بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن
اختلفوا فمنهم من امن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد
تلك الرسل اشارة الى الرسل التى ذكرت قصصها فى السورة او التى ثبت علمها عند رسول الله
فضلنا بعضهم على بعض لما اوجب ذلك من تفاضلهم فى مراتبهم منهم من كلم الله اى فضله الله
بالتفضيل

دعاه كل واحد منها ان احملنى وقال انك تقتل جالوت فحملها فى مخلاته

بان كلم

بان كلمه من غير سفير وهو موسى ع ورفع بعضهم درجات اى ومنهم من رفعه على ساير الانبياء فكان
بعد تفاوتهم فى الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة وهو محمد ص لانه المفضل عليهم حيث اوتى ما لم يؤته
احد من المعجزات المرتقية الى الف واكثر وبعث الى الجن والانس وخصص بالمعجزة القائمة الى يوم القيمة
وهى القرآن وفى هذا الابهام من تعظيم شانه واعلاء مكانه ما لا يخفى لان فيه انه العلم الذى لا يشتبه والمشهور
الذى لا يخفى واتينا عيسى ابن مريم البينات كاحياء الاموات وابراء الاكمه والابرص وايدناه بروح
القدس تقدم تفسيره ولو شاء الله مشية الجاء وقسر ما اقتتل الذين من بعد الرسل لاختلافهم فى الدين
وتكفير بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه عنه ولو
شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد من الخذلان والعصمة يا ايها الذين امنوا
انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون
انفقوا من قبل ان ياتى يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى تبتاعوا
ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم اخلاؤكم به ولا شفاعة عام يراد به الخاص بلا خلاف لان الامة
اجتمعت على اثبات الشفاعة يوم القيمة وان اختلفوا فى كيفيتها والكافرون هم الظالمون لان الكفر
هو غاية الظلم الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما
فى الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من
علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم
الحى الذى يصح ان يكون قادرا عالما وهو الباقى الذى لا يتطرق اليه الفنا والقيوم الدائم القائم
بتدبير الخلق وحفظهم لا تاخذه سنة وهو ما يتقدم النوم من الفتور الذى يسمى النعاس ولا نوم
وهو تاكيد للقيوم وبيان له لان من جاز عليه النوم والسنة لا يكون قيوما له ما فى السموات والارض ما فى حم
يملكهما ويملك تدبير ما فيهما من ذا الذى يشفع عنده بيان لكبريائه وملكوته بان احدا لا يملك ان
يتكلم يوم القيمة الا اذا اذن له فى الكلام يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم الضمير لما فى السموات والارض
لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء اى يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم ويعلم
احوالهم والمرتضى منهم للشفاعة وغير المرتضى ولا يحيطون بشئ من علمه اى معلوماته الا بما شاء واطلع اى بما علم حم
عليه فالاحاطة بالشئ علما ان يعلم كما هو على الحقيقة وسع كرسيه السموات اى علمه السموات والارض
وروى ذلك عنهم ع وسمى العلم كرسيا تسمية بمكانه الذى هو كرسى العالم وقيل كرسيه ملكه تسمية بمكانه
الذى هو كرسى الملك وقيل الكرسى سرير دون العرش دون السموات والارض روى ذلك عنهم عليهم السلم ترتبت
هذه الجمل من غير حرف عطف لان كل جملة منها واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين
فالاولى ان لا يتوسط بينهما حرف عطف ولا يؤده حفظهما لا يثقله ولا يشق عليه حفظ السموات
والارض وهو العلى الشان العظيم الملك وروى عن امير المؤمنين ع يقول سمعت نبيكم على اعواد
المنبر وهو يقول من قرا آية الكرسى فى دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب

عليها الآصدتق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله
لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ
الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يعنى ان امور الدين جارية على التمكن والاختيار لا على
القسر والاجبار ونحوه ولو شاء ربك لآمن من فى الارض الآية اى لو شاء لاجبرهم على الايمان لكنه
لم يفعل وبنى الامر على الاختيار وقيل هو بمعنى النهى اى لا تكرهوا فى الدين ثم قالوا هو منسوخ بآية
السيف وقيل هو مخصوص باهل الكتاب اذا ادوا الجزية قد تبين الرشد من الغى قد تميز الكفر من
الايمان بالدلايل النيرة فمن يكفر بالطاغوت اى بالشيطان والاصنام ويؤمن بالله فقد تمسك بالعصمة
الوثيقة لا انفصام لها لا انقطاع لها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس الذى ينظر
اليه عيانا اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ
يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ الله ولى الذين يريدون
ان يؤمنوا يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتوفيقه من ظلمات الكفر الى نور الايمان او يخرجهم من الشبهة
فى الدين ان وقعت لهم بما يوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين والذين كفروا اى صمموا
على الكفر فامرهم على العكس اولياؤهم الشياطين يتولون امورهم يخرجونهم من نور البينات الى ظلمات
الشك والشرك أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ
فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الم تر تعجيب من محاجة نمرود فى الله وكفره بان
آتيه الله الملك على معنى ان ايتاء الملك اورثه البطر والعتو فحاج لذلك او وضع المحاجة فى ربه موضع
ما وجب عليه من الشكر على ايتاء الملك كقوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون ويجوز ان يكون المعنى حاج
وقت ان اتاه الله الملك ومعنى اتاه الله الملك انه اتاه ما غلب به وتملك من الاموال والخدم والاتباع
اذ قال نصب بحاج او بدل من اتاه الله اذا جعل بمعنى الوقت انا احيى واميت يريد اخلى من وجب عليه
القتل واميت بالقتل ص قال ان ابرهيم قال له فاحى من قتلته ان كنت صادقا ثم استظهر عليه
بقوله ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب انتقل الى ما لا يقدر عليه فيه على نحو ذلك
الجواب ليبهته وهذا دليل على جواز الانتقال من حجة الى حجة أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ
عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ
لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ
إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ
قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ او كالذى معناه او رايت مثل الذى مر فحذف لدلالة الم
تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب ويجوز ان يحمل على المعنى كانه قيل ارايت كالذى حاج ابرهيم او
كالذى مر على قرية والمار عزير او ارميا اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة قال انى

يحيى

يحيى هذه الله هذا اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيى والقرية
بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل هى القرية التى خرج منها الالوف حذر الموت وهى
خاوية على عروشها اى ساقطة على ابنيتها وسقوفها كان سقوفها سقطت ثم وقعت البنيان
عليها قال كيف يحيى الله هذه القرية بعد خرابها اطلق لفظ القرية واراد اهلها واحب ان
ان يريه الله احياءها مشاهدة فاماته الله مائة عام وروى انه مات ضحى وبعث بعد مائة
سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس لبثت يوما ثم التفت فراى بقية من الشمس
فقال او بعض يوم وروى ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه كان عصيرا او لبنا فوجد التين
والعنب كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنه اى لم تغيره السنون والهاء اصلية او هاء سكت
واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء او واو وذلك ان الشئ يتغير بمرور الزمان
عليه وقيل اصله يتسنن من الحماء المسنون فقلبت نونه حرف علة كتقضى البازى وانظر الى
حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه ويجوز ان يكون المراد وانظر اليه
سالما فى مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الآيات ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك يريد
احياءه بعد الموت وحفظ طعامه وشرابه وقيل اتى قومه راكب حماره وقال انا
عزير فكذبوه فقال هاتوا بالتورية فاخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون فى الكتاب
فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرا التورية ظاهرا احد قبل عزير فذلك كونه آية
وانظر الى العظام هى عظام الحمار او عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم كيف ننشرها
نحييها وننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم وننشزها بالزاء نحركها ونرفع بعضها على بعض
للتركيب وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له ان الله على كل شئ قدير قال اعلم ان الله على كل
شئ قدير فحذف الاول لدلالة الثانى عليه كقولهم ضربنى وضربت زيدا ويجوز ان يكون المعنى
فلما تبين له ما اشكل عليه وقرئ قال اعلم على لفظ الامر كانه خاطب نفسه كقول الاعشى ودع
هريرة ان الركب مرتحل وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ
قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ
عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ رب
ارنى بصرنى كيف تحيى الموتى قال اولم تؤمن قال له ذلك سبحانه وقد علم انه اثبت الناس
ايمانا ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة للسامعين وهذه الف استفهام المراد به التقرير
قال بلى هو ايجاب بعد النفى معناه بلى آمنت ولكن ليطمئن قلبى ليزيد سكونا وطمانينة
بان يضام العلم الضرورى العلم الاستدلالى وتظاهر الادلة ازيد للبصيرة واليقين
واراد بطمانينة القلب العلم الذى لا مجال فيه للشك واللام تعلقت بمحذوف تقديره سالت
ذلك ليطمئن قلبى قال فخذ اربعة من الطير طاوسا وديكا وغرابا وحمامة فصرهن

اليك بضم الصاد وكسرها بمعنى فاملهن واضممهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اجزاهن وفرق اجزاءهن على الجبال التى بحضرتك وفى ارضك وكانت اربعة اجبل ثم ادعهن وقل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا اى ساعيات مسرعات فى طيرانهن او فى مشيهن على ارجلهن وروى انه امر ان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم امر بان يجعل اجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى رأسها وقرئ جزؤا بضمتين وجزا بالتشديد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد فى الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم لا بد من تقدير حذف مضاف اى مثل نفقة الذين ينفقون كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء وهذا التمثيل تصوير لمضاعفة الحسنات كانها موضوعة بحذاء العين والله يضاعف لمن يشاء اى يزيد على سبعمائة والله واسع القدرة عليم بمن يستحق الزيادة الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غنى حليم المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اوجب عليه حقا له والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما اسدى اليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا قول معروف رد جميل ومغفرة عفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول او نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او عفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره خير من صدقة يتبعها اذى والله غنى لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذى حليم عن المعاجلة بالعقوبة وفيه ذرو من الوعيد يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شئ مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين كالذى ينفق ماله معناه لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذى ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضا الله وثواب الاخرة فمثله اى مثله ونفقته التى لا ينتفع بها البتة كمثل صفوان اى حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذى كان عليه لا يقدرون على شئ مما كسبوا اى لا يحصلون مما انفقوه وما ثوابه على شئ كما لا يحصل احد على التراب الذى اذهبه المطر من الحجر الصلد ويجوز ان يكون الكاف فى محل النصب على الحال اى لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذى ينفق واراد بالذى ينفق الجنس

او الفريق

ينفق

او الفريق الذى ينفق فلذلك قال بعده لا يقدرون ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير وتثبيتا من انفسهم معناه وليثبتوا من انفسهم ببذل المال الذى هو اخ الروح وبذله اشق على النفس من اكثر العبادات الشاقة ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله فى سبيل الله علم ان تصديقه بالثواب من اصل نفسه واخلاص قلبه ومن على التفسير الاول للتبعيض مثلها فى قولهم هز من عطفه ومعنى التبعيض ان من بذل ماله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتهما كلها وعلى الآخر لابتداء الغاية كقوله حسدا من عند انفسهم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء كمثل وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها ضعفين مثلى ما كانت تثمر بسبب الوابل فان لم يصبها وابل فطل فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل كما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة وكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة زاكية عند الله تعالى ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ايود احدكم الهمزة للانكار والواو فى قوله واصابه الكبر للحال لا للعطف ومعناه ايود ان يكون له جنة وقد اصابه الكبر والاعصار الريح التى تستدير ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغى بها وجه الله فاذا كان يوم القيمة وجدها محبطة لا ثواب عليها فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من ابهج الجنان واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعفاء والجنة معاشهم فهلكت بالصاعقة قال الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افقر ما يكون الى جنته وان احدكم والله افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غنى حميد انفقوا من طيبات ما كسبتم اى من جياد مكسوباتكم وخيارها وقيل من حلالها ومما اخرجنا لكم من الارض من الغلات والثمار والمعنى من طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف لانه ذكر الطيبات قبل ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا المال الردئ منه تنفقون اى تخصونه بالانفاق وهو فى محل الحال ولستم باخذيه اى وحالكم انكم لا تاخذونه فى حقوقكم الا ان تغمضوا فيه اى الا بان تتسامحوا فى اخذه وتترخصوا فيه من قولهم اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال اغمض البائع اذا لم يستقص كانه لا يبصر

جنة اى بستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لان شجرها فيها ازكى واحسن ثمرا اصابها

وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر فنهوا عنه الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء
والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب يعدكم الفقر بالانفاق في وجوه البر وبانفاق الجيد
من المال والوعد يستعمل في الخير والشر يأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الزكوات اغراء
الآمر للمأمور والعرب تسمي البخيل فاحشا كما قال طرفة ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة
مال الفاحش المتشدد والله يعدكم في الانفاق مغفرة منه لذنوبكم وكفارة لها وفضلا وان يخلف
عليكم افضل مما انفقتم وقيل وثوابا عليه في الآخرة يؤتي الحكمة اى يعطي الله الحكمة اى العلم وفق
للعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل وقيل الحكمة القرآن والفقه ومن يؤت بكسر التاء
بمعنى ومن يؤته الله الحكمة اى العلم وخيرا كثيرا تنكير تعظيم كأنه قيل فقد اوتي اي خير كثير
وما يذكر الا اولوا الالباب اى العلماء والحكماء العمال وما انفقتم من نفقة او نذرتم
من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من انصار ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان
تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير
وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او في سبيل الشيطان او نذرتم من نذر في طاعة او في معصية
فان الله يعلمه لا يخفى عليه فيجازى عليه بحسبه وما للظالمين الذين ينفقون اموالهم في المعاصي
او يمنعون الزكوة او لا يفون بالنذور او ينذرون في المعاصي من انصار ممن ينصرهم
من الله ويمنع عنهم عذاب الله وما في نعما هي نكرة اى فنعم شيئا ابداؤها وقرئ بكسر النون
وفتحها وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اى تعطوها اياهم مع الاخفاء فهو خير لكم اى فالاخفاء
خير لكم والمراد بالصدقات المتطوع بها لان الافضل في الفرائض الاظهار ويكفر قرئ
بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدأ محذوف اى ونحن نكفر ومجزوما
عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط وقرئ يكفر بالياء مرفوعا والفعل لله او للاخفاء
ليس عليك هديهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون
الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون اى لا يجب عليك
ان تجعلهم مهتدين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك
وما عليك الا البلاغ ولكن الله يهدي من يشاء يلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي
عما نهوا عنه وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على
من تنفقونه عليه ولا تؤذوه وما تنفقون اى وليست نفقتكم الا لابتغاء وجه الله ولطلب
ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يتوجه بمثله الى الله وما تنفقوا من خير
يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن الانفاق على احسن الوجوه
واجملها للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم

الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير
فان الله به عليم الجار يتعلق بمحذوف والتقدير اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقون للفقراء
والذين احصروا في سبيل الله هم الذين احصرهم الجهاد ولا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في
الارض للكسب قيل وهم اصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل لم يكن لهم مساكن في المدينة
ولا عشاير وكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار
وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى يحسبهم الجاهل
بحالهم اغنياء من التعفف اى مستغنين من اجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجوه
ورثاثة الحال او الخضوع الذي هو شعار الصالحين لا يسألون الناس الحافا اى الحاحا ومعناه
ان سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال والالحاف جميعا كقول امرئ القيس على
لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به الذين ينفقون اموالهم بالليل و
النهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون اى يعمون
اوقاتهم واحوالهم بالصدقة لحرصهم على الخير وعن ابن عباس نزلت في علي كانت معه اربعة
دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وروي ذلك عن ابي جعفر
والصادق عليهما السلام الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا واحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه
موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون الربوا كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتب الصلوة والزكوة بالواو
وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي
يتخبطه الشيطان اى المصروع من المس وهو الجنون ورجل ممسوس وتعلق من بلا يقومون
اى لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع ويجوز ان يتعلق بيقوم اى كما يقوم
المصروع من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم القيمة مخبلين كالمصروع يعرفون بتلك السيماء
عند اهل الموقف ذلك اى ذلك العقاب بسبب انهم قالوا انما البيع مثل الربوا اى البيع الذي
لا ربوا فيه مثل البيع الذي فيه الربوا وقوله احل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم
بينهما ودلالة على بطلان قياسهم الربوا على البيع فمن جاءه موعظة اى فمن بلغه وعظ
من ربه وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى فتبع النهي وامتنع منه فله ما سلف فلا يؤاخذ
بما مضى منه وامره الى الله يحكم في شأنه يوم القيمة ومن عاد الى الربوا بعد التحريم وقال
ما كان يقوله من ان البيع مثل الربوا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لان ذلك
القول لا يصدر الا من كافر مستحل الربوا فلهذا اوعد بعذاب الابد يمحق الله الربوا
ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم يمحق الله الربوا اى يذهب ببركته ويهلك

ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اى صدقاتكم للفقراء

الذى يدخل فيه ويربى الصدقات اى مايتصدق به بان يضاعف عليه الثواب ويزيد
المال الذى اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفى الحديث مانقص مال من صدقة
والله لايحب كل كفار اثيم هذا تغليظ فى امر الربوا وايذان بانه من فعل الكفار لامن فعل
المسلمين ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم
عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما
بقى من الربوا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم
فلكم رؤس اموالكم لاتظلمون ولاتظلمون الفرق بين قوله لهم اجرهم وقوله فى موضع
آخر فلهم اجرهم ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر وطرح الفاء عار
عن هذه الدلالة وذروا مابقى من الربوا روى انها نزلت فى ثقيف وكان لهم على قوم من
قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا وقيل انهم اخذوا ما شرطوا على الناس من
الربوا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولايطالبوا بها ان كنتم مؤمنين ان صح ايمانكم فاذنوا
بحرب من الله اى فاعلموا بها من اذن بالشئ اذا علم به وقرئ فآذنوا اى فاعلموا بها غيركم وهو
من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم والمعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله
وان تبتم من الارتباء فلكم رؤس اموالكم لاتظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون
بالنقصان منها وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون اى وان
وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة اى ذو اعسار فنظرة اى فالحكم او فالامر نظرة اى انظار الى ميسرة
الى يسار اى وقت يسار وهو خبر فى معنى الامر والمراد فانظروا الى وقت يساره والميسرة بضم السين
وفتحها لغتان وقرئ الى ميسره بالاضافة الى الهاء وحذفت التاء عند الاضافة كقوله و
اقام الصلوة وان تصدقوا اى تتصدقوا خير لكم ندب سبحانه الى ان يتصدقوا برؤس اموالهم
على من اعسر من غرمائهم او ببعضها كما قال وان تعفوا اقرب للتقوى ان كنتم تعلمون انه خير لكم وقرئ
ترجعون وترجعون على البناء للفاعل والمفعول اى واخشوا واحذروا يوما تردون فيه الى
جزاء الله وعن ابن عباس انها اخر اية نزل بها جبريل ع وقال ضعها فى راس المائتين و
الثمانين من البقرة يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب
بينكم كاتب بالعدل ولاياب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق
وليتق الله ربه ولايبخس منه شيئا فان كان الذى عليه الحق سفيها او ضعيفا او لايستطيع
ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين
فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى
ولاياب الشهداء اذا ما دعوا ولاتساموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط

عند الله

عند الله واقوم للشهادة وادنى ان لاترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم
فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولايضار كاتب ولاشهيد وان تفعلوا
فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم اذا تداينتم اى تعاملتم وداين
بعضكم بعضا تقول داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او اخذا كما تقول بايعته اذا بعته
او باعك بدين الى اجل مسمى اى بدين مؤجل فاكتبوه وانما ذكر الدين ليرجع الضمير اليه فى قوله فاكتبوه
ولان الدين يتنوع الى مؤجل وحال وقيل مسمى ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما موقتا بالسنين
او الشهور او الايام وهذا الامر مندوب اليه قال ابن عباس والمراد به السلم لما حرم الله
الربوا اباح السلم وليكتب بينكم كاتب بالعدل اى كاتب مأمون على مايكتب ويكتب بالاحتياط
والنصفة لايزيد على مايجب ان يكتب ولاينقص وقوله بالعدل صفة لكاتب وفى هذا دلالة
على ان الكاتب يجب ان يكون فقيها عالما بالشروط حتى يجئ مكتوبه معدلا بالشرع ولاياب كاتب
اى ولايمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله كتابة الوثائق وقيل كما نفعه الله بتعليمها فلينفع
الناس بكتابته وهو فرض على الكفاية عند اكثر المفسرين ويجوز ان يتعلق كما علمه الله بان يكتب
فيكون نهيا عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب تلك الكتابة ولايعدل عنها ويجوز
ان يتعلق بقوله فليكتب فيكون نهيا عن الامتناع من الكتابة على الاطلاق ثم امر بها مقيدة وليملل
الذى عليه الحق وليكن المملى من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته فى ذمته واقراره به والاملال
والاملاء لغتان نطق بهما القران فهى تملى عليه ولايبخس منه شيئا اى من الحق فان كان الذى عليه
الحق سفيها او ضعيفا السفيه المحجور عليه لتبذيره او الجاهل بالاملاء والضعيف الصبى او الشيخ الخرف
او لايستطيع ان يمل هو بنفسه لعى او خرس فليملل وليه الذى يلى امره من وصى ان كان صبيا
او سفيها او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه فى قوله ان يمل هو انه
غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذى يترجم عنه واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد
لكم شهيدان على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل
وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مقبولة عندنا فى غير رؤية الهلال والطلاق
مع الرجال على تفصيل فيه وهى مقبولة على الانفراد فيما لايستطيع الرجال النظر اليه مثل العذرة
والامور الباطنة للنساء ممن ترضون ممن تعرفون عدالته وهو مرضى عندكم من الشهداء
ان تضل احديهما ان لاتهتدى احدى المرأتين للشهادة بان تنساها من قولهم ضل الطريق
اذا لم يهتد له وهو فى موضع النصب بانه مفعول له اى ارادة ان تضل لما كان الضلال سببا
للاذكار كانت ارادة الضلال ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى
ان ضلت ومثله قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه وقرئ فتذكر وهما لغتان يقال
اذكره وذكره وقرأ حمزة ان تضل احديهما على الشرط فتذكر بالرفع كقوله ومن عاد فينتقم الله منه

ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا
لا يقارب منزلة الكاين ولا تسأموا ولا تملوا ان تكتبوا الحق صغيرا كان الحق او كبيرا الى اجله الى وقت
الذى اتفق الغريمان على تسميته ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه فى معنى المصدر اى ذلكم الكتب
اقسط عند الله اى اعدل من القسط واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة وادنى ان لا
ترتابوا واقرب من انتفاء الريب فى مبلغ الحق والاجل الا ان تكون تجارة حاضرة اريد بالتجارة ما
يتجر فيه من الاموال والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس فلا بأس ان لا تكتبوه
لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم فى التداين ومعنى تديرونها بينكم تعاطونها يدا بيد وقرئ تجارة حاضرة
تديرونها بالنصب على معنى الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة واشهدوا اذا تبايعتم امرا بالاستشهاد
مطلقا لانه احوط ولا يضار يحتمل البناء للفاعل والمفعول والمعنى نهى الكاتب والشهيد عن
ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان او النهى عن الضرار بهما
بان يعجلا عن مهم او لا يكلف الكاتب بالكتابة فى حال عذر لا يتفرغ لذلك ولا يدعى الشاهد
الى اثبات الشهادة واقامتها فى وقت لا يتفرغ له وان تفعلوا وان تضاروا فانه فسوق فان
الضرار فسوق بكم وقيل وان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه فانه خروج مما امر الله تعالى به وان
كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن امانته
وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم
على سفر اى مسافرين فرهان فالذى يستوثق به رهان وقرئ فرهن وكلاهما جمع الرهن وقد
يخفف فيقال رهن وليس الغرض تخصيص الارتهان بحال السفر ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز
الكتب والاشهاد امر المسافر بان يقيم الارتهان مقام الكتاب والاشهاد على سبيل الارشاد الى
حفظ المال والقبض شرط فى صحة الرهن فان امن بعضكم بعضا اى فان امن بعض الداينين
بعض المديونين لحسن ظنه به فليؤد الذى اؤتمن امانته وهو الذى عليه الحق امر بان يؤديه
الى صاحب الحق وفاء وقت محله من غير مطل ولا تسويف وسمى الدين امانة لايتمانه عليه بترك
الارتهان منه ولا تكتموا الشهادة خطاب للشهود ومن يكتمها مع علمه بالمشهود به وتمكنه من
ادائها فانه آثم قلبه هو خبر ان وقلبه مرفوع به على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه والمعنى فيه
ان كتمان الشهادة من آثام القلوب ومن معاظم الذنوب لله ما فى السموات وما فى الارض
وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله
على كل شيء قدير اى ان تظهروا ما فى انفسكم من السوء او تخفوه فان الله تعالى يعلم ذلك ويجازيكم
عليه ولا يدخل فيما يخفيه الانسان الوسواس وحديث النفس لان ذلك مما ليس فى وسعه الخلو
منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر انه تلاها فقال لئن اخذنا الله بهذا
لنهلكن فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لابى عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد

منزل

فنزلت لا يكلف الله الآية آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك
ربنا واليك المصير والمؤمنون يجوز ان يكون عطفا على الرسول فيكون الضمير فى كل
الذى التنوين نائب عنه راجعا الى الرسول والمؤمنين اى كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله ويوقف عليه ويجوز ان يكون مبتدا فيكون الضمير للمؤمنين اى كل واحد منهم آمن وقرئ
وكتابه ويراد الجنس والقران وعن ابن عباس قال الكتاب اكثر من الكتب وانما قال ذلك
لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة فى وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء واما الجمع
فلا يدخل تحته الا فيه الجنسية من الجموع يقولون لا نفرق وقوله سمعنا بمعنى اجبنا وغفرانك منصوب
باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اى نستغفرك ولا نكفرك لا يكلف الله نفسا الا وسعها
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل
علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا
واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين الوسع ما يسع
ولا يضيق عليه اى لا يكلف الله نفسا الا ما يتيسر عليها ويتسع فيها طوقها وهذا اخبار
عن عدله ورحمته لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب
بطاعتها غيرها وذكر النسيان والخطا والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال وقيل
ان المراد بنسينا تركنا وباخطانا اذنبنا وروى عن ابن عباس ان معناه لا تعاقبنا ان عصيناك
جاهلين او متعمدين والاصر العبء الذى يأصر حامله اى يحبسه مكانه لا يستقل به استعير
للتكليف الشاق نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك ولا تحملنا ما
لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التى كلفها
من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم فى المحافظة عليها انت مولانا سيدنا ونحن
عبيدك او متولى امورنا وناصرنا فانصرنا فان من حق المولى ان ينصر عبيده او فان ذلك عادتك
اى فاعنا على القوم الكافرين بالقهر لهم والغلبة بالحجة عليهم وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اوتيت
خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبى قبلى سورة آل عمران مدنية كلها وهى
مائتا آية عند الكوفى آلم آية والانجيل آية وترك وانزل الفرقان وعد المصرى ورسولا
الى بنى اسرائيل آية وفى حديث ابى ومن قرا سورة آل عمران اعطى بكل آية منها امانا على جسر
جهنم وروى بريدة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تعلموا سورة البقرة وسورة آل عمران فانهما الزهراوان
وانهما يظلان صاحبهما يوم القيمة كانهما غمامتان او غيايتان او فرقان من طير صواف
بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحى القيوم
نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل هدى

للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو
انتقام ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء من فتح ميم الله القى عليها حركة
الهمزة حين اسقطها للتخفيف وقيل نزل الكتاب وهو القران وانزل التورية والانجيل
لان القران نزل منجما ونزل الكتابان جملة بالحق اى بالصدق وبما يوجبه الحكمة مصدقا لما
قبله من كتاب ورسول وانزل الفرقان يعني القران كرر ذكره بما هو نعت له ومدح من كونه
فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشانه او اراد جنس الكتب السماوية
لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل ص الفرقان كل اية محكمة في الكتاب ان الذين كفروا
بايات من الكتب المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد ذو انتقام له انتقام شديد لا يقدر على
مثله منتقم لا يخفى عليه شيء في العالم فعبر عنه بالارض والسماء هو الذي يصوركم في الارحام
كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم هو الذي يخلق صوركم المختلفة المتفاوتة في الارحام
كيف يشاء على اي صورة يشاء من قبيح او صبيح ذكر او انثى لا اله الا هو العزيز الحكيم في افعاله
وعن سعيد بن جبير قال هذا احتجاج على من زعم ان عيسى كان ربا كانه نبه بكونه مصورا في
الرحم على انه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله هو الذي انزل عليك الكتاب
منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ
فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله و
الراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب
ايات محكمات احكمت عباراتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه هن ام الكتاب
اي اصل الكتاب يحمل المتشابهات عليها وترد اليها واخر متشابهات مشتبهات محتملات
ولو كان القران كله محكمات لتعلق الناس به لسهولة اخذه ولاعرضوا عما يحتاجون فيه الى
النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي به يتوصل الى معرفة الله وتوحيده
ولكان لا يتبين فضل العلماء والذين يتعبون في استخراج معاني الايات المتشابهة وردها
الى المحكم فاما الذين في قلوبهم زيغ اى ميل عن الحق فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه
الذي يحتمل ما يذهب اليه اهل البدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق
ابتغاء الفتنة طلبا ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تاويله وطلب ان يؤولوه
التاويل الذي يشتهونه وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم اى لا يهتدى الى تاويله
الحق الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والعلماء الذين رسخوا في العلم اى ثبتوا
فيه وتمكنوا وبعضهم يقف على الا الله ويبتدى والراسخون في العلم يقولون امنا به ويفسرون
المتشابه بانه ما استاثر الله بعلمه والاول اوجه وهو المروى عن ابن عباس قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرأ ... ابن عباس ... وانا ممن يعلم تاويله ... افضل الراسخين في العلم ويقولون كلام مستانف موضح لحال الراسخين والمعنى هؤلاء

الراسخون

الراسخون العاملون بالتاويل يقولون امنا به اى يؤمنون بالمتشابه كل من عند ربنا اى كل
واحد منه ومن المحكم من عنده او بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض
كلامه وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن التامل والتفكر والتذكر ويجوز
ان يكون يقولون حالا من الراسخين ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من
لدنك رحمة انك انت الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله
لا يخلف الميعاد لا تزغ قلوبنا لا تخبرنا ببلاء تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا وارشدتنا
الى دينك ونظيره قوله فلما كتب عليهم القتال تولوا ما يقع من زيغ القلوب اليه مجازا
لما كان عند امتحانه او لا تمنعنا لطفك الذى معه تستقيم القلوب فتميل قلوبنا عن الايمان بعد
اذ لطفت لنا وهب لنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة انك جامع الناس ليوم
لجمعهم لحساب يوم الجزاء كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع والميعاد الموعد ان الذين كفروا لن تغني
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار كداب ال فرعون
والذين من قبلهم كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب
من في قوله من الله مثل الذى في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا والمعنى لا تغني عنهم
اموالهم من رحمة الله او طاعة الله شيئا اى بدل رحمة الله وطاعته ومثله ولا ينفع ذا الجد
منك الجد اي لا ينفعه جده من الدنيا بدلك اى بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وقود
النار اى حطب النار تتقد النار بهم والداب مصدر داب في العمل اذا كدح
فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شانه وحاله ومحل الكاف رفع وتقديره داب هؤلاء
الكفرة كداب من قبلهم من ال فرعون وغيرهم ويجوز ان يكون منصوب المحل بقوله لن تغني او
بالوقود والمعنى لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن ال فرعون او توقد بهم النار كما توقد بهم كما
تقول انك لتظلم الناس كداب ابيك تريد كظلم ابيك اى مثل ما كان يظلمهم وان فلانا لمحارف
كداب ابيه تريد كمحور فابوه كذبوا باياتنا تفسير لدابهم بما فعلوا وفعل بهم كانه جواب سؤال
يسال عن حالهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم
اية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم راى
العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار الذين كفروا
قيل هم اليهود جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال يا معشر
اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش واسلموا قبل ان ينزل بكم مثل ما نزل بهم فقد عرفتم
اني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة
ولئن قاتلتنا لعرفت انا نحن الناس فنزلت ومن قرا سيغلبون ويحشرون فهو مثل قوله
قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف اى قل لهم قولي لك سيغلبون ومن قرا

الآخرة
بالتاء اجرى الجميع على الخطاب والمعنى ستصيرون مغلوبين فى الدنيا وتحشرون الى جهنم فى
وقيل ان المراد بالذين كفروا مشركوا مكة اى ستغلبون يوم بدر واليهما اريد فقد فعل الله
ذلك فان اليهود قد غلبوا بقتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير ووضع الجزية على من بقى منهم
وغلب المشركون ايضا قد كان لكم آية اى دلالة معجزة على صدق نبينا محمد فى فئتين التقتا يوم
بدر فئة تقاتل فى سبيل الله اى فى دينه وطاعته وهم الرسول واصحابه وفرقة اخرى كافرة
وهم مشركوا مكة يرونهم مثليهم يرى المشركون المسلمين مثلى المشركين فى العدد قريبا من الفين
او مثلى عدد المسلمين ستمائة وستة وعشرين اراهم الله اياهم مع قلتهم اضعافهم ليحسروا عن قتالهم
وكان ذلك مدد الهم كما امدهم بالملائكة ويدل عليه قراءة من قرأ بالتاء اى ترون يا مشركى قريش
المسلمين مثلى فئتكم الكافرة او مثليهم انفسهم فان قيل فكيف قال فى سورة الانفال ويقللكم فى
اعينهم فالجواب انهم قللوا اولا فى اعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما التحم القتال كثروا فى اعينهم حتى
غلبوا فكان التقليل والتكثير فى حالتين مختلفتين رأى العين يعنى رؤية ظاهرة مكشوفة معاينة
والله يؤيد بنصره من يشاء كما ايد المسلمين يوم بدر زين للناس حب الشهوات من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث
ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب حب الشهوات اى المشتهيات جعل
سبحانه الاعيان التى ذكرها شهوات مبالغة فى كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها
والمزين هو الله سبحانه بما جعل فى الطباع من الميل اليها تشديد التكليف كقوله انا جعلنا
ما على الارض زينة لها لنبلوهم وعن الحسن زينها الشيطان لهم لانا لا نعلم احدا اذم لها من خالقها
ثم قدم سبحانه ذكر النساء لان الفتنة بهن اعظم ثم ثنى بالبنين لانهم داعى الجمع الحرام و القنطار
المال الكثير وقيل مل مسك ثور ذهبا وقيل سبعون الف دينار وقيل مائة الف دينار
والمقنطرة بنيت من لفظ القناطير للتاكيد كما يقال الف مؤلف وبدرة مبدرة والمسومة المعلمة
او المرعية من اسام الدابة وسومها ذلك المذكور متاع الحيوة الدنيا قل أؤنبئكم بخير
من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج
مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر
لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين
والمستغفرين بالاسحار تم الكلام عند قوله ذلكم وقوله للذين اتقوا عند ربهم جنات كلام
مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم ويجوز ان تتعلق اللام بخير واختص المتقين
لانهم هم المنتفعون به ويرتفع جنات على هو جنات والله بصير بالعباد يجازيهم باعمالهم على
قدر استحقاقهم الذين يقولون فى محل نصب او رفع على المدح او فى موضع جر صفة للمتقين
او للعباد والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم فى كل واحدة منها والمستغفرين

بالاسحار

١٥٨
بالاسحار المصلين وقت السحر وقيل الذين تنتهى صلوتهم الى وقت السحر ثم يستغفرون ويدعون
شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو
العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع
الحساب شبه سبحانه دلالته على وحدانيته بالافعال التى لا يقدر عليها غيره وبالآيات
الناطقة بتوحيده مثل سورة الاخلاص وآية الكرسى وغيرهما بشهادة الشاهد
فى البيان والكشف وكذلك اقرار الملائكة واولى العلم بذلك قائما بالقسط مقيما للعدل
فيما يقسم للعباد من الآجال والارزاق وفيما يامر عباده من الانصاف والعمل على
التسوية فيما بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة من اسم الله كقوله وهو الحق مصدقا وقوله
ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الاولى والفائدة فى قوله ان الدين   فيه
عند الله الاسلام فقد اذن ان الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما
عداه فليس من الدين وقرئ ان الدين بالفتح على انه بدل من الاول كانه قال شهد الله ان
الدين عند الله الاسلام والذين اوتوا الكتاب هم اليهود والنصارى واختلافهم
انهم تركوا الاسلام من بعد ما جاءهم العلم انه الحق فثلثت النصارى وقالت اليهود
عزير ابن الله واختلف الفريقان فى نبوة محمد وقد وجدوا نعته فى كتبهم وجاءهم العلم
بانه رسول الله ونبيه بغيا بينهم اى حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة فى الاسلام ومن يكفر
بآيات الله اى بالقرآن او بالتورية والانجيل وما فيهما من صفة محمد فان الله سريع الحساب
لا يفوته شئ من اعمالهم فان حاجوك فقل اسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين
اوتوا الكتاب والاميين ءاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك
البلاغ والله بصير بالعباد فان حاجوك فى الدين فقل اخلصت نفسى وجملتى
لله وحده لم اجعل فيها لغيره شركا بان اعبده واعبد الها غيره معه والمعنى ان دينى التوحيد
وهو الاصل الذى يلزم جميع المكلفين الاقرار به ومن اتبعن عطف على التاء فى اسلمت ويجوز
ان تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى
والاميين الذين لا كتاب لهم من مشركى العرب ءاسلمتم يعنى انه قد اتاكم من البينات ما
يوجب الاسلام فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم ومثله فهل انتم منتهون لفظه لفظ الاستفهام
والمراد الامر فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى و
ان تولوا لم يضروك فانك رسول ما عليك الا البلاغ والتنبيه على طريق الرشد والهدى
ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون
بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا

في الآخرة وما لهم من ناصرين هم اهل الكتاب قتلت اوايلهم الانبياء واتباعهم من عباد بنى اسرائيل وكان هؤلاء راضين بما فعل اوليك وحاولوا قتل رسول الله والمومنين لولا عصمة الله وقوله بغير حق المراد به ان قتلهم لا يكون الا بغير حق كقوله ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به حبطت اعمالهم في الدنيا اذ لم ينالوا بها الثناء والمدح ولم تحقن دماؤهم واموالهم وفي الآخرة بانهم لم يستحقوا بها الثواب فصارت كانها لم تكن وهذا هو حقيقة الحبوط وهو الوقوع على خلاف الوجه المامور فلا يستحق عليه الثواب والاجر الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون يريد احبار اليهود اى اعطوا حظا وافرا من التورية او من جنس الكتب المنزلة ومن اما للتبعيض واما للبيان يدعون الى كتاب الله وهو التورية ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله صلعم دخل مدارسهم فدعاهم فقال له بعضهم على اى دين انت قال على ملة ابرهيم فقال ان ابرهيم كان يهوديا فقال ان بيننا وبينكم التورية فابوا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم ان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون الاعراض عادتهم ذلك التولى والاعراض بسبب انهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات اى قلائل اربعين يوما او سبعة ايام وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون اى افتراؤهم وهو قولهم نحن ابناء الله واحباؤه فكيف يصنعون اذا جمعناهم ليوم اى لجزاء يوم لا ريب فيه اى لا شك فيه لمن نظر في الادلة ووفيت كل نفس جزاء ما كسبت وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب اللهم الميم فيه عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصايص هذا الاسم كما اختص التاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه مالك الملك اى تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكونه تؤتى الملك من تشاء تعطى من تشاء من الملك النصيب الذى قسمته له وتنزع ممن تشاء النصيب الذى اعطيته منه فالملك الاول عام والاخران خاصان بعضان من الكل وتعز من تشاء من اوليائك في الدنيا والدين وتذل من تشاء من اعدائك بيدك الخير تؤتيه اوليائك على رغم من اعدائك تولج الليل في النهار اى تنقص الليل وتجعل ذلك النقصان زيادة في النهار وتنقص من النهار وتجعل ذلك النقصان زيادة في الليل وتخرج الحى من الميت اى من النطفة وتخرج الميت اى النطفة من الحى وقيل تخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وترزق من تشاء بغير حساب بغير تقتير لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك

الحبوط

فليس

فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقية ويحذركم الله نفسه والى الله المصير نهى سبحانه المؤمنين ان لا يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب التى تتصادق بها وقد كرر ذلك في القران لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية والحب في الله والبغض في الله اصل كبير من اصول الايمان من دون المؤمنين المعنى ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء اى فليس من ولاية الله في شيء يعنى انه منسلخ عن ولاية الله راسا وهذا امر معقول فان موالاة الولى وموالاة عدوه متنافيان قال تود عدوى ثم تزعم اننى صديقك ان الرأى منك لعازب وقوله من الله في موضع النصب على الحال لانه في الاصل فليس في شيء ثابت من الله فلما تقدم انتصب على الحال ومثله ليسوا من الشر في شيء وان هانا الا ان تتقوا منهم تقية الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه وقرئ تقية وهما جميعا مصدر اتقى تقاة وتقية وتقوى وهذه رخصة في موالاتهم عند الخوف والمراد بهذه الموالاة المخالقة الظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة ويحذركم الله نفسه فلا تتعرضوا لسخطه لموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شيء قدير ان تخفوا ما في صدوركم من ولاية الكفار او غيرها مما لا يرضى الله يعلمه الله ولم يخف عليه وهو يعلم ما في السموات وما في الارض لا يخفى عليه شيء فلا يخفى عليه سركم وجهركم والله على كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه وهى ذاته المتميزة من ساير الذوات المقادرة العالمة فلا تختص بمقدور دون مقدور ولا معلوم دون معلوم وكان احق بان يتقى ويحذر يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد يوم منصوب بتود اى يوم القيمة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا فالضمير في بينه لليوم ويجوز ان ينتصب يوم بمضمر نحو اذكر ويرتفع وما عملت من سوء على الابتداء وتود خبره اى والذى عملته من سوء تود هى لو تباعد ما بينها وبينه ولكون ما موصولة لا يجوز ان تكون شرطية لارتفاع تود ويجوز ان يكون وما عملت عطفا على ما عملت ويكون تود حالا اى تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها وبين اليوم او عمل السوء وقوله محضرا اى مكتوبا في صحفهم يقرؤونه ونحوه ووجدوا ما عملوا حاضرا والامد المسافة كقوله يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين والله رؤف بالعباد رحيم بهم فلا تأمنوا عقابه وتيأسوا من رحمته قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين نزلت الآية في قوم من اهل الكتاب قالوا نحن احباء الله فجعل الله سبحانه مصداق ذلك اتباع رسوله فقال ان كنتم صادقين في دعوى محبة الله فاتبعونى فانكم ان فعلتم ذلك احبكم الله وغفر لكم ومحبة الله

للعبد هي ارادة ثوابه ومحبة العبد لله هي ارادة طاعته فان المحبة من جنس الارادة ثم اكد ذلك
بقوله قل اطيعوا الله والرسول اي ان كنتم تحبون الله كما تدعون فاظهروا دلالة صدق المحبة
بطاعة الله وطاعة رسوله فان تولوا عن طاعة الله ورسوله يحتمل ان يكون ماضيا وان
يكون مضارعا بمعنى فان تتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم فان الله لا يحب الكافرين
لا يحبهم ولا يريد ثوابهم من اجل كفرهم فوضع الظاهر موضع المضمر لهذا المعنى ان الله
اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض
والله سميع عليم ال ابرهيم اسمعيل واسحق واولادهما وال عمران موسى وهرون
ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين الف
وثمانمائة سنة وذرية بدل من ال ابرهيم وال عمران بعض يعني ان الالين ذرية
واحدة متسلسلة بعضها منشعب من بعض وفي قراءة اهل البيت وال محمد على
العالمين وقيل ان ال ابرهيم ال محمد الذين هم اهل بيته ومن اصطفاه الله تعالى
واختاره من خلقه لا يكون الا معصوما عن القبائح وعلى هذا فيجب ان يكون الاصطفاء
مخصوصا بمن كان معصوما من ال ابرهيم وال عمران نبيا كان او اماما اذ قالت امرأة
عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم
فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر
كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان
الرجيم يجوز ان يكون اذ منصوبا بقوله سميع عليم اي سميع عليم لقول امرأة عمران و
نيتها وقيل هو منصوب باذكر وهي امرأة عمران بن ماثان ام مريم البتول جدة عيسى
عليه السلام واسمها حنة وكانتا اختين احديهما هذه والاخرى عند زكريا ع
واسمها اليشاع واسم ابيها فاقود فيحيى ومريم ابنا خالة محررا اي معتقا لخدمة
بيت المقدس لا يدلي عليه ولا استخدمه وروي عن الصادق ع ان الله عز و
جل اوحى الى عمران اني واهب لك ولدا مباركا يبرئ الاكمه والابرص ويحيي
الموتى باذن الله تعالى فحدث امرأته حنة بذلك فلما حملت قالت رب
اني نذرت لك ما بطني محررا فتقبل مني اي نذري قبول رضا انك انت السميع
بما اقول العليم بما انوي فلما وضعتها وكانت ترجو ان يكون غلاما خجلت
واستحيت وقالت منكسة راسها رب اني وضعتها انثى وانما قالت ذلك
تحسرا لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا ولذلك قال
الله تعالى والله اعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها اي والله اعلم بالشيء الذي
وضعت وما علق به من عظايم الامور فهي لا تعلم ذلك وقرئ بما وضعت بضم

الثا

التاء روى ذلك عن امير المؤمنين ع بمعنى ولعل لله فيه سرا او حكمة ولعل هذه الانثى خير من
الذكر تسلية لنفسها ومريم في لغتهم هي العابدة فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا
حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من
عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان
الذكر بقبول حسن فيه وجهان احدهما ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط
والوجور لما يسعط به ويوجر وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر
ولم يقبل قبلها انثى في ذلك او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تصلح للسدانة
والثاني ان يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف يعني فتقبلها بذي قبول حسن
اي بامر ذي قبول حسن وهو الاختصاص وانبتها نباتا حسنا اي جعل نشوها نشوا
حسنا وربّاها تربية حسنة واصلح امرها في جميع احوالها وقرئ وكفلها بالتشديد و
زكرياء بالنصب والفعل لله تعالى بمعنى وضمها اليه وجعله كافلا لها وضامنا
لمصالحها وقرئ زكريا المحراب بالقصر والمد وقيل انه بنى لها زكريا محرابا في المسجد
اي غرفة تصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في
اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وجد عندها
رزقا كان رزقها ينزل عليها من الجنة وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة
الصيف في الشتاء انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق
الدنيا قالت هو من عند الله اي من الجنة وفي كتاب الكشاف عن النبي ص انه جاع
في زمن قحط فاهدت له فاطمة عليها السلام رغيفين وبضعة لحم اثرته بها
فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما
فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها انى لك هذا قالت هو من
عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله الذي
جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه واله
علي بن ابي طالب والحسن والحسين عليهم السلام وجميع اهل بيته حتى شبعوا وبقي
الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها ان الله يرزق من جملة كلام مريم
او كلام رب العزة بغير حساب بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير محاسبة
ومجازاة على عمل هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية
طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان
الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين
هنالك اي في ذلك المكان حيث هو قاعد في المسجد عند مريم في المحراب او في

ذلك الوقت فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى حال مريم عليها السلام في كرامتها على الله و
منزلتها رغب في ان يكون له ولد من ايشاع مثل ولد اختها حنة في الكرامة على الله
وان كانت عاقرا عجوزا قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة اي ولدا مباركا تقيا
نقيا وانما انث على لفظ الذرية والذرية تقع على الواحد والجمع انك سميع الدعاء
اي مجيبه فنادته الملائكة قيل ناداه جبرئيل عليه السلام وقرئ فناديه على التذكير
والامالة وقرئ ان الله يبشرك بالفتح على تقدير بان الله وبالكسر على ارادة القول
او لان النداء ضرب من القول وقرئ يبشرك بفتح الياء والتخفيف من بشره يبشره
بيحيى ان كان اعجميا فانما منع الصرف للتعريف والعجمة وان كان عربيا فللتعريف
ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله بعيسى مؤمنا به قيل انه اول من امن به
وانما سمي كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهو قوله كن من غير سبب اخر وقيل
مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته
وسيدا يسود قومه اي يفوقهم في الشرف والعلم والعبادة وحصورا لا يقرب النساء
حصر النفس ومنعا من الشهوات ونبيا من الصالحين اي رسولا شريفا رفيع المنزلة
كائنا من جملة الانبياء الصالحين قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي
عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لي اية قال ايتك الا تكلم الناس
ثلثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار قال زكريا انى يكون
لي غلام استبعاد من حيث العادة وقد بلغني الكبر كقولهم ادركته السن العالية و
المعنى اثر في الكبر واضعفني وكانت له تسع وتسعون سنة وقيل مائة وعشرون
وامرأته ثمان وتسعون سنة قال كذلك الله اي يفعل الله ما يشاء من الافعال العجيبة
الخارقة للعادة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر و
كذلك الله مبتدأ وخبر اي على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له قال رب اجعل
لي اية اي علامة اعرف بها وقت الحمل لاتلقى هذه النعمة اذا جاءت بالشكر قال ايتك
(متعلق بالتلقي)
ان لا تقدر على تكليم الناس ثلثة ايام الا رمزا اشارة بيد او رأس او غيرهما
واصله التحرك وانما خص تكليم الناس ليعلمه ان حبس لسانه يكون عن القدرة
على تكليمهم خاصة ويكون قادرا على التكليم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا في
ايام عجزك عن تكليم الناس وهي من المعجزات الباهرة وسبح بالعشي من حين
تزول الشمس الى ان تغيب والابكار من طلوع الفجر الى الضحى واذ قالت الملائكة يا
مريم ان الله اصطفيك وطهرك واصطفيك على نساء العالمين يا مريم اقنتي
لربك واسجدي واركعي مع الراكعين اذ هذه معطوفة على اذ قالت امرأة عمران

وقت مو

كلمتها

كلمتها الملائكة شفاها وقالت لها ان الله اصطفيك اولا اذ تقبلك من امك ورباك واختصك
بانواع الكرامة وطهرك من الادناس والاقذار العارضة للنساء من الحيض والنفاس و
اصطفيك اخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من
النساء يا مريم اقنتي لربك امرت بالصلوة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيات الصلوة
واركانها ثم قيل لها واركعي مع الراكعين بمعنى ولتكن صلوتك مع المصلين في الجماعة او انظمي
نفسك في جملة المصلين وكوني في عدادهم ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت
لديهما اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون ذلك اشارة
الى ما سبق من نباء زكريا ويحيى ومريم من انباء الغيب التي لم تعرفها الا بالوحي نوحيه اليك
اليك ان نلقيه اليك معجزة لك لان علم ما غاب عن الانسان لا يمكن حصوله الا بمدارسة الكتب
او بالتعلم او بالوحي ومعلوم انك لم تشاهد هذه القصص ولم تقراها من كتاب ولا تعلمتها
اذ كان نشوك بين قوم لم يكونوا اهل كتاب فوضح انك لم تعرف ذلك الا بالوحي وما كنت
لديهم اذ يلقون اقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية في الماء يقترعون على مريم فارتز
قلم زكريا وارتفع فوق الماء ورسبت اقلام الباقين من الاحبار ايهم يكفل مريم اي
ليعلموا ايهم يكفلها وما كنت لديهم اذ يختصمون في شانها اذ قالت الملائكة يا مريم
ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والاخرة ومن
المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب انى يكون
لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول
له كن فيكون اذ قالت بدل من واذ قالت ويجوز ان يبدل من اذ يختصمون يبشرك
يخبرك بما يسرك بكلمة منه اسمه المسيح واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله
وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب من ايشوع وقيل انما سمي مسيحا لان
جبرئيل عليه السلام مسحه بجناحيه وقت ولادته يعوذه بذلك من الشيطان وقيل لانه كان
لا يمسح ذا عاهة بيده الا برأ منها وانما قيل اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلثة اشياء
الاسم منها عيسى والمسيح لقب من الالقاب الشريفة والابن صفة لان الاسم يكون علامة
المسمى يميز بها عن غيره فكانه قيل ان مجموع هذه الثلثة هو الذي يتميز بذلك من غيره
وجيها حال من كلمة وكذلك ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين اي يبشرك به موصوفا
بهذه الصفات فصح الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة في الدنيا هي النبوة والرياسة
على الناس وفي الاخرة الشفاعة وعلو الرتبة وكونه من المقربين رفعه الى السماء
وقوله في المهد في موضع النصب على الحال من يكلم وكهلا عطف عليه والمعنى ويكلم
الناس طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت بين الحالتين ويعلمه الكتاب و

رز السهم في الحائط اثبته فارتز

رسب ورسوب در اب فرو رفتن چیزی و جز آن
بکو فرو رفتن کنز اللغه

مجمع البيان

جلد اول

١١٣

وقف كتابخانه آستان قدس رضوى

بتاريخ رمضان ١٣٨٥ه خانبابا مشار

الحكمة والتورية والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم باية من ربكم انى اخلق
لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص
واحى الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك
لاية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدى من التورية ولاحل لكم بعض
الذى حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ويعلمه عطف على يبشرك
او على وجيها او على يخلق او كلام مستانف وقرئ ويعلمه بالياء والنون وقوله ورسولا و
مصدقا فيهما وجهان احدهما ان التقدير ويقول ارسلت رسولا بانى قد جئتكم ومصدقا
لما بين يدى والثانى ان الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه قيل وناطقا
بانى قد جئتكم وناطقا بانى اصدق ما بين يدى وانى اخلق فى موضع نصب بدل من انى
قد جئتكم او فى موضع جر بدل من اية او فى موضع رفع على هى انى اخلق لكم وقرئ انى اخلق
لكم بالكسر على الاستيناف والمعنى انى اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه اى فى ذلك الشئ
المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا فيصير طيرا كساير الطيور حيا باذن الله اى بقدرته وامره
وابرئ الاكمه اى الذى يولد اعمى والابرص الذى به وضح وانما كرر باذن الله دفعا لوهم
من توهم فيه الالهية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم كان يقول يا فلان
اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وقوله ولاحل لكم محمول على قوله باية اى جئتكم باية
من ربكم ولاحل لكم ويجوز ان يكون مصدقا محمولا عليه ايضا اى جئتكم باية وجئتكم
مصدقا والذى احل لهم عيسى ع وقد كان محرما عليهم فى شريعة موسى ع هو لحم الابل
والشحم والثرب ولحم بعض الحيتان وجئتكم باية من ربكم اى حجة شاهدة على صحة نبوتى
فاتقوا الله فى مخالفتى وتكذيبى واطيعونى ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصارى الى الله قال الحواريون
نحن انصار الله امنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول
فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ان الله ربى وربكم
انما قال ذلك ليكون حجة على النصارى فى قولهم المسيح بن الله والمعنى لا تنسبونى اليه فانما
انا عبد له كما انكم عبيد له فلما احس اى علم عيسى منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما
يدرك بالحواس قال من انصارى الى الله اى من الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصروننى
كما ينصرنى فيكون الى الله من صلة انصارى ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف حالا من
الياء اى من انصارى ذاهبا الى الله قال الحواريون نحن انصار الله اى انصار دينه و
رسوله وحوارى الرجل صفوته وخاصته ويقال للنساء الحضر الحواريات لنظافتهن
وخلوص الوانهن والحواريون كانوا اثنى عشر رجلا قيل سموا بذلك لانهم نورانيين عليهم

الوضح البياض من كل شئ نهاية

الثرب الشحم الذى يغشى الكرش والامعاء نهاية

سال ٧١٨ خورشيدى

انز العبادة

کتابخانه آستان قدس
ویژه خطی

بسم الله الرّحمن الرّحيم وبه نستعين

الحمد لله الذى ارتفعت عن مطارح الفكر جلالته وجلّت عن مطامح الهمم عزّته وتعالت عن مشابهة
الانام صفته واعجزت مدارك الافهام حكمته وفاقت مبالغ الاوهام عظمته الذى له فى كلّ ما رأته الابصار
اللاحظة وذكرته الالسن اللافظة وبلغته العقول الزاكية وعرفته القلوب الواعية ايات واضحة على وحدانيته
ودلالات ناطقة بربوبيته الواحد لا ثانى له فى القدم المحدث للاشياء بعد العدم انشاها بلا طوية روية آلة
ولا قريحة عزيزة اضمرها عليها هو الظاهر عليها بسلطانه وقدرته الباطن لها بعلمه ولطيف صنعه الاوّل الذى
لا يقدمه قبل الاخر الذى لا يعقبه بعد لا مانع لما اعطى ولا معطى لما منع ولا ينفع ذا الجدّ منه الجدّ احمده
على الائه المتوالية المتظاهرة ونعمه الباطنة والظاهرة حمدا يستدرّ شآبيب جوده الهاطلة ويمترى اخلاف
فضله الحافلة حمدا يدوم ولا يبيد ويستدعى لمثله المزيد واشهد انه الواحد الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد و
لم يكن له كفوا احد واساله باوضح بيان وافصح لسان ان نصلّى على نبيّه وصفيه وحبيبه ونجيّه محمّد سيّد
الانبياء والمرسلين وخير الاوّلين والاخرين المؤكد دعوته بالتائيد المخصوص شريعته بالتابيد نسخت
بها شرايع الماضين ولا نبىّ بعده الى يوم الدين وعلى آله وعترته المتفرعين من سنخه المستودعين
لحكمته الحافظين لشريعته اعلام الاسلام وائمة الانام ما اعتقبت الليالى والايام واختلف الضياء
والظلام ثم الحمد لله الذى انزل القران هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان نورا
يتوقد مصباحه وضياء يتلالا اصباحه ودليلا لا يخمد برهانه وحقا لا يخذل اعوانه وحبلا
وثيقا عروته وجبلا منيعا ذروته وشفاء لما فى الصدور ليس وراءه شفاء ودواء للقلوب ليس
مثله دواء واماما تقتدى بسمته المقتدون وعلما يهتدى بهديه المهتدون جعله سبحانه لائمة
الائمة ربيعا مرتعا ولجنون ذو المحارب من الامة جنانا ممرعا ففيه رياض الحكم وانوارها وينابيع
العلوم بل بحارها واودية الحق وغيطانه ومراتع العدل وعذرائه وهو الكتاب العزيز الذى
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد   فان احق الفضائل بالتقديم
واسبقها فى استحقاق التقديم هو العلم اذ لا شرف الا وهو نظامه ولا كرم الا وهو ملاكه وقوامه
ولا سيادة الا وهو ذروتها وسنامها ولا سعادة الا وبه صحتها وقوامها به يكسب الانسان رفعة
القدر وعلو الامر فى حيوته ويحوز جزيل الاجر وجميل الذكر بعد وفاته وهو الصديق اذا خان
كل صديق والشفيق اذا لم يوثق بكل ناصح شفيق والعلماء ورثة النبيّين وسادة المسلمين والدعاة
الى الدين وقد صح عن النبى صلى الله عليه وآله فيما رواه لنا الثقاة بالاسانيد الصحيحة مرفوعا الى
الامام الهدى وكهف الورى ابى الحسن على بن موسى الرضا عليه السلام عن ابائه سيد عن سيد
وامام عن امام الى ان اتصل به عليه وآله السلام قال طلب العلم فريضة على كل مسلم فاطلبوا العلم
فى مظانه واقتبسوه من اهله فان تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة والمذاكرة به تسبيح والعمل به جهاد
وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة الى الله تعالى لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل

الجز

الجنة والمونس فى الوحشة والصاحب فى الغربة والوحدة والمحدث فى الخلوة والدليل على السراء والضراء
والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء يرفع الله اقواما فيجعلهم فى الخير قادة تقتبس اثارهم و
يقتدى بفعالهم وينتهى الى ارائهم ترغب الملائكة فى خلتهم وباجنحتها تمسحهم وفى صلواتها تبارك
عليهم يستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه ان العلم حيوة القلوب
من الجهل وضياء الابصار من الظلمة وقوة الابدان من الضعف يبلغ بالعبد منازل الاخيار
ومجالس الابرار والدرجات العلى فى الاولى والاخرة الذكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به
يطاع الرب ويعبد وبه توصل الارحام ويعرف الحلال والحرام العلم امام العمل والعمل تابعه يلهمه
السعداء ويحرمه الاشقياء فطوبى لمن لم يحرمه الله منه حظه وفى امثال هذا من الاخبار كثرة لا اطول
بذكرها ثم ان اشرف العلوم واسناها وابهرها وابهاها واجلها وافضلها واكملها وانفعها علم القران
فانه لجميع العلوم الاصل منه يتفرع افانينها والعماد عليه يبنى قوانينها وقد قال امير المؤمنين وسيد
الوصيين على بن ابى طالب عليه السلام القران ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى عجايبه ولا ينقضى
غرايبه وقد روى عن عبد الله بن مسعود انه قال اذا اردتم العلم فاثروا القران فان فيه علم الاولين والاخرين
وعن سعيد عن قتادة فى قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا قال هو القران وعن رجاء بن حيوة قال
كنا يوما انا وابى عند معاذ بن جبل فقال من هذا يا حيوة فقال هذا ابنى رجاء فقال معاذ هل علمته القران
قال لا قال فعلمه القران فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ما من رجل علم ولده القران الا
توج ابواه يوم القيمة بتاج الملك وكسيا حلتين لم ير الناس مثلهما ثم ضرب بيده على كتفى فقال يا بنى ان استطعت
ان تكسو ابويك يوم القيمة حلتين فافعل وروى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال من قال
فى القران بغير علم فليتبوء مقعده من النار وصح عن النبى صلى الله عليه وآله برواية العام والخاص انه قال
انى تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى اهل بيتى وانهما لن يفترقا حتى يردا على
الحوض وانما احذف اسانيد امثال هذه الاحاديث ايثارا للتخفيف ولاشتهارها عند اصحاب الحديث وقد
خاض العلماء قديما وحديثا فى علم تفسير القران واجتهدوا فى ابراز مكنونه واظهار مضمونه والفوا فيه كتبا جمة
غاصوا فى كثير منها الى اعماق لججه وشققوا الشعر فى ايضاح حججه وحققوا فى تفتيح ابوابه ويغلل شعابه الا
ان اصحابنا رضى الله عنهم لم يدونوا فى ذلك غير مختصرات نقلوا فيها ما وصل اليهم فى ذلك من الاخبار
ولم يعنوا ببسط المعانى فيه وكشف الاسرار الا ما جمعه الشيخ الاجل السعيد ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسى
قدس الله روحه من كتاب التبيان فانه الكتاب الذى يقتبس منه ضياء الحق ويلوح فيه رواء الصدق
قد تضمن من المعانى الاسرار البديعة واحتضن من الالفاظ اللغة الوسيعة ولم يقنع بتدوينها دون تبيينها
ولا بتنميقها دون تحقيقها وهو القدوة استضىء بانواره واطأ مواقع اثاره غير انه خلط فى اشياء
مما ذكره فى الاعراب والنحو الغث بالسمين والخاثر بالزباد ولم يميز بين الصلاح مما ذكر فيه والفساد
وادى الالفاظ فى مواضع من متضمناته قاصرة عن المراد واخلّ بحسن الترتيب وجودة التهذيب فلم يقع
لذلك من القلوب السليمة الموقع المرضى ولم يعل من الخواطر الكريمة المكان العلى وقد كنت فى ريعان الشباب

الشاهد حداثة السن وريان العيش ونضارة الغصن كثير النزاع قلق التشوق شديد التشوق
الى جمع كتاب في التفسير ينتظم اسرار النحو اللطيفة ولمع اللغة الشريفة ويفي فوايد درر القران من متوجهاتها
مع بيان حججها الواردة من جميع جهاتها ويجمع جوامع البيان في المعاني المستنبط معادنها المستخرج
كوامنها الى غير ذلك من علومه الجمة مطلعة من الغلق والاكمة فيعترض لذلك خوالج الزمان وعوايق
الحدثان وواردات الهموم وهفوات القدر المحتوم هلم جرا الى الان وقد ذرف سني الستين واشتعل
الراس شيبا وامتلات العيبة عيبا فحداني على تصميم هذه العزيمة ما رايت من عناية مولانا الامير السيد
الاجل العالم ولي النعم جلال الدين ركن الاسلام مخلص الملوك والسلاطين سيد نقباء الشرف تاج امراء
السادة فخر آل رسول الله صلى الله عليه وآله ابي منصور محمد بن يحيى هبة الله الحسيني ادام الله علاه
وكبت اعداه بهذا العلم وصدق رغبته في معرفة هذا الفن وقصر همه على تحصيل حقايقه والاحتواء على
جلايله ودقايقه والله عز اسمه المسئول في انه يحرس الاسلام والمسلمين ربيع حضرته ويفيض على الفضل
والفضلاء سجال سيادته ويديم على العلم والعلماء امداد سعادته ويبقي اقباله في دولة سيما السماء لا يرتقى
هضباتها ورفعة سامية السنا لا يبتغى جبايتها وتوفي اماله في ظلال مجده محلول ظلاله وجلال فضل مزرور
عليه جلاله مضروبة كلله ويديم جماله في غبطة رفيعة القلل وبسطة مرعية الظلل حتى يحوز من المنى غاياتها
متلقيا بيمينه راياتها ويفوز بالامال غير مدافع يتلو عليه سعده اياتها يظل شمس المجد في ساحاته
يجلو عليه جرمها باناتها فكل غاية في المجد ادنى درجات قدره وكل نهاية في الشرف ادون طبقات
فخره فاوجبت على نفسي اجابته الى مطلوبه واسعافه بمحبوبه واستخرت الله تعالى ثم قصرت وهمي
على اقتناء هذه الذخيرة الخطيرة واكتساب هذه الفضيلة النبيلة وشمرت عن ساق الجد وبذلت
غاية الجهد والكد واسهرت الناظر واتعبت الخاطر واطلت التفكير واحضرت التفاسير واستمددت
من الله سبحانه التوفيق والتيسير وابتدات بتاليف كتاب هو في غاية التلخيص والتهذيب وحسن
النظم والترتيب يجمع انواع هذا العلم وفنونه ويحوي فصوصه وعيونه من علم قراءته واعرابه ولغاته
وغوامضه ومشكلاته ومعانيه وجهاته ونزوله واخباره وقصصه واثاره وحدوده واحكامه و
حلاله وحرامه والكلام على مطاعن المبطلين فيه وذكر ما يتفرد به اصحابنا رضي الله عنهم من الاستدلال
بمواضع كثيرة منه على صحة ما يعتقدونه من الاصول والفروع والمعقول والمسموع على وجه الاعتدال
والاختصار فوق الايجاز ودون الاكثار فان الخواطر في هذا الزمان لا يحتمل اعباء العلوم الكثيرة و
تضعف عن الاجراء في الحلبات الكثيرة الخطيرة اذ لم يبق من العلماء الا الاسماء ومن العلوم الا الذماء
وقدمت في مطلع كل سورة ذكر مكيها ومدنيها ثم ذكر الاختلاف في عدد اياتها ثم ذكر فضل تلاوتها
ثم اقدم في كل اية الاختلاف في القراات ثم ذكر العلل والاحتجاجات ثم ذكر العربية واللغات ثم ذكر الاعراب
والمشكلات ثم ذكر الاسباب والنزولات ثم ذكر المعاني والاحكام والتاويلات والقصص والجهات
ثم ذكر النظام والايات على اني قد جمعت في عربيته كل غرة لايحة وفي اعرابه كل حجة واضحة وفي معانيه
كل قول متين وفي مشكلاته كل برهان مبين فهو بحمد الله للاديب عمدة وللنحوي عدة وللمقري بصيرة و

مظلول ظلاله

للسالك

وللناسك ذخيرة وللمتكلم حجة وللمحدث محجة وللفقيه دلالة وللواعظ الة وسميته كتاب مجمع البيان
لعلوم القران وارجو ان شاء الله ان يكون كتابا كثير الدرر غزير الغرر متواصف السمات متناصف الصفات
سيارا في الانجاد والاغوار طيارا في الافاق والاقطار مهذب الترتيب مذهبا لتهذيب احكام الشريعة
بمعانيه منوطة واعلام الحقيقة بمبانيه مربوطة وبحول الله اعتصم وبقوته وعونه افتتح واختتم واياه
اسال الهداية للتي هي اقوم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب وقبل ان نشرع في تفسير السور
والايات فنحن نصدر الكتاب بذكر مقدمات لا بد من معرفتها لمن اراد الخوض في علومه يجمعها فنون سبعة

في اعداد اي القران والفائدة في معرفتها

اعلم ان عدد اهل الكوفة اصح الاعداد واعلاها
اسنادا لانه ماخوذ عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ويعضده الرواية الواردة عن النبي صلى الله
عليه وآله انه قال فاتحة الكتاب سبع ايات احدهن بسم الله الرحمن الرحيم وعدد اهل المدينة منسوب
الى ابي جعفر يزيد بن القعقاع القاري وشيبة بن نصاح وهما المدني الاول والى اسمعيل بن جعفر وهو
المدني الاخير وقيل المدني الاول هو الحسن بن علي بن ابي طالب وعبد الله بن عمر والمدني الاخير ابو جعفر
وشيبة واسمعيل والاول اشهر وعدد اهل البصرة منسوب الى عاصم بن ابي الصباح الجحدري وايوب
المتوكل لا يختلفان الا في اية واحدة في ص قوله فالحق والحق اقول عدها الجحدري وتركها ايوب وعدد
اهل مكة منسوب الى مجاهد بن جبير والى اسمعيل المكي وقيل لا ينسب عددهم الى احد بل وجد في مصاحفهم
على راس كل اية ثلث نقط وعدد اهل الشام منسوب الى عبد الله بن عامر والفايدة في معرفة اي القران ان
القاري اذا عدها باصابعه كان اكثر ثوابا لانه قد شغل يده بالقران مع قلبه ولسانه وبالحري ان تشهد له يوم
القيمة فانها مسئولة ولان ذلك اقرب الى التحفظ فان القاري لا يامن السهو وقد روي عن عبد الله بن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال تعاهدوا القران فانه وحشي وقال عليه السلام لبعض النساء اعقدن
بالانامل فانهن مسئولات ومستنطقات وقال حمزة بن حبيب وهو احد القراء السبعة العدد مسامير
القران

في ذكر اسامي القراء المشهورين في الامصار ورواتهم

اما المدني فابو جعفر يزيد بن
القعقاع وليس من السبعة وذكر انه قرا على عبد الله بن عباس وعلى مولاه عبد الله بن عياش بن ابي ربيعة
المخزومي وهما قرآ على ابي بن كعب وقرا ابي على النبي صلى الله عليه وآله وله رواية واحدة ونافع بن عبد الرحمن
قرا على ابي جعفر ومنه تعلم القران وعلى شيبة بن نصاح وعلى عبد الرحمن بن هرمز الاعرج وقرا على ابن
عباس وله ثلث روايات رواية ورش وهو عثمان بن سعيد ورواية قالون عيسى بن مينا ورواية
اسمعيل بن جعفر واما المكي فهو عبد الله بن كثير لا غير وقرا على مجاهد وقرا مجاهد على ابن عباس
وله ثلاث روايات رواية البزي ورواية ابن فليح ورواية ابي الحسن القواس واذا اجتمع اهل
مكة والمدينة قيل حجازي واما الكوفي فاولهم عاصم بن ابي النجود بهدلة وله روايتان رواية حفص
بن سليمان البزاز ورواية ابي بكر بن عياش ولابي بكر بن عياش ثلث روايات رواية ابي يوسف
الاعشى وابي صالح البرجمي ويحيى بن ادم ولحفص اربع روايات رواية ابي شعيب القواس و
هبيرة التمار وعبيد بن الصباح وعمرو بن الصباح ثم حمزة بن حبيب الزيات وله سبع روايات

رواية العجلي عبد الله بن صالح ورواية رجا بن عيسى ورواية حماد بن احمد ورواية خلاد بن خالد ورواية ابي عمر الدوري ورواية محمد بن سعدان النحوي ورواية خلف بن هشام ثم ابو الحسن علي بن حمزة الكسائي وله ست روايات رواية قتيبة بن مهران ورواية نصير بن يوسف النحوي ورواية ابي الحرث ورواية ابي حمدون الزاهد ورواية حمدون بن ميمون الزجاج ورواية ابي عمر الدوري ثم خلف بن هشام البزاز وليس من السبعة وله اختيار فاما عاصم فانه قرأ على ابي عبد الرحمن السلمي وهو قرأ على علي بن ابي طالب وقرأ ايضا على زر بن جيش وهو قرأ على عبد الله بن مسعود فاما حمزة فقرأ على جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وقرأ ايضا على الاعمش سليمان بن مهران وقرأ الاعمش على يحيى بن وثاب وهو قرأ على علقمة ومسروق والاسود بن زيد وقرأوا على عبد الله بن مسعود وقرأ حمزة على حمران بن اعين ايضا وهو قرأ على ابي الاسود الدئلي وقرأ على علي بن ابي طالب عليه السلام واما الكسائي فقرأ على حمزة ولقي من مشايخ حمزة بن ابي ليلى وقرأ على ابان بن تغلب وعيسى بن عمر وغيرهم واما البصري فابو عمرو بن العلاء وله ثلث روايات رواية ابي حمدون الزاهد وابي عمر الدوري واوقية وابي نعيم غلام سجادة وابي ايوب الخياط وابي شعيب السوسي ومن البصرة يعقوب بن اسحاق الحضرمي وابو حاتم سهل بن محمد السجستاني وليسا من السبعة واما يعقوب فله ثلث روايات رواية روح وزيد ورويس واذا اجتمع اهل الكوفة والبصرة قيل عراقي واما الشامي فهو عبد الله بن عامر اليحصبي لا غير وقرأ على المغيرة بن ابي شهاب المخزومي وقرأ المغيرة على عثمان بن عفان وله روايتان رواية ابن ذكوان ورواية هشام بن عمار قالوا وانما اجتمع الناس على قراءات هؤلاء واقتدوا بهم فيها لسببين احدهما انهم تجردوا للقراءة القرآن واشتدت بذلك عنايتهم مع كثرة علمهم ومن كان قبلهم او في ازمنتهم ممن نسب اليه القراءة من العلماء وعدت قراءتهم في الشواذ لم يتجرد لذلك تجردهم وكان الغالب على اولئك الفقه او الحديث او غير ذلك من العلوم والاخر ان وجدت قراءتهم مسندة لفظا وسماعا حرفا حرفا من اول القرآن الى آخره مع ما عرف من فضائلهم وكثرة علمهم بوجوه القرآن واذ قد تبينت ذلك فاعلم ان الظاهر من مذهب الامامية انهم اجمعوا على جواز القراءة بما يتداول القراء بينهم من القراءات الا انهم اختاروا القراءة بما جاز بين القراء وكرهوا تجريد قراءة مفردة والشايع في اخبارهم ان القرآن نزل بحرف واحد وما روته العامة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال نزل القرآن على سبعة احرف كلها شاف كاف اختلف في تاويله فاجرى قوم لفظة الاحرف على ظاهره ثم حملوه على وجهين احدهما ان المراد سبعة اوجه من القرآن لغات مما لا يغير حكما في تحليل ولا تحريم مثل هلم واقبل وتعال وكانوا مخيرين في مبدأ الاسلام في ان يقرأوا بما شاؤوا منها ثم اجمعوا على احدها واجماعهم حجة فصار ما اجمعوا عليه مانعا مما اعرضوا عنه والاخر ان المراد سبعة اوجه من القرآن وذكر ان الاختلاف في القراءات على سبعة اوجه احدها اختلاف اعراب الكلمة مما لا يزيلها عن صورتها في الكتابة ولا يغير معناها نحو قوله فيضاعفه بالرفع والنصب والثاني الاختلاف في الاعراب مما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها نحو قوله اذ تلقونه والثالث الاختلاف في حروف الكلمة دون اعرابها مما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله كيف ننشزها وننشرها بالزاء والراء والرابع الاختلاف في الكلمة مما يغير صورتها ولا يغير معناها نحو قوله ان كانت الا صيحة والا زقية والخامس الاختلاف في الكلمة مما يزيل صورتها ومعناها نحو طلح منضود وطلع والسادس الاختلاف بالتقديم والتاخير نحو قوله وجاءت سكرة الموت بالحق وسكرة

الحق

الحق بالموت والسابع الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله وما عملت ايديهم وما عملته ايديهم قال الشيخ السعيد ابو جعفر الطوسي قدس الله روحه وهذا الوجه اصلح لما روي عنهم عليهم السلام من جواز القراءة بما اختلف القراء فيه وحمل جماعة من العلماء الاحرف على المعاني والاحكام الذي ينتظمها القرآن دون الالفاظ واختلفت اقوالهم فيها فمنهم من قال انها وعد ووعيد وامر ونهي وجدل وقصص ومثل وروي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال نزل القرآن على سبعة احرف زجر وامر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال وروى ابو قلابة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال نزل القرآن على سبعة احرف امر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل وقال بعضهم ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه ومجمل ومفصل وتاويل لا يعلمه الا الله عز وجل

في ذكر التفسير والتاويل

والمعنى وتحرير جملة موجزة اليها ينساق اكثر الكلام فيما ياتي من الكتاب التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل والتاويل رد احد المحتملين الى ما يطابق الظاهر والفسر البيان وقال ابو العباس المبرد التفسير والتاويل والمعنى واحد وقيل الفسر كشف المغطى والتاويل انتهاء الشيء ومصيره وما يؤول اليه امره والمعنى ماخوذ من قولهم عنيت فلانا اي قصدته فكان المراد بقولهم عني به كذا اقصد بالكلام كذا وقيل هو من قولهم عنيت بهذا الامر اي تكلفته واعلم ان الخبر قد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وعن الائمة القائمين مقامه عليهم السلام ان تفسير القرآن لا يجوز الا بالاثر الصحيح والنص الصريح وروت العامة ايضا عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من فسر القرآن برايه فاصاب الحق فقد اخطا قالوا وكره جماعة من التابعين القول في القرآن بالراي كسعيد بن المسيب وعبيدة السلماني ونافع وسالم بن عبد الله وغيرهم والقول في ذلك ان الله سبحانه ندب الى الاستنباط واوضح السبيل اليه ومدح اقواما عليه وقال لعلمه الذين يستنبطونه منهم وذم آخرين على ترك تدبره والاضراب عن التفكر فيه فقال افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها وذكر ان القرآن منزل بلسان عربي فقال انا جعلناه قرآنا عربيا وقال النبي صلى الله عليه وآله اذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فاقبلوه وما خالفه فاضربوا به عرض الحايط فبين ان الكتاب حجة ومعروض عليه وكيف يمكن العرض عليه وهو غير مفهوم المعنى فهذا وامثاله يدل على ان الخبر متروك الظاهر فيكون معناه ان صح من حمل القرآن على رايه ولم يعمل بشواهد لفظه فاصاب الحق فقد اخطا الدليل وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على احسن الوجوه وروي عن عبد الله بن عباس انه قسم وجوه التفسير على اربعة اقسام تفسير لا يعذر احد بجهالته وتفسير يعرفه العرب بكلامها وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله تعالى فاما الذي لا يعذر احد بجهالته فهو ما يلزم الكافة من الشرايع التي في القرآن وجمل دلايل التوحيد واما الذي تعرفه العرب بلسانها فهو حقايق اللغة وموضوع كلامهم واما الذي يعلمه العلماء فهو تاويل المتشابه وفروع الاحكام واما الذي لا يعلمه الا الله فهو ما يجري مجرى الغيوب وقيام الساعة واقول ان الاعراب اجل علوم القرآن فان اليه يفتقر كل بيان وهو يفتح من الالفاظ الاغلاق ويستخرج من فحواها الاعلاق اذ الاغراض كامنة فيها فيكون هو المثير لها والباحث عنها والمشير اليها وهو معيار الكلام الذي لا يبين نقصانه ورجحانه حتى يعرض عليه ومقياسه الذي لا يميز بين سقيمه ومستقيمه حتى يرجع اليه وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه فاذا كان ظاهر الكلام طبقا لمعناه وكل من عرف العربية والاعراب عرف فحواه ويعلم مراد الله تعالى به قطعا هذا اذا كان اللفظ غير مجمل يحتاج الى بيان ولا محتمل لمعنيين او معان وذلك مثل قوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وقوله والهكم اله واحد وقوله ولا يظلم ربك احدا واشباه ذلك

فاما ما كان مجملا لا ينبئ ظاهره عن المراد به مفصلا مثل قوله سبحانه اقيموا الصلوة واتوا الزكوة واتوا حقه يوم حصاده
فانه يحتاج فيه الى بيان النبي صلى الله عليه واله بوحي من الله سبحانه اليه فيبين تفصيل اعيان الصلوات واعداد الركعات
ومقادير النصب في الزكوات وامثالها كثيرة والشروع في بيان ذلك من غير نص وتوقيف ممنوع منه ويمكن ان يكون الخبر
الذي تقدم محمولا عليه واما ما كان محتملا لامور كثيرة ولامرين ولا يجوز ان يكون الجميع مرادا بل قد دل الدليل على
انه لا يجوز ان يكون المراد الا وجها واحدا فهو من باب المتشابه لاشتباه المراد منه بما ليس بمراد فيحمل على الوجه الذي يوافق
الدليل وجاز ان يقال انه هو المراد وان كان اللفظ مشتركا بين معنيين او اكثر ويمكن ان يكون كل واحد من ذلك
مرادا فلا ينبغي ان يقدم عليه بجسارة فيقال ان المراد به كذا قطعا الا بقول نبي او امام مقطوع على صدقه بل يجوز ان
يكون كل واحد مرادا على التفصيل ولا يقطع عليه ولا يقلد احدا من المفسرين فيه الا ان يكون التاويل مجمعا عليه فيجب
اتباعه لانعقاد الاجماع عليه فهذه الجملة تخصها اصل يجب ان يرجع اليه ويعول عليه ونعتبر به وجوه التفسير وما اختلف
فيه العلماء من نزول القرآن والمعاني والاحكام

في ذكر معاني القرآن واساميها — اسامي القرآن ومعانيها

القرآن معناه القراءة في
الاصل وهو مصدر قرأت اي تلوت وهو المروي عن ابن عباس وقيل مصدر قرات الشيء اي جمعت بعضه الى بعض قال عمرو
بن كلثوم ذراعي عيطل ادماء بكر هجان اللون لم تقرا جنينا اي لم تضم جنينها في رحمها وهو المروي عن قتادة وانما سمي بالمصدر
وهو في الحقيقة المقروء كما سمي المكتوب كتابا والمحسوب حسابا ومن اسمائه الكتاب ايضا وهو الماخوذ من الجمع ايضا يقال
كتبت السقاء اذا جمعته بالخرز ومن اسمائه الفرقان سمي بذلك لانه يفرق بين الحق والباطل بادلته الدالة على صحة الحق و
بطلان الباطل عن ابن عباس وقيل سمي بذلك لانه يؤدي الى النجاة والمخرج كقوله سبحانه ويجعل لكم فرقانا ومن اسمائه
الذكر قال سبحانه انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وهو يحتمل امرين احدهما انه يريد به انه ذكر من الله لعباده
بالفرايض والاحكام والاخر انه شرف لمن امن به وصدق بما فيه كقوله سبحانه وانه لذكر لك ولقومك فهذه اربعة
اسماء وقد شاع في الخبر عن النبي صلى الله عليه واله انه قال اعطيت مكان التوراة السبع الطول ومكان الانجيل المثاني
ومكان الزبور المائين وفضلت بالمفصل وفي رواية واثلة بن الاسقع واعطيت مكان الانجيل المائين ومكان الزبور
المثاني واعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش لم يعطها نبي قبلي واعطاني ربي المفصل نافلة فالسبع
الطوال البقرة وال عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال مع التوبة لانهما تدعيان القرينتين ولذلك
لم يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم وقيل ان السابعة سورة يونس والطول جمع الطولى تانيث الاطول وانما سميت
هذه السور الطول لانها اطول سور القرآن واما المثاني فهي السور التالية للسبع الطول اولها سورة يونس واخرها النحل
وانما سميت مثاني لانها ثنت الطول اي تلتها فكان الطول هي المبادي والمثاني لها ثواني وواحدها مثنى مثل المعنى والمعاني
وقال الفراء واحدها مثناة وقيل المثاني سور القرآن كلها طوالها وقصارها من قوله تعالى كتابا متشابها مثاني وهو قول ابن عباس
انما سميت مثاني لان الله سبحانه ثنى فيها الامثال والحدود والفرايض وقيل ان المثاني في قوله ولقد اتيناك سبعا من
المثاني ايات سورة الحمد وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلم وبه قال الحسن البصري واما المائون فهي كل سورة يكون نحوا من مائة
اية او فويق ذلك او دونه وهي سبع اولها سورة بني اسرائيل واخرها المؤمنون وقيل ان المائين ما ولي السبع الطول ثم المثاني
بعدها وهي التي تقصر عن المائين وتزيد على المفصل وسميت مثاني لان المائين مبادلها فاما المفصل فما بعد الحواميم
من قصار السور الى اخر القرآن سميت مفصلا لكثرة الفصول بين سورها ببسم الله الرحمن الرحيم

في اشياء

١١٧

من علوم القرآن يحال في شرحها وبسط الكلام فيها على المواضع المختصة بها والكتب المؤلفة فيها من ذلك العلم بكون القرآن
معجزا خارقا للعادة والاستدلال به على صدق النبي صلى الله عليه واله والكلام في وجه اعجازه وهل هو ما فيه من
الفصاحة المفرطة او لما من النظم المخصوص والاسلوب البديع او الصرفة وهو ان الله تعالى صرف العرب عن معارضته
وسلبهم العلم الذي يتمكنون به من مماثلته في نظمه وفصاحته فموضع ذلك اجمع كتب الاصول وقد دونه مشايخ
المتكلمين في كتبهم لا سيما السيد الاجل المرتضى علم الهدى ذو المجدين ابو القاسم علي بن الحسين الموسوي في كتابه الموضح عن وجه
اعجاز القرآن فانه فرع الكلام فيه هناك الى غاية ما يتفرع وبناه الى نهاية ما ينتهي فلا يشق غباره غاية الابد اذا
استولى فيه على الامد ومن ذلك الكلام في زيادة القرآن ونقصانه فانه لا يليق بالتفسير واما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه
واما النقصان فيه فقد روى جماعة من اصحابنا وقوم من حشوية العامة ان في القرآن تغيرا ونقصانا والصحيح من
مذهب اصحابنا خلافه وهو الذي نصره المرتضى قدس الله روحه واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب
المسائل الطرابلسيات وذكر في مواضع ان العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقايع العظام
والكتب المشهورة واشعار العرب المسطورة فان العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وحراسته وبلغت الى حد
لم يبلغه فيما ذكرناه لان القرآن معجز النبوة وماخذ العلوم الشرعية والاحكام الدينية وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه
وحمايته الغاية حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من اعرابه وقراءته وحروفه واياته فكيف يجوز ان يكون مغيرا او
منقوصا مع العناية الصادقة والضبط الشديد وقال ايضا قدس الله روحه ان العلم بتفصيل القرآن وابعاضه في
صحة نقله كالعلم بجملته وجرى مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة ككتاب سيبويه والمزني فان اهل العناية بهذا
الشان يعلمون من تفصيلهما ما يعلمونه من جملتهما حتى لو ان مدخلا ادخل في كتاب سيبويه بابا في النحو ليس من الكتاب
لعرف وميز وعلم انه ملحق ومن اصل الكتاب وكذلك القول في كتاب المزني ومعلوم ان العناية بنقل القرآن وضبطه
اصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء وذكر ايضا رضي الله عنه ان القرآن كان على عهد
رسول الله صلى الله عليه واله مجموعا مؤلفا على ما هو عليه الان واستدل على ذلك بان القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه
في ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له وانه كان يعرض على النبي صلى الله عليه واله وسلم ويتلى عليه
وان جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وابي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي صلى الله عليه واله
عدة ختمات وكل ذلك بادنى تامل على انه كان مجموعا مرتبا غير مبتور ولا مبثوث وذكر ان من خالف في ذلك
من الامامية والحشوية لا يعتد بخلافهم فان الخلاف في ذلك مضاف الى قوم من اصحاب الحديث نقلوا اخبارا
ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته ومن ذلك الكلام في النسخ والناسخ والمنسوخ
وحدودها واقسام النسخ وشرايطه والفصل بينه وبين البداء والتخصيص وهل يجوز نسخ العبادة قبل فعلها وهل
يجوز نسخ القرآن بالسنة وما يعرف به الناسخ ناسخا والمنسوخ منسوخا فان ذلك اجمع وان كان من العلوم المتعلقة
بالقرآن فان موضعها الكتب المؤلفة في اصول الفقه وستجد منه ما يليق بالتفسير في مظانه من الكتاب مستوفى ان شاء الله
تعالى

في ذكر بعض ما جاء من الاخبار المشهورة في فضل القرآن واهله

انس بن مالك عن النبي صلى الله
عليه واله قال اهل القرآن هم اهل الله وخاصته وعنه انه قال صلى الله عليه واله افضل العبادة قراءة القرآن وعنه
انه قال القرآن غنى لا غنى دونه ولا فقر بعده عبد الله بن عباس رضي الله عنه انه صلى الله عليه واله قال اشراف امتي

حملة القران واصحاب الليل عبد الله بن مسعود عنه صلى الله عليه وآله انه قال ان هذا القرآن مادبة الله فاعلموا مادبته
ما استطعتم ان هذا القران حبل الله وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه لا يعوج فيقوم
ولا يزيغ فيستعتب لا ينقضي عجايبه ولا يخلق عن كثرة الرد فاتلوه فان الله ياجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات
اما انى لا اقول الم عشر ولكن الف عشر ولام عشر وميم عشر الحرث الاعور عن امير المؤمنين صلوات الله عليه قال في
حديث طويل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول انها ستكون فتن قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله
فيه خبر ما قبلكم ونبا ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل وهو الذى لا يزيغ به الاهوا ولا يشبع منه العلماء ولا
يخلق عن كثرة رد ولا ينقضي عجايبه هو الذى من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره اضله الله هو حبل
الله المتين وهو الصراط المستقيم وهو الذى من عمل به اوجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه دعا الى صراط مستقيم
عاصم بن حمزة عن على عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ القران حتى يستظهره ويحفظه ادخله الله الجنة
وشفعه فى عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت له النار عبد الله بن عمر عنه ع قال يقال لصاحب القران اقرأ وارقه ورتل
كما يرتل فى الدنيا فان منزلك اخر اية تقراها وعنه صلى الله عليه وآله من قرأ القران فراى ان احدا اعطى افضل مما
اعطى فقد حقر ما عظم الله وعظم ما حقر الله وعنه انه قال من قرأ القران فكانما ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى
اليه ابو سعيد الخدرى عنه عليه السلام قال حملة القران فى الدنيا عرفاء اهل الجنة يوم القيمة وقال امير المؤمنين عليه السلام
من دخل فى الاسلام طايعا وقرأ القران ظاهرا فله فى كل سنة مايتا دينار فى بيت مال المسلمين ان منع فى الدنيا اخذها
يوم القيمة وافية احوج ما يكون اليها وهذه الاخبار يسير عن كثير وغيض من فيض ونزر من جم اقتصرنا عليها ايثارا للاختصار

فى ذكر ما يستحب للقارى من تحسين اللفظ وتزيين الصوت بقراءة القران البراء بن عازب قال

قال رسول الله صلى الله عليه وآله زينوا القران باصواتكم حذيفة اليمان قال رسول الله صلى الله عليه وآله اقرؤا القران
بلحون العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق واهل الكباير وسيجئ قوم من بعدى يرجعون بالقران ترجيع
الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شانهم علقمة بن قيس قال كنت
حسن الصوت بالقران فكان عبد الله بن مسعود يرسل الى فاقرأ عليه فاذا فرغت من قراءتى قال زدنا من هذا فداك
ابى وامى فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول حسن الصوت زينة للقران انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وآله
ان لكل شئ حلية وحلية القران الصوت الحسن عبد الرحمن بن السايب قال قدم علينا سعد بن ابى وقاص فاتيته مسلما
عليه فقال مرحبا يا ابن اخى بلغنى انك حسن الصوت بالقران قلت نعم والحمد لله قال فانى سمعت رسول الله يقول ان القران
نزل بالحزن فاذا قراتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وتغنوا فمن لم يتغن بالقران فليس منا وتاول بعضهم تغنوا بمعنى
استغنوا به واكثر العلماء على انه تزيين الصوت وتحزينه وهاهنا سياتى الكلام فى التفسير والله سبحانه ولى التسهيل
والتيسير وعليه التكلان فى كل الامور وهو حسبنا واليه المصير بسم الله الرحمن الرحيم فاتحة الكتاب مكية عن ابن عباس
وقتادة ومدنية عن مجاهد وقيل انزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة اسماؤها فاتحة الكتاب سميت بذلك لافتتاح
المصاحف بكتابتها ولوجوب قراءتها فى الصلوة فهى فاتحة لما يتلوها من سور القران فى الكتاب والقراءة الحمد سميت
بذلك لان فيها ذكر الحمد ام الكتاب سميت بذلك لانها متقدمة على ساير سور القران والعرب تسمى كل جامع امر او متقدم
لامر اذا كانت له توابع تتبعه اما فيقولون ام الراس للجلدة التى تجمع الدماغ وام القرى لان الارض دحيت من تحت

١١٧

مكة فصارت لجميعها اما وقيل لانها اشرف البلدان فهى متقدمة على سايرها وقيل سميت بذلك لانها اصل القران
والام هى الاصل وانما صارت اصل القران لان الله تعالى اودعها مجموع ما فى السور لان فيها اثبات الربوبية والعبودية
وهذا هو المقصود بالقران السبع سميت بذلك لانها سبع ايات لا خلاف فى جملتها المثانى سميت بذلك لانها
تثنى بقراءتها فى كل صلوة فرض وقيل لانها نزلت مرتين هذه اسماؤها المشهورة وقد ذكر فى اسمائها الوافية
لانها تنصف فى الصلوة والكافية لانها تكفى عن ما سواها ولا يكفى ما سواها عنها ويؤيد ذلك رواية عبادة
بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وآله ام القران عوض عن غيرها وليس غيرها عوضا عنها والاساس لما روى عن ابن
عباس ان لكل شئ اساسا وساق الحديث الى ان قال واساس القران الفاتحة واساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم
والشفاء لما روى عن النبى صلى الله عليه وآله فاتحة الكتاب شفاء كل داء والصلوة لما روى عن النبى صلى الله عليه وآله
قال قال الله عز وجل قسمت الصلوة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى فاذا قال العبد
الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدنى عبدى واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله اثنى على عبدى فاذا قال العبد
مالك يوم الدين يقول الله عز وجل مجدنى عبدى فاذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بينى وبين
عبدى ولعبدى ما سال فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم الى اخره قال هذا لعبدى ولعبدى ما سال اورده مسلم
بن الحجاج فى الصحيح فهذه عشرة اسماء ذكر الشيخ ابو الحسن الجنابذى المقرى فى كتابه فى القراءات اخبرنا الامام
ابو بكر احمد بن ابرهيم وكان شيخ عبد الله بن محمد قالا حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن شريك قال حدثنا احمد بن يونس اليربوعى
قال حدثنا سلام بن سليمان المداينى قال حدثنا هرون بن كثير عن زيد بن اسلم عن ابيه عن ابى امامة عن ابى بن كعب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وآله ايما مسلم قرأ فاتحة الكتاب اعطى من الاجر كانما قرأ ثلثى القران واعطى من الاجر كانما
تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وروى من طريق اخر هذا الخبر بعينه الا انه قال كانما قرأ القران وروى غيره عن ابى بن كعب
قال قرات على رسول الله صلى الله عليه وآله فاتحة الكتاب فقال والذى نفسى بيده ما انزل الله فى التورية ولا الانجيل ولا فى
ولا فى الزبور ولا فى القران مثلها قال هى ام القران وهى السبع المثانى وهى مقسومة بين الله وبين عبده ولعبده
ما سال وفى كتاب محمد بن مسعود العياشى رحمه الله باسناده ان النبى صلى الله عليه وآله قال لجابر بن عبد الله الانصارى
قال يا جابر الا اعلمك افضل سورة انزلها الله فى كتابه قال فقال له جابر بلى بابى انت وامى يا رسول الله علمنيها قال فعلمه الحمد
ام الكتاب ثم قال يا جابر الا اخبرك عنها قال بلى بابى انت وامى فاخبرنى قال هى شفاء من كل داء الا السام والسام الموت
وعن سلمة بن محرز عن الصادق عليه السلم قال من لم يبرأه الحمد لم يبرأه شئ وروى عن امير المؤمنين عليه السلام قال ان
رسول الله صلى الله عليه وآله قال ان الله عز وجل قال لى يا محمد ولقد اتيناك سبعا من المثانى والقران العظيم فافرد
الامتنان على بفاتحة الكتاب وجعلها بازاء القران وان فاتحة الكتاب اشرف ما فى كنوز العرش وان الله تعالى
خص محمدا وشرفه بها ولم يشرك فيها احدا من انبيائه ما خلا سليمان عليه السلم فانه اعطاه منها بسم الله الرحمن الرحيم
الا تراه يحكى عن بلقيس حين قالت انى القى الى كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا فمن قرأها معتقدا
لموالاة محمد وآله منقادا لامرها مؤمنا بظاهرها وباطنها اعطاه الله عز وجل بكل حرف منها حسنة كل واحدة منها
افضل له من الدنيا بما فيها من اصناف اموالها وخيراتها ومن استمع الى قارى يقرأها كان له قدر ثلث ما للقارى فليستكثر
احدكم من هذا الخير المعرض له فانه غنيمة لا يذهبن اوانه فيبقى فى قلوبكم الحسرة اتفق القراء على التلفظ

على التعوذ قبل التسمية فيقول ابن كثير وعاصم وابو عمرو اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ونافع وابن عمرو والكسائي اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وحمزة نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وابو حاتم نستعيذ بالله السميع العليم
من الشيطان الرجيم الاستعاذة الاستجارة فمعناه استجير بالله دون غيره والعوذ والعياذ هو اللجا والشيطان
في اللغة كل متمرد من الجن والانس والدواب ولذلك جاء في القران شياطين الانس والجن ووزنه فيعال من شطنت الدار
اي بعدت وقيل هو فعلان من شاط يشيط اذا بطل والاول اصح لانه قد جاء في الشعر شاطن بمعناه قال امية بن ابي
الصلت ايما شاطن عصاه عكاه ثم يلقى في السجن والاغلال والرجيم فعيل بمعنى مفعول من الرجم وهو الرمي
امر الله تعالى بالاستعاذة من الشيطان اذ لا يكاد يخلو من وسوسته الانسان فقال فاذا قرات القران فاستعذ بالله
من الشيطان الرجيم ومعنى اعوذ الجأ الى الله من شر الشيطان اي البعيد من الخير المفارق اخلاقه اخلاق جميع جنسه وقيل
المبعد من رحمة الله الرجيم اي المطرود من السماء المرمي بالشهاب الثاقبة وقيل المرجوم باللعنة ان الله هو السميع لجميع
المسموعات العليم بجميع المعلومات قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم اتفق اصحابنا انها اية من سورة الحمد ومن كل
سورة وان من تركها في الصلوة بطلت صلوته سواء كانت الصلوة فرضا او نفلا وانه يجب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءة
ويستحب الجهر بها فيما يخافت فيه بالقراءة وفي جميع ما ذكرناه خلاف بين فقهاء الامامية ولا خلاف في انها بعض اية
من سورة النمل وكل من عدها اية جعل من قوله صراط الذين الى اخر السورة اية ومن لم يعدها اية جعل صراط الذين
انعمت عليهم اية وقال انها افتتاح للتبرك والتيمن واما القراء فان حمزة وخلفا ويعقوب واليزيدي تركوا الفصل للتيمن والتبرك
بين السور بالتسمية والباقون يفصلون بينها بالتسمية الا بين الانفال والتوبة روي عن علي بن موسى
الرضا عليه السلام انه قال ان بسم الله الرحمن الرحيم اقرب الى اسم الله الاعظم من سواد العين الى بياضها وروي
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه واله انه اذا قال المعلم للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله
براءة للصبي وبراءة لابويه وبراءة للمعلم وعن ابن مسعود قال من اراد ان ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقل بسم الله الرحمن الرحيم
فانها تسعة عشر حرفا ليجعل الله كل حرف منها جنة من واحد منهم وروي عن الصادق عليه السلام انه قال ما لهم قاتلهم الله عمدوا
الى اعظم اية في كتاب الله فزعموا انها بدعة اذا اظهروها وهي بسم الله الرحمن الرحيم الاسم مشتق من السمو وهو الرفعة
واصله سمو بالواو ولان جمعه اسماء مثل قنو واقناء وحنو واحناء وتصغيره سمي قال الراجز بسم الله الذي في كل سورة سمه
وسمه ايضا ذكره ابو زيد وغيره وقيل انه مشتق من الوسم والسمة والاول اصح لان المحذوف الفاء نحو صلة ووصل وعدة ووعد
لا يدخله همزة الوصل ولانه كان يجب ان يقال في تصغيره وسيم كما يقال وعيدة ووصيلة في تصغير عدة وصلة والامر بخلافه
الله اسم لا يطلق الا عليه سبحانه وتعالى وذكر سيبويه في اصله قولين احدهما انه اله على وزن فعال فحذف الفاء التي
هي الهمزة وجعلت الالف واللام عوضا لازما عنها بدلالة استجازتهم قطع هذه الهمزة الموصولة الداخلة على لام التعريف في القسم والنداء نحو قولهم افالله لتفعلن ويا الله اغفر لي ولو كانت غير
عوض لم تثبت الهمزة في الوصل كما لم تثبت في غير هذا الاسم والقول الاخر ان اصله لاه ووزنه فعل فالحق به الالف واللام
يدل عليه قول الاعشى كحلفة من ابي رباح يسمعها لاهه الكبار وانما ادخل عليه الالف واللام للتفخيم والتعظيم فقط ومن زعم
انه للتعريف فقد اخطأ لان اسماء الله تعالى معارف والالف من لاه منقلبة عن ياء فاصله ليه لقولهم في معناه لهي ابوك قال
سيبويه نقلت العين الى موضع اللام وجعلت اللام ساكنة اذ صارت في مكان العين كما كانت العين ساكنة وتركوا
اخر الاسم مفتوحا كما تركوا اخر اين مفتوحا وانما فعلوا ذلك حيث غيروه لكثرته في كلامهم فغيروا اعرابه كما غيروا بناءه

وهذه دلالة قاطعة لظهور الياء في لهي والالف على هذا القول منقلبة كما ترى وفي القول الاول زائدة لانها الف فعال
وتقول العرب ايضا لاه ابوك تريد لله ابوك قال ذو الاصبع العدواني لاه ابن عمك لا افضلت في حسب
عني ولا انت دياني فتخزوني اي تسوسني قال سيبويه حذفوا لام الاضافة واللام الاخرى ولا ينكر بقاء عمل اللام بعد حذفها
فقد حكى سيبويه من قولهم الله لاخرجن يريدون والله ومثل ذا اكثر يطول الكتاب بذكره فاما الكلام في اشتقاقه فمنهم من
قال انه اسم موضوع غير مشتق اذ ليس يجب في كل لفظ ان يكون مشتقا لانه لو وجب ذلك لتسلسل هذا قول الخليل ومنهم
من قال انه مشتق ثم اختلفوا في اشتقاقه على وجوه فمنها انه مشتق من الالوهة التي هي العبادة والتأله التعبد قال رؤبة
لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تألهي اي تعبدي وقرأ ابن عباس ويذرك والاهتك اي عبادتك ويقال اله
الله فلان الاهة كما يقال عبده عبادة فعلى هذا يكون معناه الذي يحق له العبادة ولذلك لا يسمى به غيره ويوصف فيما
لم يزل بانه اله ومنها انه مشتق من الوله وهو التحير يقال اله يأله اذا تحير عن ابي عمرو فمعناه انه الذي تتحير العقول في
كنه عظمته ومنها انه مشتق من قولهم الهت الى فلان اي فزعت اليه لان الخلق يألهون اليه اي يفزعون اليه في حوائجهم فقيل
للمألوه اله كما يقال للمؤتم به امام ومنها انه مشتق من قولهم الهت اليه اي سكنت اليه عن المبرد ومعناه ان الخلق يسكنون اليه
الى ذكره ومنها انه من لاه اي احتجب فمعناه انه المحتجب بالكيفية عن الاوهام الظاهر بالدلائل والاعلام الرحمن الرحيم
اسمان وضعا للمبالغة واشتقا من الرحمة وهي النعمة الا ان فعلان اشد مبالغة من فعيل وحكي عن ابي عبيدة انه قال الرحمن
ذو الرحمة والرحيم هو الراحم وكرر لضرب من التأكيد واما ما روي عن ابن عباس انهما اسمان رقيقان احدهما ارق من الاخر
فالرحمن الرفيق والرحيم العطاف على عباده بالرزق فمحمول على انه يعود عليهم بالفضل بعد الفضل والنعمة بعد النعمة فعبر
عن ذلك بالرقة لانه تعالى لا يوصف بالرقة وما حكي عن ثعلب ان لفظة الرحمن ليست بعربية وانما هي ببعض اللغات
مستدلا بقوله تعالى قالوا وما الرحمن انكارا منهم لهذا الاسم فليس بصحيح لان هذه اللفظة مشهورة عند العرب
موجودة في اشعارها قال الشنفرى الا ضربت تلك الفتاة هجينها الا قضب الرحمن ربي يمينها وقال سلامة بن
جندل وما يشاء الرحمن يعقد ويطلق بسم الله الباء حرف جار اصله الالصاق والحروف الجارة موضوعة
بمعنى المفعولية الا ترى انها توصل الافعال الى الاسماء وتوقعها عليها فاذا قلت مررت بزيد اوقعت الباء المرور
على زيد فالجالب للباء فعل محذوف نحو ابدأ بسم الله او قولوا بسم الله فمحله نصب لانه مفعول به وانما حذف الفعل
الناصب لان دلالة الحال اغنت عن ذكره وقيل ان محل الباء رفع على تقدير مبتدأ محذوف تقديره ابتدائي بسم الله
فالباء على هذا متعلقة بالخبر المحذوف الذي قامت مقامه اي ابتدائي ثابت بسم الله او ثبت ثم حذف هذا الخبر وافضى
الضمير الى موضع الباء وهذا بمنزلة قولك زيد في الدار ولا يجوز ان يتعلق الباء بابتدائي المضمر لانه مصدر واذا
تعلقت به صارت من صلته وبقي المبتدأ بلا خبر واذا سئل عن تحريك الباء مع ان اصل الحروف البناء واصل البناء
السكون فجوابه انه حرك للزوم الابتداء به ولا يمكن الابتداء بالساكن وانما حرك بالكسر ليكون حركته من جنس ما يحدثه
واذا لزم كاف التشبيه في كزيد فجوابه ان الكاف لا يلزم الجر فيه وقد يكون اسما في نحو قوله يضحكن عن كالبرد المنهم فخولف
بينه وبين الحروف التي لا تفارق الجر فيه هذا قول ابي علي الجرمي واصحابه فاما ابو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي
فقال انهم لو فتحوا او ضموا لجاز لان الغرض التوصل الى الابتداء فباي حركة توصل اليه جاز وبعض العرب يفتح هذه الباء وهي
لغة ضعيفة وانما حذفت الهمزة من بسم الله في اللفظ لانها همزة الوصل تسقط في الدرج وحذفت ها هنا في الخط ايضا

لكثرة الاستعمال ولوقوعها في موضع معلوم لايخاف فيه اللبس ولايحذف في قوله اقرأ باسم ربك لقلة الاستعمال وانما
تغلظ لام الله اذا انفتحت الضمة والفتحة تفخيما لذكره واجلالا لقدره وليكون فرقا بينه وبين ذكر اللات الله مجرور
بالاضافة والرحمن الرحيم مجروران لانهما صفتان لله   بسم الله قيل المراد به تضمين الاستعانة فتقديره استعينوا
بان تسموا الله باسمائه الحسنى وتصفوه بصفاته العلى وقيل المراد به استعينوا بالله ويلتفت اليه قول ابي عبيدة ان اسم
صلة والمراد هو بالله كقول لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر اي ثم السلام عليكما
والاسم قد يوضع موضع الحسنى لما كان المعلق على الاسم ذكرا او خطابا معلقا على المسمى تقول رايت زيدا فتعلق الرؤية
على الاسم وفي الحقيقة تعلقها بالمسمى وان الاسم لا يرى فحسن اقامة الاسم مقام المسمى وقيل المراد به ابتدي بتسمية
الله فوضع الاسم موضع المصدر كما يقال اكرمته كرامة اي اكراما واهنته هوانا اي اهانة ومنه قول الشاعر اكفرا بعد رد
الموت عني وبعد عطائك المائة الرتاعا اي بعد اعطائك وقال اخر فان كان هذا البخل منك سجية لقد كنت في
طول رجائك اشقيا اراد في طالت رجاءك فعلى هذا يكون تقدير الكلام ابتدي قراءتي بتسمية الله او اقرأ مع
بتسمية الله وهذا القول اولى بالصواب لانا انما امرنا بان نفتتح امورنا بتسمية الله لا بان نخبر عن كبريائه وعظمته كما
امرنا بالتسمية على الاكل والشرب والذبائح الا ترى ان الذابح لو قال بالله ولم يقل بسم الله لكان مخالفا لما امر به
ومعنى الله والاله انه يحق له العبادة وانما يحق له العبادة لانه قادر على خلق الاجسام واحيائها والانعام عليها
بما يستحق به العبادة وهو سبحانه اله للحيوان والجماد لانه قادر على ان ينعم على كل منهما بما معه يستحق العبادة فاما
من قال معنى الاله المستحق للعبادة يلزمه ان لا يكون الها في الازل لانه لم يفعل الانعام الذي يستحق به العبادة وهذا
خطأ وانما قدم الرحمن على الرحيم لان الرحمن بمنزلة الاسم العلم من حيث لا يوصف به الا الله تعالى فوجب لذلك تقديمه
على الرحيم لانه يطلق عليه وعلى غيره وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه واله ان عيسى بن مريم قال الرحمن
رحمن الدنيا والرحيم رحيم الاخرة وعن بعض التابعين قال الرحمن بجميع الخلق الرحيم بالمؤمنين خاصة ووجه عموم
الرحمن بجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم برهم وفاجرهم هو انشاؤه اياهم وخلقهم احياء قادرين ووجه خصوص الرحيم بالمؤمنين
هو ما فعله بهم في الدنيا من التوفيق وفي الاخرة من الجنة والاكرام وغفران الذنوب والاثابة والى هذا المعنى
يؤل ما روي عن الصادق عليه السلام انه قال الرحمن اسم خاص بصفة عامة والرحيم اسم عام بصفة خاصة وعن
عكرمة قال الرحمن برحمة واحدة الى الارض فقسمها بين خلقه فبها يتعاطفون ويتراحمون واخر تسعا وتسعين لنفسه
يرحم بها عباده يوم القيمة وروي ان الله قابض هذه الى تلك فيكملها مائة يرحم بها عباده يوم القيمة   الحمد لله
رب العالمين اية   اجمع القراء على ضم الدال من الحمد وكسر اللام من الله وروي في الشواذ بكسر اللام والدال
وبضم الدال واللام وبفتح الدال وكسر اللام واجمعوا على كسر الباء من رب وروي عن زيد بن علي نصب الباء ويحمل
على انه بين جوازه لانه قراءة   الحمد والمدح والشكر متقاربة المعنى والفرق بين الحمد والشكر ان الحمد نقيض
الذم كما ان المدح نقيض الهجاء والشكر نقيض الكفران والحمد قد يكون من غير نعمة والشكر يختص بالنعم الا ان
الحمد يوضع موضع الشكر فيقال الحمد لله شكرا فنصب شكرا على المصدر ولو لم يكن في معنى الشكر لما نصبه فاذا
كان الحمد يقع موقع الشكر فالشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم ويكون بالقلب وهو الاصل ويكون
ايضا باللسان وانما يجب باللسان لنفي تهمة الجحود والكفران واما المدح فهو القول المنبئ عن عظم حال الممدوح مع

[illegible]

القصد اليه واما الرب فله معان منها السيد المطاع كقول لبيد   واهلكن يوما رب كندة وابنه   ورب معد
بين خبت وعرعر   يعني سيد كندة ومنها المالك نحو قول النبي صلى الله عليه واله لرجل ارب غنم انت ام رب ابل فقال
من كل ما اتاني الله فاكثر واطيب ومنها الصاحب نحو قول ابي ذويب   قد ناله رب الكلاب بكفه   بيض رهاب
ريشهن مقزع   اي صاحب الكلاب ومنها المربي ومنها المصلح واشتقاقه من التربية تقول ربيته
وربيته بمعنى وفلان يرب ضيعته اذا كان يتمها ولا يطلق هذا الاسم الا على الله تعالى ويقيد في غيره فيقال رب الدار
ورب الضيعة والعالمون جمع عالم والعالم جمع لا واحد له من لفظه كالبقر والجيش وغيرهما واشتقاقه من العلامة
لانه يدل على صانعه وقيل انه من العلم لانه اسم يقع على ما يعلم وهو في عرف اللغة عبارة عن جماعة من العقلاء
لانهم يقولون جاء في عالم من الناس ولا يقولون عالم من البقر وفي المتعارف بين الناس هو عبارة عن جميع المخلوقات ويدل
عليه الاية قال وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما وقيل انه اسم لكل صنف من الاصناف واهل
كل قرن من كل صنف يسمى عالما ولذلك جمع فقيل عالمون لعالم كل زمان وهذا قول اكثر المفسرين كابن عباس و
سعيد بن جبير وقتادة وغيرهم وقيل العالم نوع ما يعقل وهم الملائكة والجن والانس لقوله تعالى ليكون للعالمين
نذيرا وقيل هم الانس لقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا وقيل هم الانس لقوله تعالى اتاتون الذكران من العالمين
الحمد مرفوع بالابتداء والابتداء عامل معنوي غير ملفوظ به وهو خلو الاسم من العوامل اللفظية ع
اليه خبرا وخبره في الاصل جملة هي فعل مسند الى ضمير المبتدأ وتقديره الحمد حق او استقر لله الا انه قد استغني
عن ذكرها لدلالة قوله لله عليها فانتقل الضمير منها اليه حيث سد مسدها وتسمى هذه جملة ظرفية هذا قول
الاخفش وابي علي الفارسي واصل اللام للتحقيق والملك واما من نصب الدال فعلى المصدر وتقديره احمد
الحمد لله الا ان الرفع او اجعل الحمد لله الا ان الرفع في الحمد اقوى وامدح لان معناه الحمد وجب لله او استقر لله وهذا
يقتضي العموم لجميع الخلق فاذا نصبت الحمد فكان تقديره احمد الحمد كان مدحا من المتكلم فقط فلذلك اختير الرفع ومن
كسر الدال واللام اتبع حركة الدال حركة اللام ومن ضمها اتبع حركة اللام حركة الدال وهذا ايسر من الاول لانه اتبع
حركة المبني حركة الاعراب والاول اتبع حركة المعرب حركة البناء واتبع الثاني الاول وهو الاصل في الاتباع والذي
كسر اتبع الاول الثاني وهذا ليس باصل واكثر النحويين ينكرون ذلك لان حركة الاعراب غير لازمة فلا يجوز لاجلها
الاتباع ولان الاتباع في الكلمة الواحدة ضعيف نحو الحلم فكيف في الكلمتين وقال ابو الفتح ابن جني في كسر الدال
وضم اللام هنا دلالة على شدة ارتباط المبتدأ بالخبر لانه اتبع فيهما ما في احد الجزئين ما في الجزء الاخر وجعل بمنزلة
الكلمة الواحدة نحو قولك اخوك وابوك واصل هذه اللام الفتح لان الحرف الواحد لا حظ له في الاعراب لكنه
يقع مبتدأ في الكلام ولا يبتدأ بساكن فاختير له الفتح لانه اخف الحركات تقول رايت زيدا وعمرا فالواو من و
عمرا مفتوحة وكذلك الفاء من فعمرا الا انهم كسروها لانهم ارادوا ان يفرقوا بين لام الملك ولام التوكيد اذا
قلت ان المال لهذا اي في ملكه وان المال لهذا اي هو هو واذا ادخلوا هذه اللام على مضمر ردوها الى اصلها وهو
الفتح قالوا لك وله لان اللبس قد ارتفع وذلك لان ضمير الجر يخالف لضمير الرفع اذا قلت ان هذا لك وان هذا
لانت الا انهم كسروها مع ضمير المتكلم نحو لي لان هذه الياء لا يكون ما قبلها الا مكسورا نحو غلامي وفرسي وهذا
كله قول سيبويه وجميع النحويين المحققين وليس من الحروف المبتداة مما هو على حرف مكسور الا الباء وحدها

وقد مضى القول فيه واما لام الجزم فى ليفعل فانما كسرت لتفرق بينها وبين لام التوكيد نحو ليفعل فاعلم ورب العالمين
مجرور على الصفة والعامل فى الصفة عند ابى الحسن الاخفش كونه صفة فذلك الذى يرفعه وينصبه ويجره وهو عامل
معنوى كما ان المبتدا انما رفعه الابتداء وهو معنى عمل فيه واستدل على ان الصفة لا يعمل فيه ما يعمل فى الموصوف بانك
تجد فى الصفات ما يخالف الموصوف فى اعرابه نحو يا زيد العاقل لان المنادى مبنى والعاقل الذى هو صفته معرب
ودليل ثانى وهو ان فى هذه التوابع ما يتعرب باعراب ما يتبعه ولا يصح ان يعمل فيه ما يعمل موصوفه وذلك نحو اجمع
وجمع وجمعا فلما صح وجوب هذا فيها دل ان الذى يعمل فى الموصوف غير عامل فى الصفة فى اجتماعها الا انها تابعان وقال
غيرهما من النحويين العامل فى الموصوف هو العامل فى الصفة ومن نصب رب العالمين فانما ينصبه على المدح والثناء كانه
لما قال الحمد لله استدل بهذا اللفظ على انه ذاكر لله فكانه قال اذكر رب العالمين فعلى هذا لو قرئ فى غير القرآن رب العالمين
على المدح مرفوعا ايضا لكان جائزا على معنى ~~بهذا اللفظ على انه~~ هو رب العالمين قال الشاعر لا يبعدن قومى الذين هم
سم العداة وآفة الجزر النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الازر وقد روى النازلون والنازلين والطيبون و
الطيبين والوجه فى ذلك ما ذكرناه والعالمين مجرور بالاضافة والياء فيه علامة الجر وحرف الاعراب وعلامة الجمع
والنون هنا عوض عن الحركة فى الواحد وانما فتحت فرقا بينها وبين نون التثنية تقول هذان عالمان فتكسر نون
الاثنين لالتقاء الساكنين وقيل انما فتحت نون الجمع وحقها الكسر لثقل الكسرة بعد الواو كما فتحت الفاء من سوف
والنون من اين ولم يكسر لثقل الكسرة بعد الواو والياء معنى الآية ان الاوصاف الجميلة والثناء الحسن كلها لله الذى
يحق له العبادة لكونه قادرا على اصول النعم وفاعلا لها ولكونه منشيا للخلق ومربيا لهم ومصلحا لشانهم وفى الآية دلالة
على وجوب الشكر لله على نعمه وفيها تعليم للعباد كيف يحمدونه الرحمن الرحيم آية قد مضى تفسيرها وانما اعاد
ذكر الرحمن الرحيم للمبالغة وقال على بن عيسى الرمانى فى الاول ذكر العبودية فوصل ذلك بذكر النعم التى يستحق بها العبادة
وههنا ذكر الحمد فوصله بذكر ما به يستحق الحمد من النعم فليس فيه تكرار مالك يوم الدين آية قرأ
عاصم والكسائى وخلف ويعقوب بن اسحق الحضرمى مالك بالف والباقون ملك بغير الف ولم يمل احد الف مالك
وجر جميعهم الكاف وروى فى الشواذ عن الاعمش انه نصبها وربيعة بن نزار يخفف فيقول ملك يوم الدين بتسكين
اللام اختلفوا فى ان اى القراءتين امدح فمن قرأ مالك قال ان هذه الصفة امدح لانه لا يكون مالكا للشئ
الا وهو يملكه وقد يكون ملكا للشئ ولا يملكه كما يقال ملك العرب وملك الروم وان كان لا يملك وقد يدخل فى
المالك ما لا يصح دخوله فى الملك يقال فلان مالك الدراهم ولا يقال ملك الدراهم فالوصف بالمالك اعم من الوصف
بالملك والله تعالى مالك كل شئ وقد وصف نفسه بانه مالك الملك يؤتى الملك من يشاء فوصفه بالمالك ابلغ فى
الثناء والمدح من وصفه بالملك ومن قرأ ملك قال ان هذه الصفة امدح لانه لا يكون الا مع التعظيم والاحتواء على
الجمع الكثير واختاره ابو بكر محمد بن السراج وقال ان الملك الذى يملك الكثير من الاشياء ويشارك غيره من الناس
فى ملكه بالحكم عليه فكل ملك مالك وليس كل مالك ملكا وانما قال تعالى مالك الملك لانه تعالى يملك ملوك الدنيا وما
ملكوا فمعناه انه يملك ملك الدنيا فيؤتى الملك فيها من يشاء فاما يوم الدين فليس الا ملكه وهو ملك الملوك يملكهم
كلهم وقد يستعمل هذا فى الناس يقال فلان ملك الملوك وامير الامراء يراد بذلك ان من دونه ملوكا وامراء ولا يقال
ملك الملك ولا امير الامارة لان اميرا وملكا صفة غير جارية على فعل فلا معنى لاضافتها الى المصدر فاما اضافة

السرّاج

ملك الى الزمان فكما يقال ملك عام كذا او ملوك الدهر الاول وملك زمانه وسيد زمانه فهو فى المدح ابلغ ولانه
انما نزلت بالثناء والمدح لله تعالى الا ترى الى قوله رب العالمين والربوبية والملك متشابهان وقال ابو على الفارسى
يشهد لمن قرأ مالك من التنزيل قوله والامر يومئذ لله لان قولك الامر له وهو مالك الامر بمعنى الا ترى ان لام الجر
معناه الملك والاستحقاق وكذلك قوله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله يقوى ذلك ويشهد لقراءة
من قرأ ملك قوله تعالى لمن الملك اليوم لان اسم الفاعل من الملك الملك فاذا قال الملك له ذلك اليوم كان بمنزلة قوله هو
ملك ذلك اليوم مع قوله تعالى فتعالى الله الملك الحق والملك القدوس وملك الناس الملك القادر الواسع المقدور
الذى له السياسة والتدبير والمالك القادر على التصرف فى ماله وله ان يتصرف فيه على وجه ليس لاحد منعه منه ويوصف
العاجز بانه مالك من جهة الحكم يقال ملك بين الملك بضم الميم ومالك بين الملك بكسر الميم وفتحها وضم الميم لغة شاذة ويقال
طالت مملكتهم الناس ومملكتهم بكسر اللام وفتحها ولى فى هذا الوادى ملك وملك الملك ذكرها ابو على الفارسى فقال الملك الشئ
اختصاص من المالك به وخروجه من ان يكون مباحا لغيره ومعنى الاباحة فى الشئ كالاتساع فيه وخلاف الحصر والقصر
على الشئ الا تراهم قالوا اباح السر وباحة الدار وقال ابو بكر محمد بن السراج الملك والمالك يرجعان الى اصل واحد وهو الربط
والشد كما قالوا ملكت العجين اى شددته قال الشاعر ملكت بها كفى فانهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها يقول
شددت بهذه الطعنة كفى ومنه الاملاك ومعناه رباط الرجل بالمرأة والدين معناه فى الآية الجزاء قال الشاعر واعلم
بانك ما تدين تدان وهو قول سعيد بن جبير وقتادة وقيل الدين الحساب وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلام وابن
عباس والدين الطاعة قال عمرو بن كلثوم وايام لنا غر طوال عصينا الملك فيها ان ندينا والدين العادة قال الشاعر
تقول وقد درات لها وضينى اهذا دينه ابدا ودينى والدين القهر والاستعلاء قال الاعشى هو دان الرباب اذ كرهوا الدين
دراكا بغزوة وصيال ويدل على ان المراد به الجزاء والحساب قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت واليوم تجزون ما كنتم
تعملون مالك مجرور على الوصف لله تعالى وما جاء من النصب فعلى ما ذكرناه من نصب رب العالمين ويجوز ان ينصب رب
العالمين ومالك يوم الدين على النداء كانك قلت لك الحمد يا رب العالمين ويا مالك يوم الدين ومن قرأ ملك يوم الدين
باسكان اللام فاصله ملك مخفف كما يقال فخذ وفخذ ومن قرأ ملك يوم الدين جعله فعلا ناصبا ويوم مجرور باضافة
ملك ومالك اليه وكذلك الدين مجرور باضافة يوم اليه وهذه الاضافة من باب يا سارق الليلة اهل الدار اتسع فى الظرف
فنصب نصب المفعول به ثم اضيف اليه على هذا الحد كما قال الشاعر انشده سيبويه ويوم شهدناه سليما وعامرا قليل
سوى الطعن النهار نوافله فكانه قال هو ملك ذلك اليوم ولا يؤتى احدا الملك فيه كما آتاه فى الدنيا فلا ملك يومئذ
غيره ومن قرأ مالك يوم الدين فانه حذف المفعول به من الكلام للدلالة عليه وتقديره مالك يوم الدين الاحكام و
القضاء لا يملك ذلك ولا يليه سواه وانما خص يوم الدين بذلك لتفرده تعالى بذلك فى ذلك اليوم وجميع الخلق يضطرون
الى الاقرار والتسليم واما الدنيا فليست كذلك فقد يحكم فيها ملوك ورؤساء وليست هذه الاضافة مثل قوله تعالى وعنده
علم الساعة لان الساعة مفعول به على السعة لان الظرف اذا جعل مفعولا على السعة فمعناه معنى الظرف ولو كان الساعة
ظرفا لكان المعنى يعلم فى الساعة وذلك لا يجوز لانه تعالى يعلم فى كل وقت والمعنى انه يعلم الساعة اى يعرفها انه سبحانه
لما بين ملكه فى الدنيا بقوله رب العالمين بين ايضا ملكه فى الآخرة بقوله مالك يوم الدين واراد باليوم الوقت
وقيل اراد به امتداد الضياء الى ان يفرغ من القضاء ويستقر اهل كل دار فيها وقال ابو على الجبائى اراد به يوم الجزاء

على الدين وقال محمد بن كعب دا دیوم لاینفع الا الدين وانما خص يوم بذكر الملك فيه لعظمه لشأنه وتفخيما لامره كما
قال رب العرش وهذه الآية تدل على اثبات المعاد وعلى الترغيب والترهيب لان المكلف اذا تصور ذلك لا بد ان يرجو و
يخاف اياك نعبد واياك نستعين العبادة في اللغة هي الذلة يقال طريق معبد اي مذلل بكثرة الوطي
قال طرفة تباري عتاقا ناجيات واتبعت وظيفا وظيفا فوق مور معبد وبعير معبد اذا كان مطليا بالقطران و
يسمى العبد عبدا لذلته وانقياده لمولاه والاستعانة طلب المعونة يقال استعنته واستعنت به قال ابو اسحق
ابرهيم بن السري الزجاج موضع اياك نصب بوقوع الفعل عليه وموضع الكاف في اياك خفض باضافة ايا اليها وايا اسم للمضمر
المنصوب الا انه ظاهر يضاف الى ساير المضمرات نحو قولك اياك ضربت واياه ضربت واياي حدثت ولو قلت ايا زيد حدثت كان
قبيحا لانه خص به المضمر وقد روى الخليل عن العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب هذا كلام الزجاج ورد عليه الشيخ ابو علي
الفارسي فقال ان ايا ليس بظاهر بل هو مضمر يدل على ذلك تغير ذاته وامتناع ثباته في حال الرفع والجر وليس كذلك الاسم الظاهر
الا ترى انه تعتقب عليه الحركات في اخره ويحكم لها في موضعه من غير تغير نفسه فمخالفته للمظهر فيما وصفناه يدل على انه مضمر
ليس بمظهر قال وحكى السراج عن المبرد عن ابي الحسن الاخفش انه اسم مفرد مضمر يتغير اخره كما يتغير اواخر المضمرات لاختلاف اعداد
المضمرين والكاف في اياك كالتي في ذلك وهي دلالة على الخطاب فقط مجردة من كونها علامة للمضمر فلا محل من الاعراب و اقول
وهكذا الحكم في اياي وايانا واياه وياتها في انها حروف يلحق ايا فالياء في اياي دليل على المتكلم والهاء في اياه دليل على الغيبة
لا على نفس الغايب ويجري التاكيد على ايا منصوبا فتقول اياك نفسك رايت واياه نفسه ضربت واياهم كلهم عنيت فاعرفه
ولا يجيز ابو الحسن اياك واياز يد وتستعمل روايتهم عن العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب ويحمله على الشذوذ
لان الغرض في الاضافة التخصيص فلا وجه اذا للاضافة والاصل في نستعين نستعون لانه من المعونة والعون لكن
الواو قلبت لثقل الهمزة عليها فنقلت كسرتها الى العين فبقيت الياء ساكنة لان هذا من الاعلال الذي يتبع بعضه بعضا نحو
اعان يعين وقام يقوم وفي شرحه كلام ربما ياتي مشروحا فيما بعد ان شاء الله وقوله نعبد ونستعين مرفوع لوقوعه موقعا يصلح
للاسم الا ترى انك لو قلت انا عابدك وانا مستعينك لقام مقامه في هذا المعنى عمل فيه الرفع واما الاعراب في الفعل المضارع
فلمضارعته الاسم لان الاصل في الفعل البناء وانما يعرب منه ما شابه الاسماء وهو ما لحقت اوله زيادة من هذه الزيادات
الاربع التي هي الهمزة والنون والتاء والياء قوله اياك نعبد واياك نستعين ادل على الاختصاص من ان تقول نعبدك
ونستعينك لان معناه نعبدك ولا نعبد سواك ونستعينك ولا نستعين غيرك كما اذا قال الرجل اياك اعني فمعناه لا
اعني غيرك ويكون ابلغ من ان تقول اعنيك والعبادة ضرب من الشكر وغاية فيه لانه الخضوع مع التعظيم باعلى مراتب
التعظيم ولا يستحق الا باصول النعم التي هي خلق الحيوة والقدرة والشهوة ولا يقدر عليه غير الله تعالى فلذلك اختص سبحانه
بان يعبد ولا يستحق بعضنا على بعض العبادة كما يستحق بعضنا على بعض الشكر ويحسن الطاعة لغير الله تعالى ولا تحسن
العبادة لغيره وقول من قال ان العبادة هي الطاعة للمعبود يفسد بان الطاعة موافقة الامر وقد يكون موافقا للامر
ولا يكون عابدا له الا ترى ان الابن يوافق امر ابيه ولا يكون عابدا له وكذلك العبد يطيع مولاه ولا يكون عابدا له بطاعته
اياه والكفار يعبدون الاصنام ولا يكونون مطيعين لهم اذ لا يتصور من جهتهم الامر ومعنى قوله اياك نستعين اياك
نستوفق ونطلب المعونة على عبادتك وعلى امورنا كلها والتوفيق هو ان يجمع بين جميع الاسباب التي يحتاج في حصول
الفعل ولهذا لا يقال فيمن اعان غيره وفقه لانه لا يقدر ان يجمع بين جميع الاسباب التي يحتاج اليها في حصول الفعل و

اما تكرير قوله اياك نعبد فلانه لو اقتصر على واحد ربما توهم متوهم انه لا يتقرب الى الله عز وجل الا بالجمع بينهما ولا
يمكنه ان يفصل بينهما وهو اذا تفكر في عظمة الله تعالى كان عبادة وان لم يستعن به وقيل انه جمع بينهما للتاكيد كما يقال
الدار بين زيد وبين عمرو ولو اقتصر على واحد فقيل بين زيد وعمرو كان جايزا قال عدي بن زيد وجاعل الشمس مصرا
لا خفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا وقال اعشى همدان بين الاشج وبين قيس باذخ بخ لوالده وللمولود وهذا
القول فيه نظر لان التكرير انما يكون تاكيدا اذا لم يكن محمولا على فعل ثان واياك الثاني في الاية محمول على نستعين و
مفعول له فكيف يكون تاكيدا وقيل ايضا انه تعليم لنا في تجديد ذكره تعالى عند كل حاجة فان قيل فان عبادة الله تعالى لا تتاتى
بغير اعانة منه فكان يجب ان يقدم الاستعانة على العبادة فالجواب انه قدم العبادة على الاستعانة لا على الاعانة
وقد يتاتى بغير استعانة وايضا فان احدهما اذا كان مرتبطا بالاخر لم يختلف التقديم والتاخير كما يقال قضيت حقي فاحسنت
الي واحسنت الي فقضيت حقي وقيل ان السؤال للمعونة انما يقع على عبادة مستانفة لا على عبادة واقعة منهم وانما
حسن طلب المعونة وان كان لا بد منها مع التكليف على وجه الانقطاع اليه تعالى كقوله تعالى رب احكم بالحق ولانه ربما لا يكون
اللطف في ادامة التكليف ولا في فعل المعونة به الا بعد تقدم الدعاء من العباد وقد اخطأ من استدل بهذه الاية على ان
القدرة مع الفعل من حيث ان القدرة لو كانت متقدمة لما كان لطلب المعونة وجه لان للرغبة الى الله تعالى في طلب المعونة
وجهين احدهما ان يسأل الله تعالى من الطافه وما يقوي دواعيه ويسهل الفعل عليه ما ليس بحاصل ومتى لطف له بان
يعلم ان له في فعله الثواب العظيم زاد ذلك في نشاطه ورغبته والثاني ان يطلب بقاء كونه قادرا على الفعل طاعة المستقبلة
بان يجدد له القدرة حالا بعد حال عند من لا يقول ببقائها وان لا يفعل ما يضادها وينفيها عند من يقول ببقائها واما
العدول عن الخبر الى الخطاب في قوله اياك نعبد الى اخر السورة فعلى عادة العرب مشهورة واشعارهم من ذلك مملوة قال لبيد باتت
تشكى الي النفس مجهشة وقد حملتك سبعا بعد سبعينا وقال ابو كبير الهذلي يا لهف نفسي كان جدة خالد وبياض
وجهك للتراب الاعفر فرجع عن الاخبار عن النفس الى مخاطبتها في البيت الاول ومن الاخبار عن خالد الى خطابه في
البيت الثاني وقال الكسائي تقديره قولوا اياك نعبد او قل يا محمد هذا كما قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم
عند ربهم ربنا ابصرنا اي يقولون ربنا وقال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام اي يقولون سلام
اهدنا الصراط المستقيم اية قرأ حمزة باشمام الصاد الزاي الا العجلي وبرواية خلاد وابن سعدان يشم ههنا في
الموضعين فقط وقرأ الكسائي من طريق ابي حمدون باشمام السين ويعقوب من طريق رويس بالسين والباقون بالصاد
الاصل في الصراط السين لانه مشتق من السرط ومسترط الطعام ممره ومنه قولهم سرطراط والاخذ سريط فمن
قرأ بالسين راعى الاصل ومن قرأ بالصاد فلما بين الصاد والطاء من المواخاة بالاستعلاء والاطباق والكراهة ان
يتسفل بالسين ثم يتصعد بالطاء في سراط واذا كانوا قد ابدلوا من السين الصاد مع القاف في صقب وصويق ليعدلوها
في استعلاء القاف مع بعد القاف من السين وقرب الطاء منها فان يبدلوا منها الصاد مع الطاء اجدر من حيث كانت الصاد الى
الطاء اقرب الا ترى انهما جميعا من حروف طرف اللسان واصول الثنايا وان الطاء يدغم في الصاد ومن قرأ باشمام الزاء
فللمواخاة بين السين والطاء بحرف مجهور من مخرج السين وهو الزاء من غير ابطال الاصل الهداية في اللغة الارشاد
والدلالة على الشيء يقال لمن يتقدم القوم ويدلهم على الطريق هاد خريت اي دال مرشد قال طرفة للفتى عقل يعيش به
حيث يهدي ساقه قدمه والهداية التوفيق قال فلا تعجلن هداك المليك فان ذلك مما يقال لا اي وفقك والصراط

الطريق الواضح المتسع وسمى بذلك لانه يسرط المارة اى يبتلعها والمستقيم المستوى الذى لا اعوجاج فيه قال جرير امير المؤمنين
على صراط اذا اعوج الموارد مستقيم   اهدنا مبنى على الوقف وفاعله الضمير المستكن فيه لله سبحانه والهمزة مكسورة لان ثالث
المضارع منه مكسور وموضع النون والالف من اهدنا نصب لانه مفعول به والصراط منصوب لانه مفعول ثان   قيل فى معنى
اهدنا وجوه احدها ان معناه ثبتنا على الدين الحق لان الله تعالى قد هدى الخلق كلهم الا ان الانسان قد يزل وترد عليه الخواطر الفاسدة
فيحسن ان يسال الله تعالى ان يثبته على دينه ويديمه عليه ويعطيه زيادات الهدى التى هى احد اسباب الثبات على الدين كما قال الله تعالى
والذين اهتدوا زادهم هدى وهذا كما يقول القايل لغيره وهو ياكل كل اى دم على الاكل وثانيها ان الهداية هى الثواب كقوله سبحانه
يهديهم ربهم بايمانهم فصار معناه اهدنا الى طريق الجنة ثوابا لنا ويؤيده قوله الحمد لله الذى هدانا لهذا وثالثها ان المراد دلنا على
الدين الحق فى مستقبل العمر كما دللتنا عليه فى الماضى ويجوز الدعاء بالشئ الذى يكون حاصلا كقوله تعالى قل رب احكم بالحق وقوله حكاية
عن ابرهيم ولا تخزنى يوم يبعثون وذلك ان الدعاء عبادة وفيه اظهار الانقطاع الى الله تعالى فان قيل ما معنى المسئلة فى ذلك وقد
فعله الله تعالى فجوابه انه يجوز ان يكون لنا فى الدعاء به مصلحة فى ديننا وهذا كما تعبدنا بان نكرر التسبيح والتحميد والاقرار لربنا عز اسمه
بالتوحيد وان كنا معتقدين لجميع ذلك ويجوز ان يكون الله تعالى يعلم ان اشياء كثيرة تكون اصلح لنا اذا سالناه واذا لم نسال
لا يكون مصلحة فيكون ذلك وجها فى حسن المسئلة ويجوز ان يكون المراد استمرار التكليف والتعريض للثواب لان ادامته ليس بواجب
بل هو تفضل محض فجاز ان يرغب اليه فيه بالدعاء وقيل فى معنى الصراط المستقيم وجوه احدها كتاب الله وهو المروى عن النبى صلى الله عليه وآله
وعلى عليه السلم وثانيها انه الاسلام وهو المروى عن جابر وابن عباس وثالثها انه دين الله الذى لا يقبل من العباد غيره عن محمد بن
الحنفية والرابع انه النبى والائمة القائمون مقامه وهو المروى فى اخبارنا والاولى حمل الاية على العموم حتى يدخل جميع ذلك
فيه لان الصراط المستقيم هو الدين الذى امر الله تعالى به من التوحيد والعدل وولاية من اوجب الله طاعته   صراط الذين
انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آية   قرا حمزة عليهم بضم الهاء واسكان الميم وكذلك لديهم واليهم وقرا يعقوب
بضم كل هاء قبلها ياء ساكنة فى التثنية وجمع المذكر والمؤنث نحو عليهما وفيهما وعليهم وفيهم وعليهن وفيهن وقرا الباقون عليهم
واخواتها بالكسر ثم اختلف القراء فى الميم فاهل الحجاز وصلوا الميم بواو انضمت الهاء قبلها او انكسرت فقالوا عليهمو وعلى قلوبهمو
وعلى سمعهمو ومنهمو ولهمو الا ان نافعا اختلف عنه فيه والباقون بسكون الميم وقرئ فى الشواذ عليهمو قراءة ابن ابى اسحق
وعيسى الثقفى وعليهمى قراءة الحسن البصرى وعمرو بن فايد وعليهم مكسورة الهاء مضمومة الميم بغير واو وعليهم مضمومة الهاء والميم
من غير بلوغ واو مرويتان عن الاعرج فهذه سبع قراآت واما اذا لقى الميم حرف ساكن فان القراء اختلفوا فاهل الحجاز وعاصم
وابن عامر يمضون على كسر الهاء ويضمون الميم نحو عليهم الذلة ومن دونهم امراتين وابو عمرو يكسر الهاء والميم وحمزة والكسائى
يضمان الهاء والميم معا وكل هذا الاختلاف فى الهاء التى قبلها كسرة او ياء ساكنة فاذا جاوزت هاذين لم يكن فى الهاء الا الضم
وقرا صراط من انعمت عليهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير وروى ذلك عن اهل البيت عليهم السلم وقرئ ايضا فى الشواذ غير
المغضوب عليهم بالنصب وقرا وغير الضالين عمر بن الخطاب وروى ذلك عن على عليه السلم   من قرا عليهم بضم الهاء قال
السراج وهى القراءة القديمة ولغة قريش واهل الحجاز ومن حولهم من فصحاء اليمن وانما خص حمزة هذه الحروف الثلثة بالضم لان
الياء قبلها كانت الفا مثل على القوم ولدى القوم والى القوم ولا يجوز كسر الهاء اذا كان قبلها الف ومن قرا عليهمو فانه اتبع
الهاء ما اشبهها وهو الياء وترك ما لا يشبه الياء والالف على الاصل وهو الميم ومن قرا عليهم فكسر الهاء واسكن الميم فلانه
امن اللبس اذ كانت الالف فى التثنية قد دلت على الاثنين ولا ميم فى الواحد فلما لزمت الميم الجمع حذفوا الواو واسكنوا

الميم

الميم طلبا للتخفيف اذا كان ذلك لا يشكل وانما كسر الهاء مع ان الاصل الضم للياء التى قبلها ومن قرا عليهمو فلانه الاصل
لان هذه الواو فى الجمع وسيلة الالف فى التثنية اعنى ان ثبات الواو كثبات الالف ومن قرا عليهمى فانه كسر الهاء لوقوع الياء
قبلها ساكنة وكسر الميم كراهة الخروج من كسرة الهاء الى ضمة الميم ثم انقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ومن كسر الهاء
وضم الميم وحذف الواو فانه احتمل الضمة بعد الكسرة لانها غير لازمة اذ كانت الف التثنية تفتحها لكنه حذف الواو تفاديا من ثقلها
مع ثقل الضمة ومن قرا عليهم فانه حذف الواو استخفافا واحتمل الضمة قبلها دليلا عليها واما من ضم الميم اذ القيها ساكن
وكسر الهاء فانما يحتج بان يقول لما احتجت الى الحركة رددت الحرف الى اصله فضممت وتركت الهاء على كسرها لانه لم يات
ضرورة تحوج الى ردها الى الاصل ولان الهاء انما اتبعت لانها شبهت بها ولم يتبعها الميم لبعدها منه واحتج من كسر
الميم والهاء بان قال اتبعت الكسر الكسر لثقل الضم بعد الكسر قال سيبويه الهاء تكسر اذا كان قبلها ياء او كسرة لانها خفية
وهى من حروف الزيادة كما ان الياء من حروف الزيادة وهى من موضع الالف وهى اشبه الحروف بالياء وكما امالوا
الالف فى مواضع استخفافا فكذلك كسروا هذه الهاء وقلبوا الواو ياء لانه لا تثبت واو ساكنة وقبلها كسرة كقولك مررت
بهى ومررت بها وهى قبل الاعراب   صراط الذين صفة لقوله الصراط المستقيم ويجوز ان يكون بدلا عنه
والفصل بين البدل والصفة ان البدل فى تقدير تكرير العامل بدلالة تكرير حروف الجر فى قوله سبحانه قال الذين استكبروا
للذين استضعفوا لمن امن منهم وليس كذلك الصفة فكما اعيدت اللام الجارة فى الاسم فكذلك العامل الرافع
او الناصب فى تقدير التكرير فكانه قال اهدنا صراط الذين وليس كذلك يخرج البدل وان كان كذلك عن ان يكون فيه
تبيين الاول لكان ان الصفة كذلك ولهذا لم يجز سيبويه فى المسكين كان الامر ولا بك المسكين كما اجاز ذلك فى الغايب
نحو مررت به المسكين والذين موصول وانعمت عليهم صلته وقد تم بها اسما مفردا يكون فى موضع جر باضافة صراط
اليه ولا يقال فى موضع الرفع اللذون الا انه اسم غير متمكن وقد حكى اللذون شاذا كما حكى الشياطون فى حال
الرفع واما غير المغضوب عليهم ففى الجر فيه ثلثة اوجه احدها ان يكون بدلا من الهاء والميم فى عليهم كقول الشاعر على
حالة لو ان فى القوم حاتما   على جوده لضن بالماء حاتم   فجر حاتم على البدل من الهاء فى جوده وثانيها ان يكون
بدلا من الذين وثالثها ان يكون صفة للذين وان كان اصل غير ان يكون صفة للنكرة تقول مررت برجل غيرك
كانك تقول برجل اخر او برجل ليس بك قال الزجاج وانما جاز ذلك لان الذين ههنا ليس بمقصود قصدهم فهو بمنزلة
قولك انى لامر بالرجل مثلك فاكرمه وقال على بن عيسى الرومانى انما جاز ان يكون نعتا للذين لان الذين بصلتها
ليست بالمعرفة المؤقتة كالاعلام نحو زيد وعمرو وانما هى كالنكرات اذا عرفت نحو الرجل والفرس فلما كانت الذين
كذلك كانت صفتها كذلك ايضا كما يقال لا اجلس الا الى العالم غير الجاهل ولو كانت بمنزلة الاعلام لما جاز كما لم يجز
مررت بزيد غير الظريف بالجر على الصفة وقال ابو بكر السراج والذى عندى ان غير فى هذا الموضع مع ما اضيف
اليه معرفة لان حكم كل مضاف الى معرفة ان يكون معرفة وانما تنكرت غير ومثل مع اضافتهما الى المعارف من
اجل معناهما وذلك انك اذا قلت رايت غيرك فكل شئ ترى سوى المخاطب هو غيره وكذلك اذا قلت رايت مثلك
فما هو مثله لا يحصى فاما اذا كان شئ معرفة له ضد واحد واردت اثباته ونفى ضده وعلم ذلك السامع
فوصفته بغير واضفت غير الى ضده فهو معرفة وذلك نحو قولك عليك بالحركة غير السكون فغير السكون معرفة وهى
الحركة فكانك كررت الحركة تاكيدا فكذلك قوله تعالى غير المغضوب عليهم فغير المغضوب عليهم هم الذين انعم عليهم

فمتى كانت غير بهذه الصفة فهي معرفة وكذلك اذا عرف انسان بانه مثلك في ضرب من الضروب فقيل فيه قد جاء مثلك كان معرفة
اذا اردت المعروف بشبهك قال ومن جعل غير بدلا استغنى عن هذا الاحتجاج لان النكرة تبدل من المعرفة وفي نصب غير ثلثة
اوجه ايضا احدها ان يكون نصبا على الحال من المضمر في عليهم والعامل في الحال انعمت وكانه قال صراط الذين انعمت عليهم لا
مغضوبا عليهم وثانيها ان يكون نصبا على الاستثناء المنقطع لان المغضوب عليهم من غير جنس المنعم عليهم وثالثها ان يكون
نصبا على اعني كانه قال اعني غير المغضوب عليهم ولم يجز ان يقال غير المغضوبين عليهم لان الضمير قد خرج في عليهم فاستغنى
عن ان يجمع المغضوب وهكذا حكم كل ما تعدى بحرف جر تقول رايت القوم غير مذهوب بهم فاستغنيت بالضمير المجرور في
بهم عن جمع المذهوب واما لا من قوله ولا الضالين وذهب البصريون الى انها زائدة لتوكيد النفي وذهب الكوفيون
الى انها بمعنى غير ووجه قول البصريين انك اذا قلت ما قام زيد وعمرو احتمل ان تريد ما قاما معا ولكن قام كل واحد
منهما بانفراده فاذا قلت ما قام زيد ولا عمرو زال الاحتمال وغير يتضمن معنى النفي ولهذا اجاز النحويون انت زيدا غير ضارب لانه
بمنزلة قولك انت زيدا لا ضارب ولا يجيزون انت زيدا مثل ضارب لان زيدا من صلة ضارب فلا يتقدم عليه وقال علي بن عيسى
الرماني من نصب على الاستثناء جعل لا صلة كما انشد ابو عبيدة في بئر لا حور سرى وما شعر اي في بئر هلكة وتقديره
غير المغضوب عليهم والضالين كما قال ما منعك ان لا تسجد بمعنى ان تسجد [illegible] في الاية بيان الصراط المستقيم اي صراط
من انعمت عليهم بطاعتك وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واصل النعمة المبالغة والزيادة يقال دققت الدواء فانعمت دقه اي بالغت
في دقه وهذه النعمة وان لم تكن مذكورة في اللفظ فالكلام يدل عليها لانه لما قال اهدنا الصراط المستقيم وقد بينا المراد
بذلك بين ان هذا صراط من انعم عليهم به ولم يحتج الى اعادة اللفظ كما قال النابغة كانك من جمال بني اقيش يقعقع خلف رجليه
واراد بالمغضوب عليهم اليهود عند جميع المفسرين الخاص والعام ويدل عليه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة
والخنازير وهؤلاء هم اليهود بدلالة قوله تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين
واراد بالضالين النصارى بدلالة قوله تعالى ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء [السبيل]
وقال الحسن البصري ان الله تعالى لم يبرئ اليهود عن الضلالة باضافة الضلالة الى النصارى ولم يبرئ النصارى عن
الغضب باضافة الغضب الى اليهود بل كل واحدة من الطائفتين مغضوب عليهم وهم ضالون الا انه يخص كل فريق
بسمة يعرف بها ويميز بينه وبين غيره بها وان كانوا مشتركين في صفات كثيرة وقيل المراد بالمغضوب عليهم
والضالين جميع الكفار وانما ذكروا بالصفتين لاختلاف الفائدتين واختار الامام عبد القاهر الجرجاني قولا آخر
قال ان حق اللفظ فيه ان يكون خرج مخرج الجنس كما يقول نعوذ بالله ان يكون حالنا حال المغضوب عليهم فانك لا تقصد
به قوما باعيانهم ولكنك تريد ما تريده بقولك اذا قلت اللهم اجعلني ممن انعمت عليهم ولا تجعلني ممن غضبت عليهم
فلا تريد ان ههنا قوما باعيانهم قد اختصوا بهذه الصفة التي هي كونهم منعما عليهم وليس يخفى على من عرف الكلام ان العقلاء
يقولون اجعلني ممن تديم له النعمة وهم يريدون ان يقولوا ادم علي النعمة ولا يشك عاقل اذا نظر الى قول عنترة ولقد
نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم انه لم يرد ان يشبهها بانسان هو محب مكرم عنده او عند غيره ولكنه
اراد ان يقول انك محبة مكرمة عندي واما الغضب من الله تعالى فهو ارادة انزال العذاب المستحق بهم ولعنهم
وبراءته منهم واصل الغضب الشدة ومنه الغضبة وهي الصخرة الصلبة الشديدة المركبة في الجبل المخالفة له والغضوب

الحية الخبيثة لشدتها والناقة العبوس واصل الضلال الهلاك ومنه قوله عز اسمه اذا ضللنا في الارض اي هلكنا
ومنه قوله اضل اعمالهم اي اهلكها والضلال في الدين الذهاب عن الحق وانما لم يقل الذين انعمت عليهم غير الذين غضبت
عليهم مراعاة للادب في الخطاب واختيار الحسن اللفظ المستطاب وفي تفسير العياشي رحمه الله روى محمد بن مسلم عن ابي
عبد الله عليه السلام قال سالته عن قول الله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال فاتحة الكتاب يثنى
فيها القول وقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله تعالى من علي بفاتحة الكتاب من كنز الجنة فيها بسم الله الرحمن الرحيم
الاية التي يقول الله تعالى فيها واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا والحمد لله رب العالمين دعوى
اهل الجنة حين شكروا الله حسن الثواب ومالك يوم الدين قال جبرئيل ما قالها مسلم الا صدقه الله واهل سماواته اياك
نعبد اخلاص العبادة واياك نستعين افضل ما طلب به العباد حوائجهم اهدنا الصراط المستقيم صراط الانبياء وهم الذين
انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم اليهود ولا الضالين النصارى وروى محمد الحلبي عن ابي عبد الله عليه السلام انه كان يقرأ
ملك يوم الدين ويقرأ اهدنا الصراط المستقيم وفي رواية اخرى يعني امير المؤمنين عليه السلام وروى جميل عن ابي عبد الله
عليه السلام قال اذا كنت خلف امام ففرغ من قراءة الفاتحة فقل انت من خلفه الحمد لله رب العالمين وروى فضيل بن يسار
عنه عليه السلام قال اذا قرأت الفاتحة وفرغت من قراءتها فقل الحمد لله رب العالمين [illegible] واما نظم هذه السورة فاقول
فيه ان العاقل المميز اذا عرف نعم الله بالمشاهدة وكان له من نفسه بذلك اعدل شاهد واصدق رائد ابتدأ باية التسمية
استفتاحا باسم المنعم واعترافا بالالهية واسترواحا الى ذكر فضله ورحمته ولما اعترف الفرد اشتغل بالشكر والحمد فقال
الحمد لله فلما رأى نعم الله تعالى على غيره واضحة كما شاهد آثارها على نفسه لائحة عرف انه رب الخلائق اجمعين فقال رب العالمين
ولما رأى شمول فضله للمربوبين وعموم رزقه للمرزوقين قال الرحمن ولما رأى تقصيرهم في واجب شكره وتعذيرهم في
الانزجار عند زجره واجتناب نهيه وامتثال امره وانه تعالى يتجاوز عنهم بالغفران ولا يؤاخذهم عاجلا بالعصيان ولا
يسلبهم نعمه بالكفران قال الرحيم ولما رأى ما بين العباد من التباغي والتظالم والتكالم والتلاكم وان ليس بعضهم
من شر بعضهم بسالم علم ان وراءهم يوما ينتصف فيه للمظلوم من الظالم فقال مالك يوم الدين واذا عرف هذه الجملة
فقد علم ان لها خالقا رازقا رحيما يحيي ويميت ويبدئ ويعيد وهو الحي لا يشبهه شيء والاله الذي لا يستحق العبادة
الا هو سواه ولما صار الموصوف بهذا الوصف كالمدرك له بالعيان المشاهد بالبرهان تحول عن لفظ الغيبة الى لفظ
الخطاب فقال اياك نعبد وهذا كما ان الانسان يصف الملك بصفاته فاذا رآه عدل عن الوصف الى الخطاب ولما رأى
اعتراض الاهواء والشبهات وتعاور الاهواء المختلفات ولم يجد معتصما غير الله تعالى سأله الاعانة على الطاعات
بجميع الاسباب لها والوصلات فقال واياك نستعين ولما عرف هذه الجملة وتبين انه بلغ من معرفة الحق المدى
واستقام على منهج الهدى ولم يأمن العثرة لارتفاع العصمة سأل الله التوفيق للدوام عليه والثبات والعصمة من
الزلات فقال اهدنا الصراط المستقيم وهذا لفظ جامع يشتمل على مسألة معرفة الاحكام والتوفيق لاقامة شرايع
الاسلام والاقتداء بمن اوجب الله طاعته من ائمة الانام واجتناب المحارم والآثام واذا علم ان لله سبحانه عبادا
خصهم بنعمته واصطفاهم على بريته وجعلهم حججا على خليقته فسأله ان يلحقه بهم ويسلك به سبيلهم وان يعصمه عن
مثل احوال الزالين المزلين الضالين المضلين ممن عاند الحق وعمي عن طريق الرشد وخالف سبيل القصد فغضب الله
عليه واعد له الخزي المقيم والعذاب الاليم او شك في واضح الدليل فضل عن سواء السبيل فقال صراط الذين انعمت

عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين مدنية كلها الا آية منها وهي قوله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
فانها نزلت في حجة الوداع بمنى مائتان وست وثمانون آية في العدد الكوفي وهو العدد المروي عن امير المؤمنين
علي عليه السلم وسبع في العدد البصري وخمس حجازي واربع شامي احدى عشرة آية الم كوفي الا خائفين وقولا معروفا
بصري عذاب اليم شامي مصلحون غيرهم يا اولي الالباب عراقي والمدني الاخير من خلاق لثاني غير المدني الاخير يسئلونك
ماذا ينفقون مكي والمدني الاول يتفكرون شامي والحي القيوم مكي بصري والمدني الاخير من الظلمات الى النور
المدني الاول وروي عن اهل مكة ولا يضار كاتب ولا شهيد فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه واله قال
من قرأها فصلوات الله عليه ورحمته واعطى من الاجر كالمرابط في سبيل الله سنة لا يسكن روعته وقال لي يا ابي مر
المسلمين ان يتعلموا سورة البقرة فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة قال السحرة وروى سهل بن سعد
قال قال رسول الله صلى الله عليه واله لكل شيء سناما وسنام القران سورة البقرة ومن قرأها في بيته نهارا لم يدخل
بيته شيطان ثلثة ايام ومن قرأها في بيته ليلا لم يدخله شيطان ثلث ليالي وروي ان النبي صلى الله عليه واله بعث بعثا ثم
تتبعهم يستقريهم فكلما جاء انسان منهم قال له ما معك من القران حتى اتى على احدثهم سنا فقال له ما معك من القران قال
كذا وكذا وسورة البقرة فقال اخرجوا وهذا عليكم امير قالوا يا رسول الله هو احدثنا سنا قال معه سورة البقرة
وسئل النبي ع اي سور القران افضل قال البقرة قيل اي البقرة افضل قال آية الكرسي وقال الصادق عليه السلام
من قرأ سورة البقرة وال عمران جاء يوم القيمة يظلانه على راسه مثل الغمامتين او مثل الغيابتين
بسم الله الرحمن الرحيم الم آية كوفي اختلف العلماء في الحروف المعجمة المفتتح بها السور فذهب بعضهم الى انها من المتشابهات
التي استاثر الله بعلمها ولا يعلم تاويلها الا هو وهذا هو المروي عن ائمتنا عليهم السلام وروت العامة عن امير المؤمنين عليه السلام
انه قال ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وعن الشعبي قال لله في كل كتاب سر وسره في القران ساير
حروف الهجاء المذكورة في اوايل السور وفسرها الاخرون على وجوه احدها انها اسماء السور ومفاتحها عن الحسن و
زيد بن اسلم وثانيها ان المراد بها الدلالة على اسماء الله تعالى فقوله الم معناه انا الله اعلم والمر معناه انا الله اعلم وارى
والمص انا الله اعلم وافصل والكاف في كهيعص من كاف والها من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد
من صادق عن ابن عباس وعنه ايضا ان الم الالف منه يدل على اسم الله واللام يدل على اسم جبرئيل والميم يدل
على اسم محمد وروى ابو اسحق الثعلبي في تفسيره مسندا الى علي بن موسى الرضا عليه السلام قال سئل جعفر بن محمد الصادق
عليه السلام عن قوله الم فقال في الالف ست صفات من صفات الله عز وجل الابتداء فان الله عز وجل ابتدأ جميع
الخلق والالف ابتداء الحروف والاستواء فهو عادل غير جاير والالف مستو في ذاته والانفراد فالله فرد والالف فرد واتصال
الخلق بالله والله لا يتصل بالخلق وكلهم يحتاجون اليه والله غني عنهم فكذلك الالف لا يتصل بالحروف والحروف متصلة
به وهو منقطع من غيره والله تعالى باين بجميع صفاته من خلقه ومعناه من الالفة فكما ان الله عز وجل سبب الفة
الخلق فكذلك الالف عليه تالفت الحروف وهو سبب الفتها وثالثها انها اسماء الله تعالى مقطعة لو احسن الناس تاليفها لعلموا
اسم الله الاعظم يقول الر وحم ون فيكون الرحمن وكذلك سايرها الا انا لا نقدر على وصلها والجمع بينها عن
سعيد بن جبير ورابعها انها اسماء القران عن قتادة وخامسها انها اقسام اقسم الله تعالى بها وهي من اسمائه
عن ابن عباس وعكرمة قال الاخفش وانما اقسم الله بالحروف المعجمة لشرفها وفضلها ولانها مباني كتبه المنزلة

بالالسن

بالالسن المختلفة واسمائه الحسنى وصفاته العليا واصول كلام الامم كلها بها يتعارفون ويذكرون الله عز اسمه ويوحدونه
فكانه اقسم بهذه الحروف ان القران كتابه وكلامه وسادسها ان كل حرف منها مفتاح اسم من اسماء الله عز وجل وليس
فيها حرف الا وهو في الائه وبلائه وليس فيها حرف الا وهو في مدة قوم واجال اخرين عن ابي العالية وقد ورد مثل ذلك ايضا
في اخبارنا وسابعها ان المراد بها مدة بقاء هذه الامة عن مقاتل بن سليمان قال مقاتل حسبنا هذه الحروف التي في
اوايل السور باسقاط المكرر فبلغت سبع مائة واربعا واربعين سنة وهي بقية مدة هذه الامة قال علي بن فضال المجاشعي
النحوي وحسبت هذه الحروف التي في اوايل ذكرها مقاتل فبلغت ثلثة الاف وخمسا وستين فحذفت المكررات فبقي
ستمائة وثلث وتسعون والله اعلم بما فيها واقول قد حسبتها انا ايضا فوجدتها كذلك وروي ان اليهود لما سمعوا
الم قالوا مدة ملك محمد قصيرة انما يبلغ احدى وسبعين سنة فلما نزلت الر والمر والمص وكهيعص اتسع عليهم
الامر هذه اقوال اهل التفسير وثامنها ان المراد بها حروف المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها في اوايل السور عن ذكر بواقيها التي
هي تمام الثمانية والعشرين حرفا كما يستغني بذكر قفا نبك عن ذكر باقي القصيدة وكما يقال ابني في ابجد وفي ا ب ت ث و
لم يذكروا باقي الحروف قال الراجز لما رايتها في حطي اخذت منها بقرون شمط وانما اراد الخبر عن المرأة بانها في ابجد فاقام
قوله حطي مقام الدلالة الكلام عليه وتاسعها انها تسكيت للكفار لان المشركين كانوا تواصوا فيما بينهم ان لا يستمعوا لهذا القران
وان يلغوا فيه كما ورد به التنزيل من قوله لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه الاية فربما صفروا وربما صفقوا وربما لغطوا
ليغلطوا النبي صلى الله عليه واله فانزل الله تعالى هذه الحروف حتى اذا سمعوا شيئا غريبا استمعوا اليه وتفكروا واشتغلوا عن تغليطه
فيقع القران في مسامعهم ويكون ذلك سببا موصلا لهم الى درك منافعهم وعاشرها ان المراد بها ان هذا القران الذي عجزتم
عن معارضته من جنس هذه الحروف التي تتحاورون بها في خطبكم وكلامكم فاذا لم تقدروا عليه فاعلموا انه من عند الله لان
العادة لم تجر بان الناس يتفاوتون في القدر هذا التفاوت العظيم وانما كررت في مواضع استظهارا في الحجة وهو المحكي
عن قطرب واختاره ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني اجود هذه الاقوال القول الاول المحكي عن الحسن لان اسماء
الاعلام منقولة الى التسمية على اصولها للفرقة بين المسميات فتكون حروف المعجم منقولة الى التسمية وهذا في اسماء
العرب قال اوس بن حارثة بن لام الطاي ولا خلاف بين النحويين انه يجوز ان يسمى بحروف المعجم كما يجوز ان يسمى بحروف
بالجمل نحو تابط شرا وبرق نحره وكل كلمة لا تكون على معنى الاصل فهي منقولة الى التسمية للفرق نحو جعفر اذا لم يرد
به معنى النهر لم يكن الا منقولا الى العلمية وكذلك اشباهه ولو سميت بالف لام ميم لحكيت جميع واما قول ابن
عباس انه اختصار من اسماء يعلم النبي ع تمامها فنحوه قول الشاعر نادوهم ان الجموا الا تا قالوا جميعا كلهم
الا فا يريد الا تركبون قالوا الا فاركبوا وقول الاخر قلنا لها قفي لنا قالت قاف لا تحسبي انا نسينا الايجاف
يريد قالت انا واقفة اما موضع الم من الاعراب فيختلف على حسب اختلاف هذه المذاهب اما على مذهب
الحسن فموضعها رفع على اضمار مبتدأ محذوف كانه قال هذه الم واجاز الرماني ان يكون الم مبتدأ وذلك
الكتاب خبره وتقديره حروف المعجم ذلك الكتاب وهذا فيه بعد لان حكم المبتدا ان يكون هو الخبر في المعنى ولم
يكن الكتاب هو حروف المعجم ويجوز ان يكون الم في موضع نصب على اضمار فعل تقديره اتل الم واما على مذهب
من جعلها قسما فموضعها نصب باضمار فعل لان حرف القسم اذا حذف وصل الفعل الى المقسم به فنصبه
فان معنى قولك والله اقسم بالله ثم حذفت اقسم فبقي بالله فلو حذفت الباء قلت الله لافعلن واما على مذهب

من جعل هذه الحروف اختصارا من كلام او حروفا مقطعة فلا موضع لها من الاعراب لانها بمنزلة قولك زيد قايم
فى ان موضعه لاحظ له فى الاعراب وانما يكون للجملة موضع اذا وقعت موقع المفرد كقولك زيد ابوه قايم وان زيدا ابوه
قايم لانه بمنزلة قولك زيد قايم وان زيدا قايم وهذه الحروف موقوفة على الحكاية كما يفعل بحروف التهجى لانها مبنية على السكت
كما ان العدد مبنى على السكت يدل على ذلك جمعك بين ساكنين فى قولك لام ميم وتقول فى العدد واحد اثنان ثلثه اربعه
فتقطع الف اثنين والف اثنين الف وصل وتذكر الهاء فى ثلثه واربعه ولولا انك تقدر السكت لقلت ثلثة بالتاء ويدل عليه
قول الشاعر اقبلت من عند زياد كالخرف تخط رجلاى بخط مختلف يكتبان فى الطريق لام الف كانه قال لام الف ولكنه
القى همزة الف على الميم ففتحها واذا اخبرت عن حروف الهجاء او اسماء الاعداد اعربتها لانك ادخلتها بالاخبار عنها فى جملة الاسماء
المتمكنة واخرجتها بذلك من حيز الاصوات كما قال الشاعر كما بينت كاف تلوح وميمها وقال اخر اذا اجتمعوا على الف وياء و
واو هاج بينهم جدال وتقول هذا كاف حسن وهذه كاف حسنة من ذكره فعلى معنى الحرف ومن انثه فعلى معنى الكلمة
ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين اية قرا ابن كثير فيهى هدى بوصل الهاء بياء فى اللفظ وكذلك كل هاء
كناية قبلها ياء ساكنة فان كان قبلها ساكن غير الياء وصلها بالواو ووافقه حفص فى قوله فيهى مهانا وقتيبة فى فلاقيهى
وساصليهى والباقون لا يشبعون واذا تحرك ما قبل الهاء فهم مجمعون على اشباعه اعلم انه يجوز فى العربية فى فيه
اربعة وجوه فيهو وفيهى وفيهُ وفيهِ والاصل فيهو كما قيل لهو مال فى كسر من فيه ونحوه مع ان الاصل الضم فلاجل الياء او الكسرة
قبلها قبل الهاء والهاء تشبه الالف لكونها من حروف الحلق ولما فيها من الخفا فكما نحوا بالحرف نحو الياء بالامالة لاجل
الكسرة والياء كذلك كسروا الهاء للكسرة او الياء ليتجانس الصوتان ومن ترك الاشباع فلكراهة اجتماع المتشابهة فان
الهاء حرف خفى فاذا اكتنفها ساكنان من حروف اللين كان كالتقاء الساكنين لخفاء الهاء فانهم لم يعتدوا بها حاجزا فى
نحو فهى وخذ وهو كما لم يعتد بها فى نحو رده وامن اتبع الضم اذا وصل الضم بضمير المؤنث فقال ردها بالفتح لا غير ولم يتبع
الضم الضمة وجعل الدال كانها لازقة بالالف واما من اشبع واتبعها الياء فقال الهاء وان كانت خفية فليس يخرجها ذلك
من ان تكون كغيرها من حروف المعجم التى لا خفاء فيها فاذا كان كذلك كان حجزها بين ساكنين كحجز غيرها من الحروف التى لا خفاء
فيها ذلك لفظ يشار به الى ما بعد وهذا الاولى ما قرب والاسم من ذلك ذا والكاف زيدت للخطاب ولا حظ لها من
الاعراب واللام تزاد للتوكيد وكسرت لالتقاء الساكنين ويسقط معها ها تقول ذاك وذلك وهذاك ولا تقول هذا لك
والكتاب مصدر وهو بمعنى المكتوب كالحساب قال الشاعر بشرت عيالى اذ رايت صحيفة اتتك من الحجاج يتلى كتابها
اى مكتوبها واصله الجمع من قولهم كتبت القربة اذا خرزتها والكتبة الخرزة وكتبت البغلة اذا جمعت بين شفريها بحلقة ومنه
قيل للجند كتيبة لانضمام بعضهم الى البعض والريب الشك وقيل هو اسوا الشك وهو مصدر رابنى الشى من فلان
يريبنى اذا كنت مستيقنا منه بالريبة فاذا اسات به الظن ولم تستيقن بالريبة منه قلت ارابنى من فلان امر ارابة و
اراب الرجل اى صار ذا ريبة كما قيل الام اى يستحق ان يلام والهدى الدلالة مصدر هديته وفعل قليل فى المصادر قال
ابو على يجوز ان يكون فعل مصدرا اختص به المعتل وان لم يكن فى المصادر كما كان كينونة ونحوه فى الصحيح والفعل منه يتعدى
الى مفعولين يتعدى الى الثانى منهما باحد حرفى الجر الى او اللام كقوله واهدنا الى سواء الصراط والحمد لله الذى هدانا لهذا
وقد يحذف منه حرف الجر فيتصل الفعل الى المفعول نحو اهدنا الصراط المستقيم اى دلنا عليه واسلك بنا فيه وكانه استيجاز
لما وعد وابه فى قوله يهدى الله من اتبع رضوانه سبل السلام اى سبل دار السلام والاصل فى المتقين مفتعلين من

الوقاية فقلبت الواو تاء وادغمتها فى التاء التى بعدها وحذفت الكسرة عن الياء استثقالا لها ثم حذفها لالتقاء
الساكنين فبقى متقين والتقوى اصله وقوى فقلبت الواو تاء كالتراث اصله وراث واصل الاتقاء الحجز
بين الشيئين يقال اتقاه بالترس اى جعله حاجزا بينه وبينه وقال الشاعر فالقت قناعا دونه الشمس واتقت
باحسن موصولين كف ومعصم ومنه الوقاية لانها تمنع رؤية الشعر ذلك فى موضع رفع من وجوه احدها
ان تجعله خبرا عن الم كما مضى القول فيه وثانيها ان يكون مبتدا والكتاب خبره وثالثها ان يكون مبتدا والكتاب عطف
بيان او صفة له او بدل منه ولا ريب فيه جملة فى موضع الخبر ورابعها ان يكون مبتدا وخبره هدى ويكون لا ريب
فيه فى موضع الحال والعامل فى الحال معنى الاشارة وخامسها ان يكون لا ريب فيه هدى جميعا خبر بعد خبر كقولك
هذا حلو حامض اى جمع الطعمين ومنه قول الشاعر من يك ذا بت فهذا بتى مقيظ مصيف مشتى وسادسها
ان يكون خبر مبتدا محذوف تقديره هذا ذلك الكتاب واذا حملت على هذا الوجه او على انه مبتدا ولا ريب الخبر او على
انه خبر الم وعلى ان الكتاب خبر عنه كان قوله هدى فى موضع نصب على الحال اى هاديا للمتقين والعامل فيه معنى الاشارة
او الاستقرار الذى يتعلق به فيه وقوله لا ريب فيه قال سيبويه لا تعمل فيما بعدها فتنصبه بغير تنوين وقال غيره
من حذاق النحويين جعل لا مع النكرة الشايعة مركبا فهوا وكذا من تضمن الاسم معنى الحرف لانه جعل جزءا من الاسم
بدلالة انك تضيف اليه مجموعا ويدخل عليه حرف الجر فيقول جئتك بلا مال ولا زاد فلما صار كذلك بنى على الفتح وهما
جميعا فى موضع الرفع على الابتداء فموضع خبره موضع خبر المبتدا وعلى هذا فيجوز ان تجعل فيه خبرا ويجوز ان تجعله
صفة فان جعلته صفة اضمرت الخبر وان جعلته خبرا كان موضعه رفعا الى قياس قول سيبويه من حيث يرتفع
خبر الابتداء وعلى قول ابى الحسن الاخفش موضعه رفع والموضع للظرف نفسه لا لما كان يتعلق به لان الحكم
له من دون ما كان يكون الظرف منتصبا به فى الاصل الا ترى ان الضمير قد صار فى الظرف واما قوله هدى
فيجوز ان يكون فى موضع رفع من ثلثة اوجه غير الوجه الذى ذكرناه قبل وهو ان يكون خبرا عن ذلك احدها
ان يكون مبتدا وفيه الخبر على ان تضمن لا ريب خبرا كانك قلت لا ريب فيه فيه هدى والوقف على هذا الوجه يكون
يكون على قوله لا ريب فيه ويبتدى فيه هدى للمتقين وان شئت جعلت فيه هذه الظاهرة خبرا عن لا ريب
واضمرت لهدى خبرا كانك قلت لا ريب فيه فيه هدى والوقف على هذا الوجه على قوله لا ريب فيه ويبتدى هدى
للمتقين والوجه الثانى ان يكون خبرا عن الم على قول من جعله اسما للسورة والوجه الثالث ان يكون خبر المبتدا
محذوف تقديره فيه هدى المراد بالكتاب القران وقال الاخفش ذلك بمعنى هذا لان الكتاب كان حاضرا
وانشد لخفاف بن ندبة اقول له والرمح يأطر متنه تامل خفافا اننى انا ذالكا اى انا هذا وهذا البيت يمكن
اجراؤه على ظاهره اى اننى ذلك الرجل الذى سمعت شجاعته اذا جرى للشى ذكر يجوز ان يقول السامع هذا
كما قلت وذلك كما قلت وتقول انفقت ثلثة ثلثة فهذا ستة او فذلك ستة وانما تقول هذا القرب بالاخبار عنه
وتقول ذلك لكونه ماضيا وقيل ان الله وعد نبيه ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يخلق على كثرة الرد فلما
انزل القران قال هذا القران ذلك الكتاب الذى وعدتك عن الفراء وابى على الجبائى وقيل معناه هذا القران ذلك
الكتاب الذى وعدتك به فى الكتب السالفة عن المبرد ومن قال ان المراد بالكتاب التورية والانجيل فقوله فاسد لانه
وصف الكتاب بانه لا ريب فيه وانه هدى ووصف ما فى ايدى اليهود والنصارى بانه محرف بقوله يحرفون الكلم

عن مواضعه ومعنى قوله لاريب فيه انه بيان وهدى وحق ومعجز فمن هاهنا استحق الوصف بانه لاشك فيه لا على جهة
الاخبار بنفي شك الشاكين وقيل انه على الحذف كانه قال لاسبب شك فيه لان الاسباب التي توجب الشك في الكلام
هي التلبيس والتعقيد والتناقض والدعاوى العارية من البرهان وهذه كلها منفية عن كتاب الله تع وقيل ان معناه
النهي وان كان لفظه الخبر اي لا ترتابوا ولا تشكوا فيه كقوله تع لا رفث ولا فسوق واما تخصيص المتقين بان القران هدى
لهم وان كان هدى لجميع الناس فلانهم هم الذين انتفعوا به واهتدوا بهداه كما قال انما انت منذر من يخشيها وان كان ع
منذرا لكل مكلف لانه انما انتفع بانذاره من يخشى نار جهنم على انه لبين في الاخبار بانه هدى للمتقين ما يدل على انه ليس هدى
لغيرهم وبين في اية اخرى انه هدى للناس في التقوى والمتقي روى عن النبي ع انه قال جماع التقوى في قوله تعا
ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية وقيل المتقي الذي اتقى ما حرم عليه وفعل ما اوجب عليه وقيل هو الذي يتقي بصالح اعماله
عذاب الله وسال عمر بن الخطاب كعب الاحبار عن التقوى فقال هل اخذت طريقا ذا شوك قال نعم قال فما عملت فيه قال
حذرت وتشمرت فقال كعب ذلك التقوى فنظمه بعض الناس وقال خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى واصنع كماشٍ
فوق ارض الشوك يحذر ما يرى لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى وروى عن النبي صلى الله عليه واله انه قال انما سمي
المتقون لتركهم ما لا باس به حذرا للوقوع فيما به باس وقال عمر بن عبد العزيز التقي ملجم كالمحرم في الحرم وقال بعضهم التقوى
ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم
ينفقون قرا ابو جعفر وعاصم في رواية الاعشى عن ابي بكر بترك كل همزة ساكنة مثل يومنون وياكلون ويوتون
وبيس ونحوها وبترك كثيرا من المتحركة مثل يود ولا يواخذكم ويويد بنصره ولمذهب ابي جعفر فيه تفصيل يطول ذكره واما
ابو عمرو فيترك كل همزة ساكنة الا ان يكون سكونها علامة للجزم مثل ينساها وننسكم ويهيئ لكم ومن يشا وينبئهم واقرا كتابك
ونحوها فانه لا يترك الهمز فيها وروى عنه الهمز ايضا في الساكنة واما نافع فيترك كل همزة ساكنة ومتحركة اذا كانت فاء من الفعل
نحو يومنون ولا يواخذكم واختلف قراءة الكسائي وحمزة ولكل واحد منهم مذهب فيه يطول ذكره فالهمز على الاصل وتركه
للتخفيف الذين جمع الذي واللاي واللاتي جمع التي وتثنيتهما اللذان واللتان في حال الرفع واللذين واللتين
في حال الجر والنصب وهي من الاسماء التي لا تتم الا بصلاتها نحو من وما واي وصلاتها لا تكون الا جملا خبرية يصح فيها الصدق
والكذب ولا بد ان يكون فيها ضمير يعود الى الموصول فاذا استوفت الموصولات صلاتها كانت في تاويل اسم مفرد مثل زيد
وعمرو ويحتاج الى جزء اخر يصير به جملة فقوله الذين موصول ويومنون صلته ويحتمل ان يكون محله نصبا وجرا ورفعا فالنصب
على المدح تقديره اعني الذين يومنون واما الجر فعلى انه صفة للمتقين واما الرفع فعلى المدح ايضا كانه لما قيل هدى
للمتقين قيل من هم فقيل هم الذين يومنون بالغيب فيكون خبر مبتدا محذوف ويومنون معناه يصدقون والواو في
موضع الرفع بكونه ضمير الفاعلين والنون علامة الرفع والاصل في يفعل يوفعل ولكن الهمزة حذفت لانك اذا انبات
عن نفسك قلت انا افعل فكان يجتمع همزتان فاستثقلتا فحذفت الهمزة الثانية فقيل افعل ثم حذفت من الصيغ
الاخر نحو يفعل وتفعل ونفعل كما ان باب يعد حذفت منه الواو لوقوعها بين ياء وكسرة والاصل يوعد ثم حذفت في
تعد ونعد واعد ليجري الباب على سنن واحد قال الازهري اتفق العلماء على ان الايمان هو التصديق قال الله تعا
وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق لنا قال ابو زيد وقالوا ما امنت ان اجد صحابة اي ما وثقت فالايمان هو التصديق
التصديق قال الله تع الذين يومنون امنوا باياتنا اي صدقوا ونثقوا به قال الشاعر انشده ابن الانباري ومن قبل

امنا وقد كان قومنا يصلون الاصنام قبل محمدا معناه امنا محمدا اي صدقناه ويجوز ان يكون امن من قياس فعلته
فافعل يقول امنته فامن مثل كببته فاكب والامن خلاف الخوف والامانة خلاف الخيانة والامون الناقة القوية كانها
يومن عثارها اي كلالها ويجوز ان يكون امن بمعنى صار ذا امن على نفسه باظهار التصديق نحو اجرب واعاه واصح واسلم
اي خرج عن ان يكون حربا هذا في اصل اللغة اما في الشريعة فالايمان هو التصديق بكل ما يلزم التصديق به من الله تعالى و
انبيائه وملائكته وكتبه والبعث والنشور والجنة والنار والعذاب اما قولنا في وصف القديم تع المؤمن فانه يحتمل تاويلين
احدهما ان يكون من امنت المتعدي الى مفعول فنقل بالهمزة فتعدى الى مفعولين فصار من امن زيد العذاب وامنته العذاب
فمعناه المؤمن عذابه من لا يستحق من اوليائه ومن هذا وصف سبحانه بالعدل كقوله قائما بالقسط وهذا الوجه مروي في
اخبارنا والاخر ان يكون معناه المصدق اي يصدق الموحدين على توحيدهم اياه يدل عليه قوله شهد الله انه لا اله الا هو
ان الشاهد مصدق لما يشهد به كما انه مصدق من يشهد له فاذا شهد بالتوحيد فقد صدق الموحدين واما الغيب فهو
ما غاب عنك ولم تشهده وقوله بالغيب كانه اجمال لما فصل في قوله كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله اي يومنون بما كذب به
الكفار من وحدانية الله تع وانزال كتبه وارسال رسله فكل هذه غيب فعلى هذا يكون الجار والمجرور في موضع نصب بانه
مفعول به وفيه وجه اخر وهو ان يكون اراد يومنون اذا غابوا عنكم ولم يكونوا كالمنافقين ومثله قوله وخشي الرحمن بالغيب
فعلى هذا يكون الجار والمجرور في موضع الحال اي يومنون غائبين عن مراة الناس لا يريدون بايمانهم تصنعا لاحد ولكن
يخلصون لله تع ويقيمون الصلوة ويودونها بحدودها وفرائضها يقال اقام القوم سوقهم اذا لم يعطلوها من البيع و
الشرى وقال الشاعر اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا وقال ابو مسلم يقيمون اي يديمون اداء فرضها
يقال للشي الراتب قائم ويقال فلان يقيم ارزاق الجند والصلوة في اللغة الدعاء قال الاعشى وقابلها الريح في ظلها
وصلى على دنها وارتسم اي دعا لها ومنه الحديث اذا دعي احدكم الى طعام فليجب فان كان صائما فليصل اي فليدع له بالبركة
والخير وقيل اصله رفع الصلوة في الركوع وهو عظم في العجز وقوله ومما رزقناهم ينفقون ما هذه حرف موصول ور
رزقناهم صلته وهما جميعا بمعنى المصدر تقديره ومن رزقنا اياهم ينفقون او اسم موصول ورزقناهم صلته و
العائد من الصلة الى الموصول محذوف والتقدير من الذي رزقناهم ينفقون فيكون ما رزقناهم في موضع
جر بمن والجار والمجرور في موضع نصب بانه مفعول ينفقون والرزق هو العطاء الجاري وهو نقيض الحرمان والانفاق
اخراج المال يقال انفق ماله اي اخرجه عن ملكه ونفقت الدابة اذا خرج روحها والنافقاء جحرة اليربوع لانه يخرج
او منه النفاق لان المنافق يخرج الى المؤمن بالايمان والى الكافر بالكفر لما وصف القران بانه هدى للمتقين
بين صفة المتقين فقال الذين يؤمنون بالغيب اي يصدقون بجميع ما اوجبه الله تع او ندب اليه او اباحه وقيل
يصدقون بالقيامة والجنة والنار عن الحسن وقيل بما جاء من عند الله عن ابن عباس وقيل بما غاب عن العباد
علمه عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة وهذا اولى لعمومه ويدخل فيه ما رواه اصحابنا من زمان غيبة المهدي ع
ووقت خروجه وقيل الغيب هو القران عن زر بن حبيش وقال الرماني الغيب خفاء الشي عن الحس قرب او بعد الا
انه قد كثرت صفة غائب على البعيد الذي لا يظهر للحس وقال البلخي الغيب ما ادرك بالدلائل والايات مما تلزم
معرفته وقالت المعتزلة باجمعها الايمان هو فعل الطاعة ثم اختلفوا فمنهم من اعتبر الفرائض والنوافل ومنهم من
اعتبر الفرائض حسب واعتبروا اجتناب الكبائر كلها وروى الخاص والعام عن علي بن موسى الرضا عليه السلام ان

الايمان هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان وقد روى ذلك على لفظ آخر عنه ايضا الايمان قول مقول وعمل
معمول وعرفان بالعقول واتباع الرسول واقول ان اصل الايمان هو المعرفة بالله وبرسله وبجميع ما جاءت به رسله وكل عارف
بشيء فهو مصدق به ويدل عليه هذه الاية فانه تعالى لما ذكر الايمان علقه بالغيب ليعلم انه تصديق المخبر فيما اخبر به من الغيب على
معرفة وثقة ثم افرده بالذكر عن ساير الطاعات البدنية والمالية وعطفهما عليه فقال ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والشيء
لا يعطف على نفسه وانما يعطف على غيره ويدل عليه ايضا انه تعالى حيث ذكر الايمان اضافه الى القلب فقال وقلبه مطمئن بالايمان
وقال اولئك كتب في قلوبهم الايمان وقال النبي عم الايمان سر واشار الى صدره والاسلام علانية وقد يسمى الاقرار ايمانا كما يسمى
تصديقا كذلك يقال فلان يصدق افعاله مقاله ولا خبر في قول لا يصدقه الفعل والفعل ليس بتصديق حقيقي باتفاق
اهل اللغة وانما استعير له هذا الوجه الذي ذكرناه فقد آل الامر مع تسليم صحة الخبر وقوله الى ان الايمان هو المعرفة بالقلب
والتصديق به على نحو ما يقتضيه اللغة ولا يطلق لفظه الا على ذلك الا انه يستعمل في الاقرار باللسان والعمل بالاركان مجازا و
اتساعا وبالله التوفيق وقد ذكرنا في قوله يقيمون الصلوة وجهين اقتضاهما اللغة وقيل ايضا انه مشتق من القيام في
الصلوة ولذلك قيل قد قامت الصلوة وانما ذكر القيام لانه اول ركن الصلوة وامدها وان كان المراد به هو وغيره و
الصلوة في الشرع عبارة عن افعال مخصوصة على وجه مخصوص وهذا يدل على ان الاسم ينقل من اللغة الى الشرع وقيل ان
هذا ليس بنقل بل هو تخصيص لانه يطلق على الذكر والدعاء في مواضع مخصوصة وقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون يريد ومما
اعطيناهم وملكناهم يخرجون على وجه الطاعة وحكى عن ابن عباس انه الزكوة المفروضة وعن ابن مسعود انه نفقة الرجل
على اهله لان الاية نزلت قبل وجوب الزكوة وعن الضحاك هو التطوع بالنفقة وروى محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام
ان معناه ومما علمناهم يبثون والاولى حمل الاية على عمومها وحقيقة الرزق هو ما صح ان ينتفع به المنتفع وليس لاحد منعه
منه وهذه الاية تدل على ان الحرام لا يكون رزقا لانه تعالى مدحهم بالانفاق ومما رزقهم والمنفق من الحرام لا يستحق المدح
على الانفاق بالانفاق فلا يكون رزقا قال بعضهم هذه الاية تناولت مؤمني العرب خاصة بدلالة قوله تعالى
بعد والذين يؤمنون بما انزل اليك الاية فهذا في مؤمني اهل الكتاب اذ لم يكن للعرب كتاب قبل القران وهذا غير صحيح
لانه لا يمتنع ان تكون الاية الاولى عامة في جميع المؤمنين وان كانت الثانية خاصة في قوم منهم ويجوز ان يكون المراد بالايات
قوما واحدا وصفوا بجميع ذلك بان جمع بين اوصافهم بواو العطف كقول الشاعر الى الملك القرم وابن الهمام وليث
الكتيبة في المزدحم والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون اية
اهل الحجاز غير الورش واهل البصرة لا يمدون حرفا لحرف وهو ان يكون المدة من كلمة والهمزة من اخرى نحو بما
انزل اليك ونحوه واما اهل الكوفة وابن عامر وورش عن نافع فانهم يمدون ذلك وورش اطولهم مدا ثم حمزة ثم عاصم
برواية الاعشى والباقون يمدون مدا وسطا من غير افراط فالمد للتحقيق وحذفه للتخفيف واما السكتة بين المد و
الهمزة نحو حمزة وافقه عاصم والكسائي على اختلاف عنهما وكان يقف حمزة قبل الهمزة ايضا فيسكت على اللام شيئا
من قوله بالاخرة ثم يبتدى بالهمزة وكذلك يقطع على الياء من شيء كانه يقف ثم يهمز والباقون بغير سكتة
اليك وعليك ولديك الاصل فيها الاك وعلاك ولداك الا ان الالف غيرت مع المضمر فابدلت بالتفصيل بين
الالف في اخر الاسم المتمكن وبينها في اخر غير المتمكن الذي الاضافة لازمة له الا ترى ان الى وعلى ولدى لا ينفرد من
الاضافة وشبهت بها كلا اذا اضيف الى المضمر لانها لا تنفرد ولا تكون كلا الا بالاضافة وما موصول وانزل صلته

الاسم علم

وفيه

وفيه ضمير يعود الى ما والموصول مع صلته في موضع جر بالباء والجار والمجرور في موضع نصب بانه مفعول يؤمنون
ويؤمنون صلة للذين والذين يؤمنون في موضع جر بالعطف والعطف فيه على وجهين احدهما ان يكون
عطف احد الموصوفين على الاخر والاخر ان يكون جميع الاوصاف لموصوف واحد ثم بين تعالى تمام صفة
المتقين فقال والذين يؤمنون بما انزل اليك يعني القران وما انزل من قبلك يعني الكتب المتقدمة وقوله وبالاخرة
اي وبالدار الاخرة لتاخرها عن الدنيا كما سميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق وقيل لدنائتها وهم يوقنون يعلمون
وسمي العلم يقينا لحصول القطع عليه وسكون النفس فيه وكل يقين علم وليس كل علم يقينا وذلك ان اليقين كانه علم
يظهر بعد استدلال ونظر لغموض المعلوم المنظور فيه او لاشكال ذلك على الناظر ولهذا لا يقال في صفة الله تعالى لان الاشياء
كلها في الجلاء عنده على السواء وانما خصهم بالايقان بالاخرة وان كان الايمان بالغيب قد شملها لما كان من كفر
المشركين بها وجحدهم اياها في نحو ما حكى عنهم في قوله وقالوا ما هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيا فكان في تخصيصهم بذلك
مدحا لهم اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون اية اولئك اسم مبهم يصلح لكل حاضر
تعرفه الاشارة وهو جمع ذلك في المعنى واولاء جمع ذا في المعنى ومن قصر قال اولا واولاء واولالك واذا امدته لم يجز زيادة اللام
لئلا يجتمع ثقل الزيادة وثقل الهمزة قال الشاعر الا لك قوم لم يكونوا اشابة وهل يعظ الضليل الا الاكا والمفلحون المنجحون
الفائزون والفلاح النجاح قال الشاعر اعقلي ان كنت لما تعقلي ولقد افلح من كان عقل اي ظفر بحاجته والفلاح ايضا البقاء
قال لبيد نحل بلادا كلها حل قبلنا ونرجو الفلاح بعد عاد وتبعا واصل الفلاح القطع ومنه قيل الفلاح للاكار لانه يشق
الارض وفي المثل الحديد بالحديد يفلح فالمفلح على هذا كانه قطع له بالخير موضع اولئك رفع بالابتداء والخبر على
هدى من ربهم وهو اسم مبني والكاف حرف خطاب لا محل له من الاعراب وكسرت الهمزة فيه لالتقاء الساكنين وكذلك قوله
اولئك هم المفلحون الا ان قوله هم فيه وجهان احدهما انه فصل يدخل بين المبتدا والخبر وما كان في الاصل مبتدا وخبرا للتاكيد ولا
موضع له من الاعراب والكوفيون يسمونه عمادا وانما يدخل ليوذن ان الاسم بعده خبر وليس بصفة وانما يدخل ايضا اذا كان الخبر
معرفة وما اشبه المعرفة نحو قوله تعالى تجدوه عند الله هو خيرا والوجه الاخر ان يكون هم مبتدا ثانيا والمفلحون خبره والجملة في
موضع رفع بكونها خبر اولئك لما وصف المتقين بهذه الصفات بين ما لهم عنده فقال اولئك اشارة الى الموصوفين
بجميع الصفات المتقدمة وهم جملة المؤمنين على هدى من ربهم اي دين ربهم وقيل على دلالة وبيان من ربهم وانما قال من ربهم
لان كل خير وهدى فمن الله تعالى اما لانه فعله واما لانه عرض له بالدلالة عليه والدعاء اليه والاثابة على فعله وعلى هذا يجوز ان يقال
الايمان هداية منه تعالى وان كان من فعل العبد ثم كرر تفخيما فقال واولئك هم المفلحون اي الظافرون بالبغية والباقون
في الجنة قال مجاهد اربع ايات من اول السورة نزلت في المؤمنين وايتان بعدها نزلت في الكافرين وثلث عشرة اية بعدها
نزلت في المنافقين ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون قوله ءانذرتهم فيه
ثلث قراءات قرا عاصم وحمزة والكسائي اذا حقق بهمزتين وقرا اهل الحجاز وابو عمرو بالهمزة والمد وتليين الهمزة الثانية يجعلونها
بين بين وكذلك قراءة الكسائي اذا خفف وابو عمرو واطول مدا من ابن كثير واختلف في المد عن نافع وقرا ابن عامر بالف بين
بين همزتين ويجوز في العربية ثلثة اوجه غيرها اانذرتهم بتحقيق الهمزة الاولى وتخفيف الثانية بجعلها بين بين وانذرتهم بهمزة
واحدة وعليهم انذرتهم على القاء حركة الهمزة على الميم نحو قوله قد افلح فيما روى عن نافع اما وجه الهمزتين فهو انه
الاصل لان الاولى همزة الاستفهام والثانية همزة افعل واما ادخال الالف بين الهمزتين فمن قراءة اراد ان يفصل بين

استثقالا لاجتماع المثلين كما فصل بين النونين في نحو اضربنان استثقالا لاجتماع النونات ومنه قول ذي الرمة هيا
ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقا أانت ام ام سالم واما من فصل بين الهمزتين ولين الثانية فوجه التخفيف من
جهتين الفصل والتليين لانك اذا لينتها فقد امنتها وصار الالف كانه لا استفهام فيه ففي المد توكيد الدلالة على الاستفهام
كما في تحقيق الهمزة واما من حقق الاولى ولين الثانية من غير فصل بالالف فهو القياس لانه جعل التليين عوضا عن الفصل و
اما من اكتفى بهمزة واحدة فانه اطرح همزة الاستفهام وهو ضعيف وقد جاء في الشعر قال عمر بن ابي ربيعة لعمرك ما ادري و
ان كنت داريا بسبع رمين الجمر ام بثمان واما من القى حركة الهمزة على الميم فانه على تليين الاولى وتحقيق الثانية والعرب
اذا لينوا الهمزة المتحركة وقبلها ساكن القوا حركتها على ما قبلها فقالوا من بوك ومن مك وكم بلك الكفر خلاف الشكر
كما ان الجحد خلاف الذم فالكفر ستر النعمة واخفاؤها والشكر نشرها واظهارها وكل من ستر شيئا فقد كفره قال لبيد في ليلة
كفر النجوم غمامها اي سترها وسواء مصدر اقيم مقام الفاعل كقولك زور وصوم ومعناه مستو والاستواء الاعتدال
والسواء العدل قال زهير اروني خطة لا خسف فيها يسوى بيننا فيها السواء وقالوا سي بمعنى سواء كما قالوا قي وقواء وسيان
اي مثلان والانذار اعلام ومعه تخويف وكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا ويوصف القديم تعالى بانه منذر لان الاعلام
يجوز وصفه بما يشتمل عليهما وانذرت يتعدى الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا وقد ورد معدى الى المفعول
الثاني بالباء في قوله قل انما انذركم بالوحي وقيل الانذار هو التحذير من مخوف يتسع زمانه للاحتراز منه فان لم يتسع
فهو اشعار ان حرف توكيد وهي تنصب الاسم وترفع الخبر كالفعل الماضي وانما لزمت تقديم المنصوب على
المرفوع ليعلم انها انما عملت على جهة التشبيه فجعلت كفعل قدم مفعوله على فاعله والذين كفروا في موضع نصب لكونه
اسم ان وكفروا صلة الذين واما خبرها ففيه وجهان احدهما ان تكون الجملة التي هي سواء عليهم ءانذرتهم فعلى
هذا يكون سواء يرتفع بالابتداء وما بعده مما دخل عليه حرف الاستفهام في موضع الخبر والجملة في موضع رفع بانها
خبر ان ويكون قوله لا يؤمنون حالا من الضمير المنصوب على حد مررت بصقر صائدا به غدا وبالغ الكعبة ويستقيم ان يكون
ايضا استئنافا والوجه الثاني ان يكون لا يؤمنون خبر ان ويكون قوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم اعتراضا
بين الخبر والاسم فلا يكون له موضع من الاعراب كما حكم على موضعه بالرفع في الوجه الاول فاما اذا قدرت هنا
الكلام على ما عليه المعنى فقلت سواء عليهم الانذار وتركه سواء خبر المبتدا لانه يكون تقديره الانذار وتركه يستويان عليهم
وانما قلنا انه مرتفع بالابتداء على ما عليه التلاوة لانه لا يجوز ان يكون خبرا فانه ليس في ظاهر الكلام مخبر عنه واذا لم يكن
مخبرا عنه بطل ان يكون خبرا فاذا فسد ذلك ثبت انه مبتدا وايضا فانه قبل الاستفهام وما قبل الاستفهام لا
يكون داخلا في حيز الاستفهام فلا يجوز اذن ان يكون الخبر عما في الاستفهام متقدما على الاستفهام ونظيره ما
في الاية من ان خبر المبتدا ليس المبتدا ولا له فيه ذكر ما انشده ابو زيد فان حراما لا ارى الدهر باكيا على شجوه
الا بكيت على عمرو وقوله ءانذرتهم ام لم تنذرهم لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الخبر وهذه الهمزة تسمى الف
التسوية والتسوية الفها همزة الاستفهام وام تقول ازيد ام عمرو تريد ايهما عندك ولا يجوز او في مكانها
لان او لا تكون معادلة للهمزة وتفسير المعادلة ان يكون ام مع الهمزة بمنزلة اي واذا قلت ازيد عندك ام عمرو كان
معناه احد هذين عندك ويدل على ذلك ان الجواب مع ازيد ام عمرو يقع بالتعيين ومع ازيد او عمرو يقع بنعم
او لا وانما جرى عليه لفظ الاستفهام وان كان خبرا لان فيه التسوية التي في الاستفهام الا ترى انك اذا قلت

سواء علي اقمت ام قعدت فقد سويت الامرين عليك كما انك اذا استفهمت فقلت اقام زيد ام قعد فقد استوى الامران
عندك في الاستفهام وعدم علم احدهما بعينه فلما عمهما التسوية جرى على هذا الخبر لفظ الاستفهام لمشاركته له
في الابهام فكل استفهام تسوية وان لم يكن كل تسوية استفهاما وقال النحويون ان نظير سواء في هذا قولك ما
ابالي اقبلت ام ادبرت لانه وقع موقع اي فكانك قلت ما ابالي اي هذين كان منك وما ادري احسنت ام اسات
وليت شعري اقام ام قعد وقال حسان ما ابالي انب بالحزن تيس ام لحاني بظهر غيب لئيم ومثله انه في صورة
الاستفهام وهو خبر قول جرير الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح ولو كان استفهاما
لم يكن مدحا وقال الاخر سواء عليه اي حين اتيته اساعة نحس تتقي ام باسعد قيل نزلت في ابي جهل
وخمسة من اهل بيته قتلوا يوم بدر عن الربيع بن انس واختاره البلخي وقيل نزلت في قوم باعيانهم من احبار اليهود
ممن كفر بالنبي عنادا وكتم امره حسدا عن ابن عباس وقيل نزلت في اهل الختم والطبع الذين علم الله انهم لا يؤمنون
عن ابي علي الجبائي وقيل نزلت في مشركي العرب عن الاصم وقيل هي عامة في جميع الكفار اخبر تعالى بانهم لا يؤمنون
ويكون كقول القائل لا يتقدم جميع اخوتك اليوم فلا ينكر ان يتقدم بعضهم واختار الشيخ ابو جعفر ان يكون على
الاختصاص ويجوز كل واحد من الاقوال الاخر وهذا اظهر واسبق الى الفهم لما بين تعالى حال المؤمنين
وصله بذكر الكافرين والكفر في الشرع عبارة عن جحد ما اوجب الله تعالى معرفته من توحيده وعدله ومعرفة
نبيه وما جاء به من اركان الشرع فمن جحد شيئا من ذلك كان كافرا وهذه الاية تدل على ان في المكلفين من لا
لطف له لانه لو كان لفعل ولآمنوا فلما اخبر انهم لا يؤمنون علم انه لا لطف لهم وتدل على صدق النبي صلى الله
عليه وآله لانا اخبر بانهم لا يؤمنون فكان كما اخبر ويدل ايضا على انه يجوز ان يخاطب الله تعالى بالعام والمراد به
الخاص في قول من قال الاية عامة لانا نعلم ان في الكفار من امن وانتفع بالانذار ان قال قائل اذا علم
الله تعالى ان هؤلاء لا يؤمنون وكانوا قادرين على الايمان عندكم فما انكرتم ان يكونوا قادرين على علم الله
بانهم لا يؤمنون انه لا يجب ذلك كما لا يجب اذا كانوا مامورين بابطال علم الله وكما لا يجب اذا كان
علم الله تعالى قادرا على ان يقيم القيمة الساعة ان يكون قادرا على ابطال علمه بان لا يقيمها الساعة والصحيح ان نقول
ان العلم يتناول الشيء على ما هو به ولا يجعله على ما هو به فلا يمتنع ان يعلم حصول شيء بعينه وان كان غيره مقدورا
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم اية القراءة
الظاهرة غشاوة بكسر الغين ورفع الهاء وروي عن عاصم في الشواذ غشاوة بالنصب وعن الحسن بضم الغين
وعن بعضهم بفتح الغين وعن بعضهم غشوة بغير الف وقال ابو عمرو والكسائي ابصارهم بالامالة والباقون
بالتفخيم وللقراء في الامالة مذاهب يطول شرحها حجة من رفع غشاوة انه لم يحمله على ختم كما في الاية الاخرى
وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فاذا لم يحملها عليه قطعها عنه فكانت مرفوعة اما بالظرف او
بالابتداء وكذلك قوله ولهم عذاب عظيم فان عند سيبويه يرتفع غشاوة وعذاب بانه مبتدأ فكانه قال غشاوة
على ابصارهم وعذاب لهم وعند الاخفش يرتفع بالظرف لان الظرف يضمر فيه فعل وستعرف فائدة اختلافهما في هذه المسئلة
بعد ان شاء الله تعالى ومن نصب غشاوة فاما ان يحملها على ختم كانه قال وختم على ابصارهم بغشاوة فلما حذف حرف
الجر وصل الفعل اليها فنصبها وهذا لا يحسن لانه فصل بين حرف العطف والمعطوف به وذلك انما يجوز في الشعر و

اما ان يحملها على فعل مضمر كانه قال وختم على ابصارهم بغشاوة فلما حذف حرف الجر وصل الفعل اليها فنصبها وهذا لا يحسن
لانه يفصل بين حرف وبين جعل على ابصارهم غشاوة نحو قول الشاعر علفتها تبنا وماء باردا اى وسقيتها وقول الاخر يا ليت
بعلك قد غدا متقلدا سيفا ورمحا اى وحاملا رمحا وهذا ايضا لا يوجد في حال الاختيار فقد صح ان الرفع اولى
ويكون الواو عاطفة جملة على جملة والغشاوة فيها ثلث لغات فتح الغين وضمها وكسرها وكذلك الغشوة فيها ثلث
لغات الختم نظير الطبع يقال طبع عليه بمعنى ختم عليه ويقال طبعه ايضا بغير حرف ولا يمتنع في ختم ذلك قال
كان نوادى زورة طبعتها بطين من الجولان كتاب اعجم وقوله ختامه مسك اى اخره ومنه ختم الكتاب لانه اخر
حال الفراغ ومنه قوله على سمعهم يريد على اسماعهم والسمع مصدر تقول يعجبني ضربكم فوحد لانه مصدر ويجوز
ان يريد على مواضع سمعهم فحذف مواضع ودل السمع عليها كما يقال اصحابك عدل اى ذو عدل ويجوز ان يكون
لما اضاف السمع اليهم دل على معنى اسماعهم قال الشاعر بها جيف الحرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب
وقال الاخر في حلقكم عظم وقد شجينا اى في حلوقكم والغشاوة الغطا وكلما اشتمل على الشئ بنى على فعالة نحو العمامة و
القلادة والعصابة وكذلك اسماء الصناعات كالخياطة والقصارة والصياغة لان معنى الصناعة الاشتمال على
كل ما فيها وكذلك كل من استولى على شئ فاسم ما استولى عليه الفعالة كالامارة والخلافة وغير ذلك وسمى القلب قلبا
لتقلبه بالخواطر قال الشاعر ما سمى القلب الا من تقلبه والراى يعزب والانسان اطوار والفؤاد محل القلب والصدر
محل الفؤاد وقد يعبر عن القلب بمحله كقوله لنثبت به فؤادك وقال الم نشرح لك صدرك يعنى به القلب في الموضعين
والعذاب استمرار الالم يقال عذبته تعذيبا وعذابا ويقال عذب الماء اذا استمر في الحلق وحمار عاذب وعذوب
اذا استمر به العطش فلم ياكل من شدة العطش وفرس عذوب مثل ذلك واعذبته عن الشئ بمعنى فطمته والعظيم الكبير
يقال هو عظيم الجثة وعظيم الشان ومن الثانى سمى سبحانه عظيما وعظمته كبرياؤه قيل في معنى الختم وجوه
احدها ان المراد بالختم العلامة واذا انتهى الكافر من كفره الى حال يعلم الله تعالى انه لا يؤمن فانه يعلم على قلبه علامة وقيل
هى نكتة سوداء يشاهدها الملائكة فيعلمون بها انه لا يؤمن بعدها فيذمونه ويدعون عليه كما انه تعالى يكتب في قلب المؤمن
الايمان ويعلم عليه علامة يعلم الملائكة بها انه مؤمن فيمدحونه ويستغفرون له وكما طبع على قلب الكافر وختم وسمه
بسمة يعرف بها الملائكة كفره فكذلك وسم قلوب المؤمنين بسمات يعرفهم الملائكة بها وقد تاول على مثل هذا
منها ولة الكتاب باليمين والشمال في انها علامة ان المناول باليمين من اهل الجنة والمناول بالشمال من اهل
النار وقوله بل طبع الله عليها بكفرهم يحتمل امرين احدهما انه طبع الله عليها جزاء الكفر وعقوبة عليه والاخر انه
طبع عليها العلامة كفرهم كما يقال طبع عليه بالطين وختم عليه بالشمع وثانيها ان المراد بالختم على القلوب ان الله شهد
عليها وحكم بانها لا تقبل الحق كما يقال اراك تختم على كل ما يقوله فلان اى تشهد به وتصدقه وقد ختمت عليك بانك
لا تفلح اى شهدت وذلك استعارة وثالثها ان المراد بذلك انه تعالى ذمهم بانها كالمختوم عليها في انه لا يدخلها الايمان
ولا يخرج عنها الكفر كقوله صم بكم عمى كقول الشاعر اصم عما ساءه سميع وقول الاخر لقد اسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حيوة لمن تنادى والمعنى ان الكفر تمكن من قلوبهم فصارت كالمختوم عليها وصاروا بمنزلة من لا يفهم
ولا يسمع ولا يبصر عن الاصم وابى مسلم الاصفهانى ورابعها ان الله وصف من ذمه بهذا الكلام بان قلبه ضاق
عن النظر والاستدلال فلم ينشرح له فهو خلاف من ذكر في قوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه

ومثل قوله ام على قلوب اقفالها وقالوا قلوبنا غلف وقلوبنا في اكنة ويقوى ذلك بان المطبوع على قلبه وصف بقلة الفهم
لما يسمع من اجل الطبع فقال بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وقال وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون
ويبين ذلك قوله تعم قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم فعدل الختم على القلوب باخذ السمع
والبصر فدل هذا على ان الختم على القلب هو ان يصير على وصف لا ينتفع به فيما يحتاج فيه اليه كما لا ينتفع بالسمع
والبصر مع اخذهما وانما تكون ضيقة بان لا تتسع لما يحتاج اليه من النظر والاستدلال الفاصل بين الحق والباطل
وهذا كما يوصف الجبان بان لا قلب له اذا بولغ في وصفه بالجبن لان الشجاعة محلها القلب فاذا لم يكن القلب
الذى هو محل الشجاعة لو كانت فان لا تكون الشجاعة اولى قال طرفة فالهبيت لا فؤاد له والثبيت ثبته فهم وكما وصف
الجبان بانه لا فؤاد له وانه براعة وانه مجوف كذلك وصف من بعد عن قبول الاسلام بعد الدعاء اليه واقامة
الحجة عليه بانه مختوم على قلبه ومطبوع عليه وضيق صدره وقلبه في كنان في غلاف وهذا من كلام الشيخ ابى على
الفارسى وانما قال ختم الله وطبع الله لان ذلك كان لعصيانهم الله تعالى فجاز ذلك اللفظ كما يقال اهلكته فلانة
اذا اعجب بها وهى لا تفعل به شيئا الا انه هلك في اتباعها ان قيل لم خص هذه الاعضاء بالذكر انها طرق
العلم فالقلب محل العلم وطريقه اما السماع او الرؤية ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر
وما هم بمؤمنين اية الناس والبشر والانس نظائر وهى الجماعة من الحيوان المتميزة بالصورة الانسانية
واصله اناس من الانس ووزنه فعال فاسقطت الهمزة منها لكثرة الاستعمال اذا دخلها الالف واللام للتعريف
ثم ادغمت لام التعريف في النون كما قيل لكنا والاصل لكن انا وقيل الناس ماخوذ من النوس وهو الحركة وتصغيره
نويس ووزنه فعل وقيل اخذ من الظهور فسمى انسا لظهوره وادراك البصر اياه يقال انست اى ابصرت
شيئا وقال سبحانه انى انست نارا والانسان واحد والناس جمع لا من لفظه وقيل اخذ من النسيان لقوله تعم
فنسى ولم نجد له عزما واصل انسان انسيان ولذلك قيل في تصغيره انيسيان فرد الى الاصل واليوم الاخر
يوم القيمة وانما سمى اخرا لانه يوم لا يوم بعده سواه اذ ليس بعده ليلة وقيل لانه متاخر عن ايام الدنيا وانما فتح
نون من عند التقاء الساكنين استثقالا لتوالى الكسرتين لو قلت من الناس فاما عن الناس فلا يجوز فيه الا
الكسر لان اوله غير مفتوح ومن يقول النون يدغم في الياء فمنهم من يدغم بغنة ومنهم من يدغم بغير غنة
من يقول موصول وصلة وهو مرفوع بالابتداء او بالظرف على ما تقدم بيانه وقوله امنا بالله وباليوم الاخر حديث
يتعلق بقوله يقول وما حرف شبيه بليس من حيث يدخل على المبتدا والخبر كما يدخل ليس عليهما وفيه نفى الحال كما في ليس
فاجرى مجراه في العمل في قول اهل الحجاز على ما جاء به التنزيل وهم مرفوع لانه اسم ما والباء في قوله بمؤمنين مزيدة
دخلت توكيدا للنفى وهو حرف جار ومؤمنين مجرور به وبمؤمنين في موضع نصب بكونه خبر ما ولفظه من تقع على
الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ولذلك عاد الذكر اليه مجموعا على المعنى ومنه قول الفرزدق تعال فان
عاهدتنى لا تخوننى نكن مثل من يا ذئب يصطحبان فثنى الضمير العائد الى من على المعنى نزلت في
المنافقين عبد الله بن ابى سلول وجد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهم واكثرهم من اليهود بين الله تعم
حالهم فاخبر سبحانه انهم يقولون صدقنا بالله وما انزل على رسوله من ذكر البعث فيظهرون كلمة الايمان
وكان قصدهم ان يطلعوا على اسرار المؤمنين فينقلوها الى الكفار او تقريب الرسول اياهم كما كان يقرب

المؤمنين ثم نفى عنهم الايمان فقال وما هم بمؤمنين وفى هذا تكذيبهم فيما اخبروا عن اعتقادهم من الايمان والاقرار بالبعث وبين
ان ما قالوه بلسانهم مخالف لما فى قلوبهم وهذا يدل على فساد قول من يقول الايمان مجرد القول   يخادعون الله والذين
امنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون اية   قرا نافع وابن كثير وابو عمرو وما يخادعون الا انفسهم والباقون وما يخدعون
حجة من قرا يخدعون ان فعل هنا اليق بالموضع من فاعل الذى هو فى اكثر الامر لفاعلين ويدل عليه قوله فى الاية الاخرى يخادعون
الله وهو خادعهم وحجة من قرا يخادعون الله هو ان ينزل ما يخطر بباله من الخدع منزلة اخر يجاريه ذلك ويفاوضه اياه فيكون
الفعل كانه من اثنين فيلزم ان يقول فاعل كقول الكميت وذكر حارا اراد الورود تذكر من انى ومن اين شربه يوامر نفسيه كذا
هجه الابل فجعل ما يكون منه من وروده الماء وترك الورود التمثيل بينهما بمنزلة نفسين   اصل الخدع الاخفاء والايهام
بخلاف الحق والتزوير يقال خدعت الرجل اخدعه خدعا بالكسر وخديعة وقالوا انك لاخدع من ضب حرشته وخادعت فلانا
تخدعته والنفس فى الكلام على ثلثة اوجه النفس بمعنى الروح والنفس بمعنى التاكيد نحو جائنى زيد نفسه والنفس بمعنى الذات وهو
الاصل ويقال النفس غير الروح ويقال هما اسمان بمعنى واحد ويشعرون واصل الشعر بمعنى الاحساس بالشئ من جهة يدق ومن
هذا اشتقاق الشعر لان الشاعر يفطن لما يدق من المعنى والوزن ولا يوصف الله تعالى بانه يشعر لما فيه من معنى التلطف والتخيل
يخادعون فعل وفاعل والنون علامة الرفع والجملة فى موضع نصب بانه مفعول يخادعون الثانية وما نفى ويشعرون فعل وفاعلون
وكل موضع ياتى فيه الا بعد نفى فهو ايجاب ونقض للنفى   معنى قوله يخادعون الله اى يعملون عمل المخادع لان الله لا يصح
ان يخادعه من يعرفه ويعلم انه لا يخفى عليه خافية وهذا كما يقول لمن يزين لنفسه ما يشوبه بالربا فى معاملته ما اجهله يخادع الله
وهو اعلم به من نفسه اى يعمل عمل المخادع وهذا يكون من العارف وغير العارف والمعنى يخادعون رسول الله لان طاعته طاعة الله
ومعصيته معصية الله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وهذا كقوله تعالى وان يريدوا ان يخدعوك والمفاعلة قد تقع من
واحد كقولهم عافاه وعاقبت اللص وطارقت النعل فكذلك يخادعون انما هو من واحد فمعنى يخادعون يظهرون غير ما فى نفوسهم
وقوله والذين امنوا اى ويخادعون المؤمنين بقولهم اذا راوهم امنا وهم غير مؤمنين او مخالطتهم اياهم حتى يفشوا اليهم
اسرارهم فينقلوها الى اعدائهم والتقية ايضا تسمى خداعا وكانهم اظهروا الاسلام وابطنوا الكفر صارت تقيتهم خداعا
من حيث انهم نجوا بها من احكام الكفر عليهم ومعنى قوله وما يخادعون الا انفسهم انهم وان كانوا يخادعون المؤمنين
فى الظاهر فهم يخادعون انفسهم لانهم يظهرون لها بذلك انهم يعطونها ما تمنت وهم يوردونها العذاب الشديد فوبال
خداعهم راجع الى انفسهم وما يشعرون اى ما يعلمون انه يرجع عليهم العذاب فهم فى الحقيقة انما خدعوا انفسهم كما لو قاتل
انسان غيره فقتل نفسه جاز ان يقال انه قاتل فلانا ولم يقتل الا نفسه وقوله وما يشعرون يدل على بطلان قول اصحاب
المعارف لانه تعالى اخبر عنهم بالنفاق وبانهم لا يعلمون ذلك   فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب
اليم بما كانوا يكذبون اية   قرا ابن عامر وحمزة فزادهم بامالة الزاء وكذلك شاء وجاء وقرا اهل الكوفة
يكذبون بفتح الياء مخففا والباقون يكذبون   حجة من امال الالف من زاد انه يريد ان ينحو بالامالة على ان العين
ياء كما ابدلوا من الضمة كسرة فى عين وبيض جمع اعين وابيض ليصح الواو والياء ولا ينقلب الى الواو وحجة من قرا يكذبون ان
يقول ان ذلك اشبه بما قبل الكلمة وبما بعدها لان قولهم امنا بالله كذب منهم ولهم عذاب اليم بكذبهم وما وصلته بمعنى المصدر
وقولهم فيما بعد اذا خلوا الى شياطينهم انا معكم دلالة ايضا على كذبهم فيما ادعوه من ايمانهم واذا كان اشبه بما قبله
وما بعده كان اولى وحجة من قرا يكذبون بالتشديد قوله ولقد كذبت رسل وقوله وان كذبوك فقل لى عملى وقوله بل

وما علمون

كذبوا

كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ونحو ذلك والتكذيب اكثر من الكذب لان كل من
كذب صادقا فقد كذب وليس كل من كذب كان مكذبا فكانه قال ولهم عذاب اليم بتكذيبهم واذا كان ليدل على
ذلك كان فيما مضى   المرض العلة فى البدن ونقيضه الصحة قال سيبويه امرضته جعلته مريضا ومرضته قمت عليه
ووليته وزاد فعل متعدى الى مفعولين قال الله تعالى فزادهم هدى وزاده بسطة ومصدره الزيادة والزيد قال كذلك
زيد الجر بعد انقاضه والاليم الموجع فعيل بمعنى مفعل كالسميع بمعنى المسمع والنذير بمعنى المنذر والبديع بمعنى المبدع
قال ذو الرمة يصك وجوهها وجر اليم   والكذب ضد الصدق وهو الاخبار عن الشئ لا على ما هو به والكذب
ضرب من القول وهو نطق فاذا جاز فى القول ان يتسع فيه فيجعل غير نطق نحو قوله قد قالت الانساع للبطن
الحق جاز ايضا فى الكذب ان يجعل غير نطق فى نحو قوله وذبيانية وصت بنيها بان كذب القراطف والقرون   ها
فيكون فى ذلك استقالها كانه اخبر عن الشئ بخلاف ما هو به كان فيه انتفاء للصدق اى كذب القراطف فاوجدوها
بالغارة   المراد بالمرض فى الاية الشك والنفاق بلا خلاف وانما سمى الشك فى الدين مرضا لان المرض هو الخروج
من الاعتدال والبدن ما لم يصبه افة يكون صحيحا سويا وكذلك القلب ما لم يصبه افة من الشك يكون صحيحا وقيل اصل
المرض الفتور فهو فى القلب فتوره عن الحق كما انه فى البدن فتور الاعضاء وتقدير الاية فى اعتقاد قلوبهم الذى
يعتقدونه فى الله ورسوله مرض اى شك وحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقوله فزادهم الله مرضا قيل فيه وجوه
احدها ان معناه ازدادوا شكا عند ما زاد الله من البيان بالايات والحجج الا انه لما حصل ذلك عند فعله نسب اليه كقوله تعالى
فى قصة نوح لم يزدهم دعائى الا فرارا لما ازدادوا فرارا عند دعائه نسب اليه وكذلك قوله واما الذين فى قلوبهم
مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم والايات لم تزدهم وانما ازدادوا رجسا عندها وثانيها ما قاله ابو على الجبائى انه
ازداد فى قلوبهم بنزول النبى صلعم المدينة وتمكنه فيها وظهور المسلمين وقوتهم فزادهم غما بما زاده من التمكين والقوة
وامده به من التاييد والنصرة وثالثها ما قاله السدى ان معناه زادهم عداوة الله مرضا وهذا فى حذف المضاف
مثال قوله تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اى من ترك ذكر الله ورابعها ان المراد به فى قلوبهم حزن بنزول القران
بفضائحهم ومخازيهم فزادهم الله مرضا بان زاد فى اظهار مقابحهم ومساويهم والاخبار عن خبث سرائرهم وسوء ضمائرهم
وسمى الغم مرضا لانه يضيق الصدر كما يضيقه المرض وخامسها ما قاله ابو مسلم الاصفهانى ان ذلك على سبيل الدعاء
عليهم كقوله تعالى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم فكانه دعا عليهم بان يخليهم الله وما اختاروه ولا يعطيهم من زيادة التوفيق
والالطاف ما يعطى المؤمن فيكون خذلانا لهم وهو فى الحقيقة اخبار عن خذلان الله اياهم وان خرج فى اللفظ
مخرج الدعاء عليهم ثم قال ولهم عذاب اليم وهو عذاب النار بتكذيبهم ورسوله فيما جاء به من الدين او بكذبهم فى قولهم امنا
بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين   واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم
هم المفسدون ولكن لا يشعرون اية   قرا الكسائى قيل وغيض وسيئ وسيئت وحيل وجئ وسيق
بضم اوائل ذلك كله وروى عن يعقوب مثل ذلك ووافقهما نافع فى سيئ وسيئت وابن عامر فيهما وفى حيل وسيق
والباقون يكسرون كلها   فى هذه الكلمات كلها ثلث لغات الكسر واشمام الضم وقول بالواو فاما قيل
بالكسر فعلى نقل حركة العين الى الفاء لان اصلها قول ثم قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وهو قياس مطرد
فى كل ما اعتلت عينه واما الاشمام فلاجل الدلالة على الاصل مع التخفيف   الافساد احداث الفساد وهو

كل ما تغير عن استقامة الحال والصلاح نقيض الفساد والارض مستقر الحيوان ويقال للقوايم الفرس ارض لانه يستقر عليها
قال اذا ما استحمت ارضه من سمائه جرى وهو مودوع وواعد مصدق   اذا لفظة وضعت للوقت يشترط ان يكون ظرفا
زمانيا وفيها معنى الشرط وانما يعمل فيها جوابها ففي هذه الاية اذا في محل نصب بانه ظرف قوله قالوا لانه الجواب ولا يجوز ان
يعمل فيه قيل لهم لان اذا في التقدير مضاف الى قيل والمضاف لا يعمل في المضاف وكذلك قوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا
امنا واذا مبني وانما بني لتضمنه معنى في ولزومها اياه وقد يكون اذا ظرفا مكانيا في نحو قولك خرجت فاذا الناس وقوف
اي ففي المكان الناس وقوف ويجوز ان ينصب وقوفا على الحال لان ظرف المكان يجوز ان يكون خبرا عن الجثة وقيل مبني
على الفتح ولا حرف نهي وهي تعمل الجزم في الفعل وتفسدوا مجزوم بلا وعلامة الجزم فيه سقوط النون والواو ضمير الفاعلين
وما في قوله انما كافة كفت ان عن العمل فعاد ما بعدها الى ما كان عليه في الاصل من كونه مبتدأ ومصلحون خبره وموضع الجملة
نصب بقالوا كما تقول قلت حقا او باطلا ونحن مبنية لمشابهتها الحرف وبنيت على الضمة لانها من ضماير الرفع والضمة
علامة الرفع ولانها ضمير الجمع وضمة بعض الواو والواو علامة الجمع في نحو ضاربون ويضربون وقوله لا تفسدوا في الارض
جملة في موضع رفع على تقدير قيل لهم شيء فهي اسم ما لم يسم فاعله وقوله الا كلمة تنبيه وافتتاح الكلام يدخل على كلام مكتف
بنفسه نحو قوله الا انهم من افكهم ليقولون واصل الا دخل عليه الف الاستفهام والالف اذا دخل على الجحد اخرجه الى معنى التقرير
والتحقيق كقوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى لانه لا يجوز للمجيب الا الاقرار ببلى وهم في انهم في موضع نصب
بان وهم الاخر يجوز ان يكون فصلا على ما فسرناه ويجوز ان يكون مبتدأ والمفسدون خبره والجملة خبر ان وضم
من هم لالتقاء الساكنين ردوه الى الاصل   الاية نزلت في المنافقين الذين فيهم نزلت الايات المتقدمة
وروي عن سلمان رضي الله عنه ان اهل هذه الصفة لم ياتوا بعد والاول يقتضيه نظم الكلام ويجوز ان يراد بها من صورتهم
صورة هؤلاء فيكون قول سلمان محمولا على انه اراد بعد انقراض المنافقين الذين نزلت فيهم الاية   المراد واذا قيل
للمنافقين لا تفسدوا في الارض بالعمل بالمعاصي وصد الناس عن الايمان على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه او
بممايلة الكفار فان فيه توهين الاسلام على ما قاله ابو علي او بتغيير الملة وتحريف الكتاب على ما قاله الضحاك قالوا انما
نحن مصلحون وهو يحتمل امرين احدهما ان الذي تسمونه فسادا هو عندنا صلاح لانا انما نفعل ذلك كي نسلم من الفريقين
والاخر انهم جحدوا ذلك وقالوا انا لا نعمل بالمعاصي ولا نمايل الكفار الى الكفر ولا نحرف الكتاب وكان ذلك نفاقا منهم
كما قالوا امنا بالله ولم يؤمنوا ثم قال الا انهم اي اعلموا ان هؤلاء المنافقين الذين يعدون الفساد صلاحا هم المفسدون
وهذا تكذيب من الله تعالى لهم ولكن لا يشعرون اي لا يعلمون ان ما يفعلونه فساد وليس بصلاح ولو علموا ذلك لرجحوا صلاحهم
وقيل لا يعلمون ما يستحقونه من العقاب وهذه الاية تدل على بطلان مذهب اصحاب المعارف لقوله لا يعلمون وانما جاز
تكليفهم وان لم يشعروا انهم على ضلال لان لهم طريقا الى العلم بذلك   واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا انؤمن
كما امن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون اية   السفهاء الا اهل الكوفة حققوا الهمزتين واهل الحجاز وابو عمرو
همزوا الاولى ولينوا الثانية وكذا كل همزتين مختلفتين من كلمتين وقد ذكرنا الوجه فيهما حين ذكرنا اجتماع الهمزتين في كلمة
واحدة وهو قوله ءانذرتهم   السفهاء جمع سفيه والسفيه الضعيف الراي الجاهل القليل المعرفة بمواضع المنافع
والمضار ولذلك سمى الله النساء والصبيان سفهاء بقوله ولا تؤتوا السفهاء اموالكم وقال قطرب السفيه العجول الظلوم
القايل خلاف الحق وقال مورج السفيه الكذاب البهات المتعمد بخلاف ما يعلم وقيل السفه خفة الحلم وكثرة الجهل يقال

ثوب

ثوب سفيه اذا كان رقيقا باليا وسفهته الرياح اي طيرته وقد جاء في الاخبار ان شارب الخمر سفيه والالف واللام
في الناس وفي السفهاء للعهد لا للجنس والمراد بهم المؤمنون من اصحاب النبي ص وانما سموا الناس لان الغلبة
لهم   قوله كما امن الكاف في موضع نصب بكونه صفة لمصدر محذوف وما مع صلته بمعنى المصدر اي امنوا
ايمانا مثل ايمان الناس فحذف الموصوف واقام الصفة مقامه والهمزة في انؤمن للانكار واصلها الاستفهام و
مثله انطعم من لو يشاء الله اطعمه واذا ظرف لقوله قالوا انؤمن وقد مضى الكلام فيه   المراد بالاية واذا قيل
للمنافقين صدقوا محمدا وما انزل عليه كما صدقه اصحابه وقيل كما صدق عبد الله بن سلام ومن امن معه من
اليهود قالوا انؤمن اي انصدق كما صدق الجهال ثم كذبهم الله تعالى وحكم عليهم بانهم هم الجهال في الحقيقة لان الجاهل
انما يسمى سفيها لانه يضيع من حيث يرى انه يحفظ فكذلك المنافق يعصي ربه من حيث يظن انه يؤمن به
واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون اية   بعض القراء ترك الهمزة
من يستهزءون وقوله خلوا الى قراءة اهل الحجاز خلوا حذفوا الهمزة والقوا حركتها على الواو وقبلها كذلك امثاله و
الباقون اسكنوا الواو وحققوا الهمزة   قال سيبويه الهمزة المضمومة المكسورة ما قبلها تجعلها اذا خففتها بين بين
ولم يقلبها واوا مع تحركها بالضمة يخرج الى ما لا نظير له الا ترى انه واو مضموم قبلها كسرة وذلك مرفوض
عندهم   اللقاء نقيض الحجاب قال كل شيء استقبل شيئا او صادفه فقد لقيه واصل اللقاء الاجتماع مع الشيء
على طريق المقارنة والاجتماع قد يكون لا على طريق المجاورة كاجتماع العرضين في محل والخلاء نقيض الملاء و
يقال خلوت اليه وخلوت معه ويقال خلوت به على ضربين احدهما بمعنى خلوت معه والاخر بمعنى سخرت منه
وقد ذكرنا معنى الشيطان في مفتتح سورة الفاتحة ويستهزءون اي يهزءون ومثله يستسخرون اي يسخرون
وقر واستقر وعلا قرنه واستعلاه قرنه ورجل هزاة يهزء بالناس وهزاة يهزء به الناس وهذا قياس
انا اصله اننا لكن النون حذفت لكثرة النونات والمحذوفة النون الثانية من ان لانها التي تحذف في نحو ان كل
لما جميع وقد جاء على الاصل في قوله انني معكما ومعكم انتصب انتصاب الظروف نحو انا خلفكم معناه انا
مستقرون معكم والقراءة بفتح العين ويجوز للشاعر اسكان العين قال وريشي منكم وهواي معكم وان كانت
زيارتكم لماما   ان المنافقين اذا راوا المؤمنين قالوا امنا اي صدقنا بما انزل على محمد ص كما
صدقتم انتم واذا خلوا الى شياطينهم قيل رؤساؤهم من الكفار عن ابن عباس وقيل هم اليهود الذين
امروهم بالتكذيب وروي عن ابي جعفر ع انهم كهانهم قالوا انا معكم اي على دينكم انما نحن مستهزءون
اي نستهزئ باصحاب محمد ونسخر بهم في قولنا امنا   الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم
يعمهون   المد اصله الزيادة في الشيء والمد الجذب لانه سبب الزيادة في الطول والمادة كل شيء
يكون مددا لغيره وقال بعضهم كل زيادة حدثت في الشيء من نفسه فهو مددت بغير الف كما تقول مد النهر
ومده نهر اخر وكل زيادة احدثت في الشيء من غيره فهو امددت بالالف كما يقال امد الجرح لان المدة
من غير الجرح وامددت الجيش والطغيان من قولك طغى الماء يطغى اذا تجاوز حده والطاغية الجبار
العنيد والعمه التحير يقال عمه يعمه فهو عمه وعامه وقال رؤبة ومهمه اطرافه في مهمه اعمى الهدى بالجاهلين العمه
يعمهون جملة في موضع الحال   قيل في معنى الاية وتاويلها وجوه احدها ان يكون معنى الله يستهزئ

بهم مجازيهم على استهزائهم والعرب يسمي الجزاء على الفعل باسمه وفى التنزيل وجزاء سيئة سيئة مثلها وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وقال عمرو بن كلثوم الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
وانما جاز ذلك لان حكم الجزاء ان يكون على المساواة وثانيها ان يكون يعنى استهزاء الله بهم تخطيته
اياهم وتجهيله لهم فى اقامتهم على الكفر واصرارهم على الضلال والعرب تقيم الشيء مقام ما يقاربه
فى معناه قال الشاعر ان دهرا يلف شملى بجمل لزمان يهم بالاحسان وقال اخر كم باناس فى نعيم
عمروا فى ذرى ملك تعالى فبسق سكت الدهر زمانا عنهم ثم ابكاهم دما حين نطق والدهر لا
يوصف بالسكون والنطق والهم وانما ذكر ذلك على الاستعارة والتشبيه وثالثها ان يكون معنى
الاستهزاء المضاف اليه تعالى ان يستدرجهم ويهلكهم من حيث لا يعلمون وقد روى عن ابن عباس
انه قال فى معنى الاستدراج انهم كلما احدثوا خطية جدد الله لهم نعمة وانما سمى هذا الفعل استهزاء لان
ذلك فى الظاهر نعمة والمراد بهم استدراجهم الى الهلاك والعقاب الذى استحقوه بما تقدم من كفرهم
ورابعها ان معنى استهزائه بهم انه جعل لهم بما اظهروه من موافقة اهل الايمان ظاهر احكامهم من الموارثة
والمناكحة والمدافنة وغير ذلك من الاحكام وان كان اعد لهم فى الاخرة اليم العقاب بما ابطنوه من النفاق
فهو سبحانه كالمستهزئ بهم من حيث جعل لهم احكام المؤمنين ظاهرا ثم ميزهم منهم فى الاخرة وخامسها
ما روى عن ابن عباس انه قال يفتح لهم وهم فى النار باب من الجنة ويقبلون من النار اليه مسرعين حتى
اذا انتهوا اليه سد عليهم فيضحك المؤمنين منهم ولذلك قال الله تعالى فاليوم الذين امنوا من
الكفار يضحكون وهذه الوجوه كلها يمكن ان تذكر فى قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله ويخادعون الله
وهو خادعهم واما قوله ويمدهم فى طغيانهم يعمهون ففيه وجهان احدهما يريد انه يملى لهم ليؤمنوا
وهم مع متمسكون بطغيانهم وعمههم والاخر ان يريد انهم يتركهم من فوايده ومنحه التى يؤتيها المؤمنين
ثوابا لهم ويمنعها الكافرين عقابا لهم كشرح الصدور وتنوير القلب فهم فى طغيانهم يعمهون اى فى كفرهم
وضلالهم يعمهون اى يتحيرون لانهم قد اعرضوا عن الحق فتحيروا وترددوا   اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اية   فراجميع القرا
اشتروا الضلالة بضم الواو وفى الشواذ عن يحيى بن يعمر انه كسرها تشبيها بواو لو فى قوله لو استطعنا
وروى عن يحيى بن وثاب انه ضم واو لو تشبيها بواو الجمع   الواو فى اشتروا ساكنة
فاذا سقطت همزة الوصل التقت مع ساكن المبدل من لام المعرفة فالتقى الساكنان فحرك الاول
منهما لالتقائهما وصار الضم اولى بها ليفصل بالضم بينها وبين واو لو ويدل على ذلك اتفاقهم
على التحريك بالضم فى نحو قولهم لتبلون ولترون الجحيم ومصطفوا الله للدلالة على الجمع ويدل على تقرير
ذلك فى هذه الواو انهم شبهوا بها الواو التى فى او ولو فحركوها بالضم تشبيها بها فكما شبهوا التى فى
او بالتى يدل على الجمع كذلك شبهوا هذه بها فاجازوا فيها الكسر الا ترى انهم اجازوا الضم فى لو استطعنا
تشبيها بالتى للجمع ومثل هذا اجازتهم الجر فى الضارب الرجل تشبيها بالحسن الوجه واجازتهم النصب
فى الحسن الوجه تشبيها بالضارب الرجل   حقيقة الاشتراء الاستبدال والعرب تقول لمن

تمسك

تمسك بشيء وترك غيره قد اشتراه وليس ثم شراء ولا بيع قال الشاعر اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات
الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا والربح الزيادة على راس المال ومنه من نجا
براسه فقد ربح والتجارة التعرض للربح فى البيع وقوله فما ربحت تجارتهم اى فما ربحوا فى تجارتهم
والعرب تقول ربح بيعك وخسر بيعك وخاب سعيك على معنى ربحت فى بيعك وانما اضافوا الربح
الى التجارة لان الربح يكون فيها   اولئك موضعه رفع بالابتداء وخبره الذين اشتروا الضلالة
بالهدى وما حرف نفى وكان صورته صورة الفعل ويستعمل على تجويزين احدهما الا يدل على حدث
بل يدل على زمان مجرد مثل كان زيد قايما فاذا استعمل على هذا فلا بد له من خبر لان الجملة
غير مكتفية بنفسها فيرد خبر حديثا عن الاسم ويكون اسمه وخبره فى الاصل مبتدا وخبرا فيجب لذلك
ان يكون خبره هو الاسم او فيه ذكر منه كما ان فى الاية الواو فى موضع الرفع لانه اسم كان ومهتدين
منصوب بانه خبره والياء فيه علامة النصب والجمع وحرف الاعراب والنون عوض من الحركة والتنوين
فى الواحد وكان فى الاصل مهتديين سكنت الياء الاولى التى هى لام الفعل استثقالا للحركة
عليها ثم حذفت لالتقاء الساكنين وفتحت النون فرقا بينها وبين نون التثنية والاخر من نحوى
كان بما هو فعل حقيقى يدل على زمان وحدث كقوله تعالى الا ان تكون تجارة اى يحدث فاذا استعمل
هكذا فهى جملة مستقلة لا يحتاج الى خبر   اشار الى ما تقدم ذكرهم من المنافقين فقال اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى قال ابن عباس اخذوا الضلالة وتركوا الهدى ومعناه استبدلوا
الكفر بالايمان ومتى قيل وكيف قال ذلك وانما كانوا منافقين ولم يتقدم نفاقهم ايمان فنقول
للعلماء فيه وجوه احدها ان المراد باشتروا استحبوا واختاروا لان كل مشترى مختار ما فى يدى
صاحبه على ما فى يديه عن قتادة وثانيها ولدوا على الفطرة كما جاء فى الخبر فتركوا الى ذلك
الى الكفر فكانهم استبدلوه بالايمان الذى كانوا عليه قبل البعثة كفر الانهم كانوا يستبشرون
بمحمد ويؤمنون به فلما بعث كفروا به فكانهم استبدلوا الكفر بالايمان عن الكلبى ومقاتل وقوله
فما ربحت تجارتهم اى خسروا فى استبدالهم الكفر بالايمان عن الكلبى ومقاتل وقوله فما ربحت
تجارتهم اى خسروا فى استبدالهم الكفر بالايمان فالعذاب بالثواب وما كانوا مهتدين اى
مصيبين فى تجارتهم كاصحاب محمد صلعم وقيل انه اراد سبحانه ان ينفى عنهم الربح والهداية فان
التاجر يخسر ولا يربح ويكون على هدى فان قيل كيف قال فما ربحت تجارتهم فى موضع ذهبت فيه
رؤس اموالهم فالجواب انه ذكر الضلالة والهدى فكانه قال طلبوا الربح فلم يربحوا وهلكوا والمعنى
فيه انه ذهبت رؤس اموالهم ويحتمل ان يكون ذكر ذلك على التقابل وهو ان اشتروا الضلالة
بالهدى لم يربحوا كما ان الذين اشتروا الهدى بالضلالة ربحوا   مثلهم كمثل
الذى استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون اية
المثل والمثل والشبه والشبه نظاير وحقيقة المثل ما جعل كالعلم على معنى سائر يشبه
فيه الثانى بالاول ومثاله قول كعب بن زهير كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيده

الا بالجليل فواعيد عرقوب علها في كل ما لا يصح من المواعيد ومنه التمثال لانه يشبه الصورة والذي قد
يوضع موضع الجمع كقوله تعـ والذي جاء بالصدق وصدق به ثم قال اولئك هم المتقون قال الشاعر
وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا ام خالد واستوقد بمعنى اوقد مثل استجاب
بمعنى اجاب وقيل استوقد اى طلب الوقود والوقود بفتح الواو والحطب والنار جوهر مضيء حار
محرق واصله من النور يقال نار وانار والسنار بمعنى والمنار العلامات وانما يكون لازما
ومتعديا يقال اضاء الشيء بنفسه واضاء غيره والتي في الاية متعدية والترك للشيء والكف عنه
والامساك نظاير والظلمات جمع الظلمة واصلها انتقاص الحق من قوله ولم تظلم منه شيئا اى لم ينقص
ومن اشبه اباه فما ظلم اى ما انتقص حق الشبهة والابصار ادراك الشيء بحاسة البصر يقال ابصر بعينه
والابصار بالقلب مشبه به مثلهم مبتداء وكمثل الذين خبره والكاف زائدة تقديره مثلهم كمثل
الذي استوقد نارا ونحوه قوله ليس كمثله شيء اى ليس مثله شيئا واستوقد نارا وما اتصل به من صلة
الذي والعايد الى الذي الضمير الذي في استوقد ولما يدل على وقوع الشيء لوقوع غيره وهو بمعنى
الظرف والعامل فيه جوابه وتقديره فلما اضاءت ما حوله اى طفيت حين اضاءت وما في قوله ما
حوله اسم منصوب موصول بوقوع الاضافة عليه وحوله نصب على الظرف وهو صلة ما يقال لهم
حوله وحوليه وحواله وحواليه وقوله ذهب الله بنورهم اى اذهب الله نورهم والفعل الذي لا يتعدى
الى المفعول بحرف الجر وبهمزة النقل والباء في قوله بنورهم يتعلق بذهب وفي ظلمات يتعلق بتركهم
وقوله لا يبصرون في موضع نصب على الحال والعامل فيه تركهم اى تركهم غير مبصرين مثل
هولاء المنافقين لما اظهروا الايمان وابطنوا الكفر كمثل استوقد نارا او كمثل الذي طلب الضياء
بايقاد النار في ليلة مظلمة فاستضاء بها واستدفا ورأى ما حوله فاتقى ما يحذر ويخاف وامن
فبينا هو كذلك اذ اطفيت ناره فبقي مظلما خايفا متحيرا كذلك المنافقون لما اظهروا كلمة الايمان
استناروا بنورها واستعزوا بعزها فناكحوا المسلمين ووارثوهم وامنوا على اموالهم واولادهم
فلما ماتوا وعادوا الى الظلمة والخوف وبقوا في العذاب وذلك معنى قوله ذهب الله بنورهم وهذا
هو المروي عن ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي وكان يجب في حق النظم ان يكون اللفظ
فلما اضاءت ما حوله اطفاء الله ناره ليشاكل جواب لما معنى هذه القضية ولكن لما كان اطفاء
النار مثلا لاذهاب نورهم اقيم اذهاب النور مقام الاطفاء وحذف جواب لما ايجازا واختصارا
لدلالة الكلام عليه كما قال ابو ذويب عصاني اليها القلب اني لامرها مطيع فما ادري ارشد
طلابها وتقديره ارشد ام غي طلابها فحذف للايجاز ومعنى اذهاب الله نورهم هو انه تعـ
يسلبهم ما اعطاهم من النور مع المومنين في الاخرة وذلك قوله تعـ فيما اخبر عنهم انظرونا
نقتبس من نوركم فقيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وقيل في معنى اذهاب نور المنافقين
وجه اخر وهو اطلاع الله المومنين على كفرهم فقد ذهب نورهم منهم نور الاسلام بما اظهر الله من
كفرهم وقال سعد بن جبير ومحمد بن كعب وعطا الاية نزلت في اليهود وانتظارهم خروج النبي صـ

وايمانهم به واستفتاحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به وذلك ان قريظة والنضير وبني قينقاع قدموا
من الشام الى يثرب حين انقطعت النبوة من بني اسرائيل وافضت الى العرب فدخلوا المدينة يشهدون لمحمد صـ
بالنبوة وان امته خير الامم وكان يغشاهم رجل من بني اسرائيل يقال له عبد الله بن هيبان قبل ان يوحى الى
النبي صـ كل سنة فيحضهم على طاعة الله عز وجل واقامة التورية والايمان لمحمد صـ ويقول اذا خرج فلا تفرقوا
عليه وانصروه وقد كنت اطمع ان ادركه ثم مات قبل خروج النبي صـ فقبلوا منه ثم لما خرج النبي صـ كفروا به
فضرب الله لهم هذا المثل سوال شبه الله المنافقين او اليهود وهم جماعة بالذي استوقد نارا وهو واحد
فالجواب على وجوه احدها ان الذي في معنى الجمع كما قيل في الاية الاخرى والذي جاء بالصدق وصدق
وثانيها ان يقال النون محذوفة من الذي كما جاء في قول الاخطل ابني كليب ان عمي اللذا قتلوا الملوك
وفككا الاغلالا وثالثها ان يكون الكلام على حذف كانه قال مثلهم كمثل اتباع الذي استوقد نارا ثم
حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه كما قال الجعدي وكيف تواصل من اصبحت خلالته كابي مرحب
ورابعها ان يقال اراد بالمستوقد الجنس لما في الذي من الابهام اذ ليس يراد به تعريف واحد بعينه و
على هذا يكون جواب لما اضاءت ما حوله محذوفا كانه قال طفيت والضمير في قوله ذهب الله بنورهم
يعود الى المنافقين وخامسها ان يقال ان هذا تشبيه الحال بالحال فتقديره حال هولاء المنافقين
في جهلهم كحال المستوقد للنار وتشبيه الحال بالحال جايز كما يقال بلادة هولاء كبلادة الحمار ولو قلت
هولاء كالحمار لم يجز ومعنى قوله وتركهم في ظلمات معناه لم يفعل الله لهم النور حتى صاروا في ظلمة
اذ الترك اذا جاء في صفات الله تعـ فالمعنى ان لا يفعل لان الترك هو الكف عن الفعل بالفعل وهذا انما
يصح فيمن حل فعله والله سبحانه منزه عن ان يحله فعله فمعناه انه لم يفعل لهم النور حتى صاروا في ظلمة
اشد مما كان قبل الايقاد وقوله لا يبصرون اى لا يبصرون الطريق صم بكم عمي فهم لا يرجعون اية
الاصم هو الذي ولد كذلك وكذلك الابكم هو الذي ولد اخرس واصل الصم السد فالصم سد الاذن بما
لا يقع منه سمع وقناة صماء صلبة مكتنزة الجوف لسد جوفها بامتلائها وحجر اصم صلب وفتنة صماء شديدة والصمام
ما يسد به راس القارورة واصل البكم الاعتقال في اللسان وهو افة يمنع من الكلام واصل العمى ذهاب الادراك بالعين
والعمى في القلب مثل العمى في العين بافة تمنع من الفهم ويقال ما اعماه من عمى القلب ولا يقال ذلك في العين وانما يقال
ما اشد عماه وما يجري مجراه والعماية الغواية والعمى السحاب الكثيف المطبق والرجوع مصدر قد يكون عن
الشيء والى الشيء فالرجوع عن الشيء هو الانصراف عنه بعد الذهاب اليه والرجوع الى الشيء هو الانصراف اليه
بعد الذهاب عنه صم بكم عمي رفع على خبر مبتدأ محذوف اى هؤلاء الذين قصتهم هذه صم بكم
عمي قال قتادة صم لا يسمعون الحق بكم لا ينطقون به عمي لا يبصرونه فهم لا يرجعون عن ضلالتهم ولا يتوبون
وانما شبههم الله تعـ بالصم لانهم لم يحسنوا الاصغاء الى ادلة الله تعـ فكانهم صم واذا لم يقروا بالله ورسوله فكانهم
بكم واذا لم ينظروا في ملكوت السموات والارض فكانهم عمي لما لم يصل اليهم منفعة هذه الاعضاء فكانهم ليس لهم
هذه الاعضاء وهذا يدل على ان معنى الختم والطبع ليس على وجه الحيلولة بينهم وبين الايمان لانه جعل
الفهم بالكفر واستثقالهم للحق بمنزلة الصم والبكم والعمى مع صحة حواسهم وكذلك قوله وطبع الله على

قلوبهم واضلهم واصمهم واعمى ابصارهم وازاغ الله قلوبهم فان جميع ذلك اخبار عما احدثوه عند امتحان الله
اياهم وامره لهم بالطاعة والايمان لانه فعل بهم ما منعهم به عن الايمان وهذا كما قيل في المثل حبك للشيء يعمي ويصم
وقال مسكين الدارمي اعمى اذا ما جارتي خرجت حتى يواري جارتي الجدر ويصم عما كان بينهما اذني
وما في سمعها وقر وفي التنزيل وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وقوله فهم لا يرجعون يحتمل امرين احدهما
انه على الذم والاستبطاء عن ابن عباس والثاني انهم لا يرجعون الى الاسلام عن ابن مسعود اوكصيب
من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط با
لكافرين اية ظلمات اجمع القراء على ضم اللام منه على الاتباع وروى في الشواذ عن الحسن وابي السما
بسكون اللام وعن بعضهم بفتح اللام وابو عمرو يميل الكافرين في موضع الخفض والنصب وروى ذلك
عن الكسائي والباقون لا يميلون الوجه في ذلك انهم كرهوا اجتماع الضمتين فتارة عدلوا الى الفتح فقالوا ظلمات
وطلبا للامرين حسن في اللغة وانما اما لوا الكافرين الكافرين في الموضعين للزوم كسرة الراء بعد الفاء المكسورة و
الراء لما فيه من التكرير يجري مجرى الحرفين المكسورين وكلما كثرت الكسرات غلبت الامالة وحسنتها وللقراء في الامالة
مذاهب واختلاف يطول استقصاؤها وابو علي الفارسي رحمه الله قد بلغ الغاية وجاوز النهاية في احتجاجاتهم
وذكر من التحقيق فيها والتدقيق ما يخفوا عنه فهم كثير من علماء الزمان فالتعمق في ايراد ابوابها وحججها الى الغوص
الى لججها الا يليق بتفسير القرآن وكذلك ما يتعلق بفن القراءة من علوم الهمز والادغام والمد فان لذلك كتبا مؤلفة يرجع
اليها ويعول عليها فالراي ان نلم باطرافها ونقتصر على بعض اوصافها فيما ياتي من الكتاب ان شاء الله الصيب المطر
اصله صيوب فيعل من الصوب لكن اجتمعت الواو والياء والاولى منهما ساكنة فصارتا ياء مشددة ومثله سيد وجيد والسماء
المعروف وكل ما علاك فاظلك فهو سماء وسماء البيت سقفه واصابهم سماء اي مطر واصله سماو من سموت فقلبت الواو
همزة لوقوعها طرفا بعد الف زائدة وجعل الظلمات والنور والثاني ان ياتي بمعنى التسمية كقوله تعالى وجعلوا لله اندادا اي
سموا له او ههنا للاباحة اذا قيل لك جالس الفقهاء او المحدثين فكلا الفريقين اهل ان يجالس فان جالست
احدهما فانت مطيع فكذلك ههنا ان مثلت المنافقين بالمستوقد كنت مصيبا وان مثلتهم باصحاب الصيب
فانت مصيب وتقديره او كاصحاب صيب حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه لان هذا عطف على
قوله كمثل الذي استوقد نارا والصيب ليس بعامل فلا يعطف على العامل ويجعلون في موضع الحال
من اصحاب الصيب وقوله فيه ظلمات جملة في موضع الجر بانها صفة صيب والضمير المتصل بفي عائدا الى
صيب او الى السماء وحذر الموت منصوب بانه مفعول له لا يكون الا مصدرا الا انه يدل على انه فعل لاجل ذلك
الحدث والحدث مصدر لكنه ليس مصدرا عن هذا الفعل بل عن فعل آخر مثل هؤلاء المنافقين
في جهلهم وشدة تحيرهم كاصحاب مطر من السماء اي منزل من السماء فيه اي في هذا المطر او في السماء لان المراد
بالسماء السحاب فهو مذكر ظلمات لان السحاب يغشي الشمس بالنهار والنجوم بالليل فيظلم الجو ورعد وقيل ان الرعد
صوت ملك يزجر السحاب وقيل الرعد هو ملك موكل بالسحاب يسبح وروى ذلك عن ابن عباس ومجاهد وهو
المروي عن ائمتنا عليهم السلام وقيل هو ريح تختنق تحت السماء رواه ابو الجلد عن ابن عباس وقيل هو صوت
اصطكاك اجرام السحاب ومن قال انه ملك قدر فيه صوته كانه قال فيه ظلمات وصوت رعد لانه روي

يزعق

يزعق كما يزعق الراعي بغنمه وقوله وبرق وقيل انه مخاريق الملائكة من حديد تضرب به السحاب فتنقدح
عنه النار عن علي عليه السلام وقيل انه سوط من نور يزجر به الملك السحاب عن ابن عباس وقيل هو
مصع ملك عن مجاهد والمصاع المجالدة بالسيوف وغيرها قال الاعشى بن ثعلبة اذا هن نازلن
اقرانهن كان المصاع بما في الجون وقيل انه نار تنقدح من اصطكاك الاجرام وفي تاويل الاية
وتشبيه المثل اقوال احدها انه شبه المطر المنزل من السماء بالقرآن وما فيه من الظلمات بما في القرآن
من الابتلاء وما فيه من الرعد بما في القرآن من الزجر وما فيه من البرق بما فيه من البيان وما فيه
من الصواعق بما في القرآن من الوعيد آجلا والدعاء الى الجهاد عاجلا عن ابن عباس وثانيها انه مثل
للدنيا شبه ما فيها من الشدة والرخاء والبلاء بالصيب الذي يجمع نفعا وضرا وان المنافق يدفع
عاجل الضرر ولا يطلب آجل النفع وثالثها انه مثل للاسلام لان به الحيوة كما في الغيث الحيوة وشبه ما
فيه من الظلمات بما في اسلامهم من ابطان الكفر وبما فيه من الرعد بما في الاسلام من فرض الجهاد وما
فيه من البرق بما في اظهار الاسلام من حقن دمائهم ومناكحتهم وموارثتهم وما فيه من الصواعق بما في الاسلام
من الزواجر بالعقاب في الآجل والعاجل ويقوي ذلك ما روي عن الحسن انه قال مثل اسلام المنافق كصيب
هذا وصفه ورابعها ما روي عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة ان رجلين من المنافقين من اهل المدينة
هربا من رسول الله صلى الله عليه وآله فاصابهما المطر الذي ذكره الله تعالى فيه رعد شديد وصواعق وبرق فكلما
اضاء لهما الصواعق جعلا اصابعهما في اذانهما مخافة ان يدخل الصواعق في اذانهما فيقتلهما واذا لمع البرق
مشيا في ضوئه واذا لم يلمع لم يبصرا فاقاما مكانهما لا يمشيان فجعلا يقولان ليتنا اصبحنا فنأتي محمدا
فنضع ايدينا في يده فاصبحنا فاتياه واسلما وحسن اسلامهما فضرب الله شان هذين الرجلين مثلا لمنافقي
المدينة وانهم اذا حضروا النبي صلى الله عليه وآله جعلوا اصابعهم في اذانهم فرقا من كلام النبي صلى الله عليه وآله ان ينزل
فيهم شيء كما كان ذلك الرجلان يجعلان اصابعهما في اذانهما وكلما اضاء لهم مشوا فيه يعني اذا كثرت اموالهم
واصابوا غنيمة وفتحا مشوا فيه وقالوا ان دين محمد صحيح واذا اظلم عليهم قاموا يعني اذا هلكت اموالهم و
اصابهم البلاء قالوا هذا من اجل دين محمد فارتدوا كما قام ذلك الرجلان اذا اظلم البرق عليهما وقوله
والله محيط بالكافرين يحتمل وجوها احدها انه عالم بهم فيعلم سرائرهم ويطلع نبيه على ضمائرهم عن الاصم
وثانيها انه قادر عليهم لا يستطيعون الخروج عن قدرته قال الشاعر احطنا بهم حتى اذا ما تيقنوا بما قد راوا
مالوا جميعا الى السلم اي قدرنا عليهم وثالثها ما روي عن مجاهد انه جامعهم يوم القيمة يقال احاط بكذا
اذا لم يشذ منه شيء ومنه احاط بكل شيء علما اي لم يشذ عن علمه شيء ورابعها انه مهلكهم يقال احيط بفلان
فهو محاط به اذا دنا هلاكه قال سبحانه واحيط بثمره اي اصابه ما اهلكه وقوله الا ان يحاط بكم معناه ان
تهلكوا جميعا يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا
ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير اية الخطف الاخذ في استلاب
يقال خطف يخطف وخطف يخطف لغتان والثاني اوضح وعليه القراءة ومنه الخطاف يقال للذي يخرج
به الدلو من البئر خطاف لاختطافه قال النابغة خطاطيف حجن في حبال متينة تمد بها ايد اليك

تنازع وقاموا اى وقفوا والمشية الارادة والشى ما يصح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه وهو اول الاسما
واعمها وابهمها لانه يقع على المعدوم والموجود وقيل انه لا يقع الا على الموجود والصحيح الاول وهو مذهب المحققين
ويؤيده قوله تعالى فى هذه الاية ان الله على كل شى قدير فان كل شى سواه محدث وكل محدث فله حالتان حالة عدم و
حالة وجود واذا خرج عن ان يكون مقدورا للقادر لان من المعلوم ضرورة ان الموجود لا يصح ان يوجد فعلمنا
انه انما يقدر عليه فى حالة عدمه ليخرجه من العدم الى الوجود وعلى هذه المسئلة يدور اكثر مسايل التوحيد
كاد من افعال المقاربة ولا يتم بالفاعل ويحتاج الى الخبر وخبره الفعل المضارع فقوله يكاد فعل والبرق
مرفوع بانه اسم يكاد وفاعله ويخطف ابصارهم فى موضع نصب بانه خبر يكاد وكلما اصله كل وضم اليه ما الجزاء و
هو منصوب بالظرف والعامل فيه اضاء ومعناه مهما اضاء لهم مشوا فيه واضاء فى موضع جزم بالشرط ومشوا
فى موضع الجزاء واذا اظلم قد تقدم اعراب مثله ولو حرف معناه امتناع الشى لامتناع غيره واذا وقع الفعل بعده
وهو منفى كان مثبتا فى المعنى واذا وقع مثبتا كان منفيا فى المعنى فقوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم
يدل انتفى فيه ذهاب السمع والابصار بسبب انتفاء المشية يكاد البرق ما فى القران من الحجج النيرة يخطف
قلوبهم من شدة ازعاجها الى النظر فى امور دينهم كما ان البرق يكاد يخطف ابصارا ولئك كلما اضاء لهم مشوا فيه
لاهتدائهم الى الطريق بضوء البرق كذلك المنافقون كلما دعوا الى خير وغنيمة اسرعوا واذا وردت شدة على
المسلمين تحيروا لكفرهم ووقفوا كما وقف اولئك فى الظلمات متحيرين وقيل اذا امنوا صار الايمان لهم نورا فاذا
ماتوا عادوا الى ظلمات العقاب وقيل هم اليهود لما نصر المسلمون ببدر قالوا هذا الذى بشر به موسى فلما نكبوا باحد
وقفوا وشكوا وقوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم انما خص السمع والبصر بالذكر لما جرى من ذكرهما فى
الايتين فقال ولو شاء اذهبهما من المنافقين عقوبة لهم على نفاقهم وكفرهم وهذا وعيد لهم بالعقاب كما قال فى
الاية الاولى والله محيط بالكافرين وقوله بسمعهم مصدر يدل على الجمع او واحد موضوع للجمع كقول الشاعر
كلوا فى بعض بطنكم تعفوا فان زمانكم زمن خميص اى بطونكم والمعنى ولو شاء الله لاظهر على كفرهم فاهلكهم
ودمر عليهم لانهم على كل شى قدير وهو مبالغة القادر وقيل ان قوله سبحانه ان الله على كل شى قدير عام فهو
قادر على الاشياء كلها على ثلثة اوجه على المعدوم بان يوجدها وعلى الموجودات بان يفنيها وعلى مقدور
غيره بان يقدر عليه ويمنع منه وقيل هو خاص فى مقدوراته دون مقدور غيره فان مقدورا واحدا بين قادرين
لا يمكن ان يكون لانه يؤدى الى ان يكون الشى الواحد معدوما موجودا ولفظة كل تستعمل غير عموم نحو قوله
تدمر كل شى بامر ربها يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون اية
الخلق الفعل على تقدير وخلق السموات فعلها على تقدير ما تدعوا اليه الحكمة من غير زيادة ونقصان و
الخلق الطبع والخليقة الطبيعة والخلاق النصيب يا حرف النداء واى اسم يقع على اجناس كثيرة لكنه
انما يتم بان يوصف وصفة تكون باسم الجنس لانه لما كان لا يتم الا بصفة وهى لفظة دالة على ما دل اى عليه
مخصصا له وكان التخصيص فى الاشارة يقع بالجنس ثم بالوصف وصف باسماء الاجناس كالناس فى قوله يا ايها
الناس فاى منادى مفرد معرفة مبنى لانه وقع موقع حرف الخطاب وهو الكاف وانما بنى على الحركة مع ان الاصل
فى البناء السكون ليعلم انه ليس بعريق فى البناء والبناء عارض فيه وانما حرك بالضم لانه كان فى اصله التنوين فلما

سقط

سقط التنوين فى البناء اشبه قبل وبعد الذى قطع عنه الغاية فارتفع وقد ذكر فيه وجوه اخر توجد فى
مظانها والناس مرفوع لانه صفة لاى فيتبعه على حركة لفظه ولا يجوز هنا النصب وان كانت الاسماء المناداة
المفردة المعرفة يجب فى صفاتها النصب والرفع لان هنا الصفة هو المنادى فى الحقيقة واى وصلة اليه و
يدل على ذلك لزوم ها وهو حرف التنبيه قبل الناس وثباتها وامتناعهم من حذفها فصار ذلك كالايذان بان النداء
للعلم لان لا يجوز الاقتصار على المنادى قبله كما جاز فى ساير المناديات واجاز المازنى فى يا ايها الرجل
النصب وذلك فاسد لما ذكرناه ولانه لا يجاز ذلك فى كلام العرب ولم يروعنها غير الرفع والذين من قبلكم فى
موضع نصب لانه عطف على الكاف والميم فى قوله خلقكم وهو مفعول به ومن قبلكم صلة الذين ولعل حرف نصب
من اخوات ان وقد ذكرنا القول فى مشابهة الفعل وعمله النصب والرفع فيما تقدم وكذلك حكم لعل وشبه لعل بالفعل
اظهر لان معناه الترجى وكم فى موضع نصب بكونه اسم لعل وتتقون جملة فى موضع الرفع بانه خبره هذا الخطاب
متوجه الى جميع الناس مؤمنهم وكافرهم الا من ليس بمكلف من الاطفال والمجانين وروى عن ابن عباس والحسن ان ما
فى القران من يا ايها الناس فانه نزل بمكة وما فيه يا ايها الذين امنوا فانه نزل بالمدينة اعبدوا ربكم اى تقربوا اليه
بفعل العبادة وعن ابن عباس انه قال معناه وحدوه وقوله الذى خلقكم اى اوجدكم بعد ان لم تكونوا موجودين
واوجد من تقدم زمانكم من الخلايق والبشر بين سبحانه نعمه عليهم وعلى ابائهم لان نعمه عليهم لا تتم الا بنعمه على ابائهم
لعلكم تتقون المحرمات بينكم وتكفون عما حرم الله وهذا كما يقول القائل اقبل قولى لعلك ترشد فليس له من ذلك
شك وانما يريد اقبله ترشد وانما ادخل الكلام لعل ترفيقا للموعظة وتقريبا لها من قلب الموعوظ ويقول القائل للاجير
اعمل لعلكم تاخذ الاجرة وليس يريد بذلك الشك وانما يريد لتاخذ اجرتك ومثله قول الشاعر وقلتم لنا كفوا الحرب
لعلنا نكف ونقتم لنا كل موثق فلما كففنا الحرب كانت عهودكم كلمح سراب فى الملا متالق اراد قلتم لنا كفوا لنكف
لانه لو كان شيئا لما قال ونقتم كل موثق وقال سيبويه انما وردت لفظة لعل على انه شك ترجى للمخاطبين كما قال فقولا
له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى واراد بذلك الابهام على موسى وهارون فكانه قال اذهبا انتما على رجائكما وطمعكما
والله عز وجل من وراء ذلك وعالم بما سيؤل اليه امر فرعون وقيل فايدة ايراد لفظة لعل هى ان لا يحل العبد ابدا
محل الامن المدل بعمله بل يزداد حالا بعد حال حرصا على العمل وحذرا من تركه واكثر ما جاءت لفظة لعل وعسى ها من
معنى الشك فيما يتعلق بالاخرة فى دار الدنيا فاذا ذكرت الاخرة مفردة جاء اليقين وقيل معناه لعلكم تتقون النار
فى ظنكم ورجائكم واجرى لعل على العباد دون نفسه وهذا قريب مما قال سيبويه الذى جعل لكم الارض فراشا
والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون اية
ادغم جماعة من القراء فى قوله جعل لكم نفا لجعلكم والباقون يظهرون فمن ادغم فلاجتماع الحرفين من جنس واحد و
كثرة الحركات ومن اظهر وعليه اكثر القراء فلانهما منفصلان من كلمتين وفى الادغام واختلاف القراء فيه والاحتجاجات
لهم كثير خارج عن الغرض بعلوم تفسير القران فمن اراد ذلك فليطلبه من الكتب المؤلفة فيه الجعل والخلق والاحداث
نظاير والارض هى المعروفة والارض قوايم الدابة ومنه قول الشاعر واحمر كالديباج اما سماؤه فحو واما ارضه الرعدة
وفى كلام ابن عباس ازلزلت الارض ام بى ارض والفراش والبساط والمهاد نظاير وسمى السماء سماء لعلوها على الارض
وكل شى كان فوق شى فهو لما تحته سماء وسماء فلان لفلان اذا قصد نحوه عاليا عليه قال الفرزدق سمونا لنجران

اليمن واهله ونجران ارض لم تدنث مقاولة قال الزجاج كل ما على الارض فهو بناء والماء اصله الموه وجمعه امواه
وتصغيره مويه وانزل من السماء اي من ناحية السماء قال الشاعر امنك البرق ارقبه فهاجا اي من ناحيتك و
الند المثل والعدل قال حسان بن ثابت اتهجوه ولست له بند فشركما لخيركما الفداء وقال جرير اتيما تجعلون الي ندا وما
تيم لذي حسب نديد وقيل الند الضد   معنى هذه الاية يتعلق بما قبلها لانه تعالى امرهم بعبادته والاعتراف
بنعمته ثم عدد لهم صنوف نعمه ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته فان العبادة انما تجب لاجل النعم المخصوصة فقال سبحانه
الذي جعل لكم الارض فراشا اي بساطا يمكنكم ان تستقروا عليها وتفترشوها وتتصرفوا بها وذلك لا يمكن الا بان تكون مبسوطة
ساكنة دائمة السكون والسماء بناء اي سقفا مرفوعا مبنيا وانزل من نحو السماء اي من السحاب ماء فاخرج به اي بالماء من الثمرات
رزقا لكم اي عطاء لكم وملكا لكم وغذاء لكم وهذا تنبيه على انه هو الذي خلقهم والذي رزقهم دون من جعلوه ندا له من الاوثان
ثم زجرهم عن ان يجعلوا له ندا مع علمهم بان ذلك كما اخبرهم به وقوله وانتم تعلمون يحتمل وجوها احدها ان يريد انكم تعلمون ان
الاصنام التي تعبدونها لم تنعم عليكم بهذه النعم التي عددناها ولا بامثالها وانها لا تضر ولا تنفع وثانيها ان يريد انكم
تعقلون وتميزون ومن كان بهذه الصفة فقد استوفى شرايط التكليف ولزمته الحجة وضاق عذره في
التخلف عن النظر واصابة الحق وثالثها ما قاله مجاهد وغيره ان المراد بذلك اهل التورية والانجيل اي تعلمون ذلك
في الكتابين قال الشريف الاجل المرتضى قدس الله روحه استدل ابو علي الجبائي بقوله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا
وفي اية اخرى بساطا على بطلان ما يقوله المنجمون من ان الارض كروية الشكل قال وهذا القدر لا يدل لانه يكفي في النعمة
علينا ان يكون في الارض بساط ومواضع مفروشة ومسطوحة وليس يجب ان يكون جميعها كذلك ومعلوم ضرورة ان
جميع الارض ليس مبسوطا مسطوحا وان كان مواضع التصرف فيها بهذه الصفة والمنجمون لا يدفعون ان يكون في الارض
سطوح يتصرف فيها ويستقر عليها وانما يذهبون الى ان جملتها كروية الشكل   وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين اية الكلف ان دخلت هنا لغير شك لان الله
تعالى علم انهم مرتابون ولكن هذا على عادة العرب في خطابهم كقولهم ان كنت انسانا فافعل كذا وان كنت ابني فاطعني وان
كان كونه انسانا وابنا معلوما وانما خاطبهم الله تعالى على عادتهم في الخطاب والريب والشك مع تهمة والعبد المملوك من
جنس ما يعقل ونقيضه الحر من التعبيد وهو التذليل لان العبد يذل لمولاه فالعبودية من احكام الشرع لانه بمنزلة
ذبح الحيوان ويستحق عليها العوض وليست بعقوبة ولذلك يسترق المؤمن والصبي والسورة غير مهموزة ماخوذة
من سور البناء وكل منزلة رفيعة فهي سورة ومنه قول النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
هذا قول ابي عبيدة وابن الاعرابي في تفسير السورة فكل سورة من القران بمنزلة درجة رفيعة ومنزل عال رفيع يترفع
القاري منها الى منزلة اخرى الى ان يستكمل القران وقيل السورة مهموزة والمراد بها القطعة من القران انفصلت عما
سواها وابقيت وسؤر كل شيء بقيته واسارت في الاناء بقيت فيه قال الاعشى يصف امرأة فبانت وقد اسارت
في الفؤاد صدعا على نأيها مستطيرا   ان حرف شرط تجزم الفعل المضارع ويدخل على الفعل الماضي فيصرفه
الى معنى الاستقبال ولا بد للشرط من جزاء وهما جملتان يربط احدهما بالاخرى نحو ان تفعل افعل فقولك ان تفعل
شرط وهو مجزوم بان وقولك افعل جزاء وهو مجزوم بالشرط لا بان وحدها ولا بالفعل فان كان الجزاء جملة من فعل و
فاعل كان مجزوما وان كان جملة من مبتدأ وخبر فلا بد من الفاء وكانت الجملة في موضع الجزم فقوله كنتم في موضع الجزم

بان

بان وقوله فاتوا بسورة ايتوا مبني على الوقف لانه امر المخاطبين والواو فاعل والفاء وما بعده في موضع جزم
بانه جزاء وما قبل الفاء لا يعمل فيما بعده ومن يقع على اربعة اوجه احدها ان يكون بمعنى ابتداء الشيء
من مكان كقولك خرجت من البصرة وثانيها بمعنى التبعيض كقولك اخذت من الطعام قفيزا وثالثها
بمعنى التبيين كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان وهي في التبيين تخصص الجملة التي قبلها كما ان في
التبعيض تخصص الجملة التي بعدها ورابعها ان تقع مزيدة نحو ما جاءني من رجل فاذا قد عرفت هذا
فقوله تعالى من مثله قال بعضهم ان من بمعنى التبعيض وتقديره فاتوا ببعض ما هو مثل له وهو
سورة وقيل لتبيين الصفة وقيل ان من مزيدة كقوله في موضع اخر بسورة مثله اي مثل هذا القران
ويعود الهاء في مثله الى ما من قوله مما نزلنا على عبدنا في الاقوال الثلثة وقيل ان من بمعنى ابتداء الغاية
والهاء من مثله يعود الى عبدنا فيكون معناه بسورة من رجل مثله والاول اقوى لما نذكره بعد
لما احتج الله تعالى للتوحيد عقبه من الاحتجاج للنبوة بما قطع عذرهم فقال وان كنتم في شك من صدق
هذا الكتاب الذي نزلنا على محمد صلعم وقلتم لا ندري هل هو من عند الله ام لا فاتوا بسورة من مثله
اي من مثل القران وعلى قول من يقول الضمير من مثله عايد الى عبدنا فالمعنى فاتوا بسورة من امرء امي
مثله لا يحسن الخط والكتابة ولا يدري الكتب والصحيح هو الاول لقوله تعالى في سورة اخرى فليأتوا
بحديث مثله وقوله فاتوا بسورة مثله وقوله لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القران لا ياتون بمثله يعني فاتوا بسورة مثل ما اوتي به محمد في الاعجاز من حسن النظم وجزالة
اللفظ والفصاحة التي اختصت به والاخبار عما كان وعما يكون دون تعلم الكتب ودراسة الاخبار
وقوله وادعوا شهداءكم قال ابن عباس يعني اعوانكم وانصاركم الذين يظاهرونكم على تكذيبكم
وسمي اعوانكم شهداء لانهم يشاهدونهم عند المعاونة والشهيد يكون بمعنى المشاهد كالجليس
والاكيل ويسمى الشاهد على الشيء لغيره بما يحقق دعواه انه شهيد ايضا وقوله من دون الله
اي من غير الله كما يقال ما دون الله مخلوق يريد وادعوا من اتخذتم معاندين من غير الله ان
كنتم صادقين في ان هذا الكتاب تقوله محمد من نفسه وقال الفراء اراد ادعوا الهتكم وقال مجاهد
وابن جريج اراد قوما يشهدون لكم بذلك ممن يقبل قولهم وقول ابن عباس اقوى لان معناه
استنصروا اعوانكم على ان ياتوا بمثله لان الدعاء بمعنى الاستعانة كما قال الشاعر فلما التقت
فرساننا ورجالنا دعوا يا لكعب واعتزينا لعامر وقال اخر وقبلك رب خصم قد تمالوا علي فما
جزعت ولا دعوت واما قول مجاهد فلا وجه له لان الشاهدين لا يخلو اما ان يكونوا مؤمنين
او كفارا فالمؤمنين لا يكونون شهداء الكفار والكفار لا بد ان يسارعوا الى ابطال الحق او تحقيق
الباطل اذا دعوا اليه فمن اي الفريقين يكون شهداؤهم ولكن ينبغي ان يجري ذلك مجرى قوله تعالى
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا وقال قوم ان هذا الوجه جايز ايضا حسن لان العقلاء لا يجوز ان يحملوا انفسهم
على الشهادة بما يفتضحون به في كلام انه مثل القران ولا يكون مثله كما لا يجوز ان يحملوا انفسهم

على ان يعارضوا اما ليس بمعارض على الحقيقة وهذه الاية تدل على صحة نبوة نبينا محمد وان الله تحدى بالقران و
ببعضه ووجه الاستدلال بها انه تعالى خاطب قوما عقلاء فصحاء قد بلغوا الغاية القصوى من الفصاحة وتسنموا
الذروة العليا من البلاغة فانزل اليهم كلاما من جنس كلامهم وتحداهم بالاتيان بمثله او ببعضه بقوله
فاتوا بعشر سور مثله وبسورة مثله وجعل عجزهم عن ذلك حجة عليهم ودلالة على صدق رسول الله صلعم وهم اهل
الحمية والانفة فبذلوا اموالهم ونفوسهم في اطفاء امره ولم يتكلفوا بمعارضة القران بسورة ولا خطبة
فعلمنا ان المعارضة كانت متعذرة عليهم فدل ذلك على ان القران معجز دال على صحة نبوته صلعم
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين اية
ان حرف الشرط ولم حرف يدخل على الفعل المضارع فينفيه ويجعله بمعنى الماضي ويعمل فيه الجزم وتفعلوا
فعل وفاعلون وهو مجزوم بلم وعلامة الجزم فيه سقوط النون ولم يفعلوا في موضع الجزم ايضا بان ولن حرف
يدخل على الفعل المضارع فيخصه بالاستقبال ويعمل فيه النصب في يفعلوا سقوط النون ايضا قال سيبويه
في لن زعم الخليل انها لا ان ولكنهم حذفوا لكثرته في كلامهم كما قالوا ويلمه وجعلت بمنزلة حرف واحد
كما جعلوا هلا بمنزلة حرف واحد وانما هي هل ولا قال وليس هذا بجيد لانه لو كان كذلك لم يجز زيدا
لن اضرب واقول ان معنى هذا القول هو انه لو كان اصل لن لا ان وما بعد ان يكون صلة لها ولا يجوز
تقديم معمول ما في الصلة على الموصول فكان يجب ان لا يجوز تقديم زيدا في قولك زيدا لن اضرب
زيدا على لن كما لم يجز تقديمه على ان فلا تقول زيدا ان اضرب وزيدا لا ان اضرب ولا خلاف بين
النحويين في جواز التقديم هناك وقوله وان تفعلوا لا موضع له من الاعراب لانه اعتراض وقع بين الشرط
والجزاء كما يقع بين المبتدا والخبر في قولك زيد فافهم ما اقول لك عالم والاعتراض غير واقع موقع
المفرد فيكون له موضع اعراب   فان لم تفعلوا اي فان لم تاتوا بسورة من مثله وقد تظاهرتم
انتم وشركاؤكم عليه واعوانكم وتبين لكم عجزكم وعجز جميع الخلق عنه وعلمتم انه من عندي فلا تقيموا
على التكذيب ومعنى ولن تفعلوا اي ولن تاتوا بسورة مثله ابدا لان لن تنفي على التابيد في المستقبل
وفيه دلالة على صحة نبوة نبينا صلعم لانه يتضمن الاخبار عن حالهم في مستقبل الاوقات فانهم لا ياتون
بمثله فوافق المخبر عنه الخبر بقوله فاتقوا النار التي اي فاحذروا ان تصلوا النار بتكذيبكم وانما جاز ان
يكون قوله فاتقوا النار جواب الشرط مع لزوم اتقاء النار كيف تصرفت الحال لانه لا يلزمهم الاتقاء الا
بعد التصديق بالنبوة ولا يصح التصديق بالنبوة الا بعد قيام المعجزة فكانه قيل فان لم يفعلوا ولن
يفعلوا فقد قامت الحجة ووجب اتقاء النار التي وقودها اي حطبها الناس والحجارة وهي جمع
حجر وقيل انها حجارة الكبريت لانها احر شيء اذا احمي عن ابن مسعود وابن عباس والظاهر
ان الناس والحجارة وقود النار اي حطبها واريد بها اصنامهم المنحوتة من الحجارة كقوله تعالى انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقيل ذكر الحجارة دليل على عظم تلك النار لانها لا تاكل
الحجارة الا وهي في غاية الفظاعة والهول وقيل معناه ان اجسادهم تبقى على النار بقاء الحجارة
التي توقد بها النار بتبقية الله اياها ويؤيد ذلك قوله كلما نضجت جلودهم الاية وقيل معناه انهم

يعذبون

يعذبون بالحجارة المحماة بالنار وقوله اعدت للكافرين معناه خلقت وهيئت للكافرين لانهم الذين يخلدون
فيها ولانهم اكثر اهل النار فاضيفت اليهم وقيل انما خص النار بكونها معدة للكافرين وان كانت معدة
للفاسقين ايضا لانه يريد بذلك نارا مخصوصة لا يدخلها احد غيرهم كما قال ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار وهذه الاية تدل على بطلان قول من حرم النظر والحجاج العقلي لان الله عز اسمه احتج على
الكفار بما ذكره في هذه الاية والزمهم به تصديق نبيه صلعم وقررهم بان القران كلامه اذ قال ان كان هذا
القران كلام محمد فاتوا بسورة من مثله لانه لو كان كلام البشر لتهيا لكم مع تقدمكم في البلاغة والفصاحة
الاتيان بمثله او بسورة منه مع قوة دواعيكم اليه فاذ لم يتات لكم ذلك فاعلموا انه كلام الله تعالى
وهذا هو المراد بالاحتجاج العقلي واستدل بقوله اعدت للكافرين على ان النار مخلوقة الان لان
المعد لا يكون الا موجودا وكذلك الجنة لقوله اعدت للمتقين والفايدة في ذلك انا وان لم نشاهدها
فان الملائكة يشاهدونهما وهم من اهل التكليف والاستدلال فيعرفون ثواب الله للمتقين وعقابه
للكافرين   وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار
كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج
مطهرة وهم فيها خالدون اية   البشارة هي الاخبار بما يسر المخبر به اذا كان سابقا بخبر سواه
لان الثاني لا يسمى بشارة وقد قيل للاخبار بما يغم ايضا بشارة كقوله تعالى وبشرهم بعذاب اليم وذلك على
سبيل التوسع وهي ماخوذة من البشرة وهي ظاهر الجلد لتغيرها باول خبر ومنه تباشير الصبح اوله
والجنات جمع الجنة وهي البستان والمراد بذكر الجنة ما في الجنة من اشجارها وثمارها دون
ارضها فلذلك قال تجري من تحتها الانهار لانه من المعلوم انه اراد الخبر عن ماء انهارها بانه جار
تحت الاشجار لان الماء اذا كانت تحت الارض فلا حظ فيها للعيون على انه روي عن مسروق ان
انهار الجنة جارية في غير اخاديد واعنه ابو عبيده وغيره واصلها من الجن وهو الستر ومنه
الجن لسترها عن عيون الناس والجنون لانه يستر العقل والجنة لانه يستر البدن والجنين يستر
بالرحم قال المفضل البستان اذا كان فيه الكرم فهو فرد وس كان فيه شجر غيره او لم يكن والجنة
كل بستان فيه نخل وان لم يكن فيه غيره والازواج جمع زوج يقع على الرجل والمراة ويقال للمراة
زوجة ايضا وزوج كل شيء شكله والخلود الدوام والبقاء   موضع ان مع اسمه وخبره نصب معناه
بشر المؤمنين بان لهم جنات فلما سقطت الباء افضى الفعل الى ان فنصبه وعلى قول الخليل يكون ان في
موضع جر وان سقطت الباء جنات منصوب بانه اسم ان ولهم الجار والمجرور في موضع جبر والتا
تاء جماعة المؤنث يكون في حال النصب والجر على صورة واحدة وقوله تجري مع ما اتصل به جملة منصوبة
الموضع بكونها صفة لجنات وكلما ضم كل الى ما للجزاء فصار اداة للتكرار وهو منصوب على الظرف
والعامل فيه رزقوا منها من ثمرة من مزيدة اي ثمرة وقال علي بن عيسى هي بمعنى التبعيض لانهم
يرزقون بعض الثمرات في كل وقت ويجوز ان يكون بمعنى تبيين الصفة وهو ان تبيين الرزق
من اي جنس هو ومن قبل تقديره من قبل هذا الزمان او هذا الوقت فحذف المضاف اليه

لفضا مع ان الاضافة مرادة معنى فبنى لاجل مشابهته الحرف وانما بنى على الحركة ليدل على تمكنه فى الاصل
وانما خص بالضم لان اعرابه عند الاضافة كان بالفتح او الجر نحو من قبلك وقبلك لكونه ظرفا فبنى
على حركة لم يكن يدخلها فى الاعراب وهى الضمة وموضعه نصب على الظرف ومتشابها نصب على الحال
وازواج رفع اما بالابتداء او بالظرف   قرن الله تعالى الوعد فى هذه الاية بالوعيد فيما قبلها
ليحصل الترغيب والترهيب فقال وبشر اى اخبر بما يسر الذين امنوا اى صدقوا وعملوا الصالحات فيما بينهم
وبين ربهم عن ابن عباس بان لهم جنات تجرى من تحتها اى من تحت اشجارها ومساكنها الانهار
والنهر لا يجرى وانما يجرى الماء فيه ويستعمل الجرى فيه توسعا لانه موضع الجرى وقوله كلما رزقوا
منها اى من الجنات والمعنى من اشجارها وتقديره كلما رزقوا من اشجار البساتين التى اعدها الله
للمؤمنين من ثمرة رزقا اى اعطوا من ثمارها عطاء واطعموا منها طعاما لان الرزق عبارة عما يصح
الانتفاع به ولا يكون لاحد المنع منه قالوا هذا الذى رزقنا من قبل فيه وجوه احدها ان ثمار الجنة
اذا جنيت من اشجارها عاد مكانها مثلها فيشتبه عليهم فيقولون هذا الذى رزقنا من قبل هذا قول
ابو عبيدة ويحيى بن ابى كثير وثانيها ان معناه هذا الذى رزقناه فى الدنيا عن ابن عباس وابن
مسعود وقيل هذا الذى وعدنا به فى الدنيا وثالثها معناه هذا الذى رزقناه من قبل فى الجنة اى
كالذى رزقنا وهم يعلمون انه غيره ولكنهم شبهوه به فى طعمه ولونه وريحه وطيبه وجودته عن الحسن
وواصل قال الشيخ ابو جعفر رحمه الله واقوى الاقوال قول ابن عباس لانه تعالى قال كلما رزقوا منها
من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل فعم ولم يخص فاول ما اوتوا به لا يتقدمه فيه هذا القول
الا بان يكون اشارة الى ما تقدم رزقه فى الدنيا ويكون التقدير هذا مثل الذى رزقناه فى الدنيا
لان ما رزقوه فى الدنيا قد عدم فاقام المضاف اليه مقام المضاف كما ان القايل اذا قال لغيره
اعددت لك طعاما ووصفه له يحسن ان يقول هذا طعامى فى منزلى يريد مثله ومن جنسه وقوله
واتوا به اى جيئوا به وليس معناه اعطوه وقوله متشابها فيه وجوه احدها انه اراد مشتبها فى
اللون مختلفا فى الطعم عن ابن عباس ومجاهد وثانيها انها كلها متشابهة فى الجودة جياد لا
رذل فيه عن الحسن وقتادة واختاره الاخفش قال وهذا كما يقول القايل وقد جيئ باشياء
فاضلة فاشتبهت عليه فى الفضل لا ادرى ما اختار منها كلها عندى فاضل كقول الشاعر من
تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم الذى يسرى بها السارى يعنى انهم قد تساووا فى الفضل
وثالثها انه يشبه ثمر الدنيا غير ان ثمر الجنة اطيب عن عكرمة ورابعها انه يشبه بعضه بعضا فى اللذة
وجميع الصفات عن ابى مسلم وخامسها انه التشابه من حيث الموافقة فالخادم يوافق المسكن
يوافق الفرش وكذلك جميع ما يليق به وقوله ولهم فيها ازواج قيل هو الحور العين وقيل هن نساء
الدنيا قال الحسن هن عجايزكم الغمص الرمص العمش طهرن من قذرات الدنيا مطهرة قيل فى الابدان
والاخلاق والاعمال فلا يحضن ولا يلدن ولا يتغوطن ولا يبلن قد طهرن من الاقذار والاثام
وهو قول جماعة المفسرين وهم فيها اى فى الجنة خالدون يعنى دائمون يبقون ببقاء الله لا انقطاع

لذلك

لذلك ولا نفاد ولان النعمة تتم بالخلود والبقاء كما تتنغص بالزوال والفناء والخلود هو الدوام من وقت المبتدا
ولهذا يقال لله تعالى خالد   ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما
الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا
يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين اية   يستحيى بيائين وروى عن ابن
كثير يستحى بياء واحدة ووجه هذه القراءة انه استثقل اجتماع اليائين فحذف احدهما وهى لغة تميم
الاستحيا من الحيا ونقيضه القحة والضرب يقع على جميع الاعمال الا قليلا يقال ضرب فى التجارة
وضرب فى الارض وضرب فى سبيل الله وضرب بيده الى كذا وضرب فلان على يد فلان اذا
افسد عليه امرا اخذ فيه وضرب الامثال انما هو جعلها لتسير فى البلاد يقال ضربت القول
مثلا وارسلته مثلا وما اشبه ذلك والبعوض القرقس وهو صغار البق واحده بعوضة والمثل
والمثل كالشبه والشبه وقال كعب بن زهير كانت مواعيد عرقوب لنا مثلا وما مواعيده
الا الاباطيل الفسق والفسوق الترك لامر الله تعالى وقال الفرا الفسق الخروج عن الطاعة
تقول العرب فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت ولذلك سميت الفارة فويسقة لخروجها
عن جحرها   فى قوله ما بعوضة بالنصب وجوه احدها ان تكون ما مزيدة ومعناها
التوكيد كما فى قوله فبما رحمة من الله لنت لهم وتقديره ان الله لا يستحيى ان يضرب بعوضة مثلا
او مثلا بعوضة فتكون بعوضة مفعولا ثانيا ليضرب وثانيها ان تكون ما نكرة مفسرة ببعوضة
كما يكون نكرة موصوفة فى قوله تعالى هذا ما لدى عتيد فيكون تقديره لا يستحيى ان يضرب مثلا شيئا
من الاشياء بعوضة فتكون بعوضة بدلا من شيئا وثالثها ما يحكى عن الفرا ان معناه ما بين بعوضة
الى ما فوقها كما يقال مطرنا ما زبالة الى الثعلبية وله عشرون ما ناقة فجملا وهى احسن ما قرنا مقدما
يعنون ما بين فى جميع ذلك والاختيار عند البصريين الوجه الاول وانما اختير هذا الوجه لان ضرب
هاهنا بمعنى جعل فجاز ان يتعدى الى مفعولين ويدل على المبتدا والخبر وفى التنزيل ما يدل عليه
وهو قوله انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه فمثل الحيوة مبتدى وكما خبره وفى موضع اخر واضرب
لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه فدخل اضرب على المبتدا والخبر فصار بمنزلة قولك ظننت زيدا
كعمرو ويجوز فى الاعراب الرفع فى بعوضة وان لم يجز القراءة به وفيه وجهان احدهما ان يكون
خبر المبتدا المحذوف فى صلة ما كانه قال الذى هو بعوضة كقراءة من قرا على الذى احسن بالرفع
وهذا عند سيبويه ضعيف وهو فى الذى اقوى لان الذى اطول وليس للذى مذهب غير الاسماء
والثانى على الجواب كانه لما قيل ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما قيل ما هو فقيل بعوضة كما يقال
مررت برجل زيد اى هو زيد فيكون ما على هذا الوجه نكرة مجردة من الصفة والصلة وقوله
فاما الذين امنوا لغة العرب جميعا بالتشديد وكثير من بنى تميم يقولون ايما فلان فيفعل كذا و
انشد بعضهم مبتلة هيفاء ايما وشاحها فيجرى واما الحجل منها فلا يجرى وهى كلمة تجئ فى شيئين
واشياء يفصل القول بينهما كقولك اما زيد فمحسن واما عمرو فمسيئ زيد مبتدا ومحسن خبره

وفيها معنى الشرط والجزاء وتقديره مهما يكن من شئ فزيد محسن ثم اقيم اما مقام الشرط فحصل اما فزيد
محسن ثم اخر الفاء الى الخبر لاصلاح اللفظ ولكراهية ان تقع الفاء التى للتعقيب فى اول الكلام فقوله على
الذين امنوا على هذا يكون مبتداء ويعلمون خبره وكذلك الذين كفروا مبتدا ويقولون خبره وقوله ما
ذا اراد الله بهذا مثلا وما استفهام وهو اسم فى موضع الرفع بالابتداء وذا الملغى الذى وصلته ما بعده
وهو فى موضع رفع بانه خبر المبتداء تقديره اى شئ الذى اراد الله تع فعلى هذا يكون الجواب رفعا
كقولك البيان لحال الذى ضرب له المثل ومثال الاول ويحتمل ان يكون ما وذا بمنزلة اسم واحد تقديره
اى شئ اراد الله فيكون فى موضع نصب بانه مفعول اراد فعلى هذا يكون الجواب نصبا كقولك البيان
لمن ضرب له المثل ومثال الاول قوله تع ما انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ومثال الثانى قوله ماذا
انزل ربكم قالوا خيرا ومثلا منصوب على الحال وقيل على القطع وقيل على التفسير روى عن ابن
عباس وابن مسعود ان الله تع لما ضرب المثلين قبل هذه الاية للمنافقين يعنى قوله مثلهم كمثل الذى
استوقد نارا وقوله او كصيب من السماء قال المنافقون الله اعلى واجل من ان يضرب هذه الامثال
فانزل الله تع هذه الاية وعن قتادة والحسن قال لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت تكلم فيه قوم
من المشركين وعابوا ذكره فانزل الله هذه الاية ان الله تع هذه الاية لا يستحيى اى لا يدع وقيل
لا يمتنع لان احدنا اذا استحيا عن شئ تركه وامتنع منه ومعناه ان الله لا يدع ضرب المثل بالاشياء الحقيرة
لحقارتها اذا راء الصلاح فى ضرب المثل بها وقيل معناه هو ان الذى يستحى منه ما يكون قبيحا فى نفسه
ويكون لفاعله عيب فى فعله فاخبر الله تع ان ضرب المثل ليس بقبيح ولا عيب حتى يستحيا منه وقيل معناه
انه لا يخشى ان يضرب مثلا كما قال وتخشى الناس والله احق ان تخشاه اى يستحيى الناس والله احق ان
تستحيه فالاستحيا بمعنى الخشية هنا كما ان الخشية بمعنى الاستحيا هناك واصل الاستحيا الانقباض عن الشئ
والامتناع منه خوفا من مواقعة القبيح وقال على بن عيسى معناه انه ليس فى ضرب المثل بالحقير للتحقير عيب
يستحيا منه فكانه قال لا يحل ضرب المثل بالبعوض محل ما يستحى منه فوضع قوله ان الله لا يستحيى موضعه
ما بعوضة فما فوقها اى ما هو اعظم منها قتادة وابن جريج وقيل فما فوقها فى الصغر والقلة لان الغرض
هاهنا الصغر قال ربيع بن انس ان البعوضة تحيا ما جاعت فاذا سمنت ماتت فكذلك القوم الذين
ضرب الله لهم هذا المثل اذا امتلوا من الدنيا ريا اخذهم الله عند ذلك ثم تلا حتى اذا فرحوا بما اوتوا
اخذناهم بغتة وروى عن الصدع انه قال انما ضرب الله المثل بالبعوضة لان البعوضة على صغر حجمها
خلق الله فيها جميع ما خلق فى الفيل مع كبره وزيادة عوضين اخرين فاراد الله سبحانه ان ينبه
به المومنين على لطيف خلقه وعجيب صنعته وقد استشهد على استحيان ضرب المثل بالشئ الحقير
فى كلام العرب بقول الفرزدق ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك الكتاب المنزل وبقوله ايضا
وهل شئ يكون اذل بيتا من اليربوع يحتفر الترابا وقوله فاما الذين امنوا اى صدقوا محمدا والقران
وقبلوا الاسلام فيعلمون انه الحق من ربهم مدحهم الله تعالى بانهم تدبروا حتى علموا انه من ربهم وان
المثل وقع فى حقه واما الذين كفروا بالقران فيقولون اى فلاعراضهم عن طريق الاستدلال وانكارهم

المحض قالوا ماذا اراد الله بهذا مثلا اى ماذا اراد الله بهذا المثل فحذف الالف واللام وقوله يضل به كثيرا
ويهدى به كثيرا فيه وجهان احدهما حكى عن الفراء انه قال انه حكاية عمن قال ماذا اراد الله بهذا مثلا
يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا اى يضل به قوم ويهتدى به قوم ثم قال الله تع وما يضل به الا الفاسقين
فبين تع انه لا يضل الا فاسقا ضالا وهذا وجه حسن والاخر ان كلا منهما ابتداء وكلاهما محتمل واذا
كان محمولا على هذا فمعنى قوله يضل به كثيرا ان الكفار يكذبون به وينكرونه ويقولون ليس هو من عند الله
فيضلون بسببه واذا حصل الضلال بسببه اضيف اليه فمعنى الاضلال على هذا تشديد الامتحان الذى
يكون عنده الضلال وذلك بان ضرب لهم الامثال لان المحنة اذا اشتدت على الممتحن فضل عندها سميت
اضلالا فاذا سهلت فاهتدى عندها سميت هداية فالمعنى ان الله تع يمتحن بهذه الامثال عباده
فيضل بها قوم كثير ويهتدى بها قوم كثير ومثل قوله تع رب انهن اضللن كثيرا من الناس اى ضلوا
عندها وهذا كما يقال للرجل اذا دخل الفضة النار لينظر فسادها من صلاحها افسدت فضتك وهو لم
يفعل فيها الفساد وانما يراد ان فسادها ظهر عند محنته وقريب من ذلك قولهم فلان اضل ناقته ولا يريدون
انه اراد ان يضل وانما يريدون ضلت منه لا من غيره وقولهم افسدت فلانة فلانا واذهبت عقله وهى
ربما لم تعرفه ولكنه لما ذهب عقله وفسد من اجلها اضيف الفساد اليها وقد يكون الاضلال بمعنى التخلية
على جهة العقوبة وترك المنع بالقهر ومنع الالطاف التى تفعل بالمومنين جزاء على ايمانهم وهذا كما يقال لمن لا
يصلح سيفه افسدت سيفك اريد به انك لم تحدث فيه الاصلاح فى كل وقت بالصقل والاحداد وقد يكون
الاضلال بمعنى التسمية بالضلال والحكم به كما يقال اضله اذا نسبه الى الضلال والكفر اذا نسبه الى الكفر قال
الكميت فطايفة قد اكفرونى بحبكم وطايفة قالوا مسئ ومذنب وقد يكون الاضلال بمعنى الاهلاك والعذاب
والتدمير ومنه قوله تع ان المجرمين فى ضلال وسعر يوم يسحبون فى النار على وجوههم ومنه قوله تع اذا
اضللنا فى الارض اى هلكنا وقوله والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل اعمالهم اى لن يبطل سيهديهم
ويصلح بالهم فعلى هذا يكون المعنى ان الله تع يهلك ويعذب بالكفر به كثيرا بان يضلهم عن الثواب وطريق
الجنة بسببه فيهلكوا ويهدى الى الثواب وطريق الجنة بالايمان به كثيرا عن ابى على الجبائى قال ويدل على
ذلك قوله وما يضل به الا الفاسقين لانه لا يخلوا من ان يكون اراد به العقوبة على التكذيب كما قلناه او
يكون اراد به التحير والتشكيك فان اراد الحيرة فقد ذكره انه لا يفعل الا بالفاسق المتحير الشاك فيجب ان
لا يكون الحيرة المتقدمة التى بها صار فاسقا من فعله الا اذا وجدت حيرة قبلها ايضا وهذا يوجب وجود
ما لا نهاية له من حيرة قبل حيرة لا الى اول او ثبوت اضلال لا اضلال قبله واذا كان كذلك فمن فعله
فقد لم يضل من لم يكن فاسقا وهذا خلاف قوله تع عز وجل وما يضل به الا الفاسقين وعلى هذا الوجه
فيجوز ان يكون حكم الله عليهم بالكفر وبراته منهم ولعنته عليهم اهلاكا لهم ويكون اهلاكه اضلالا
وكل ما فى القران من الاضلال المنسوب الى الله تع فهو بمعنى ما ذكرناه من الوجوه ولا يجوز ان يضاف
الى الله سبحانه الاضلال الذى اضافه الى الشيطان والى فرعون والسامرى بقوله ولقد اضل
منكم جبلا كثيرا وقوله واضل فرعون قومه وقوله واضلهم السامرى وهو ان يكون بمعنى التلبيس

والتغليظ والتشكيك والايقاع في الفساد وغير ذلك ما يؤدي الى التعظيم والتجوز على ما يذهب اليه المجبرة تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا   في حقيقة الهداية والهدى واذ قد ذكرنا اقسام الاضلال وما يجوز اضافته
الى الله منها وما لا يجوز فلنذكر اقسام الهداية التي هي ضده اعلم ان الهداية في القران تقع على وجوه احدها
ان يكون بمعنى الدلالة والارشاد يقال هداه الطريق وللطريق والى الطريق اذا دله عليه وهذا الوجه عام
لجميع المكلفين فان الله تعالى هدى كل مكلف الى الحق بان دله عليه وارشده اليه لانه كلفه الوصول فلو لم يدله عليه
لكان قد كلفه ما لا يطيق ويدل عليه قوله تعالى ولقد جاءهم من ربهم الهدى وقوله انا هديناه السبيل وقوله انزل
فيه القران هدى للناس وقوله واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وقوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم
وقوله وهديناه النجدين وما اشبه ذلك من الايات وثانيها ان يكون بمعنى زيادة الالطاف التي
بها يثبت على الهدى ومنه قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى اى شرح صدورهم وثبتها وثالثها
ان يكون بمعنى الاثابة ومنه قوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم وقوله
والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم والهداية التي تكون بعد قتلهم
هي اثابتهم لا محالة لانه ليس بعد الموت تكليف ورابعها الحكم بالهداية كقوله سبحانه ومن يهد الله
فهو المهتد وهذه الوجوه الثلثة خاصة بالمؤمنين دون غيرهم لانه تعالى انما يثيب من يستحق الاثابة وهم
المؤمنون ويزيدهم الطافا بايمانهم وطاعاتهم ويحكم الله لهم بالهداية لذلك ايضا وخامسها ان يكون
ان الهداية بمعنى جعل الانسان مهتديا بان يخلق الهداية فيه كما يجعل الشيء متحركا بخلق الحركة فيه والله
تعالى يفعل العلوم الضرورية في القلوب فذلك هداية منه تعالى وهذا الوجه ايضا عام لجميع العقلاء
كالوجه الاول فاما الهداية التي كلف الله تعالى العباد فعلها كالايمان به وبانبيائه وغير ذلك فانها
من فعل العباد ولذلك يستحقون عليها المدح والثواب وان كان الله سبحانه قد انعم عليهم
بدلالتهم على ذلك وارشادهم اليه ودعائهم الى فعله وتكليفهم اياه وامرهم به فهو من هذا الوجه نعمة
منه سبحانه عليهم ومنة منه واصلة اليهم وفضل منه واحسان لديهم فهو سبحانه مشكور على ذلك
محمود اذ فعل في الارض بتمكينه والطافه وضروب تسهيلاته ومعوناته   الذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون
اية   النقض نقيض الابرام والعهد العقد والعهد الموثق والعهد الالتقاء وهو قريب العهد بكذا
وعهد الله وصيته وامره يقال عهد الخليفة الى فلان كذا اى امره واوصاه به ومنه قوله الم اعهد
اليكم يا بني ادم والميثاق هو ما وقع التوثيق به كما ان الميقات ما وقع التوقيت به ويقال فلان ثقة
يستوي فيه الواحد والجمع والذكر والانثى ويقال ثقات في الرجال والنساء والقطع الفصل بين
الشيئين واصل ذلك في الاجسام ويستعمل ذلك في الاعراض ايضا تشبيها به يقال قطع الحبل
وقطع الكلام والامر هو قول القائل لمن دونه افعل هذه صيغته ثم يصير امرا بارادة الامر للمامور به
وصيغة الامر تستعمل في الاباحة نحو قوله فاصطادوا وفي التهديد نحو قوله اعملوا ما شئتم وفي التحدي
نحو قوله فاتوا بسورة وفي التكوين نحو كقوله كن فيكون والاصل في الجميع الطلب والوصل نقيض الفصل

وهو الجمع بين الشيئين من غير حاجز والخسران النقصان والحسار الهلاك والخاسرون الهالكون واصل الخسران ذهاب
راس المال   الذين ينقضون في موضع النصب لانه صفة للفاسقين واولئك مبتداء والخاسرون خبره وهم
فصل ويجوز ان يكون مبتداء والخاسرون خبره والجملة خبر اولئك وقوله من بعد ميثاقه من مزيدة وقيل معناه
ابتداء الغاية والهاء في ميثاقه عايد الى العهد ويجوز ان يكون عايدا الى اسم الله وقوله ان يوصل بدل من الهاء
التي في به اى ما امر الله ان يوصل فهو في موضع جر   ثم وصف الله تعالى الفاسقين المذكورين في الاية فقال
الذين ينقضون عهد الله اى يهدمونه لا يوفون به وقيل في عهد الله وجوه احدها انه ما ركب في عقولهم من ادلة التوحيد
والعدل وتصديق الرسل وما احتج به لرسله من المعجزات الشاهدة على صدقهم ونقضهم لذلك تركهم الاقرار بما قد
ثبت لهم صحته بالادلة وثانيها انه وصية الله الى خلقه على لسان رسوله بما امرهم به من طاعته ونهاهم عنه عن
معصيته ونقضهم لذلك تركهم العمل به وثالثها ان المراد به كفار اهل الكتاب وعهد الله الذي نقضوه من بعد
ميثاقه هو ما اخذه عليهم في التورية من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والتصديق بما جاء به من عند ربه ونقضهم لذلك هو
جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته وكتمانهم ذلك عن الناس بعد ان اخذ الله ميثاقهم ليبيننه للناس ولا يكتمونه
وانهم ان جاءهم نذير امنوا به فلما جاءهم النذير ازدادوا نفورا ونبذوا العهد وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا
واختار هذا الوجه الطبري ورابعها انه العهد الذي اخذه عليهم حين اخرجهم من صلب ادم كما وردت به القصة
وهذا الوجه ضعيف لانه لا يجوز ان يحتج على عباده بعهد لا يذكرونه ولا يعرفونه ولا يكون عليه دليل وقوله ويقطعون
ما امر الله به ان يوصل معناه امروا بصلة النبي والمؤمنين فقطعوهم عن الحسن وقيل امروا بصلة الرحم والقرابة
فقطعوها عن قتادة وقيل امروا بالايمان بجميع الانبياء والكتب ففرقوا وقطعوا ذلك وقيل امروا بان يصلوا
القول بالعمل ففرقوا بينهما بان قالوا ولم يعملوا وقيل معناه الامر بوصل كل من امر الله بصلته من اوليائه والقطع
والبراءة من اعدائه وهذا اقوى لانه اعم ويدخل فيه الجميع وقوله ويفسدون في الارض قال قوم استدعاؤهم
الى الكفر هو الفساد في الارض وقيل اخافتهم السبيل وقطعهم الطريق وقيل نقضهم العهد وقيل اراد كل معصية
تعدى ضررها الى غير فاعلها والاولى حمله على العموم اولئك هم الخاسرون اى اهلكوا انفسهم فهم بمنزلة من
هلك راس ماله وروي عن ابن عباس ان كل ما نسبه الله من الخسار الى غير المسلمين فانه يعني به الكفر
وما نسبه الى المسلمين فانه يعني به الدنيا   كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم
يحييكم ثم اليه ترجعون اية   قرا يعقوب ترجعون بفتح التاء على ان الفعل لهم والباقون بضم التاء
وفتح الجيم على ما لم يسم فاعله   كيف في الاصل سؤال عن الحال ويتضح ذلك في الجواب اذا قيل كيف رايت
زيدا فتقول مسرورا ومهموما او ما اشبه ذلك فتجيب باحواله فكيف ينتظم جميع الاحوال كما ان كم ينتظم
جميع العدد وما ينتظم جميع الجنس واين ينتظم جميع الاماكن ومن ينتظم جميع العقلاء ومعناه في الاية
التوبيخ وتقديره امتعلقين بحجة تكفرون فيكون منصوب الموضع على الحال والعامل فيه تكفرون وقد ثبت
حجة الله عليهم ومعنى وكنتم وقد كنتم والواو واو الحال واضمار قد جائز اذا كان في الكلام دليل عليه
ومثله قوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم اى قد حصرت صدورهم وهي جملة في موضع الحال وانما وجب
اظهار قد في مثل هذا او تقديرها لان الماضي لا يكون حالا الا وقد انما تكون لتقريب العهد ولتقريب الحال

فيدخوله يصلح ان يكون الفعل الماضي حالا   ثم عاد الله الى الاحتجاج على الكفار في انكارهم البعث وجحودهم
لرسله وكتبه بما انعم به عليهم فقال كيف تكفرون بالله ومن قال هو توبيخ قال معناه ويحكم كيف تكفرون
كما يقال كيف تكفر نعمة فلان وقد احسن اليك ومن قال هو تعجب قال تقديره عجبا منكم على اى
حال يقع منكم الكفر بالله مع الدلايل الظاهرة على وحدانيته والمعجزات القاهرة على صدق من اختصه
برسالته وقيام الحجة الباهرة على وجوب طاعته وشكر نعمته ثم ذكر سبحانه بعض نعمه عليهم فقال وكنتم
امواتا واحياكم اى وحالكم انكم كنتم امواتا وفيه وجوه انهم كانوا امواتا في اصلاب ابائهم يعني
نطفا ثم احياهم احياهم الله ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها ثم احياهم بعد الموت فهما حياتان وموتتان
عن قتاده وثانيها ان معناه لم تكونوا شيئا فخلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيمة عن ابن عباس وابن مسعود
وثالثها ان معناه كنتم امواتا يعني خاملي الذكر فاحياكم بالظهور ثم يميتكم عند تقضي اجالكم ثم يحييكم
للبعث والعرب تسمي كل امر خامل ميتا وكل امر مشهور حيا قال ابو نخيلة السعدي فاحييت من
ذكري وما كنت خاملا ولكن بعض الذكر انبه من بعض ورابعها ان معناه كنتم نطفا في اصلاب
ابائكم وبطون امهاتكم والنطفة موات فاخرجكم الى دار الدنيا احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم في القبر للمسالة ثم
اليه ترجعون اى يبعثكم يوم الحشر للحساب والمجازاة على الاعمال وسمي الحشر رجوعا الى الله تعالى لانه رجوع الى
حيث لا يكون احد يتولى الحكم فيه غير الله كما يقال رجع امر القوم الى الامير ولا يراد به الرجوع من مكان
الى مكان وانما يراد به ان النظر صار له خاصة وانما بدا الله تعالى بذكر الحيوة من بين ساير النعم التي
انعم بها على العبد لان اول نعمة انعم بها عليه خلقه اياه حيا لينفعه وبالحيوة يتمكن الانسان من الانتفاع
والالتذاذ وانما عد الموت من النعم وهو يقطع النعم في الظاهر لان الموت يقطع التكليف فيصل المكلف
بعده الى الثواب الدايم فهو من هذا الوجه نعمة وقيل انما ذكر الموت لتمام الاحتجاج لا لكونه نعمة وفي هذه
الاية دلالة على انه تعالى لم يرد من عباده الكفر ولا خلقه فيهم لانه لو اراده منهم او خلقه فيهم لم يجز ان يضيفه
اليهم بقوله كيف تكفرون كما لا يجوز ان يقول لهم كيف انتم طوالا او قصارا وما اشبه ذلك مما هو من
فعله تعالى فيهم   هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع
سموات وهو بكل شيء عليم اية   اصل الخلق التقدير والجمع الضم ونقيضه الفرق وسميت الجمعة لاجتماع
الناس والاستواء الاعتدال الاستقامة ونقيضه الاعوجاج والسبع للمؤنث والسبعة للمذكر والسبع
مشتق من ذلك لانه مضاعف القوى كانه ضوعف سبع مرات والعليم في معنى العالم قال سيبويه اذا
ارادوا المبالغة عدلوا الى فعيل نحو عليم ورحيم   قال المفسرون لما استعظم المشركون امر الاعادة عرفهم الله
خلق السموات والارض ليدلهم بذلك على قدرته على الاعادة فقال هو الذي خلق لكم اى لاجلكم ما في الارض
جميعا ما في موضع نصب مفعول بها ومعناه ان الارض وجميع ما فيها نعم من الله سبحانه مخلوقة لكم اما
دينية فيستدلون بها على معرفته واما دنياوية فينتفعون منها بضروب النفع عاجلا وقوله ثم استوى
الى السماء فيه وجوه احدها ان معناه قصد الى السماء ولتسويتها كقول القايل كان الامير يدبر امر الشام ثم
استوى الى اهل الحجاز اى تحول فعله وتدبيره اليهم وثانيها انه بمعنى استولى على السماء بالقهر كما قال

لستوا

لستووا على ظهره اى تستقروا ومنه قوله تعالى ولما بلغ اشده واستوى اى تمكن من امره وقهر هواه بعقله فعلى هذا يكون
معناه ثم استوى الى السماء في تفرده بملكها ولم يجعلها كالارض ملكا للخلق ومنه قول الشاعر فلما علونا واستوينا
عليهم تركناهم صرعى لنسر وكاسر وقال اخر ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق وثالثها ان
معناه ثم استوى امره وصعد الى السماء لان اوامره وقضاياه تنزل من السماء الى الارض عن ابن عباس ورابعها
ما روي عن احمد بن يحيى بن ثعلب انه سئل عن معنى الاستواء في صفة الله عز وجل فقال الاستواء الاقبال
على الشيء يقال فلان كان مقبلا على فلان يشتمه ثم استوى علي والي يكلمني على معنى اقبل الي وعلي فهذا معنى
قوله ثم استوى الى السماء وقوله فسويهن سبع سموات التسوية جعل الشيئين او الاشياء على استواء يقال سويت
الشيئين فاستويا وانما قال فسويهن فجمع الضمير العايد الى السماء اسم جنس يدل على القليل والكثير كقولهم
اهلك الناس الدينار والدرهم وقيل السماء جمع سماءة ولذلك يؤنث مرة ويذكر اخرى فقيل السماء منفطر به
كما يفعل ذلك بالجمع الذي بينه وبين واحده الهاء نحو نخيل ونخلة وبقر وبقرة وقيل ان السموات كانت سماء فوق
سماء فهي في التقدير واحدة ويكون الواحد جماعة كما يقال ثوب اخلاق واسمال وبرمة اعشار وارض اغفال
والمعنى ان كل ناحية منها كذلك فجمع على هذا والمعنى جعلهن سبع سموات مستويات بلا فطور ولا امت
قال علي بن عيسى ان السموات غير الافلاك لان الافلاك تتحرك وتدور والسموات لا تتحرك ولا تدور لقوله
تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وهذا قول ضعيف لان قوله ان تزولا معناه لا تزول عن
مراكزها التي تدور عليها ولولا امساكه لزالت عنها سؤال ظاهر قوله تعالى ثم استوى الى السماء يوجب انه
خلق الارض قبل السماء لان ثم للتعقيب والتراخي وقوله في سورة اخرى والارض بعد ذلك دحيها
يخالفه فكيف يجمع بينهما فالجواب معناه ان الله خلق الارض قبل السماء غير انه لم يدحها فلما خلق
السماء دحاها بعد ذلك ودحوها بسطها ومدها عن الحسن وعمرو بن عبيد وقد يجوز ايضا ان لا يكون
معنى ثم وبعد في هذه الايات الترتيب في الاوقات وانما هو على جهة تعداد النعم والتنبيه عليها والاذكار
لها كما يقول القايل لصاحبه اليس قد اعطيتك ثم رفعت منزلتك ثم بعد هذا كله فعلت بك وفعلت و
ربما يكون بعض ما ذكره متقدما في اللفظ كان متاخرا لان المراد لم يكن الاخبار عن اوقات الفعل
وانما المراد التذكير كما قلناه وقوله وهو بكل شيء عليم ولم يقل قدير لانه لما وصف نفسه بالقدرة والاستيلاء
وصل ذلك بالعلم اذ بهما يصح وقوع الفعل على وجه الاتقان والاحكام وايضا فانه سبحانه اراد ان يبين
انه عالم بما يؤول اليه حاله وحال المنعم به عليه فيتحقق بذلك النعمة وفي هذه الاية دلالة على ان صانع
السماء والارض قادر عالم وانه تعالى انما يفعل الفعل لغرض وانه تعالى له على الكفار نعما يجب شكره بها عليهم
وفيها ايضا دلالة على ان الاصل في الاشياء الاباحة لانه ذكر انه خلق ما في الارض لمنفعة العباد ثم
صار حظا لكل واحد منهم فما تفرد كل منهم بالتصرف فيه يحتاج الى دليل   واذ قال ربك
للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون اية   القول موضوع في كلام العرب للحكاية
نحو قولك قال زيد خرج عمرو والرب السيد يقال رب الدار ورب العرش ولا يقال الرب بالالف

والاوامر الا لله تعالى واصله من ربيته اذ اقت بامره ومنه قيل للعالم رباني لانه يقوم بامر الامة والملائكة جمع
ملك واختلف في اشتقاقه فذهب اكثر العلماء الى انه من الالوكة وهي الرسالة وقال الخليل الالوك الرسالة
وهي المالكة والمالكة على مفاعلة وقال غيره انما سميت الرسالة الوكا لانها تولك في الفم اي تمضغ والفرس
تالك اللجام وتعلك قال عدي بن زيد ابلغ النعمان عني مالكا انه قد طال حبسي وانتظاري ويروى
ملاكا وقال لبيد وغلام ارسلته امه بالوك فبذلنا ما سال وقال الهذلي الكني اليها وخير الرسول
اعلمهم بنواحي الخبر فالملائكة على هذا وزنها مفاعلة لانها مقلوبة جمع نحو ملاك في معنى مالك قال
الشاعر فلست لانسي ولكن لملاك تنزل من جو السماء يصوب ووزن ملاك مفعل مقلوب مالك مفعل
ومن العرب من يستعمله مهموزا والجمهور منهم على القاء حركة الهمزة على اللام وحذفها فيقال ملك وذهب
ابو عبيدة الى انه اصله من لاك اذا ارسل فملاك على هذا القول مفعل وملائكة مفاعلة غير مقلوبة والميم
في هذا الوجهين زايده وذهب ابن كيسان الى انه من الملك وان كان اصله الرسالة فقد صار صفة غالبة
على صنف من رسل الله غير البشر كما ان السماء وان كان اصله الارتفاع فقد صار غالبا على السموات المعروفة
وقال اصحابنا رضي الله عنهم ان جميع الملائكة ليسوا برسل الله بدلالة قوله تعالى ان الله يصطفي من الملائكة
رسلا ومن الناس فلو كانوا كلهم رسلا لكانوا جميعهم مصطفين فعلى هذا يكون الملك اسم جنس ولا
يكون من الرسالة والجعل والخلق والفعل والاحداث نظاير الا ان الجعل تعلق بالشيء الا على سبيل الايجاد
بخلاف الفعل والاحداث يقول جعلته متحركا وحقيقة الجعل تغير الشيء عما كان عليه وحقيقة الفعل والاحداث
الايجاد والخليفة والامام واحد في الاستعمال الا ان بينهما فرقا فالخليفة من استخلف في الامر مكان
من كان قبله فهو ماخوذ من انه خلف غيره وقام مقامه والامام ماخوذ من التقدم فهو المتقدم
فيما يقتضي وجوب الاقتداء به وفرض طاعته فيما تقدم فيه والسفك صب الدم والدم قد اختلف في
وزنه فقال بعضهم دمي على وزن فعل قال الشاعر فلو انا على حجر ذبحنا جرى الدميان بالخبر اليقين
وقيل اصله دمي على فعل والشاعر لما رد الياء في التثنية لقلة الاسم حركه ليعلم انه كان متحركا قبل
ذلك والتسبيح التنزيه لله تعالى عن السوء وعما لا يليق به والسبوح المستحق للتنزيه والتعظيم والقدوس
المستحق للتطهير والتقديس التطهير ونقيضه التنجيس والقدس السطل الذي يتطهر منه وقد حكى
سيبويه ان منهم من يقول سبوح قدوس بالفتح والضم اكثر في الكلام والفتح اقيس لانه ليس في
الكلام فعول الا ذروح وسبحان اسم المصدر قال سيبويه سبحان الله يعني براءة الله من كل
شر وتنزيه الله قال الاعشى اقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر اي براءة منه قال
وهو معرفة علم خاص لا ينصرف للتعريف والزيادة وقد اضطر الشاعر فنونه قال امية سبحانه
ثم سبحانا نعوذ له وقبله سبح الجودي والجمد وهو مشتق من السبح الذي هو الذهاب ولا يجوز
ان يسبح غير الله وان كان منزها لانه صار علما في الدين على اعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها
سواه كما ان العبادة هي غاية في الشكر لا يستحقها سواه قال ابو عبيدة اذ ها هنا زايدة
وانكر الزجاج وغيره عليه هذا القول وقالوا ان الحرف اذا افاد معنى صحيحا لم يجز الغاؤه قال
الزجاج ومعناها الوقت ولما ذكر الله خلق الناس وغيرهم فكانه قال ابتدا خلقكم اذ قال ربك

للملائكة

للملائكة وقال علي بن عيسى تقديره اذكر اذ قال ربك للملائكة فموضع اذ نصب على اضمار فعل والواو عاطفة جملة على جملة
واني جاعل في الارض خليفة جملة في موضع نصب بقال وقوله اتجعل فيها الى قوله ونقدس لك في موضع نصب
بقالوا والواو في قوله ونحن واو الحال ويسمى واو القطع وواو الاستيناف وواو الابتداء وواو اذ كذا كان
يمثلها سيبويه ومثله الواو في قوله يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم اي اذ طائفة وكذا ها هنا اذ
نحن نسبح والعامل في الحال ما هنا اتجعل كانه قال اتجعل فيها من يفسد فيها ونحن حاليا والباء في بحمدك تتعلق
بنسبح لك واللام من لك يتعلق بنقدس وما موصول وصلته لا تعلمون والعايد ضمير للمفعول حذف لطول الكلام
اي لا تعلمونه وهي موضع نصب باعلم اذ يا محمد اذ قال ربك للملائكة قيل انه خطاب لجميع الملائكة وقيل
خطاب لمن اسكنه الارض بعد الجان من الملائكة عن ابن عباس اني جاعل في الارض خليفة اي خالق في
الارض خليفة اراد بالخليفة ادم عم فهو خليفة الله في الارض يحكم بالحق الا انه تعالى كان اعلم ملائكته انه
يكون من ذريته من يفسد فيها عن ابن عباس وابن مسعود وقيل انما سمى الله تعالى ادم خليفة لانه جعل ادم
وذريته خلفاء للملائكة لان الملائكة كانوا من سكان الارض وقيل كان في الارض الجن فافسدوا فيها و
سفكوا الدماء فاهلكوا فجعل ادم وذريته بدلهم عن ابن عباس وقيل عني بالخليفة ولد ادم يخلف بعضهم
بعضا وهم خلفوا اباهم في اقامة الحق وعمارة الارض عن الحسن البصري وقيل اراد بالارض مكة لان النبي صلعم
قال دحيت الارض من مكة ولذلك سميت ام القرى وروي ان قبر نوح وهود وصالح وشعيب بين زمزم
والركن والمقام والظاهر انه الارض المعروفة وهو الصحيح وقوله قالوا يعني الملائكة لله تعالى اتجعل فيها اي في
الارض من يفسد فيها بالكفر والمعاصي ويسفك الدماء بغير حق وذكر فيه وجوه احدها ان خلقا يقال
لهم الجان كانوا في الارض فافسدوا فيها فبعث الله ملائكة اجلتهم من الارض وكان هؤلاء الملائكة
سكان الارض بعدهم فقالوا يا ربنا اتجعل فيها من يفسد فيها كما فعل بنو الجان قاسوا بالشاهد على الغايب
وهو قول كثير من المفسرين وثانيها ان الملائكة انما قالت ذلك على سبيل الاخبار فكانهم قالوا يا الله ان
كان هذا كما ظننا فعرفنا ما وجه الحكمة فيه وثالثها ان الله تعالى اخبر الملائكة بانه سيكون من ذرية هذا
الخليفة من يعصي ويسفك الدماء على ما روي عن ابن عباس وابن مسعود والغرض في اعلامه اياهم ان
يزيدهم يقينا على علمه بالغيب لانه وجد بعد ذلك على ما اخبرهم به وقيل ليعلم ادم انه خلق للارض لا للجنة
فقالت الملائكة اتجعل فيها من يفعل كذا وكذا على وجه التعرف لما في هذا التدبير والاستفادة لوجه الحكمة
فيه وهذا الوجه يقتضي ان يكون في اول الكلام حذف ويكون التقدير اني جاعل في الارض خليفة واني
عالم بانه سيكون في ذريته من يفسد ويسفك الدماء فحذف اختصارا وكذلك قوله اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك في ضمنه اختصار شديد اي فنحن على ما نظنه ونظهره
لنا من الامر اولى بالخلافة في الارض لانا نطيع وغيرنا يعصي وفي قوله ايضا اني اعلم ما لا تعلمون اختصار
ايضا لانه يتضمن اني اعلم من مصالح المكلفين ما لا تعلمونه وما يكون مخالفا لما تظنونه على ظواهر الامور
ومثل هذه الحذوف العجيبة والاختصارات البديعة كثير في القران والحذف معدود في انواع الفصاحة
اذا كان فيما ابقي دليل على ما القي ومما جاء منه في الشعر قال الشنفرى لا تقبروني ان قبري محرم عليكم

ولكن خامري ام عامري اي لا تدفنوني بل دعوني تاكلني التي يقال لها خامري يعني الضبع وقول ابي داود من شمي
لبذلي تلادي دون عرضي فان رضيت فكوني اى فكوني على ما انت عليه وان سخطت فبيني فحذف وقال
عنترة هل يبلغني دارها شدنية لعنت بمحزوم الشراب مصرم اى دعي عليها بانقطاع لبنها وجفاف ضرعها
فصارت كذلك والناقة اذا كانت تنتج كان اقوى لها على السير وانما ارادت الملائكة بقولهم اتجعل فيها
من يفسد فيها ولد ادم الذين ليسوا بانبيا ولا بمعصومين لا ادم نفسه ومن تجرى مجراه من الانبيا
والمعصومين ومعنى قولهم ونحن نسبح بحمدك نتكلم بالحمد لك والنطق بالحمد لله تسبيح له كقوله تع والملائكة
يسبحون بحمد ربهم وانما يكون حمد الحامد لله سبحانه تسبيحا لان معنى الحمد لله الثناء عليه والشكر له وهذا
تنزيه له واعتراف بانه اهل لان ينزه ويعظم ويثنى عليه عن مجاهد وقيل معنى نسبح بحمدك نصلي لك كقوله
فلولا انه كان من المسبحين اى من المصلين عن ابن عباس وابن مسعود وقيل هو رفع الصوت بذكر الله
عن المفضل ومنه قول جرير قبح الاله وجوه تغلب كلما سبح الحجيج وكبروا اهلالا وقوله ونقدس لك
اى ننزهك عما لا يليق بك من صفات النقص ولا نضيف اليك القبائح فاللام على هذا زايدة اى نقدسك
وقيل نقدس لك اى نصلي لاجلك وقيل نطهر انفسنا من الخطايا والمعاصي قال انى اعلم ما لا تعلمون
قيل اراد ما اضمره ابليس من الكبر والعجب والمعصية لما امره الله تع بالسجود لادم عن ابن مسعود وابن
عباس وقيل اراد اعلم من فى ذرية ادم من الانبياء والصالحين عن قتاده وقيل اراد به ما اختص
تع بعلمه من تدبير المصالح وروى عن ابي عبد الله ع انه قال ان الملائكة سالت الله تع ان يجعل الخليفة
منهم وقالوا نحن نقدسك ونطيعك ولا نعصيك كغيرنا قال فلما اجيبوا بما ذكر فى القران علموا انهم
تجاوزوا ما لهم فلاذوا بالعرش استغفارا فامر الله تعالى ادم بعد هبوطه ان يبنى له فى الارض
بيتا يلوذ به المخطئون كما لاذ بالعرش الملائكة المقربون فقال الله تع للملائكة انى اعرف بالمصلحة
منكم وهو معنى قوله انى اعلم ما لا تعلمون وهذا يدل على انه تعالى لا يفعل القبيح لانه لو كان يحسن
منه كل شي لم يكن لهذا الكلام معنى لانه انما يفيد فى الجواب متى حمل على انه اراد انى اعلم بالمصالح
فاعمل ما هو اصلح واتصال هذه الاية بما قبلها ان الله تع ذكر اول النعم علينا وهي نعمة الحيوة ثم
ذكر بعده انعامه علينا بخلق الارض وما فيها وبخلق السماء ثم اراد ان يذكر نعمته علينا بخلق ابينا
ادم ع وما اعطاه من الفضيلة فكانه قال اذكر لهم كيف تكفرون بالله وقد فعل بكم كذا وكذا وانعم عليكم
كذا وكذا وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان
كنتم صادقين قرا اهل المدينة واهل البصرة هؤلاء بمدة واحدة ولا يمدون هاء الاعلى قدر
خروج الالف ويمدون اولاء كانهم يجعلونه كلمتين والباقون يمدون مدتين فى كل القران فاما
الهمزتان فى كلمتين نحو هؤلاء ان كنتم ونحوها فابو جعفر ونافع برواية ورش وابن كثير برواية
القواس ويعقوب يهمزون الاولى ويخففون الثانية ويشيرون بالكسر اليها وكذلك يفعلون فى كل
همزتين متفقتين يلتقيان من كلمتين مكسورتين كانتا او مضمومتين فالمكسورتان على
البغاء ان والمضمومتان اولياء اولئك ليس فى القران غيره والمفتوحتان جاء احدكم وشاء انشره

والبزي

والبزي بهمزة واحدة فيه كان احديهما اصلا اذا كانتا متفقتين ونافع برواية اسمعيل وابن كثير برواية ابن فليح
بتليين الاولى وتحقيق الثانية واذا اختلفا فاتفقوا على همز الاولى وتليين الثانية نحو السفهاء الا والبغضاء الى
يوم القيمة فاما ابن عامر وعاصم والكسائي فانهم يهمزون همزتين فى جميع ذلك متفقتين كانتا او مختلفتين
اما الحذف والتليين فللتخفيف واما الهمزة فالحمل على الاصل فى اشتقاق ادم قولان احدهما انه ماخوذ
من اديم الارض فاذا اسميت به فى هذا الوجه ثم نكرته صرفته والثاني انه ماخوذ من الادمة على معنى اللون و
الصفة فاذا اسميت به على هذا الوجه ثم نكرته لم تصرفه والادمة والسمرة والدكنة والورقة متقاربة المعنى وادم
ابو البشر ع قال صاحب العين الادمة فى الناس شربة على سواد وهي السمرة وفى الابل والظبا بياض وكل لفظة عموم
على وجه الاستيعاب وحقيقته للاحاطة بالابعاض يقال ابعض القوم جاءك ام كلهم ويكون تاكيدا مثل اجمعون
الا انه يبدا فى الذكر بكل كقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون لان كلا قد يلي العوامل واجمعون لا يكون الا
تابعا والعرض من قولهم عرضت الشي عليه وعرضت الجند قال الزجاج اصله فى اللغة الناحية من نواحي الشي
فمن ذلك العرض خلاف الطول وعرض الرجل ما يمدح به او يذم ويقال عرضه الخليقة المحمودة ويقال عرضه
حسبه وقال على بن عيسى هو ناحيته التي يصونها عن المكروه والسب ما يعرض فى الجسم ويغير صفته ويقال
عرضت المتاع على البيع عرضا اى اظهرته حتى عرفت جهته الابناء والاعلام والاخبار واحد والنبأ الخبر
ويقال منه انباه وانبأته وانبئوني باسماء هؤلاء اى اخبروني بها واما المتعدي الى ثلثة مفعولين نحو انبأت
زيدا عمرا خير الناس وكذلك نبأت فهو هذا فى الاصل الا انه على المعنى حمل فعدى الى ثلثة مفعولين لان الانباء
بمعنى الاعلام ودخول هذا المعنى فيه وحصول مشابهته للاعلام لم يخرجه عن الاصل الذي هو له من الاخبار
وعن ان يتعدى الى مفعولين احدهما بالباء او بعن نحو نبئهم عن ضيف ابرهيم والنبوة اذا اخذت من
الانباء فهي مهموزه وقد روى عن النبي صلعم انه قال لا تنبؤا باسمي لرجل قال له يا نبي الله مهموزا والنبي بغير الهمز
الطريق الواضح ياخذ بك الى حيث تريد والفرق بين الاعلام والاخبار ان الاعلام قد تكون بخلق العلم
الضروري فى القلب كما خلق الله من كمال العقل والعلم بالمشاهدات وقد يكون بنصب الادلة على الشي والاخبار
هو اظهار الخبر علم به او لم يعلم ولا يكون مخبرا بما يحدثه من العلم فى القلب كما يكون معلما بذلك
ثم ابان سبحانه وتع للملائكة فضل ادم عليهم وعلى جميع خلقه بما خصه به من العلم فقال سبحانه وعلم ادم
الاسماء كلها اى علمه معاني الاسماء اذ الاسماء بلا معان لا فايدة فيها ولا وجه لاشارة الفضيلة بها وقد نبه
الله تع الملائكة على ما فيها من لطيف الحكمة فاقروا عندما سئلوا عن ذكرها والاخبار عنها انه لا علم
لهم بها فقال الله تع يا ادم انبئهم باسمائهم عن قتاده وقيل انه سبحانه علمه جميع الاسماء والصناعات
وعمارة الارضين والاطعمة والادوية واستخراج المعادن وغرس الاشجار ومنافعها وجميع ما يتعلق
بعمارة الدين والدنيا من ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعن اكثر المتاخرين وقيل انه علمه
اسماء الاشياء كلها ما خلق وما لم يخلق بجميع اللغات التي يتكلم بها ولده بعده عن ابي على الجبائي وعلى
بن عيسى وغيرهما قالوا فاخذ عنه ولده اللغات فلما تفرقوا تكلم كل قوم بلسان الفوه واعتادوه وتطاول
الزمان على ما خالف ذلك فنسوه ويجوز ان يكونوا عالمين بجميع تلك اللغات الى زمن نوح ع فلما اهلك الله

الناس الا نوحا ومن تبعه كافرين بتلك اللغات فلما كثروا وتفرقوا اختار كل قوم منهم لغة تكلموا بها وتركوا ما
سواه ونسوه وقد روى عن الصادق انه سئل عن هذه الاية فقال الارضين والجبال والشعاب والاودية ثم
نظر الى بساط تحته فقال هذا البساط مما علمه وقيل انه علمه اسماء الملائكة واسماء ذريته عن الربيع وقيل انه علمه
القاب الاشياء ومعانيها وخواصها وهو ان الفرس يصلح لماذا والحمار يصلح لماذا وهذا ابلغ لان معانى
الاشياء وخواصها لا تتغير بتغير الازمنة والاوقات والقاب الاشياء يتغير على الازمنة وقال بعضهم ان
الله تعالى لم يعلمه اللغة العربية فان اول من تكلم بالعربية اسمعيل ع وقالوا ان الله جعل الكلام معجزة لثلثة من
الانبياء ادم واسماعيل ومحمد ص ثم اختلف فى كيفية تعليم الله تعالى ادم الاسماء فقيل علمه بان اودع قلبه
معرفة الاسماء وفتق لسانه بها فكان يتكلم بتلك الاسماء كلها وكان ذلك معجزة له لكونه ناقضا للعادة
وقيل علمه اياها بان اضطره الى العلم بها وقيل علمه لغة الملائكة ثم علمه بتلك اللغة ساير اللغات وقيل انما
علمه اسماء الاشخاص بان احضر تلك الاشياء وعلمه اسماءها فى كل لغة وانه لاى شئ يصلح واى نفع فيه
واى ضرر وقوله ثم عرضهم على الملائكة روى عن ابن عباس انه قال عرض الخلق وعن مجاهد انه قال عرض
الاسماء وعلى هذا يكون معناه ثم عرض المسميات على الملائكة وفيهم من يعقل ومن لا يعقل فقال عرضهم
على العقلاء فاجرى على الجميع كناية من يعقل كقوله والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم
من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على اربع اجرى عليهم كناية من يعقل وفى قراءة ابى ثم عرضها وفى
قراءة ابن مسعود ثم عرضهن وعلى هاتين القراءتين يصلح ان يكون عبارة عن الاسماء دون المسميات واختلف
فى كيفية العرض على الملائكة فقيل انما عرضها على الملائكة بان خلق معانى الاسماء التى علمها ادم حين
شاهدها الملائكة وقيل صور فى قلوبهم هذه الاشياء فصارت كانهم شاهدوها وقيل عرض عليهم من كل
جنس واحد واراد بذلك تعجيزهم فان الانسان اذا قيل له ما اسم شئ صفته كذا وكذا فلم يعلم كان ابلغ
عذرا من عرض عليه شئ بعينه وسئل عن اسمه فلم يعرفه وبين ذلك ان ادم اصلح للخلافة لتدبير الارض
وعمارتها لاهتدائه الى ما لا يهتدى الملائكة اليها من الصناعات المختلفة وحرث الارض وزراعتها
وانباط الماء واستخراج الجواهر من المعادن وقعر البحار ولطايف الحكمة وهذا يقوى قول من قال
انه علمه خواص الاشياء واراد به انكم اذا عجزتم عن معرفة هذه الاشياء مع مشاهدتكم لها فانتم عن
معرفة الامور المغيبة عنكم اعجز فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ان سئل فقيل ما الذى
ادعت الملائكة حتى خوطبوا بهذا وكيف امرهم الله سبحانه ان يخبروا بما لا يعلمون فالجواب ان للعلماء
فيه وجوها من الكلام احدها ان الله تعالى لما اخبر الملائكة بانه جاعل فى الارض خليفة نحن نحن نفوسنها
انه ان كان الخليفة منهم بدلا من ادم وذريته لم يكن فى الارض فساد وسفك دم كما يكون فى ولد
ادم وان كان الله لا يفعل الا ما هو الاصلح فى التدبير والاصوب فى الحكمة فقال لهم انبئونى
باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فيما ظننتم من هذا المعنى ليدلهم على انهم اذ لم يعلموا باطن ما
شاهدوه فهم من ان يعلموا باطن ما غاب عنهم ابعد وثانيها انه خطر ببالهم انه لم يخلق الله خلقا
الا وهم اعلم منه وافضل فى ساير انواع العلم فقيل ان كنتم صادقين فى هذا الظن فاخبروه بهذه

الاسماء

الاسماء وثالثها ان المراد ان كنتم صادقين فى انكم تعلمون لم اجعل فى الارض خليفة فانبئونى باسماء هؤلاء لان كل واحد
من الامرين من علم الغيب فكما لم تعلموا احدهما لا تعلمون الاخر عن ابن عباس ورابعها ما قاله الاخفش والجبائى
وعلى بن عيسى وهو ان المراد ان كنتم صادقين فيما تخبرون به من اسمائهم فاخبروا بها وهذا كقول القايل
لغيره اخبر بما فى يدى ان كنت صادقا اى ان كنت تعلم فاخبر به لانه لا يمكنه ان يصدق فى مثل ذلك الا اذا
اخبر عن علم منه ولا يصح ان يكلف ذلك الا مع العلم به ولا بد اذا استدعوا الى الاخبار عما لا يعلمون من ان يشرط
هذا الشرط وعلى هذا فيكون لفظة الامر ومعناه التنبيه ويكون امرا مشروطا كما يقول العالم للمتعلم ما تقول
فى كذا ويعلم انه لا يحسن الجواب لينبهه عليه ويحثه على طلبه والبحث عنه ولو قال له اخبر بذلك ان كنت
تعلم وان كنت صادقا لكان حسنا فاذا انبه على انه لا يمكنه الجواب اجاب به فيكون بجوابه بهذا التدريج اثبت
فى قلبه واوقع فى نفسه ولا يجوز ان يكون ذلك تكليفا لانه لو كان تكليفا لم يكن تنبيها لهم ان ادم ع
يعرف اسماء هذه الاشياء بتعريف الله تعالى اياه وتخصيصه من ذلك بما لا يعرفونه هم ولما اراد تعريفهم ما خص
به ادم ع من ذلك علمنا انه ليس بتكليف وفى هذه الاية دلالة على شرف العلم واهله من حيث ان الله
سبحانه لما اراد تشريف ادم ع اختصه بعلم ابانه به من غيره وفضله به على من سواه قالوا
سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم اية الحكمة نقيض السفه والاحكام الاتقان والحكيم
المانع من الفساد ومنه حكمة اللجام لانها تمنع الفرس من الجرى الشديد وقال جرير ابنى حنيفة احكموا
سفهاءكم انى اخاف عليكم ان اغضبا اى امنعوهم والحكمة هى التى تدل على مر الحق الذى لا يخلطه باطل
والصدق الذى لا يشوبه كذب ومنه قوله حكمة بالغة ورجل حكيم اذا كان ذلك شانه وكانت معه اصول
من العلم والمعرفة ويقال حكم يحكم فى الحكم بين الناس وحكم يحكم اذا صار حكيما والحكمة فى الانسان هى العلم
الذى يمنع صاحبه من الجهل سبحانك نصب على المصدر قال سيبويه سبحن الله تسبيحا وسبحانا
اسم يقوم مقام المصدر واللام من قوله لنا يتعلق بمحذوف فيكون بجملة ظرفية فى موضع رفع بالخبر
لان لا علم فى موضع رفع بدل من موضع بالابتداء وما علمتنا موصول وصلة والضمير من علمتنا العائد
اليه محذوف تقديره وما علمتناه وهو فى موضع رفع بدل من موضع لا علم وانت يجوز ان يكون فصلا
فيكون لا موضع له من الاعراب وخبره ان العليم الحكيم ويجوز ان يكون مبتداء والجملة خبر ان
ثم اخبر سبحانه عن الملائكة بالرجوع اليه والتسليم لامره فقال قالوا سبحانك اى تنزيها لك وتعظيما
عن ان يعلم الغيب احد سواك عن ابن عباس وقيل تنزيها لك عن الاعتراض عليك فى حكمك وقيل
انهم ارادوا ان يخرجوا الجواب مخرج التعظيم فقالوا تنزيها لك عن فعل كل قبيح وان كنا لا نعلم وجه الحكمة
فى افعالك وقيل انه على وجه التعجب لسؤالهم عما لا يعلمون وقوله لا علم لنا الا ما علمتنا معناه انا لا نعلم
الا بتعليمك وليس هذا مما علمتنا ولو انهم اقتصروا على قولهم لا علم لنا لكان كافيا فى الجواب لكن
ارادوا ان يضيفوا الى ذلك التعظيم له والاعتراف بانعامه عليهم بالتعليم وان جميع ما يعلمونه ليتم هم
على انهم لا يعلمون الا ما علمهم الله وليرفع به درجة ادم ع عندهم بانه علمهم ما لم يعلموه وقوله انك انت
العليم اى العالم بجميع المعلومات لانه من صفات ذاته وهو مبالغة العالم وقيل انهم اثبتوا له ما نفوه

عن انفسهم اى انت العالم من غير تعليم ونحن المعلمون وقوله الحكيم يحتمل امرين احدهما انه بمعنى العالم
لان العالم بالشئ يسمى بانه حكيم فعلى هذا يكون من صفات الذات مثل العالم ويوصف بهما
لم يزل لان ذلك واجب في العالم لنفسه والثاني ان معناه المحكم لافعاله فيكون فعيلا بمعنى مفعل
وهذا يكون من صفات الافعال ومعناه ان افعاله كلها حكمة وصواب وليس فيها تفاوت
ولا وجه من وجوه القبح وعلى هذا فلا يوصف بذلك فيما لم يزل وروى عن ابن عباس انه قال
العليم الذى كمل فى علمه والحكيم الذى كمل فى حكمته وفى هذه الاية دلالة على ان العلوم كلها من
جهة الله تعالى وانما كان كذلك لان العلوم لا تخلوا اما ان تكون ضرورية فهو الذى فعلها واما
ان تكون استدلالية فهو الذى اقام الادلة عليها فلا علم لاحد الا ما علمه الله تعالى
قال يا ادم انبئهم باسمائهم فلما انبئهم باسمائهم قال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض
واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون اية روى عن ابن عباس انبئهم بالهمز وكسر الهاء اذا وليها
كسرة او ياء نحو بهم او عليهم والباقون بضم الهاء قال ابو على من ضم الهاء حملها على الاصل
ان يكون هاء الضمير مضمومة واما بكسر الهاء اذا وليها كسرة او ياء نحو بهم او عليهم وعلى هذا فقد ضم
قوم حملا على الاصل لان الاصل ان يكون ضمة ومن كسر الهاء التى قبلها همزة مخففة فان ذلك وجها من
القياس وهو انه اتبع كسرة الهاء الكسرة التى قبلها ولم يعتد بالحاجز الساكن كما حكى عنهم هذا المرء
ورايت المرء ومررت بالمرء فاتبعوا مع هذا الفصل كما اتبعوا فى اللغة الاخرى هذا امرؤ ورايت امرأ
ومررت بامرئ وحكى ابو زيد عن بعض العرب اخذت هذا منه ومنهما ومنهم فكسر المضمر فى الادراج
والوقف ولم اعرفه ولم اضربه الابناء الاظهار والاعلان بمعنى واحد وضد الابدا الكتمان
وضد الاظهار الابطان وضد الاعلان الاسرار ويقال بدا يبدو بدوا من الظهور وبدا يبدا وابدا
بالهمز بمعنى استانف وقال على بن عيسى الرمانى حد الظهور الحصول على حقيقة يمكن ان يعلم بسهولة
والله سبحانه ظاهر بادلته باطن عن احساس خلقه وكل استدلال فانما هو ليظهر شئ بظهور غيره
ادم منادى مفرد معرفة مبنى على الضم ومحله نصب لان المنادى مدعو والمدعو مفعول
ثم خاطب الله تعالى ادم فقال يا ادم انبئهم باسمائهم يعنى باسماء الذين عرضهم عليهم وهو كناية عن
المرادين بقوله اسماء هؤلاء وقد مضى بيانه فلما انباهم يعنى اخبرهم ادم باسمائهم اى باسم كل شئ ومنافعه
ومضارة قال الله تعالى للملائكة الم اقل لكم الالف للتنبيه وان كان اصله الاستفهام كقول القايل اما
ترى اليوم ما اطيبه لم يعلم ذلك وحكى سيبويه اما ترى اى برق ها هنا ومن الناس من يقول ان
هذه الالف معناها التوبيخ ومن لم يجز على الملائكة معصية منع من ذلك انى اعلم غيب السموات والارض
اى اعلم ما غاب فيهما عنكم فلم تشاهدوه كما اعلم ما حضركم فشاهدتموه واعلم ما تبدون وما كنتم
تكتمون قيل فيه اقوال احدها انه اراد اعلم سركم وعلانيتكم وذكر ذلك تنبيها لهم على ما يحملهم عليه
من الاستدلال لان الاصول الاول التى يستدل بها انما تذكر على وجه التنبيه ليستخرج بها غيرها
فيستدل بعلمه الغيب على انه خلق عباده على ما خلقهم عليه للاستصلاح فى التكليف وما يوجبه

الحكمة

الحكمة وثانيها انه اراد اعلم ما تبدون من قولكم اتجعل فيها من يفسد فيها وما كنتم تكتمون من اضمار ابليس المعصية والمخالفة
قال على بن عيسى وهذا ليس بالوجه لان الخطاب للملائكة وليس ابليس منهم ولانه عام فلا يخص الا بدليل وجوابه ان ابليس
لما دخل معهم فى الامر بالسجود جاز ان يذكر فى جملتهم وقد رويت روايات تؤيد هذا القول واختاره الطبرى وثالثها
ان الله تعالى لما خلق ادم مرت به الملائكة قبل ان ينفخ فيه الروح ولم يكن رات مثله فقالوا لن يخلق الله خلقا الا
كنا اكرم منه وافضل عنده فهذا ما اخفوه وكتموه واما ما ابدوه فقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وروى ذلك
عن الحسن والاول اقوى لانه اعم ومما يسئل فى هذه الاية ان يقال ما وجه ذكره تعالى لهم الاسرار من علم الغيب
الجواب انه على معنى الجواب فيما سالوا عنه من خلق من يفسد ويسفك الدماء على وجه التعريض دون التصريح
لانه لو صرح بذلك لقال خلقت من يفسد ويسفك الدماء لما اعلم فى ذلك من المصلحة لعبادى فيما كلفتهم
اياه فدل سبحانه بالاحالة فى الجواب على العلم بباطن الامور وظاهرها انه خلقهم لاجل علمه بالمصلحة فى ذلك
ودلهم بذلك على ان عليهم الرضا بامر الله والتسليم لقضاء الله لانه يعلم من الغيب ما لا يعلمونه ويعلم من
مصالحهم فى دينهم ودنياهم ما لا يطلعون عليه فان قيل واى شئ فى تعليم الله تعالى ادم الاسماء كلها مما يدل
على علمه الاسماء كلها بما فيها من المعانى التى تدل عليها على جهة فتق لسانه بذلك والهامه اياها فهى معجزة
اقامها الله للملائكة تدل على نبوته وجلالة قدره وارتفاع شانه بما اختصه به من العلم الذى لا يوصل اليه الا
بتعليم الله عز وجل ودلهم على ذلك بان قررهم اولا فاقروا ان لا علم لهم به ثم اظهر لهم ان ادم تعلمه بتعليم الله
اياه فبان بذلك الاعجاز بالاطلاع الى ما لا سبيل الى علمه الا من علام الغيوب وفيه من المعجزة انه فتق لسانه
على خلاف مجرى العادة وانه علم من لطايف الحكمة فيما لا تعلمه الملائكة مع كثرة علومها وانها اعرف الخلق
بربها فعرفوا ما دلهم على علم الغيب بالمعجزة مؤكدا لما يعلمونه من ذلك بالادلة العقلية ولذلك نبههم فقال
الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض اى قد دللتكم على ذلك قبل وهذه دلالة بعده وقد افتتح الله الدلالة
على الاعجاز بالكلام فى ادم ثم ختم بنبى محمد صلى الله عليه وآله قال السيد الاجل المرتضى قدس الله روحه وفى هذه الاية
سؤال لم اجد احدا من مفسرى القران تعرض له وذلك ان يقال من اين علمت الملائكة صحة قول ادم ومطابقة
الاسماء المسميات وهى لم تكن عالمة بذلك من قبل والكلام يقتضى انهم لما انباهم ادم بالاسماء علموا صحتها
ولولا ذلك لم يكن لقوله تعالى الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض معنى ولا كانوا ايضا مستفيدين
نبوته وتميزه واختصاصه بما ليس لهم لان كل ذلك انما يتم مع العلم والجواب انه غير ممتنع ان يكون الله تعالى
فعل لهم العلم الضرورى بصحة الاسماء ومطابقتها للمسميات اما عن طريق او ابتداء بلا طريق فعلموا بذلك
تميزه واختصاصه وليس فى علمهم بصحة ما اخبر به ضرورة ما يقتضى العلم بنبوته ضرورة بل بعده درجات
ومراتب لا بد من الاستدلال عليها حتى يحصل العلم بنبوته ووجه اخر وهو انه لا يمتنع ان يكون للملائكة
لغات مختلفة فكل قبيل منهم يعرف اسماء الاجناس فى لغته دون لغة غيره الا ان يكون احاطة عالم واحد
باسماء الاجناس فى جميع لغاتهم خارقة للعادة فلما اراد الله تعالى التنبيه على نبوة ادم علمه جميع تلك الاسماء
فلما اخبرهم بها علم كل فريق مطابقة ما خبر به من الاسماء للغته وعلم مطابقة ذلك لها فى اللغات بخبر كل
فريق وقبيل وعلى هذا الجواب فيكون معنى انبئونى باسماء هؤلاء ليخبرنى كل قبيل منكم بجميع الاسماء وهذا

الجوابان مبنيان على انه لم يتقدم لهم العلم بنبوة ادم وان اخباره بالاسماء كان مفتتح معجزاته لانه لو كان نبيا
قبل ذلك وكانوا قد علموا نبوته بمعجزات تقدم ظهورها على هذه لم يحتج الى هذين الجوابين لانهم يعلمون مطابقة
الاسماء للمسميات بعد ان يعلموا بقوله الذى علموا انه حق وصدق واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم
فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين اية قرا ابو جعفر وحده للملائكة اسجدوا بضم
التاء حيث وقع وكذلك رب احكم بضم الباء اتبع التاء ضم الجيم وقيل انه نقل ضمة الهمزة لو ابتدى بها
والاول اقوى لان الهمزة تسقط فى الدرج فلا يبقى فيها حركة تنقل السجود الخضوع والتذلل فى اللغة
وهو فى الشرع عبارة عن عمل مخصوص فى الصلوة كالركوع والقنوت وغيرهما وهو وضع الجبهة على الارض
ويقال سجد واسجد اذا خضع قال الاعشى من برهودة يسجد غير متيبب اذا تعمم فوق الراس او خضعا
وقال الاخر فكلتاهما خرت واخضع راسها كما سجدت نصرانة لم تحوف ودنا سجد اذا كن فاترات العين
ولهوى الى حور المدامع سجد والاسجاد الاطراق وادامة النظر فى فتور وسكون قال اعزك منى ان ذلك
عندنا واسجاد عينيك الصيودين رابح وابى معناه ترك الطاعة وامتنع والاباء والترك والامتناع
بمعنى ونقيض ابا اجاب ورجل ابى من قوم اباء وليس الاباء بمعنى الكراهة لان العرب تتمدح بانها
تابى الضيم ولا تمدح فى كراهية الضيم وانما المدح فى الامتناع منه كقوله تعـ ويابى الله الا ان يتم نوره
اى يمنع الكافر من اطفاء نوره والاستكبار والتكبر والتعظيم والتجبر نظاير وضده التواضع وحقيقة
الاستكبار الانفة مما لا ينبغى ان يونف منه وقيل هذه الدفع للنفس الى منزلة لا يستحقها فاصل
الباب الكبر وهو العظم ويقال على وجهين كبير الجثة وكبير الشان وذلك يرجع الى سعة مقدوراته ومعلوماته
فهو القادر على ما لا يتناهى من جميع اجناس المقدورات والعالم بجميع المعلومات وابليس اسم عجمى
لا ينصرف فى المعرفة للتعريف والعجمة قال الزجاج وغيره من النحويين هو اسم اعجمى معرب واستدلوا
على ذلك بامتناع صرفه وذهب قوم الى انه عربى مشتق من الابلاس ووزنه افعيل وانشدوا للعجاج
يا صاح هل تعرف رسما مكرسا قال نعم اعرفه وابلسا وزعموا انه لم يصرف استثقالا له من حيث انه
اسم لا نظير له فى اسماء العرب فشبهته باشباه ذلك وغلطوا فى جميع ذلك لان هذه الالفاظ معربة وافقت
الفاظ العربية وكان ابو بكر السراج يمثل ذلك على جهة التبعيد بمن زعم ان الطير ولد الحوت وغلطوا
ايضا فى انه لا نظير له فى اسماء العرب لانهم يقولون ازميل فى الشفرة واغريض للطلع واحريض الصبغ
اخر ويقال هو العصفر وسيف اصليت ماض كثير الماء وثوب اضريج مشبع الصبغ وقالوا هو من الصفرة
خاصة ومثل هذا كثير وسبيل ابليس سبيل انجيل فى انه معرب غير مشتق قوله واذ فى موضع نصب
لانها معطوفة على اذ الاولى وقوله لادم ادم فى موضع جر باللام لا ينصرف لانه على وزن افعل فاذا قلت
مررت بادم وادم اخر فان سيبويه والخليل يقولان انه لا ينصرف فى النكرة لانك اذا نكرته فقد اعدته
الى حال كان فيها لا ينصرف قال الاخفش اذا سميت به فقد اخرجته من باب الصفة فيجب اذا نكرته
ان تصرفه فتقول وادم اخر وقوله واسجدوا والاصل فى همزة الوصل ان تكسر لالتقاء الساكنين ولكنها
ضمت لاستثقال الضمة بعد الكسرة وكذلك كل ما كان ثالثها مضموما فى الفعل المستقبل نحو قوله انظروا

اقتلوا

اقتلوا ابو يوسف ولم يبق فى كلام العرب فعل لكراهتهم الضمة بعد الكسرة وابليس نصب على الاستثناء المتصل من الكلام
الموجب فى مذهب من جعله من الملائكة وعلى الاستثناء المنقطع فى مذهب من جعله من غير الملائكة
ثم بين سبحانه ما اتاه ادم عم من الاعظام والاجلال والاكرام فقال اذكر يا محمد اذ قلنا للملائكة اسجدوا
لادم والظاهر يقتضى ان الامر بالسجود كان لجميع الملائكة حتى جبرئيل وميكائيل لقوله فسجد الملائكة
كلهم اجمعون وفى هذا تاكيد للعموم وقال قوم ان الامر كان خاصا لطائفة من الملائكة كانوا مع ابليس
طهر الله بهم الارض من الجن واختلف فى سجود الملائكة لادم على اى وجه كان فالمروى عن ائمتنا عليهم السلم
انه على وجه التكرمة لادم والتعظيم لشانه وتقديمه عليهم وهو قول قتادة وجماعة من اهل العلم واختاره
على بن عيسى الرمانى ولهذا جعل اصحابنا رضى الله عنهم هذه الاية دلالة على ان الانبياء افضل من الملائكة
من حيث انه سبحانه امرهم بالسجود لادم وذلك يقتضى تعظيمه وتفضيله عليهم واذا كان المفضول لا يجوز
تقديمه على الفاضل علمنا انه افضل من الملائكة وقال الجبائى وابو القسم البلخى وجماعة انه جعله قبلة لهم
فامرهم بالسجود الى قبلتهم وفيه ضرب من التعظيم وهذا غير صحيح لانه لو كان على هذا الوجه لما امتنع ابليس
من ذلك ولما استعظمته الملائكة وقد نطق القران بان امتناع ابليس عن السجود انما هو لاعتقاده تفضيله
به وتكريمه مثل قوله ارايتك هذا الذى كرمت على وقوله انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ولو
لم يكن الامر على هذا الوجه لوجب ان يعلمه الله تعـ بانه يامره بالسجود على جهة تعظيمه وتفضيله عليه وانما
امره على الوجه الاخر الذى لا تفضيل فيه ولم يجز اغفال ذلك فانه سبب معصية ابليس وضلالته فلما لم
يقع ذلك علمنا ان الامر بالسجود لم الا على وجه التعظيم والتفضيل والاكرام والتبجيل ثم اختلف فى
ابليس هل كان من الملائكة ام لا فذهب قوم انه كان منهم وهو المروى عن ابن عباس وابن مسعود
وقتادة واختاره الشيخ ابو جعفر الطوسى رحمه الله وهو المروى عن ابى عبد الله عم والظاهر فى تفاسيرنا
ثم اختلف من قال انه كان من الملائكة فمنهم من قال انه كان خازنا على الجنان ومنهم من قال كان له سلطان
سماء الدنيا وسلطان الارض ومنهم من قال انه كان يسوى ما بين السماء والارض وقال الشيخ المفيد ابو
عبد الله محمد بن محمد بن النعمان قدس الله روحه انه كان من الجن ولم يكن من الملائكة وقد جاءت الاخبار
بذلك متواترة عن ائمة الهدى عليهم السلم وهو مذهب الامامية وهو المروى عن الحسن البصرى وهو قول
على بن عيسى والبلخى وغيره واحتجوا على صحة هذا القول باشياء احدها قوله تعـ الا ابليس كان من الجن والمطلق
لفظة الجن لم يجز ان يعنى به الا الجنس المعروف وكل ما فى القران من ذكر الجن مع الانس يدل عليه وثانيها
قوله تعـ لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فنفى المعصية عنهم نفيا عاما وثالثها ان ابليس له نسل
وذرية قال الله تعـ افتتخذونه وذريته اولياء من دونى وهم لكم عدو وقال الحسن ابليس ابو الجن كما ان ادم
ابو الانس وابليس مخلوق من النار والملائكة روحانيون خلقوا من الريح فى قول بعضهم ومن النور
فى قول الحسن لا يتناسلون ولا يطعمون ولا يشربون ورابعها قوله تعـ جاعل الملائكة رسلا ولا يجوز على
رسل الله الكفر ولا الفسق ولو جاز عليهم الفسق لجاز عليهم الكذب وقالوا ان استثناء الله اياه منهم لا يدل
على كونه من جملتهم وانما استثناه منهم لانه كان مامورا بالسجود معهم فلما دخل معهم فى الامر جاز اخراجه

بالاستثناء منهم وقيل ايضا ان الاستثناء هنا منقطع كقوله تعم ما لهم به من علم الا اتباع الظن وانشد سيبويه والحرب
لا يبقى لجاحمها التخيل بالمراح الا الفتى الصابر فى النجدات والفرس الوقاح وكقول النابغة وما بالربع
من احد الا اراى ويؤيد هذا القول ما رواه الشيخ ابو جعفر بن بابويه فى كتاب النبوة باسناده عن ابن
ابى عمير عن جميل بن دراج عن ابى عبد الله ع قال سالته عن ابليس اكان من الملائكة او كان يلى شيئا من امر
السماء فقال لم يكن من الملائكة ولم يكن يلى شيئا من امر السماء وكان من الجن وكان مع الملائكة وكانت
الملائكة ترى انه منها وكان الله سبحانه يعلم انه ليس منها فلما امر بالسجود لادم كان منه الذى كان وكذا
رواه العياشى فى تفسيره واما من قال انه كان من الملائكة فانه احتج بانه لو كان من غير الملائكة
لما كان ملوما بترك السجود فانما الامر تناول الملائكة دون غيرهم وقد مضى الجواب عن هذا ويزيده بيانا
قوله تعم ما منعك ان تسجد اذ امرتك فعلمنا انه من جملة المامورين بالسجود وان لم يكن من جملتهم
وهذا كما قيل امر اهل البصرة بدخول الجامع فدخلوا الا رجلا من اهل الكوفة فانه يعلم من هذا ان غير
اهل البصرة كان مامورا بدخول الجامع غير ان اهل البصرة خصوا بالذكر لكونهم الاكثر فكذلك القول
فى الاية واجاب القوم عن الاحتجاج الاول وهو قوله تعم كان من الجن بان الجن جنس من الملائكة
سموا بذلك لاجتنانهم عن العيون قال اعشى قيس بن ثعلبة لو كان شى خالدا ومعمرا لكان سليمن البرى
الدهر براه الهى واصطفاه عباده وملكه ما بين ترنى الى مصر وسخر من جن الملائك تسعة قياما لديه
يعملون بلا اجر وقد قال الله تعم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا لانهم قالوا الملائكة بنات الله واجابوا على الثانى
وهو قوله لا يعصون الله ما امرهم الاية فانه صفة لخزنة النيران لا لجميع الملائكة فلا يوجب عصمة غيرهم
من الملائكة واجابوا عن الثالث بانه يجوز ان يكون ان الله تعم لما اهبطه الى الارض تغيرت حاله عن
حال الملائكة قالوا واما قولكم ان الملائكة خلقوا من الريح وهو مخلوق من النار وقال الحسن خلقوا
من النور والنار والنور سواء وقولكم ان الجن يطعمون ويشربون فقد جاء عن العرب ما يدل لكم على انهم
لا يطعمون ولا يشربون انشد ابن دريد قال انشد ابو حاتم ونار قد حضات بعيد وهن بدار ما اريد بها
مقاما سوى ترحيل راحلة وعين اكالئها مخافة ان تناما اتوا نارى فقلت منون انتم فقالوا الجن
قلت عموا ظلاما فقلت الى الطعام فقال منهم زعيم يحسد الانس الطعاما لقد فضلتم بالاكل فينا ولكن
ذاك يعقبكم سقاما فهذا يدل على انهم لا ياكلون ولا يشربون لانهم روحانيون وقد جاء فى الاخبار النهى
عن التمسح بالعظم والروث لان ذلك طعام الجن وطعام دوابهم وقيل انهم يتشممون ذلك ولا ياكلون
واجابوا عن الرابع وهو قوله جاعل الملائكة رسلا بان هذه الاية معارضة بقوله تعم الله يصطفى من
من الملائكة رسلا ومن الناس لان من للتبعيض وكلا القولين مروى عن ابن عباس وروى عنه
انه قال ان الملائكة كانت تقاتل الجن فسبى ابليس وكان صغيرا فكان من الملائكة فتعبد معها بالامر
بالسجود لادم فسجدوا وابى ابليس فلذلك قال الله تعم الا ابليس كان من الجن وروى مجاهد وطاوس
عنه ايضا انه قال كان ابليس قبل ان يرتكب المعصية ملكا من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان
الارض وكان سكان الارض من الملائكة يسمون الجن ولم يكن من الملائكة اشد اجتهادا ولا اكثر

علما

علما منه فلما تكبر على الله وابى السجود لادم وعصاه لعنه وجعله شيطانا وسماه ابليس واما قوله تعم وكان من الكافرين
فمعناه كان كافرا فى الاصل وهذا القول يوافق مذهبنا فى الموافاة وقيل اراد كان فى علم الله تعالى من الكافرين
كقوله تعم وكان من المغرقين واستدل بعضهم بهذه الاية على ان افعال الجوارح من الايمان فقال لو لم يكن كذلك
لوجب ان يكون ابليس مؤمنا بما معه من المعرفة بان الله تعم وان فسق باباته وهذا ضعيف لانا اذا علمنا
كفره بالاجماع علمنا انه لم يكن معه ايمان اصلا كما ان اذا راينا من يسجد للصنم علمنا انه كافر وان كان
نفس السجود ليس بكفر واختلف فى صفة امر الله سبحانه الملائكة بالسجود فقيل كان بخطاب من الله تعم
للملائكة ولابليس وقيل بوحى من الله الى من بعثه اليهم من رسله لان كلام الرسول كلام المرسل وقيل
ان الله تعم اظهر فعلا دلهم به على انه امرهم بالسجود فان قيل لم حكم الله بكفره مع ان من ترك السجود
الان لا يكفر قلنا لانه جمع الى ترك السجود خصالا من الكفر منها انه اعتقد ان الله تعم امره بالقبيح ولم
ير امره بالسجود حكمة ومنها انه امتنع من السجود تكبرا وردا على الله تعم امره ومن تركه الان كذلك يكفر
ايضا ومنها انه استخف بنبى الله وازدراه وهذا لا يصدر الا عن معتقد الكفر وفى هذه الاية دلالة
على بطلان مذهب الجبر من وجوه منها قوله ابى فدل على قدرته على السجود الذى اباه وتركه والا لم يصح وصفه
بالاباء ومنها قوله فسجدوا فدل على ان السجود فعلهم ومنها انه مدح الملائكة بالسجود وذم ابليس بترك
السجود وعندهم انما لم يسجد لانه لم يخلق فيه السجود ولا القدرة الموجبة له   وقلنا يا ادم
اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين اللغة
السكون الطمينان والهدو ونظائره والسكن بسكون الكاف العيال واهل البيت والسكن بالفتح
المنزل والسكن الرحمة والبركة فى قوله ان صلوتك سكن لهم والزوج بطرح الهاء قال له الاصمعى هو اكثر
كلام العرب فقال يا حار ما الدواء وقال لا ازم اى ترك الاكل والرغد النفع الواسع الكثير الذى ليس
فيه عناء قال ابن دريد الرغد السعة فى العيش والمشية من قبيل الارادة وكذلك المحبة والاختيار والايثار
وان كان لها شروط ذكرت فى اصول الكلام والقرب الدنو قرب الشى يقرب قربا وقرب فلان
اهله يقرب قربانا اذا اغشيها وما قربت هذا الامر قربانا وقربا والشجر ما قام على ساق وجمعها اشجار
وشجرات وشجر وتشاجر القوم اختلفوا اخذا من الشجرة لاشتباك اغصانه والظلم والجور والعدوان متقارب
وضد الظلم الانصاف وضد الجور العدل واصل الظلم انتقاص الحق قال الله تعم كلتا الجنتين اتت اكلها
ولم تظلم منه شيئا اى لم تنقص وقيل اصله وضع الشى غير موضعه من قولهم من اشبه اباه فما ظلم
اى فما وضع الشبه غير موضعه وكلاهما مطرد وعلى الوجهين فالظلم اسم ذم ولا يجوز اطلاقه على
الانبياء والمعصومين   قوله اسكن انت وزوجك يستقبح عطف الظاهر على الضمير المستكن
والمتصل فقال اسكن انت وزوجك الجنة فانت تاكيد للضمير المستكن فى اسكن الذى هو فاعله و
زوجك معطوف على موضع انت ولو عطفه على الضمير المستكن لكان يشبه فى الظاهر عطف الاسم
على الفعل فاتى بالضمير المنفصل فعطفه عليه ورغدا منصوب لانه صفة لمصدر محذوف كانه قال
الاكل رغدا اى واسعا كثيرا ويجوز ان يكون مصدرا وضع موضع الحال من قوله كلا قال الخليل

يقال قوم رغد ونساء رغد وعيش رغد ورغيد قال كثير او يجوز ان يكون مصدرا وضع موضع الحال امرء القيس
بينما المرء تراه ناعما يامن الاحداث في عيش رغد فعلى هذا يكون تقديره وكلا منها متوسعين في العيش
وحيث مبني على الضم كما بني الغاية عوض من قبل ومن بعد لانه منع من الاضافة الى مفرد كما منعت الغاية
من الاضافة وانما ياتي بعده جملة اسمية او فعلية في تقدير المضاف اليه ولا تقربا مجزوم والالف ضمير الفاعلين
وقوله فتكونا يحتمل امرين احدهما انه يكون جوابا للنهي فيكون منصوبا باضمار أنْ وأنْ مع الفعل في
تاويل اسم مفرد واذا قدر اضمار ان بعد الفاء كان ذلك عطفا على مصدر الفعل المتقدم فيكون تقديره
لا يكن منكما قرب لهذه الشجرة فيكون من الظالمين فيكون الكلام جملة واحدة لان المعطوف من جملة
معطوف عليه وانما سميناه جوابا لمشابهته الجزاء في ان الثاني سببه الاول لان معنى الكلام ان تقربا
هذه الشجرة تكونا من الظالمين والثاني ان يكون معطوفا على النهي فيكون مجزوما ويكون الفاء
عاطفة جملة على جملة فكانه قال فلا تكونا من الظالمين ثم ذكر سبحانه ما امر به ادم عم بعد ان
انعم عليه بان اختصه من العلوم ما اوجب به الاعظام واسجد له الملائكة الكرام فقال عز
اسمه وقلنا وهذه نون الكبرياء والعظمة لا نون الجمع يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة اي اتخذ انت
وامراتك الجنة مسكنا وماوى لتاوي اليه وتسكن فيه انت وامراتك واختلف في هذا الامر فقيل انه
امر تعبد وقيل هو اباحة لانه ليس فيه مشقة ولا يتعلق به تكليف وقوله وكلا اباحة وقوله ولا تقربا تعبد
بالاتفاق وروي عن ابن عباس وابن مسعود انه لما اخرج ابليس من الجنة ولعن بقي ادم وحده
واستوحش اذ ليس معه من يسكن اليه فخلقت حوا ليسكن اليها وروي ان الله تعالى القى على ادم النوم
واخذ منه ضلعا فخلق منه حوا فاستيقظ ادم فاذا عند راسه امراة فسالها من انت قالت امراة
قال لم خلقت قالت لتسكن الي فقالت الملائكة ما اسمها يا ادم قال حوا قالوا ولم سميت حوا قال
لانها خلقت من حي فعندها قال تعالى اسكن انت وزوجك الجنة وقيل انها خلقت قبل ان يسكن
ادم الجنة ثم ادخلا معا الجنة وفي كتاب النبوة ان الله تعالى خلق ادم من الطين وخلق حوا
من ادم فهمة الرجال الماء والطين وهمة النساء الرجال قال اهل التحقيق ليس يمتنع ان يخلق الله
حوا من جملة جسد ادم بعد ان لا يكون مما لا يتم الحي حيا الا معه لان ما هذه صفته لا يجوز ان ينقل الى
غيره او يخلق منه حي اخر من حيث يؤدي الى ان لا يمكن ايصال الثواب الى مستحقه لان المستحق لذلك
هو الجملة باجمعها وانما سميت حوا لانها خلقت من حي على ما ذكرناه قبل وقيل لانها ام كل حي واختلف
في الجنة التي اسكن فيها ادم عم فقال ابو هاشم هي جنة من جنان السماء غير جنة الخلد لان جنة الخلد
اكلها دايم ولا تكليف فيها وقال ابو مسلم هي جنة من جنان الدنيا في الارض وقال ان قوله اهبطوا
لا يقتضي كونها في السماء لانه مثل قوله اهبطوا مصرا واستدل بعضهم على انها لم تكن جنة الخلد
بقوله تعالى حكاية عن ابليس هل ادلك على شجرة الخلد فلو كانت جنة الخلد لكان ادم عم عالما بذلك
ولم يحتج الى دلالة وقال اكثر المفسرين والحسن البصري وعمرو بن عبيد وواصل بن عطا وكثير من
المعتزلة كالجبائي والرماني وابن الاخشيد انها كانت جنة الخلد لان الالف واللام للتعريف وصارا

كالعلم

كالعلم عليها قالوا ويجوز ان يكون وسوسة ابليس من خارج الجنة من حيث يسمعان كلامه وقالوا قول من يزعم
ان جنة الخلد من يدخلها لا يخرج منها غير صحيح لان ذلك انما يكون اذا استقر اهل الجنة فيها للثواب فاما
قبل ذلك فانها تفنى لقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه وقوله وكلا منها رغدا اي كلا من الجنة كثيرا واسعا
لا عنا فيه حيث شئتما من بقاع الجنة وقيل منها اي من ثمارها الا ما استثناه ولا تقربا هذه الشجرة اي لا
تاكلا منها وهو المروي عن الباقر عم فمعناه لا تقرباها بالاكل ويدل عليه ان المخالفة وقعت بالاكل بلا
خلاف لا بالدنو منها ولذلك قال فاكلا منها فبدت لهما سواتهما واختلف في هذا النهي فقيل انه نهي
التحريم وقيل انه نهي التنزيه دون التحريم كمن يقول لغيره لا تجلس على الطريق وهو قريب من مذهبنا فان
عندنا ان ادم عم كان مندوبا الى ترك التناول من الشجرة وكان بالتناول منها تاركا نفلا وفضلا
ولم يكن فاعلا لقبيح لان الانبياء عليهم السلم لا يجوز عليهم القبايح لا صغيرها ولا كبيرها وقالت المعتزلة
كانت تلك صغيرة من ادم عم في اختلاف بينهم في انه وقع منه في سبيل العمد والسهو والتاويل وانما
قلنا انه لا يجوز مواقعة الكباير على الانبياء عليهم السلم من حيث ان القبيح يستحق فاعله به الذم والعقاب
لان المعاصي عندنا كلها كباير وانما تسمى صغيرة باضافتها الى ما هو اكثر عقابا منها لان الاحباط
قد دل الدليل عندنا على بطلانه واذا ابطل ذلك فلا معصية الا ويستحق فاعلها الذم والعقاب
واذا كان الذم والعقاب منفيين عن الانبياء وجب ان ينتفي عنهم ساير الذنوب ولانه لو جاز
عليهم شيء من ذلك لنفر عن قبول قولهم والمراد بالتنفير ان النفس الى قبول قول من لا يجوز عليه
شيئا من المعاصي اسكن منها الى قول من يجوز عليه ذلك ولا يجوز عليهم كلما يكون منفرا عنهم
عن الخلق المشوهة والهيئات المنكرة واذا صح ما ذكرناه علمنا ان مخالفة ادم عم لظاهر النهي
كان على الوجه الذي بيناه واختلف في الشجرة التي نهي عنها ادم عم فقيل هي السنبلة عن ابن عباس
وقيل هي الكرمة عن ابن مسعود والسدي وقيل هي التينة عن ابن جريج وقيل هي شجرة الكافور يروى
عن علي عم وقيل شجرة العلم علم الخير والشر عن الكلبي وقيل هي شجرة الخلد التي كانت تاكل منها
الملائكة عن ابن جدعان وقوله فتكونا من الظالمين اي تكونا باكلها من الظالمين لانفسكما ويجوز ان
يقال لمن بخس نفسه الثواب انه ظالم لنفسه كقوله تعالى حكاية عن ايوب اني كنت من الظالمين حيث
بخس نفسه الثواب بترك المندوب اليه وسالوا هل كان يجوز ابتداء الخلق في الجنة فجوز البصريون من اهل
العدل ذلك قالوا يجوز ان ينعمهم الله مؤبدا تفضلا منه لا على وجه الثواب لان ذلك نعمة منه تعالى
كما ان خلقهم وتعريضهم للثواب نعمة وقال ابو القسم البلخي لا يجوز ذلك لانه لو كان فعل ذلك لا يخلوا
اما ان يكونوا متعبدين بالمعرفة او لا يكونوا كذلك فلو كانوا متعبدين لم يكن بد من ترغيب وترهيب
ووعد ووعيد وكان يكون لا بد من دار اخرى يجازون فيها ويخلدون وان كانوا غير متعبدين
كانوا مهملين وذلك غير جايز وجوابه انه سبحانه لو ابتدا خلقهم في الجنة لكان يضطرهم الى
معرفته ويلجيهم الى فعل الحسن وترك القبيح ومتى راموا القبيح منعوا منه فلا يودي الى ما قاله
وهذا كما يدخل الله الجنة الاطفال وغير المكلفين لا على وجه الثواب فازلهما

الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع
الى حين آية قرا حمزة فازالهما بالالف والباقون فازلهما من قرا ازالهما قال ان قوله اسكن انت
وزوجك معناه اثبتا فثبتا فازالهما الشيطان فقابل الثبات بالزوال الذي هو خلافه وحجة من قرا
فازلهما انه يحتمل تاويلين احدهما كسبهما الزلة والاخر من ازل اي عثر ويدل على الوجه الاول
ما جاء في التنزيل من قوله ما نهاكما ربكما الى قوله لمن الناصحين وقوله فوسوس لهما الشيطان الاية وقد
نسب كسب الشيطان الزلة الى الشيطان في قوله انما استزلهم الشيطان واستزل وازل بمعنى واحد
ويدل على الوجه الثاني قوله فاخرجهما مما كانا فيه فكما ان خروج الانسان عن الموضع الذي هو فيه
انتقال منه الى غيره كذلك عثاره وزلله الزلة الخطيئة والمعصية والسيئة بمعنى واحد وضد الخطيئة
الاصابة يقال زل يزل زلة وزللا وزل في مقالته زلة والمزلة المكان الدحض والمزلة الزلل في الدحض
وازللت الى فلان نعمة اي اسديت وفي الحديث من ازلت اليه نعمة فليشكرها كثير واني وان صدقت
لمثن وصادق علينا بما كانت الينا ازلت والاصل في ذلك الزوال والزلة زوال عن الحق وازله الشيطان
اذا ازاله عن الحق والهبوط والنزول والوقوع نظائر وهو التحرك من علو الى سفل ويقال هبطته
واهبطته والهبوط بمعنى الحدود وهو موضع الذي يهبطك من اعلى الى اسفل وقد يستعمل الهبوط
بمعنى الحلول في المكان والنزول به قال الله تعالى اهبطوا مصرا ويقول القايل هبطنا بلد كذا يريد
حللنا قال زهير ما زلت ارمقهم حتى اذا هبطت ايدي الركاب بهم من راكس فلقا والعدو نقيض
الولي والعداوة المصدر واصله من المجاوزة والقرار الثبات والبقاء وضد القرار الانزعاج وضد
الثبات الزوال وضد البقاء الفناء والاستقرار الكون اكثر من وقت واحد على حال والمستقر يحتمل
ان يكون بمعنى الاستقرار ويحتمل ان يكون بمعنى المكان الذي يستقر فيه والمتاع والتمتع والمتعة والتلذذ
متقاربة المعنى وكل شيء تمتعت به فهو متاع والحين والمدة والزمان متقارب والحين في غير هذا الموضع
ستة اشهر يدل عليه قوله تعالى تؤتي اكلها كل حين باذن ربها والحين يصلح للاوقات كلها الا انه
في الاستعمال في الكثير منها اكثر ثم بين سبحانه حال ادم عم قال فازلهما الشيطان اي
حملهما على الزلة نسب الازلال الى الشيطان لما وقع بدعايه ووسوسته واغوايه عنها اي عن الجنة
وما كانا فيه من عظيم الرتبة والمنزلة والشيطان المراد به ابليس فاخرجهما مما كانا فيه من النعمة
والدعة ويحتمل ان يكون اراد من الجنة حتى اهبطا ويحتمل ان يكونا ارادا من الطاعة الى المعصية
واضاف الاخراج اليه لانه كان السبب فيه كما يقال صرفني فلان عن هذا الامر ولم يكن اخراجهما من
الجنة واهباطهما الى الارض على وجه العقوبة لان الدليل قد دل على ان الانبياء عليهم لا يجوز عليهم
القبايح على حال ومن اجاز العقاب للانبياء فقد اسا عليهم الثناء واعظم الفرية على الله سبحانه
واذا صح ما قلناه فانما اخرج الله ادم من الجنة لان المصلحة قد تغيرت بتناوله من الشجرة
فاقتضت الحكمة والتدبير الالهي اهباطه الى الارض وابتلاءه بالتكليف والمشقة وسلبه ما البسه
اياه من ثياب الجنة لان انعامه عليه بذلك كان على وجه التفضل والامتنان فله ان يمنع ذلك تشديدا

البلوى

للبلوى والامتحان كما له ان يفقر بعد الاغناء ويميت بعد الاحياء ويسقم بعد الصحة ويعقب المحنة بعد المنحة واختلف
في كيفية وصول ابليس الى ادم وحوا حتى وسوس اليهما وابليس كان قد اخرج من الجنة حين ابى السجود
وهما في الجنة فقيل ان ادم عم كان يخرج الى باب الجنة وابليس لم يكن ممنوعا من الدنو منه فكان يكلمه
وكان هذا قبل ان اهبط الى الارض وبعد ان اخرج من الجنة عن ابي علي الجبائي وقيل انه كلمهما من الارض
بكلام عرفاه فهماه منه وقيل انه دخل في فقم الحية وخاطبهما من فقمها والفقم جانب الشدق وقيل انه
راسلهما بالخطاب وظاهر القران يدل على انه شافههما بالخطاب وقوله وقلنا اهبطوا خاطب بخطاب الجمع
وفيه وجوه احدها انه خاطب ادم وحوى وابليس وهو اختيار الزجاج وقول جماعة من المفسرين وهذا
غير منكر وان كان ابليس قد اخرج قبل ذلك بدلالة قوله اخرج منها فانك رجيم فجمع الخبر للنبي عم لانهم
قد اجتمعوا في الهبوط وان كانت اوقاتهم متفرقة فيه كما يقال اخرج جميع من في الحبس وان خرجوا متفرقين
والثاني انه اراد ادم وحوا والحية وفي هذا الوجه بعد لان خطاب من لا يفهم الخطاب لا يحسن ولانه
لم يتقدم للحية ذكر والكناية عن غير مذكور لا يحسن الا حيث لا يقع لبس مثل قوله حتى توارت بالحجاب
وقوله ما ترك على ظهرها من دابة وقول حاتم اماوي ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما
وضاق بها الصدر والثالث انه اراد ادم وحوى وذريتهما لان الوالدين يدلان على الذرية ويتعلق
بهما والرابع ان يكون الخطاب يختص ادم وحوى وخاطب الاثنين على الجمع على عادة العرب وذلك لان
الاثنين اول الجمع قال الله تعالى اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين اراد حكم داود وسليمان
وقد تاول قوله تعالى وان كان له اخوة على معنى فان كان له اخوان والخامس ادم وحوى والوسوسة عن
الحسن وهذا ضعيف وقوله بعضكم لبعض عدو يعني ادم وذريته وابليس وذريته ولم يكن من ادم
اليه ما يوجب عداوته اياه ولكن حسده اللعين وخالفه فنشات بينهما العداوة ثم ان عداوة
ادم له ايمان وعداوة ابليس له كفر وقال الحسن يريد بني ادم وبني ابليس وليس ذلك بامر بل هو تحذير
يعني ان الله تعالى لا يامر بالعداوة فالامر مختص بالهبوط والمعاداة تجري مجرى الحال لان الظاهر
يقتضي انه امرهم بالهبوط في حال عداوة بعضهم بعضا فاما على الوجه الذي يتضمن ان الخطاب
يختص بادم وحوى فالمراد به ان ذريتهما يعادي بعضهم بعضا وعلق الخطاب بهما للاختصاص بين
الذرية وبين اصلها وقوله ولكم في الارض مستقر اي مقر ومقام وثبوت بان جعل الارض قرارا
لكم ومتاع اي استمتاع الى حين الى وقت الموت وقيل الى يوم القيمة وقيل الى فناء الاجال اي كل امرء
مستقر الى فناء اجله وقال ابو بكر السراج لو قال ولكم في الارض مستقر ومتاع لظن انه غير منقطع
فقال الى حين اي الى حين الانقطاع والفرق بين القول القايل انه هذا لك حينا وبين قوله الى
حين يدل على الانتهاء ولا بد ان يكون الابتداء وليس كذلك الوجه الاخر وفي هذه الاية دلالة على
ان الله تعالى لا يريد المعصية ولا يصد احدا عن الطاعة ولا يخرجه عنها ولا يسبب المعصية لانه نسب
ذلك الى الشيطان جل ربنا وتقدس عما نسبه الى ابليس والشياطين ويدل ايضا على ان لوسوسة
ابليس تاثيرا في المعاصي فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم

الايه   قرا ابن كثير ادم بالنصب كلمات بالرفع وقرا الباقون برفع ادم ونصب كلمات   حجه ابن كثير في نصب
ادم انه في المعنى كالقراة الاخرى فان الافعال المتعدية على ثلثة اضرب منها ما يجوز فيه ان يكون الفاعل له مفعولا
به والمفعول فاعلا نحو ضرب زيد عمروا ومنها ما لا يجوز ذلك فيه نحو اكلت الخبز ونحوه ومنها ما يكون
اسناده الى الفاعل في المعنى كاسناده الى المفعول به نحو نلت واصبت وتلقيت تقول نالني خير ونالني خيرا
واصابني شي واصبت شيئا وتلقاني زيد وتلقيت زيدا ومثل هذه الايه قوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين
وفي حرف عبد الله لا ينال عهدي الظالمون   التلقي نظير التلقن يقال تلقيت منه اي اخذت وقبلت
واصله من لقيت خيرا فتعدى الى مفعول واحد ثم تعدى الى مفعولين بتضعيف العين نحو لقيت زيدا خيرا
كقوله ولقيهم نضرة وسرورا ومطاوعه تلقيته بالقبول اي قبلته منه ومن ذلك ابي مهديه في ايات
من القران تلقيتها من عمي تلقاها من ابي هريرة تلقاها من رسول الله ص وتلقيت الرجل استقبلته
وتلقاني استقبلني وكلمات جمع كلمة والكلمة اسم الجنس لوقوعها على الكثير من ذلك والقليل قالوا
قال امرؤ القيس في كلمة يعنون قصيدة وقال قس في كلمة يعنون خطبة فقد وقعت على الكثير وقيل لكل واحد
من الكلم الثلث كلمة فوقعت على القليل من اسم المفرد والفعل المفرد والحرف المفرد واما الكلام
فان سيبويه قد استعمله فيما كان مولفا من هذه الكلم وعلى هذا جاء التنزيل قال الله تعالى يريدون
ان يبدلوا كلام الله يعني به قوله فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن
تخرجوا معي ابدا الاية الى قوله لذلكم قال الله من قبل يقال كلمه تكليما وكلاما وتكلم تكلما والكلم
الجرح تقول كلمته اكلمه واصل الباب التاثير والكلم اثر دال على الجارح والكلام اثر دال على المعنى
الذي تحته والذي حرره المتكلمون في حد الكلام هو انه ما انتظم من حرفين فصاعدا من هذه
الحروف المعقولة اذا وقع ممن يصح منه او من قبيله الافادة وقال بعضهم هو ما انتظم من الحروف
المسموعة المتميزة لتميز من الكتابة التي ليست بمسموعة وتتميز من اصوات كثير من الطيور لانها ليست
بتميزه وينقسم الكلام الى مهمل ومستعمل وانما اراد سيبويه بقوله ان المهمل لا يكون كلاما
انه لا يكون مفيدا اذ الكلام عنده لا يقع الا على المفيد وبه قال ابو القسم البلخي والتوبة والاقلاع و
الانابة في اللغة نظاير وضد التوبة الاصرار والله تعالى يوصف بالتواب ومعناه انه يقبل التوبة عن عباده
واصل التوبة الرجوع عما سلف والندم على ما فرط فالله تعالى تايب على العبد بقبول توبته و
العبد تايب الى الله بندمه على معصيته   قوله فتلقى ادم اي قبل واخذ وتناول على سبيل الطاعة
من ربه ورب كل شي كلمات واغنى قوله فتلقى عن ان يكون رغب الى الله بهذه او ساله بحقهن لان
معنى التلقي يفيد ذلك وينبي عما حذف من الكلام اختصارا ولهذا قال تعالى فتاب عليه لانه لا يتوب
عليه الا بان سال بتلك الكلمات وعلى قراءة من قرا فتلقى ادم كلمات لا يكون معنى التلقي والقول بل
معناه ان الكلمات تداركته بالنجاة والرحمة واختلف في الكلمات ما هي فقيل هي قوله ربنا ظلمنا
انفسنا الايه عن الحسن وقتاده وعكرمه وسعيد بن جبير وان في ذلك اعترافا بالخطية فلذلك
وقعت موقع الندم وحقيقة الانابة وقيل هي قوله اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب

انى ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب انى ظلمت نفسي
فارحمني انك خير الراحمين اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب انى ظلمت نفسي فتب علي
انك انت التواب الرحيم عن مجاهد وهو المروي عن ابي جعفر الباقر ع وقيل بل هي سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقيل وهي رواية تختص باهل البيت عليهم السلم ان ادم راى
مكتوبا على العرش اسماء مكرمة معظمة فسال عنها فقيل له هذه اسماء اجل الخلق منزلة عند الله
والاسماء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلم فتوسل ادم الى ربه بهم في قبول توبته
ورفع منزلته قوله فتاب عليه فيه حذف اي تاب ادم فتاب الله عليه اي قبل توبته وقيل السلم تاب عليه
وفقه للتوبة وهداه اليها بان لقنه الكلمات حتى قالها فقبل توبته انه هو التواب اي كثير القبول
للتوبة يقبل مرة بعد مرة وهي في صفة العباد الكثير التوبة وقيل معناه انه يقبل التوبة وان عظمت
الذنوب فيسقط عقابها وقوله الرحيم انما ذكره ليدل به على انه متفضل بقبول التوبة ومنعم به وان
ذلك ليس على وجه الوجوب وانما قال فتاب عليه ولم يقل عليهما لانه اختصر وحذف للايجاز و
التغليب كقوله سبحانه وتعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وقوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا
اليها وكقول الشاعر رماني بامر كنت منه ووالدي بريا ومن جول الطوى رماني وقول الاخر
نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف فكذلك معنى الايه فتاب عليهما وقال الحسن
البصري لم يخلق الله ادم الا للارض ولو لم يعص لاخرجه الى الارض على غير الحال وقال غيره يجوز ان
يكون خلقه للارض ان عصى ولغيرها ان لم يعص وهو الاقوى   مختصر في التوبة وشروطها
والاختلاف فيها اعلم ان من شرط التوبة الندم على ما مضى من القبيح والعزم على ان لا يعود الى
مثله في القبح فان هذه التوبة اجمع المسلمون على سقوط العقاب عندها واختلفوا فيما عداها وكل
معصية لله تعالى فانه يجب التوبة منها والطاعة لا يصح التوبة منها وعندنا تصح التوبة اذا كانت من
ترك الندب ويكون ذلك على وجه الرجوع الى فعله وعلى هذا تحمل توبة الانبياء عليهم السلم في جميع
ما نطق به القران وقبول التوبة واسقاط العقاب عندها تفضل من الله تعالى غير واجب عليه عندنا
وعند جميع المعتزلة واجب عليه وقد وعد الله تعالى بذلك وان كان تفضلا وعلمنا انه لا يخلف الميعاد
واما التوبة من قبيح مع الاقامة على قبيح اخر يعلم او يعتقد قبحه فعند اكثر المتكلمين هي صحيحة و
عند ابي هاشم واصحابه لا يصح واعتمد الاولون على ان قالوا كما يجوز ان يمتنع على قبيح لقبحه
مع انه يفعل قبيحا اخر وان علم قبحه كذلك يجوز ان يندم من قبيح مع المقام على قبيح اخر يعلم
قبحه واختلفوا في التوبة عند ظهور شرايط الساعة هل تصح ام لا فقال الحسن تحجب عنها عند الايات
الست وروي عن النبي ص انه قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدجال
والدخان ودابة الارض وخويصة احدكم يعني الموت وامر العامة يعني القيمة وقيل لا شك
ان التوبة عند بعض هذه الايات تحجب وعند بعضها يجوز ان تحجب والله اعلم
قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون

اية قرا يعقوب فلا خوف بنصب الفاء فى جميع القرآن وقرا الباقون بالرفع والتنوين واجمعوا
على اثبات الالف فى هداى وتحريك الياء وروى عن الاعرج بسكون الياء وهو غلط الا ان
يكون نوى الوقف وروى بعضهم هُدَىَّ وهى لغة هذيل يقلبون الالف الى الياء للياء التى بعدها
لان شان ياء الاضافة ان تكسر ما قبلها فجعل قلب الالف ياء بدل كسرها ان الالف لا يتحرك فهو مثل علىّ ولدىّ
وقالوا هوىّ قال ابو ذويب سبقوا هوىّ واعنقوا لسبيلهم فتخرموا ولكل جنب مضجع الهبوط
النزول من موضع عال الى استفال وقد يستعمل فى هبوط المنزلة قال لبيد كل بنى حرة مصيرهم قُلٌّ وان
اكثروا من العدد ان يغبطوا يهبطوا وان امروا يوما فهم للفناء والفند والاتيان والمجى والاقبال نظاير
ونقيضه الذهاب والانصراف والاتباع والاقتداء والاحتذاء نظاير والتابع التالى وفى الحديث القادة
والاتباع فالقادة السادة والاتباع الذين يتبعونهم والتبيع ولد البقرة وثلثه اتبعة والجمع اتابيع والتبع
الظل والخوف والجزع والفزع نظاير ونقيض الخوف الامن وطريق مخوف يخافه الناس ومخيف يخيف
الناس والحزن والغم والهم نظاير ونقيضه السرور وحزن يحزن حزنا ويقال حزنه واحزنه وهو محزون و
محزن وقال قوم لا يقولون حزنه الامر ويقولون يحزنه فاذا صار الى الماضى قالوا احزنه وهذا
شاذ نادر لانه استعمل احزن واهمل يحزن واستعمل يحزن واهمل حزن واصل الباب غليظ الجسم ماخوذه
من الحزن وهو ما غلظ من الارض اما هو ان الجزاء دخلت عليها ما ليصح دخول نون التاكيد
فى الفعل ولو اسقطت ما لم يجز دخول النون لانها لا تدخل فى الخبر الواجب الا فى القسم او ما اشبه القسم كقولك
زيد لياتينك ولو قلت بغير لام لم يجز وكذلك تقول بعين ما رايتك وبجهد ما تبلغن وفى غضة ما
تنبتن شكيرها ولو قلت بعين ارينك بغير ما لم يجز فدخول ما ههنا كدخول اللام فى انها تؤكد اول
الكلام وتؤكد النون اخره والامر والنهى والاستفهام تدخل النون فيه وان لم يكن معه ما اذ كان الامر
والنهى مما تشتد الحاجة الى التوكيد فيه والاستفهام مشبه به اذ كان معناه اخبرنى والنون انما تجئ
للتوكيد فلذلك كان من مواضعها قال الله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا قال الزجاج و
انما فتح ما قبل النون فى قوله ياتينكم لسكون الياء وسكون النون الاولى قال ابو على فلو كان كذلك
لما حرك به فى نحو هل تضربن ونحوه من الصحيح لان الساكنين لا يلتقيان فى هذا النحو وفى هذا
ما يدل على ان هذه الحركة للبناء دون ما ذكره من التقاء الساكنين وجواب الشرط فى الفاء مع
الشرط الثانى وجزائه ان الشرط وجوابه بمنزلة المبتدا والخبر فكما ان المبتدا لا يتم الا بخبره فكذلك
الشرط لا يتم الا بجزائه ولك ان تجعل خبر المبتدا جملة هى مبتدا وخبر كقولك زيد ابوه منطلق فكذلك
ان التى للجزاء اذا كان جوابه بالفاء ووقع بعد الفاء الكلام مستانفا صلح ان يكون جزاء وغير جزاء
تقول ان تاتنى فانت مكرم ولك ان تقول ان تاتنى فمن يكرمنى اكرمه فقوله اما ياتينكم شرط
وياتينكم فى موضع الجزم بان وجزاؤه الفاء وما بعده من قوله فمن تبع هداى الاية ومن فى موضع
الرفع بالابتداء وتبع فى موضع الجزم بالشرط وجزاؤه الفاء وما بعده وهو قوله فلا خوف عليهم
خوف عليهم جملة اسمية ولا هم يحزنون جملة اسمية معطوفة على الجملة التى قبلها والفاء مع ما بعده فى

موضع

موضع جزم بالجزاء كقوله من اتبع هداى والشرط والجزاء مع معنى حرف الشرط التى تضمنته من فى موضع رفع بانها
خبر المبتداء الذى هو من ثم الفاء وما بعده من قوله فمن تبع هداى الاية فى موضع جزم بانه جزاء لقوله اما
ياتينكم وهذا فى المقدمات القياسية يسمى الشرطية المركبة وذلك ان المقدم فيها اذا وجب وجب الثانى
المركب عليه ثم بين تعالى اهباطهما الى الارض فقال اهبطوا اى انزلوا والخطاب لادم وحواء على
ما ذكرناه من الاختلاف فيه فيما تقدم واختلف فى تكرار الهبوط فقيل الهبوط الاول من الجنة الى السماء
وهذا الهبوط من السماء الى الارض عن ابى على وقيل انما كرر للتاكيد وقيل انما كرر لاختلاف الحالين فقد
بين بقوله وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ان الاهباط انما كان فى حال عداوة بعضهم لبعض وبين
بقوله قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم منى هدى ان الاهباط انما كان للابتلاء والتكليف كما يقال
اذهب سالما معافى اذهب مصاحبا وان كان الذهاب واحدا لاختلاف الحالين فاما ياتينكم منى
هدى اى بيان ودلالة وقيل انبياء ورسل وعلى هذا القول الاخير يكون الخطاب فى قوله اهبطوا لادم و
حواء وذريتهما كقوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين اى اتينا بما فينا من الخلق
طائعين فمن تبع هداى اى اقتدى برسلى واحتذى ادلتى فلا يلحقهم خوف فى اهوال يوم القيمة من العقاب
ولا هم يحزنون على فوات الثواب فاما الخوف والحزن فى الدنيا فانه يجوز ان يلحقهم لان من المعلوم ان
المؤمنين لا ينفكون منه وفى هذه الاية دلالة على ان الهدى قد يثبت ولا اهتداء انما يقع بالاتباع والقبول
والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اية الكفر و
التكذيب قد مضى معناهما فيما تقدم ذكره والايات جمع اية ومعنى الاية فى اللغة العلامة ومنه قوله تعالى
عيدا لاولنا واخرنا واية منك اى علامة لاجابتك دعانا وكل اية من كتاب الله وعلامة ودلالة على
المضمون فيها وقال ابو عبيدة معنى الاية انها علامة بانقطاع الكلام الذى قبلها وانقطاعه من الذى
بعدها وقيل ان الاية القصة والرسالة قال كعب بن زهير الا ابلغا هذا المعرض اية ايقظان قال القول
اذ قال احكم يعنى رسالة فعلى هذا يكون معنى الايات القصص اى قصة تتلو قصة قال ابن
السكيت خرج القوم بايتهم اى بجماعتهم لم يدعوا وراءهم شيئا وعلى هذا يكون معنى الاية من كتاب الله
جماعة حروف دالة على معنى مخصوص والاصحاب جمع الصاحب وهو القرين واصل الصحبة المقارنة والصاحب
هو الحاصل مع اخر مدة لانه اذا اجتمع معه وقتا واحدا لم يكن صاحبا له لكن يقال صاحبه وقتا من
الزمان ثم فارقه موضع اولئك يحتمل ثلثة اوجه احدها ان يكون بدلا من الذين او عطف
بيان واصحاب النار بيان عن اولئك فجراه مجرى الوصف والخبر هم فيها خالدون والثانى ان يكون
ابتداء وخبرا فى موضع الخبر الاول والثالث ان يكون على خبرين بمنزلة خبر واحد كقولك هذا حلو
حامض فان قيل فلم دخلت الفاء فى موضع اخر مثل قوله فاولئك لهم عذاب مهين ولم تدخل
ههنا قلنا لان ما وصل فيه الفاء من خبر الذى واخواته مشبه بالجزاء وما لم يكن فيه فاء فهو اصل
على الخبر واذا قلت ما لى فهو لك ان اردت ما بمعنى الذى جاز وان اردت به المال لم يجز
الذين كفروا اى جحدوا وكذبوا باياتنا اى دلالاتنا وما انزلناه على الانبياء فاولئك اصحاب النار

بيان عن اولئك اى الملازمون للنار هم فيها خالدون اى دايمون وفى هذه الاية دلالة على ان من مات مصرا
على كفره غير تائب منه وكذب باياته دايما فهو مخلد فى نار جهنم وايات الله دلايله وكتبه المنزلة على رسله
والايات مثل الحجج والدلالة وان كان بينهما فرق فى الاصل يقال دلالة هذا الكلام كذا وكذا ولا يقال
اية ومن استدل بهذه الاية على ان عمل الجوارح قد يكون من الكفر بقوله وكذبوا باياتنا فقوله بعيد لان
التكذيب نفسه وان لم يكن كفرا فهو دلالة على الكفر لانه لا يقع الا من كافر كالسجود للشمس وغيره
يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم واوفوا بعهدى اوف بعهدكم واياى فارهبون
اية القراة المشهورة اسرائيل مهموز ممدود مشبع وهو الفصيح وروى فى الشواذ عن الحسن و
الزهرى اسرائل بلا همز ولا مد وعن الاعمش وعيسى بن عمر كذلك وحكى عن الاخفش اسرال بكسر
الهمزة من غير ياء وحكى قطرب اسرال من غير همز ولا ياء واسرائين بالنون قال ابو على العرب اذا
نطقت بالاعجمى خلطت فيه وانشد هل تعرف الدار لام الخزرج منها فظلت اليوم كالمزوج يريد
المرزجن وهو الحمر من الرزجون قال والنون فى زرجون اصل كالسين من قربوس فاذا جاز
للعرب ان تخلط فيما هو لغتها فكيف فيما ليس من لغتها واختير تحريك الياء فى قوله نعمتى التى انعمت
لانه لقيتها الف الوصل واللام فلم يكن بد من اسقاطها او تحريكها فكان التحريك اولى لانه ادل
على الاصل واشكل بما يلحق اللام فى الاستيناف من فتح الف الوصل واسكان الياء فى قوله
يا عبادى الذين اسرفوا اجود لان من حق ياء الاضافة ان تثبت فى النداء واذا لم تثبت فلا طريق
الى تحريكها والاختيار فى قوله فبشر عبادى الذين يستمعون حذف الياء لانها راس اية ورؤس الاى
لا تثبت فيها الياء لانها فواصل ينوى فيها الوقف كما يفعل ذلك فى القوافى واجمعوا على اسقاط الياء
من قوله فارهبون الا ابن كثير فانه اثبتها فى الوصل دون الوقف والوجه حذفها الكراهة
الوقف على الياء وفى كسر النون دلالة على ذهاب الياء الابن والولد والنسل والذرية متقاربة
المعانى الا ان الابن للذكر والولد يقع على الذكر والانثى والنسل والذرية يقع على جميع ذلك
واصله من البناء وهو وضع الشىء على الشىء فالابن مبنى على الاب لان الاب اصل والابن فرع
والبنوة مصدر الابن وان كان من الياء كالفتوة مصدر الفتى وتثنيته فتيان واسرائيل وهو
يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وقيل اصله مضاف لان اسر معناه عبد وائل هو الله بالعبرانية
فصار مثل عبد الله وكذلك جبرائيل وميكائيل والذكر الحفظ للشىء بذكره وضده النسيان والذكر
جرى الشىء على لسانك والذكر الشرف فى قوله وانه لذكر لك ولقومك والذكر الكتاب الذى فيه
تفصيل الدين وكل كتاب من كتب الانبياء ذكر والذكر الصلوة والدعاء فى الاثر كانت الانبياء
اذا حزبهم امر فزعوا الى الله اى الى الصلوة واصل الباب التنبيه على الشىء قال صاحب العين يقول
وفيت عهدك وفاء واوفيت لغة تهامة قال الشاعر فى الجمع بين اللغتين اما ابن عوف فقد اوفى
بذمته كما وفى بقلاص النجم حاديها يعنى به الدبران وهو التالى والعهد الامر والعهد الوصية
والرهبة الخوف وضدها الرغبة وفى المثل رهبوت خير من رحموت اى لان ترهب خير من ان

ترحم

ترحم يا حرف نداء وبنى فى موضع نصب لانه منادى مضاف واسرائيل فى موضع جر لانه مضاف
اليه لو فتح لانه غير منصرف وفيه سببان العجمة والتعريف وقوله واياى ضميره منصوب ولا يجوز ان يكون
منصوبا بقوله فارهبون لانه مشغول كما لا يجوز ان يقول زيدا فى قولك زيدا اضربه منصوب باضربه
لكنه يكون منصوبا بفعل يدل عليه ما هو مذكور فى اللفظ وتقديره واياى فارهبوا فارهبون ولا يظهر ذلك لانه
استغنى عنه بما يفسره وان صح تقديره ولا يجوز فى مثل ذلك الرفع على ان يكون الخبر فارهبون الا على تقدير
محذوف كما انشد سيبويه وقائلة خولان فانكح فتاتهم واكرومة الحيين خلو كما هيا تقديره هولاء خولان
فانكح فتاتهم وعلى ذلك حمل قوله تعم والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما والزانية والزانى فاجلدوا كل
واحد منهما لما عمم الله تعم جميع الخلق بالحجج الواضحة على توحيده وذكرهم ما انعم به عليهم فى ابيهم
ادم ع خص بنى اسرائيل بالحجج وذكرهم ما اسدى الى ابائهم واليهم من النعم فقال يا بنى اسرائيل يعنى
يا بنى يعقوب فنسبهم الى الاب الاعلى كما قال يا بنى ادم والخطاب لليهود والنصارى وقيل هو خطاب
لليهود الذين كانوا بالمدينة وما حولها عن ابن عباس اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم اراد بذلك
النعم التى انعم بها على اسلافهم من كثرة الانبياء فيهم والكتب وانجائهم من فرعون ومن الغرق على
اعجب الوجوه وانزال المن والسلوى عليهم وكون الملك فيهم فى زمان سليمان ع وغير ذلك وعد النعمة
على ابائهم نعمة عليهم لان الاولاد يتشرفون بفضيلة الاباء وهذا كما يقال فى المفاخرة فعلنا بكم يوم
الفجار وهزمناكم يوم ذى قار وغلبناكم يوم النسار وذكر النعمة بلفظ الواحد والمراد بها الجنس
كقوله تعم وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والواحدة لا يمكن عده وقيل المراد بها النعم الواصلة اليهم
مما اختصوا به دون ابائهم او اشتركوا فيه مع ابائهم فكان نعمة على الجميع من ذلك تبقية ابائهم حتى
تناسلوا فصاروا من اولادهم ومن ذلك خلقه اياهم على وجه يمكنهم معه الاستدلال على توحيده و
الوصول الى معرفته فيشكروا نعمه ويستحقوا ثوابه ومن ذلك ما يوصل اليهم حالا بعد حال من
الرزق ويدفع عنهم من المكاره والاسواء وما يسبغ عليهم من نعم الدين والدنيا فعلى القول
الاول يكون الاية تذكيرا بالنعم عليهم فى اسلافهم وعلى القول الثانى يكون تذكيرا بالنعم عليهم
ومن النعم على اسلافهم ما ذكره فى قوله واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل
فيكم انبياء وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين وقال ابن الانبارى اراد
اذكروا النعمة به عليكم فيما استودعتكم من علم التورية وبينت لكم من صفة محمد ص والزمتكم
من تصديقه واتباعه فلما بعث ولم يتبعوه كانوا كالناسين لهذه النعمة وقوله واوفوا بعهدى
اوف بعهدكم قيل فيه وجوه احدها ان هذا العهد هو ان الله تعم عهد اليهم فى التورية انه باعث
نبيا يقال له محمد فمن تبعه كان له اجران اثنان اجر باتباعه موسى وايمانه بالتورية واجر باتباعه
محمدا وايمانه بالقران ومن كفر به تكاملت اوزاره وكانت النار جزاءه فقال اوفوا بعهدى فى
محمد اوف بعهدكم ادخلكم الجنة عن ابن عباس وسمى ذلك عهدا لانه تقدم به اليهم فى الكتاب
السابق وقيل انما جعله عهدا لتاكيده وبمنزلة العهد الذى هو اليمين كما قال سبحانه واذ

اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وثانيها انه العهد الذى عاهدهم عليه حيث قال
خذوا ما اتيناكم بقوة اى بجد واذكروا ما فيه اى ما فى الكتاب عن الحسن وثالثها انه ما عهد اليهم
فى سورة المائدة حيث قال ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقال الله انى معكم
لان اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلى الاية عن قتادة ورابعها انه اراد جميع الاوامر والنواهى
وخامسها انه جعل تعريفه اياهم نعمه عهدا عليهم وميثاقا لانه يلزمهم القيام بما يامرهم به من شكر
هذه النعم كما يلزمهم الوفاء بالعهد والميثاق الذى يوخذ عليهم والاول اقوى لان عليه اكثر المفسرين
وبه يشهد القران وقوله واياى فارهبون اى خافون فى نقض العهد وفى هذه الاية دلالة على وجوب
شكر النعمة وفى الحديث التحدث بالنعم شكر وفيها دلالة على عظم المعصية فى جحود النعم وكفرانها ولحوق الوعيد
الشديد بكتمانها ويدل ايضا على ثبوت افعال العباد اذ لم يكن لهم افعال لما صح العهد والامر والنهى
والوعد والوعيد ولادى الى بطلان الرسل والكتب وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم
ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتى ثمنا قليلا واياى فاتقون اية قوله اول كافر به قال
الزجاج يعنى اول الكافرين وفيه قولان قول الاخفش معناه اول من كفر به وقال غيره من البصريين
اول فريق كافر به اى بالنبى ص قال وكلا القولين صواب حسن ونظير قوله اول كافر قول الشاعر
واذا هم طعموا فالام طاعم واذا هم جاعوا فشر جياع والثمن والعوض والبدل نظاير وبينهما فرق
فالثمن هو البدل فى البيع من العين او الورق واذا استعمل فى غيرهما كان مشبها بهما ومجازا والعوض
هو البدل الذى ينتفع به كاينا ما كان والبدل هو الشئ يجعل مكان غيره وثوب ثمين كثير الثمن والثمين
الثمن والفرق بين الثمن والقيمة ان الثمن قد يكون وفقا وقد يكون بخسا وقد يكون زايدا والقيمة لا
يكون الا مساوية المقدار الثمن من غير نقصان ولا زيادة مصدقا نصب لانه حال من الهاء
المحذوفة من انزلت كانه قال انزلته مصدقا ويصلح ان ينتصب بامنوا كانه قال امنوا بالقران
مصدقا ومعكم صلة لما والعامل فيه الاستقرار اى للذى استقر معكم فى به عايد الى ما فى قوله بما
انزلت او الى ما من قوله لما معكم ونصب اول كافر لانه خبر كان ثم قال مخاطبا لليهود وامنوا
اى صدقوا بما انزلت على محمد ص من القران لانه منزل من السماء الى الارض مصدقا لما معكم من
التورية امرهم بالتصديق بالقران واخبرهم ان فى تصديقهم بالقران تصديقا منهم للتورية لان
الذى فى القران من الامر بالاقرار بنبوة محمد ص وتصديقه نظير الذى فى التورية والانجيل فان
فيهما البشارة بمحمد وبيان صفته فالقران مصدق لهما وقيل معناه انه يصدق بالتورية لان فيه
الدلالة على انه حق وانه من عند الله والاول اوجه لانه يكون حجة عليهم بان جاء القران بالصفة
التى تقدمت بها البشارة موسى وعيسى عليهما السلام وقوله ولا تكونوا اول كافر به اى بالقران من اهل
الكتاب لان قريشا قد كانت كفرت به بمكة قبل اليهود وقيل المعنى ولا تكونوا الصادقين السابقين
الى الكفر فيتبعكم الناس اى لا تكونوا ايمة فى الكفر به عن ابى العالية وقيل المعنى لا تكونوا اول
جاحد ان صفة النبى فى كتابكم فعلى هذا يعود الهاء فى به الى النبى ص عن ابن جريج وقيل المعنى

ولا تكونوا

ولا تكونوا اول كافر بما معكم من كتابكم لانكم اذا جحدتم ما فيه من صفة النبى ص فقد كفرتم به قال الزجاج وقوله
بان الخطاب وقع على علماء اهل الكتاب فاذا كفروا كفر معهم الاتباع فلذلك قيل لهم ولا تكونوا اول كافر به
قال ولو كان الهاء فى به للقران فلا فايدة فيه لانهم كانوا يظهرون انهم كافرون بالقران وقال على بن عيسى
يحتمل ان يكون اول كافر بالقران انه حق فى كتابكم وانما عظم اول الكفر لانهم اذا كانوا ايمة لهم وقدوة
فى الضلالة كانت ضلالتهم اعظم نحو ما روى عن النبى ص ان من سن سنة حسنة فله اجرها واجر
من عمل بها الى يوم القيمة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة
وقيل فى نهيه عن ان يكونوا اول كافر به دلالة على انه يجوز ان يكونوا اخر كافر لان المقصود النهى عن
الكفر على كل حال وخص اوله بالذكر لما ذكرناه من عظم موقعه كما قال الشاعر من اناس ليس فى اخلاقهم
عاجل الفحش ولا سوء الجزع وليس يريد ان فيهم فحشا اجلا وقوله ولا تشتروا باياتى ثمنا قليلا
وروى عن ابى جعفر ع فى هذه الاية كان يحيى بن اخطب وكعب بن الاشرف واخرون من اليهود
لهم ماكلة على اليهود فى كل سنة فكرهوا ابطالها بامر النبى ص فحرفوا لذلك ايات من القران فيها
صفته وذكره لذلك الثمن الذى اريد فى الاية قال الفراء انما ادخل الباء فى الايات دون الثمن فى
سورة يوسف ادخله فى الثمن فى قوله وشروه بثمن بخس لان العروض كلها انت مخير فيها ان شئت
اشتريت الثوب بكسا وان شئت قلت اشتريت بالثوب كسا ايهما جعلته ثمنا لصاحبه جاز فاذا
جئت الى الدراهم والدنانير وضعت الباء فى الثمن كقوله وشروه بثمن بخس لان الدراهم ثمن ابدا والمعنى
لا تستبدلوا باياتى بما فى التورية من بيان صفة محمد ص ونعته ثمنا قليلا اى عرضا يسيرا من الدنيا
واياى فاتقون فاخشونى فى امر محمد ص لا ما يفوتكم من الماكل والرياسة وتقييد الثمن بالقلة
لا يدل على انه اذا كان كثيرا يجوز شراوه به لان المقصود منه ان اى شئ باعوا به ايات الله كان
قليلا وانه لا يجوز ان يكون بثمن يساويه كقوله ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به وانما اراد
بذلك نفى البرهان عنه على كل حال وانه لا يجوز ان يكون عليه برهان ومثله قوله ويقتلون النبيين
بغير حق ونظير ذلك كثيرة ومثله قول امرء القيس على لاحب لا يهتدى بمناره اذا ساقه العود الديافى
جرجرا وانما اراد به لا منار هناك فيهتدى به وفى هذه الاية دلالة على تحريم اخذ الرشى فى الدين
لانه لا يخلوا اما ان يكون امرا يجب اظهاره او يحرم اظهاره فالاخذ على مخالفة كلى الوجهين
حرام وهذا الخطاب يتوجه ايضا على علماء السوء من هذه الامة اذا اختاروا الدنيا على الدين فيدخل
فيه الشهادات والقضايا والفتاوى وغير ذلك ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا
الحق وانتم تعلمون اية اللبس والتغطية والتعمية نظاير والفرق بين التغطية والتعمية قد يكون
بالنقصان والزيادة وضد اللبس الايضاح واللباس ما واريت به جسدك ولباس التقوى الحياء
واللبس خلط الامور بعضها ببعض والفعل لبس الامر يلبس لبسا ولبس الثوب يلبسه لبسا والفرق
بين اللبس والاخفاء ان الاخفاء يمكن ان يدرك معه المعنى ولا يمكن مع اللبس ادراك المعنى
والاشكال قد يدرك معه المعنى الا انه بصعوبة لاجل التعقيد وقال امير المومنين ع للحارث بن حوط

يا حار ملبوس عليك ان الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله والباطل والبطل واحد وهو ضد الحق
والبطلان والفساد والكذب والزور والبهتان نظاير وابطلت الشئ جعلته باطلا وابطل الرجل جاء
بباطل   قوله تكتموا الحق يحتمل وجهين من الاعراب احدهما الجزم على النهى كانه قال لا تلبسوا الحق
ولا تكتموا فيكون عطف جملة والاخر النصب على الظرف باضمار ان فيكون عطفا لاسم على مصدر الفعل الذى
قبله وتقديره لا يكن منكم لبس الحق وكتمانه ودل تلبسوا على اللبس كما يقال من كذب كان شرا له فكذب يدل
على الكذب فكانه قال من كذب كان الكذب شرا له قال الشاعر لا تنه عن خلق وتاتى مثله عار عليك اذا
فعلت عظيم اى لا تجمع النهى عن خلق والاتيان بمثله   ولا تلبسوا اى لا تخلطوا الحق بالباطل انهم امنوا
ببعض الكتاب وكفروا ببعض لانهم جحدوا صفة النبى صلى الله عليه وآله فذلك الباطل واقروا بغيره مما فى الكتاب وقيل معناه لا
تحرفوا الكلم عن مواضعه فالتحريف هو الباطل وتركهم ما هو فى الكتاب على ما هو الحق وقال ابن عباس لا تخلطوا
الصدق بالكذب وقيل الحق التورية التى انزلها الله على موسى والباطل ما كتبوه بايديهم وقيل الحق اقرارهم ان محمدا
مبعوث الى غيرهم والباطل انكارهم ان يكون بعث اليهم وقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون اى لا تكتموا صفة النبى صلى الله عليه وآله
فى التورية وانتم تعلمون انه حق والخطاب متوجه الى روساء اهل الكتاب كما وصفهم بانهم يحرفون الكلم عن مواضعه
للتلبيس على اتباعهم وهذا تقبيح لما يفعلونه اى يجحدون ما يعلمون وجحد المعاند اعظم من جحد الجاهل و
وقيل معناه وانتم تعلمون البعث والجزاء وقيل معناه وانتم تعلمون ما انزل وسينزل لمن كذب على الله تعالى
وقيل معناه وانتم تعلمون ما نزل ببنى اسرائيل من المسخ وغيره فان قيل كيف يجوز ان هؤلاء عارفين بنبوة
محمد صلى الله عليه وآله وذلك مبنى على معرفة الله وعندكم ان من عرف الله لا يجوز ان يكفر وهؤلاء صاروا كفارا وماتوا على كفرهم
قلنا لا يمتنع ان يكونوا عرفوا الله على وجه لا يستحق بها الثواب لان الثواب انما يستحق بان ينظر وامن الوجه الذى
يستحق به الثواب فاذا نظروا على غير ذلك الوجه لا يستحقون الثواب وعلى هذا يجوز ان يكونوا عارفين بالله
والتورية وبصفات النبى صلى الله عليه وآله وان لم يستحقوا الثواب فلا يمتنع ان يكفروا وقال بعض اصحابنا استحقاقهم
الثواب على ايمانهم مشروط بالموافاة فاذا لم يوافوا بالايمان لم يستحقوا الثواب فعلى هذا لا يجوز ان يكونوا
عارفين وان لم يكونوا مستحقين الثواب يبطل بالكفر والمعتمد الاول   واقيموا الصلوة واتوا
الزكوة واركعوا مع الراكعين اية   اصل الصلوة عند اكثر اهل اللغة الدعاء على ما ذكرناه قبل
ومنه قول الاعشى تقول بنتى وقد قربت مرتحلا يا رب جنب ابى الاوصاب والوجعا عليك مثل
الذى صليت فاغتمضى نوما فان لجنب المرء مضطجعا اى دعوت وقيل اصلها اللزوم من قول الشاعر
لما كن من جنابها علم الله وانى بحرها اليوم صال اى ملازم بحرها فكان معنى الصلوة ملازمة
العبادة على الحد الذى امر الله تعالى به وقيل اصلها من الصلا وهو عظم العجز لرفعه فى الركوع والسجود
ومنه قول النابغة فابت مصلوه بعين جلية وغودر بالجولان حزم ونائل اى اللذين جاءوا فى صلا
السابق وعلى القول الاول اكثر العلماء وقد بينا اقامة الصلوة فيما مضى والزكوة والنماء والزيادة
نظاير فى اللغة وقال صاحب العين الزكوة المال وهو تطهيره وزكاء الزرع وغيره يزكوا زكاء
ممدود اى نما وازداد وهذا لا يزكوا بفلان اى لا يليق به والزكوة الشفع والخسا الوتر واصله

نمى

ع ل ١

تثمير المال بالبركة التى يجعلها الله فيه والركوع والانحناء والانخفاض نظاير فى اللغة قال ابن دريد الراكع الذى
يكبو على وجهه ومنه الركوع فى الصلوة قال الشاعر وافلت حاجب فوق العوالى على شقاء تركع فى الظراب
وقال صاحب العين كل شئ ينكب لوجهه فتمس ركبته الارض او لا تمس بعد ان يطاطا راسه فهو راكع قال
الشاعر ولكنى انض العيس تدمى اباطلها وتركع بالحزون وقال لبيد اخبر اخبار القرون التى مضت
ادب كانى كلما قمت راكع وقيل انه ماخوذ من الخضوع قال الشاعر لا تهين الفقير علك ان تركع يوما
والدهر قد رفعه والاول اقوى وانما يستعمل فى الخضوع مجازا او توسعا   واقيموا الصلوة اى
ادوها باركانها وحدودها وشرايطها كما بينها النبى صلى الله عليه وآله واتوا الزكوة اى اعطوا ما فرض الله عليكم
فى اموالكم على ما بينه الرسول عليه السلام لكم وهذا حكم جميع ما ورد فى القران مجملا فان بيانه يكون موكولا الى النبى صلى الله عليه وآله
كما قال سبحانه وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا فلذلك امرهم بالصلوة والزكوة على طريق
الاجمال واحال فى التفصيل على بيانه عليه السلام وقوله واركعوا مع الراكعين انما خص الركوع بالذكر ومن افعال الصلوة
بعد قوله واقيموا الصلوة لاحد وجوه اولها ان الخطاب لليهود ولم يكن فى صلوتهم ركوع وكان الاحسن
ذكر المختص دون المشترك لانه ابعد من اللبس وثانيها انه عبر بالركوع عن الصلوة يقول القايل فرغت من
من ركوعى اى صلوتى وانما قيل ذلك لان الركوع اول ما يشاهد من الافعال الذى يستدل بها على ان
الانسان يصلى فكانه كرر ذكر الصلوة تاكيدا عن ابى مسلم ويمكن ان يكون فيه فايدة تزيد على التاكيد
وهو ان قوله واقيموا الصلوة انما تفيد وجوب اقامتها ويحتمل ان يكون اشارة الى صلوتهم التى يعرفونها
وان يكون اشارة الى الصلوة الشرعية وقوله اركعوا مع الراكعين معناه صلوا مع هؤلاء المسلمين
الراكعين فيكون مخصصا بالصلوة المتقررة فى الشرع فلا يكون تكرارا بل يكون بيانا وثالثها انه
حث على صلوة الجماعة لتقدم ذكر الصلوة فى اول الاية   اتامرون الناس بالبر
وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون اية   البر فى اللغة والاحسان والصلة نظاير يقال فلان
بار وصول محسن وضد البر العقوق ورجل بر وبار وبرت يمينه صدقت وبر حجه وبر لغتان وقولهم فلان
لا يعرف هرا من بر قال الاخفش معناه لا يعرف من يهر عليه ممن يبره وقال المازنى الهر السنور والبر الفارة
او دويبة تشبهها والفرق بين البر والخير ان البر يدل على قصد والخير قد يقع على وجه السهو والنسيان والسهو
والغفلة نظاير وضد النسيان الذكر وحقيقته غروب الشئ عن النفس بعد حضوره وهو عدم علم ضرورى
من فعل الله تعالى والتلاوة والقراءة تلا يتلوا تلوا والسهو قد يقع كما كان الانسان عالما به وعما لم يكن عالما
به وقد يكون النسيان بمعنى الترك نحو قوله نسوا الله فنسيهم اى تركوا ذكر الله فخذلهم والتلاوة
والقراءة تلا يتلوا تلوا اى تبع واصل التلاوة منه لاتباع بعض الحروف منها بعضا والفرق بين التلاوة
والقراءة ان اصل القراءة جمع الحروف واصل التلاوة اتباع الحروف والعقل والفهم والمعرفة واللب
نظاير ورجل عاقل فهم لبيب ذو معرفة وضد العقل الحمق يقال عقل الشئ عقلا واعقله غيره وقيل لابن
عباس انى لك هذا العلم قال قلب عقول ولسان سئول وقال صاحب كتاب العين العقل ضد الجهل
يقال عقل الجاهل اذا علم وعقل المريض بعدما اهجر وعقل المعتوه ونحوه والعقال الرباط يقال علقته

البعير اعقله عقلا اذا شددت يده بالعقال والعقل مجموع علوم لاجلها يمتنع الحي من كثير من المقبحات ويفعل كثيرا
من الواجبات وانما سمي تلك العلوم عقلا لانها تعقل عن فعل القبيح وقيل لانها تعقل العلوم المكتسبة ولا يوصف
القديم تعالى بانه عاقل لانه لا يعقله شيء عن فعل القبيح وانما لا يختاره لعلمه بقبحه وبانه غني عنه ولانه لا يكتسب
علما بشيء فيثبت بعض علومه ببعض وقال علي بن عيسى العقل هو العقل الذي يزجر عن قبيح الفعل ومن كان زاجره
اقوى فهو اعقل وقيل العقل معرفة يفصل بها بين القبيح والحسن في الجملة وقيل هو التمييز الذي فارق الانسان
جميع الحيوان وهذه العبارات قريبة معاني بعضها من بعض والفرق بين العقل والعلم ان العقل قد يكمل لمن
فقد بعض العلوم ولا يكمل العلم لمن فقد بعض عقله فان قيل اذا كان العقل مختلفا فيه فكيف يجوز ان يستشهد
به قلنا ان الاختلاف في ماهية العقل لا يوجب الاختلاف في قضاياه الا ترى ان الاختلاف في ما العقل حتى
بعضهم قال معرفة وبعضهم قال قوة لا يوجب الاختلاف في ان المائة اكثر من واحد وان الكل اعظم من الجزء
وغير ذلك من قضايا العقول هذه الاية خطاب لعلماء اليهود وكانوا يقولون لاقربائهم من المسلمين اثبتوا على
انتم عليه ولا يؤمنون هم والالف للاستفهام ومعناه التوبيخ والمراد البر الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبخهم الله على ما كانوا
يفعلون من امر الناس بالايمان وترك انفسهم عن ذلك قال ابو مسلم كانوا يامرون العرب بالايمان بمحمد عليه السلام
اذا بعث فلما بعث كفروا به وروي عن ابن عباس ان المراد انهم كانوا يامرون اتباعهم بالتمسك بالتوراة
وتركوا هم التمسك بها لان جحدهم النبي صلى الله عليه وسلم وصفته فيه ترك للتمسك به وعن قتادة قال كانوا يامرون الناس
بطاعته وهم يخالفونه وروى انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي على اناس تقرض
شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء يا جبرئيل فقال هؤلاء خطباء من اهل الدنيا ممن كانوا
يامرون الناس بالبر وتنسون انفسهم وقال بعضهم انا مرون الناس بالصدقة وتتركونها انتم واذا
اتاكم الضعفاء بالصدقة لتفرقوها على المساكين خنتم فيها وقوله وانتم تتلون الكتاب معناه تقرؤون
التورية وفيها صفته ونعته عن ابن عباس وقوله افلا تعقلون اي افلا تفقهون ان ما تفعلونه قبيح
في العقول وعن ابي مسلم معناه ان هذا ليس بفعل من يعقل وقيل معناه افلا تعلمون ان الله يعذبكم ويعاقبكم
على ذلك وقيل افلا تعلمون ان ما في التورية حق فتصدقوا محمدا وتتبعوه فان قيل اذا كان فعل البر
واجبا والامر به واجبا فلماذا وبخهم الله على الامر بالبر قلنا انه لم يوبخهم الله تعالى على الامر بالبر وانما
وبخهم على ترك فعل البر المضموم الى الامر لان ترك البر ممن يامر به اقبح من تركه ممن لا يامر به كقول
الشاعر لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم ومعلوم انه لم يرد النهي عن الخلق
المذموم انما نهى عن اتيان مثله واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا
على الخاشعين اية الصبر منع النفس محابها وكفها عن هواها ومنه الصبر على المصيبة لكف
الصابر نفسه عن الجزع ومنه جاء في الحديث وهو شهر الصبر لشهر رمضان لان الصائم يصبر نفسه
ويكفها عما يفسد الصيام وقتل فلان صبرا وهو ان ينصب صبرا للقتل ويحبس عليه حتى يقتل
وكل من حبسته لقتل او يمين يقال فيه قتل صبرا ويمين صبر وصبرته اي حلفته بالله جهد القسم وفي
الحديث اقتلوا القاتل واصبروا الصابر وذلك فيمن امسك حتى قتله اخر فامر بقتل القاتل وحبس

المسلم

ل ل ا

للسلك والخشوع والخضوع والتذلل والاخبات نظاير وضد الخشوع الاستكبار وخشع الرجل اذا رمى ببصره الى الارض
واختشع اذا طاطا راسه كالمتواضع والخشوع قريب المعنى من الخضوع الا ان الخضوع في البدن والاقرار
بالاستخذاء والخشوع في الصوت والبصر قال سبحانه خاشعة ابصارهم وخشعت الاصوات للرحمن اي
سكنت واصل الباب من اللين والسهولة والخاشع والمتواضع والمتذلل والمستكين بمعنى قال الشاعر
لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع وقوله لكبيرة اللام يدخل في خبر
ان ولا يدخل في خبر اخواتها لانها لام التاكيد فهي شبيهة بان في انها تدخل في المبتدا وخبره كما يدخل
ان ويدخل لمعنى القسم كما تقول والله لتخرجن كما تقول والله انك خارج فاذا كان بينهما هذه المجانسة
فاذا دخلت على ان في نحو انها لكبيرة كرهوا ان يجمعوا بين حرفين متشاكلين متفقين في المعنى فاخر اللام
الى الخبر ليفصل بين اللام وبين ان بالاسم نحو انها لكبيرة فاما ساير اخوات ان فمتى تركت مع المبتدا
وخبره خرج المبتدا من صورة المبتدا ويصير قسما اخر فلا يدخل اللام عليه واذا لم يدخل اللام عليه
كان بالحري ان لا يدخل على خبره قال الجبائي انه خطاب للمسلمين دون اهل الكتاب وقال الرماني
وغيره هو خطاب لاهل الكتاب وتناول للمؤمنين على وجه التاديب والاولى ان يكون خطابا لجميع
المكلفين لفقد الدلالة على التخصيص ويؤيد قول من قال انه خطاب لاهل الكتاب ان ما قبل الاية
وما بعدها خطاب لهم من قال انه خطاب لليهود قال ان حب الرياسة كان يمنع علماء اليهود
عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم لانهم خافوا زوال الرياسة اذا اتبعوه فامرهم الله تعالى فقال استعينوا على الوفاء
بعهدي الذي عاهدتكم في كتابكم عليه من طاعتي واتباع امري وترك ما نهيتكم عنه والتسليم لامري
واتباع رسولي محمد بالصبر على ما انتم فيه من ضيق المعاش الذين تاخذون الاموال من عوامكم
بسببه وروي عن ائمتنا عليهم السلام ان المراد بالصبر الصوم فيكون فائدة الاستعانة به انه يذهب
بالشدة وهوى النفس كما قال عليه السلام الصوم وجاء وفائدة الاستعانة بالصلوة انه يتلى فيها ما يرغب
فيما عند الله تعالى ويزهد في الدنيا وحب الرياسة كما قال سبحانه ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر
ولانها تتضمن التواضع لله تعالى فيندفع حب الرياسة وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اضره امر استعان بالصلوة
والصوم ومن قال انه خطاب للمسلمين قال المراد به استجيبوا على ان تنجزها وعدته لمن اتبع النبي صلى الله عليه وسلم
او على مشقة التكليف بالصبر اي بحبس النفس على الطاعات وحبسها عن المعاصي والشهوات وبالصلوة
لما فيها من تلاوة القران والتدبر لمعانيه والاتعاظ بمواعظه والايتمار باوامره والانزجار عن
نواهيه ووجه اختصاصه انه ليس في افعال القلوب اعظم من الصبر ولا في افعال الجوارح اعظم من الصلوة
فامر بالاستعانة بهما وروي عن علي عليه السلام قال ما يمنع احدكم اذا دخل عليه غم من غموم الدنيا ان يتوضأ
ثم يدخل المسجد فيركع ركعتين يدعو الله فيهما اما سمعت الله يقول واستعينوا بالصبر والصلوة
وقوله تعالى وانها لكبيرة قيل في الضمير العايد من انها وجوه احدها انه عايد الى الصلوة لانه الاغلب
والافضل وهو قول اكثر المفسرين وعلى هذا نفي عود الضمير الى واحد وقد تقدم ذكر اثنين فان
احدها ان المراد به الصلوة دون غيرها وخصها بالذكر لقربها منه ولانها الاهم والافضل وللتاكيد

حالها وتفخيم شانها وعموم فرضها والاخران المراد اثنان وان كان اللفظ واحدا ويشهد لذلك قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وقول الشاعر ان شرخ الشباب والشعر الاسود ما لم يعاص كان جنونا ولم يقل يعاصيا وقول الاخر فمن يك امسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها لغريب ويروى وقيارٌ وقول الاخر اما الوشاة وحسن النساء فقد وبيت منه وان العقل محتنك ونحو ذلك كثير في الكلام وثانيها انه عايد الى الاستعانة بما لكبيرة وقوله واستعينوا يدل على الاستعانة ومثله قول الشاعر اذا نهي السفيه جرى اليه وخالف والسفيه الى خلاف اي جرى الى السفه ودل وسفه على السفه وثالثها ان الضمير عايد الى محذوف وهو الاجابة للنبي صلعم عن الاصم او مواخذة الوجود الاخيرة كلها ضعيفة لانه لم يجر لها ذكر وقوله لكبيرة اي ثقيلة عن الحسن وغيره والاصل فيه ان كل ما يكبر يثقل على الانسان حمله فيقال لكل ما يتعلق على النفس وان لم يكن من جهة الحمل يكبر عليها تشبيها بذلك وقوله الا على الخاشعين اي على المتواضعين لله تعالى فانهم قد وطنوا انفسهم على فعلها وعودوها اياها فلا تثقل عليهم وايضا فان المتواضع لا يبالي بزوال الرياسة اذ احصل له الايمان وقال مجاهد اراد بالخاشعين المؤمنين فانهم اذا علموا ما يحصل لهم الثواب بفعلها لم يثقل عليهم ذلك كما ان الانسان يتجرع مرارة الدواء لما يرجوا به من نيل الشفاء وقال الحسن اراد بالخاشعين الخائفين

الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون

اية

الظن المذكور في الاية بمعنى العلم واليقين كما قال دريد بن الصمة فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج سراتهم بالفارسي المسرد وقال ابو داود رب هم فرجته بغريم وغيوب كشفتها بظنون وقال المبرد ليس من كلام العرب اظن عند زيد مالا بمعنى اعلم لان العلم المشاهد لا يناسب باب الظن هو افصح عن ذلك اوس بن حجر في قوله الا بمعنى الذي يظن بك الظن كان قد راى وقد سمعا وقال الاخر فالا ياتكم خبر بيقين فان الظن ينقص او يزيد وقال بعض المحققين اصل الظن ما يجول في النفس من الخاطر الذي يغلب على القلب كانه حديث النفس بالشيء ويأول جميع ما في القران من الظن بمعنى العلم على هذا والظن والشك والتجويز نظاير الا ان الظن فيه قوة على احد الامرين دون الاخر وحده ما قوي عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه وان يكون على خلافه فبالتجويز ينفصل من العلم وبالقوة ينفصل من الشك والتقليد وغير ذلك وهو من جنس الاعتقاد عند ابي هاشم وجنس برأسه سوى الاعتقاد عن ابي علي والقاضي واليه ذهب المرتضى قدس الله روحه وضد الظن اليقين والظنين المتهم ومصدره الظنة والظنون الرجل السيء الظن بكل احد الظنون البئر التي يظن ان بها ماء ولا يكون ومظنة الرجل حيث يالفه ويكون فيه واصل الملاقاة الملاصقة من قولك التقى الحطان اذا تلاصقا ثم كثر حتى قيل التقى الفارسان اذا تحاذيا ولم يتلاصقا ويقال رجع الرجل ورجعته انا لازم ومتعد واصل الرجوع العود الى الحال الاولى

الذين يظنون موضع الجر صفة للخاشعين وانهم بفتح الالف لا يجوز غيره لان الظن فعل واقع على معنى انه معه يتعلق بالغير فما يكون يليه يكون مفعولا له وان المفتوحة الهمزة يكون مع الاسم والخبر في تاويل اسم مفرد وههنا قد سدت مسد مفعول يظن ويكون المفعول الثاني مستغنى عنه فحذفه لامن الكلام غير مضمر كما ان الفاعل في قائم الزيدان سد مسد الخبر لطول الكلام والاستغناء به عنه وهذا القول هو المختار عند ابي علي وفيه قول اخر وهو ان ان مع الاسم والخبر في موضع

المفعول

تعه

المفعول الاول والمفعول الثاني مضمر محذوف لعلم المخاطب به فكانه قال الذين يظنون ملاقاة ربهم وا وحذفت النون من ملاقوا ربهم تخفيفا عند بصريين والمعنى على اثباتها فان المضاف اليه ههنا وان كان مجرورا في اللفظ فهو منصوب في المعنى فهي اضافة لفظية غير حقيقية ومثله قوله انا مرسلوا الناقة وكل نفس ذايقة الموت وقول الشاعر هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق ولو اردت معنى الماضي لتعرف الاسم بالاضافة ولم يجز اظهار النون البتة وقوله وانهم اليه راجعون في موضع النصب عطفا على الاول

لما تقدم ذكر الخاشعين بين صفتهم فقال الذين يظنون اي يوقنون انهم ملاقوا ما وعدهم ربهم عن الحسن ومجاهد وغيرهما ونظيره قوله اني ظننت اني ملاق حسابيه وقيل انه بمعنى الظن غير اليقين والمعنى انهم يظنون انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم لشدة اشفاقهم من الاقامة على معصية الله تعالى قال الرماني وفيه بعد لكثرة الحذف وقيل الذين يظنون انقضاء اجالهم وسرعة موتهم فيكونون ابدا على حذر ووجل ولا يركنون الى الدنيا كما يقال لمن مات لقي الله ويدل على ان المراد بقوله ملاقوا ربهم ملاقون جزاء ربهم قوله في صفة المنافقين فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه ولا خلاف في ان المنافق لا يجوز ان يرى ربه فكذلك قوله ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وجاء في الحديث من حلف على مال امرء مسلم كاذبا لقي الله وهو عليه غضبان وليس اللقاء من الرؤية في شيء يقال لقاك الله محابك ولا يراد به ان يراد اشخاصا وانما يراد لقاء ما ليسره وقوله وانهم اليه راجعون يسال ههنا فيقال ما معنى الرجوع في الاية وهم ما كانوا قط في الاخرة فيعودوا اليها فجوابه من وجوه احدها انهم راجعون بالاعادة في الاخرة عن ابي العالية وثانيها انهم يرجعون بالموت كما كانوا في الحال المتقدمة لانهم كانوا امواتا فاحيوا ثم يموتون فيرجعون امواتا كما كانوا وثالثها انهم يرجعون الى موضع لا يملك احد لهم ضرا ولا نفعا غيره تعالى كما كانوا في بدو الخلق لانهم في ايام حيوتهم قد يملك غيرهم الحكم عليهم والتدبير لنفعهم وضرهم يبين ذلك قوله مالك يوم الدين وتحقيق معنى الاية انهم يقرون بالنشاة الثانية فجعل رجوعهم بعد الموت الى المحشر رجوعا اليه

يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين اية

قد مضى تفسير اول الاية فيما تقدم وقوله واني فضلتكم على العالمين قال ابن عباس اراد به عالمي اهل زمانهم لان امتنا افضل الامم بالاجماع كما ان نبينا ع افضل الانبياء وبدليل قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس وقيل المراد به تفضيلهم في اشياء مخصوصة وهي انزال المن والسلوى وما ارسل الله فيهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب الى غير ذلك من النعم العظيمة من تغريق فرعون والايات الكثيرة التي تخف معها الاستدلال ويسهل بها المشاق وتفضيل الله واياهم في اشياء مخصوصة لا يوجب ان يكونوا افضل الناس على الاطلاق كما يقال حاتم افضل الناس في السخاء ونظير هذه الاية قوله واذ نجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب الى قوله وانتم تنظرون فان قيل فما الفايدة في تكرار قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم قلنا لانه لما كانت نعم الله هي الاصل فيما يجب شكره احتيج الى تاكيدها كما يقول القايل اذهب اذهب عجل عجل وقيل ايضا ان التذكير الاول ورد مجملا والثاني ورد مفصلا وقيل انه في الاول

ذكرهم نعمه على انفسه وفي الثاني ذكرهم نعمه على ابائهم واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها
شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ايه قرا اهل مكة والبصرة لا تقبل والباقون بالياء فمن قرا با
التاء الحق علامة التانيث لتؤذن ان الاسم الذي اسند اليه الفعل وهو الشفاعة مؤنث ومن قرا بالياء فلان
التانيث في الاسم ليس بحقيقي فحمل على المعنى فذكر ان الشفاعة والتشفع بمنزلة كما ان الوضع والموعظة والصيحة
والصوت كذلك وقد قال تعم فمن جاءه موعظة واخذ الذين ظلموا الصيحة ويقوي التذكير ايضا انه فصل
بين الفعل والفاعل بقوله منها والتذكير يحسن مع الفصل كما يقال في تانيث الحقيقي حضر القاضي اليوم امراه
الجزاء والمكافاة والمقابلة نظاير يقال جزى يجزي جزاء وجازاه مجازاة فلان ذو جزاء اي ذو غناء
فكان قوله لا تجزي نفس عن نفس شيئا اي لا يقابل مكروهها بشيء يدراه عنها ومنه انه ع قال لابي برده في
الجذعة التي امره ان يضحي بها ولا تجزي عن احد بعدك وقال ع البقرة تجزي عن سبعة اي تقضي وتكفي قال ابو عبيده
هو ماخوذ من قوله جزى عني هذا الامر فاما قولهم اجزاني الشيء اي كفاني فمهموز وقبول الشيء هو تلقيه والاخذ به
خلاف الاعراض عنه ومن ثم قيل لتجاه الشيء قبالته وقالوا قواة اقبلت المكواة ونقيضه الامتناع والشفاعة
ماخوذه من الشفع فكانه سوال من الشفيع يشفع سوال المشفوع له والشفاعة والوسيلة والقربة والوصلة
نظاير والشفعة في الدار وغيرها معروفة وانما سميت شفعة لان صاحبها يشفع ماله بها ويضمها الى ملكه
والعدل والحق والانصاف نظاير ونقيض العدل الجور والعدل المرضي من الناس الذكر والانثى والجمع والواحد
فيه سواء والعدل الفدية في الاية والفرق بين العدل والعدل ان العدل هو مثل الشيء من جنسه والعدل هو بدل
الشيء وقد يكون من غير جنسه قال سبحانه او عدل ذلك صياما والنصرة والمعونة والتقوية نظاير وفي
الحديث انصر اخاك ظالما او مظلوما اي امنعه من الظلم ان كان ظالما وامنع منه الظلم ان كان مظلوما
وانصار الرجل اعوانه ونصرت السماء اذا امطرت يوما انتصابه انتصاب المفعول لا انتصاب
الظروف لان معناه اتقوا هذا اليوم واحذروه وليس معناه اتقوه في هذا اليوم لان ذلك اليوم لا يؤمر فيه بالاتقا
وانما يؤمر في غيره من اجله وموضع لا تجزي نصب لانه صفة يوم والعايد الى الموصوف فيه اختلاف ذهب سيبويه
الى ان فيه محذوف من الكلام اي لا يجزي فيه وقال اخرون لا يجوز اضمار فيه لانك لا تقول هذا رجل
قصدت او رغبت وانت تريد اليه او فيه وهو محمول على المفعول على السعة واتقوا يوما لا تجزيه ثم حذف
الهاء كما يقال رايت رجلا احب اي احبه وهو قول السراج قال ابو علي حذف الهاء من الصفة كما يحذف
من الصلة لما بينهما من المشابهة فان الصفة تخصص الموصوف كما ان الصلة تخصص الموصول ولا يعمل
في الموصوف ولا ما يتسلط عليه كما لا يعمل الصلة في الموصول ومرتبتها ان يكون بعد الموصوف كما ان مرتبة
الصلة ان يكون بعد الموصول وقد تلزم الصفة في اماكن كما تلزم الصلة وذلك اذا لم يعرف الموصوف
الا بها ولا تعمل فيما قبل الموصوف كما لا تعمل الصلة فيما قبل الموصول فاذا كان كذلك حسن الحذف من الصفة
كما يحسن من الصلة في نحو قوله اهذا الذي بعث الله رسولا وقال الاخفش شيئا في موضع المصدر
كانه لا تجزي جزاء ولا يغني غناء وقال الرماني الاقرب ان يكون شيئا في موضع حقا كانه قال لا يؤدي
عنها حقا وجب عليها وقوله لا يقبل منها شفاعة موضع هذه الجملة نصب بالعطف على الجملة التي هي وصف

قبلها

قبلها ومن ذهب الى انه حذف الجار واوصل الفعل الى المفعول ثم حذفوا الراجع من الصفة كان مذهبه في لا يقبل منها
ايضا مثله فيما حذف منه الراجع الى الصفة قول الشاعر وما شيء حميت بمستباح والضمير في منها عايد الى نفس
على اللفظ وفي قوله ولا هم ينصرون على المعنى لانه ليس المراد به المفرد فلذلك جمع لما بين سبحانه نعمه عليهم العظام
انذرهم في كفرانها بيوم القيمة فقال واتقوا اي احذروا واخشوا يوما لا يجزي اي لا يغني ولا يقضي فيه نفس عن نفس
شيئا ولا يدفع عنها مكروها وقيل لا يؤدي احد عن احد حقا وجب لله او لغيره وانما نكر النفس ليتبين ان
كل نفس بهذا حكم وهذا مثل قوله سبحانه واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا
وقوله ولا تقبل منها شفاعة قال المفسرون حكم هذه الاية مختص باليهود لانهم قالوا نحن اولاد الانبياء وآباؤنا
يشفعون لنا فايسهم الله عن ذلك وخرج الكلام مخرج العموم والمراد به الخصوص ويدل على ذلك ان الامة
اجمعت على ان للنبي ص شفاعة مقبولة وان اختلفوا في كيفيتها فعندنا هي مختصة بدفع المضار واسقاط العقاب
عن مستحقه من مذنبي المؤمنين وقالت المعتزلة هي في زيادة المنافع للمطيعين والتائبين دون العاصين
وهي ثابتة عندنا للنبي ص ولاصحابه المنتجبين والائمة من اهل بيته الطاهرين ولصالحي المؤمنين وينجي الله
تعالى بشفاعتهم كثيرا من الخاطئين ويؤيده الخبر الذي تلقته الامة بالقبول وهو قوله ادخرت شفاعتي
لاهل الكباير من امتي وما جاء في روايات اصحابنا رضي الله عنهم مرفوعا الى النبي ص انه قال اني اشفع
يوم القيمة فاشفع ويشفع علي فيشفع ويشفع اهل بيتي فيشفعون وان ادنى المؤمنين شفاعة ليشفع في
اربعين من اخوانه كل قد استوجبوا النار وقوله تعم مخبرا عن الكفار عند حيرانهم على الفايت لهم مما حصل لاهل
الايمان من الشفاعة فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقوله ولا يؤخذ منها عدل اي فدية وانما سمي الفداء
عدلا لانه يعادل المفدى ويماثله وهو قول ابن عباس ومعناه لا يؤخذ من احد فداء يكفر عن ذنوبه وقيل
لا يؤخذ منه بدل بذنوبه واما ما جاء في الحديث لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا فاختلف في معناه فقال الحسن
الصرف العمل والعدل الفدية وقال الاصمعي التطوع والعدل الفريضة وقال ابو عبيدة الصرف الحيلة والعدل الفدية
وقال الكلبي الصرف الفدية والعدل رجل مكانه وقوله ولا هم ينصرون اي لا يعانون حتى ينجوا من العذاب
وقيل ليس لهم ناصر فينصرهم من الله اذا عاقبهم واذ نجيناكم من ال فرعون يسومونكم
سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ايه في الشواذ
قراءة ابن محيص يذبحون ابناءكم قال ابن جني وجه ذلك ان فعل بالتخفيف قد يكون فيه معنى
التكثير وذلك لدلالة الفعل على مصدره والمصدر اسم الجنس وحسبك بالجنس سعة وعموما وانشد ابو
الحسن انت الفداء لقبلة هدمتها ونقرتها بيديك كل منقر وكانه قال ونقرتها لان قوله كل منقر عليه جاء
ولما في الفعل من معنى المصدر الدال على الجنس لم يجز تثنيته ولا جمعه لاستحالة كل واحد من التثنية
والجمع في الجنس الانجاء والتنجية والتخليص واحد والنجاة والسلامة والخلاص والتخلص واحد
ويقال للمكان المرتفع نجوة لان الصاير اليه يتخلص من كثير من المضار وفرق بعضهم بين الانجاء
والتنجية فقال الانجاء يستعمل في الخلاص قبل وقوعه في المهلكة والتنجية تستعمل في الخلاص قبل وقوعه
في المهلكة والال والاهل واحد وقيل اصل ال اهل لان تصغيره اهيل وحكى الكساي اويل

وزعموا انه ابدلت كما قالوا هيهات واوهات وقيل لا بل هو اصل بنفسه والفرق بين الال والاهل ان الاهل اعم منه
يقال اهل البصرة ولا يقال ال البصرة ويقال ال الرجل قومه وكل من يؤول اليه بنسب او قرابة ماخوذ من الاول
وهو الرجوع واهله كل من يضمه بيته وقيل ال الرجل قرابته واهل بيته وال البعير الواحه وال الخيمة عمده وال
الجبل اطرافه ونواحيه وقال ابن دريد ال كل شي شخصه وال الرجل اهله وقرابته قال الشاعر ولا ابك
ميتا بعد ميت احبه علي وعباس وال ابي بكر قال ابو عبيده سمعت اعرابيا فصيحا يقول اهل مكة ال الله
فقلنا ما تعني بذلك قال اليسوا مسلمين المسلمين ال الله قال وانما يقال ال فلان للرئيس المنيع وفي شبه
مكة لانها ام القرى ومثل فرعون في الضلال واتباع قومه له فاذا جاوزت هذا فان ال الرجل اهل بيته
خاصة فقلنا له فتقول لقبيلته ال فلان قال لا الا اهل بيته خاصة وفرعون اسم لملك العمالقة كما يقال لملك
الروم قيصر ولملك الفرس كسرى ولملك الترك خاقان ولملك اليمن تبع فهو هذا بمعنى الصفة وقيل ان اسم فرعون
مصعب بن الريان وقال محمد بن اسحق وهو الوليد بن مصعب يسومونكم يكلفونكم من قولهم سامه خطة
خسف اذا كلفه اياه وقيل يولونكم سوء العذاب وسامه خسفا اذا اولاه ذلا قال الشاعر ان سيم خسفا
وجهه تربدا وقيل يجشمونكم وقيل يعذبونكم واصل الباب السوم الذي هو ارسال الابل في الرعي وسوء العذاب واليم
العذاب وشديد العذاب نظاير قال صاحب العين السوء اسم العذاب الجامع للافات والداء يقال سوت
فلانا اسوءه مساءة ومسائية واسيا فلان من السوء ومثل اهتم من الهم والسوء الفعلة القبيحة والسوء الفجور
والسوءة ايضا كل عمل شين وتقول في النكرة رجل سوء كما تقول رجل صدق فاذا عرفت قلت الرجل السوء فلا تضيفه
ولا تقول الرجل الصدق وقوله بيضاء من غير سوء اي من غير برص والذبح والنحر والشق نظاير والذبح فري
الاوداج والتذبيح والتكثير منه واصله الشق يقال ذبحت المسك اذا فتقت عنه قال كان بين فكها والفك
فارة مسك ذبحت في شك والذبح الشي المذبوح والذباح الذبح بفتح الفاء وتسكينها داء يصيب الانسان
في حلقه ويستحيون اي يستبقون منه قول النبي صلعم اقتلوا شيوخ المسلمين واستحيوا شرخهم اي استبقوا شبابهم
والنساء والنسوة والنسوان لا واحد لها من لفظها والبلاء والاحسان والنعمة نظاير في اللغة والبلاء يستعمل
في الخير والشر قال سبحانه ونبلوكم بالشر والخير فتنة والابلاء في الانعام قال وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا
وقال زهير جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم وابلاهما خير البلاء الذي يبلوا فالبلاء يكون بالانعام
كما يكون بالانتقام واصل البلاء الامتحان والاختبار قال الاحنف البلاء ثم الثناء   العامل في اذ
من قوله واذ نجيناكم قوله اذكروا من قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي فهو عطف على ما تقدم وقوله يسومونكم
يجوز ان يكون في موضع نصب على الحال من ال فرعون والعامل فيه نجيناكم ويجوز ان يكون للاستيناف
والابناء جمع ابن واصل ابن بنو بفتح الفاء والعين ويدل على الفاء كانت مفتوحة قولهم في جمعه ابناء على
وزن افعال وافعال بناء ان يكون الفعل نحو جبل واجبال كما كان فعل بتسكين العين بابه افعل نحو فرخ
وافرخ والمحذوف من الابن الواو على ما قلنا لانها اثقل فهي بالحذف اولى واليه ذهب الاخفش وابو علي الفارسي
ثم فصل سبحانه في هذه الاية النعم التي اجملها فيما قبل فقال واذ نجيناكم اي خلصناكم من قوم فرعون
واهل دينه يسومونكم يلزمونكم سواء العذاب وقيل يذيقونكم ويكلفونكم ويعذبونكم والكل متقارب واختلفوا

فى العذاب

فى العذاب الذى نجاهم الله منه فقال بعضهم ما ذكر فى الاية من قوله يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وهذا تفسيره
وقيل يراد به ما كانوا يكلفونهم من الاعمال الشاقة فمنها انهم جعلوها اصنافا فصنف يخدمونهم وصنف يحرثون
لهم ومن لا يصلح منهم للعمل ضربوا عليه الجزية وكانوا يذبحون ابناءهم ويستحيون نساءهم مع ذلك ويدل عليه قوله
فى سورة ابرهيم عم يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم وعطفه على ذلك يدل على انه غيره وقوله يذبحون
ابناءكم ويستحيون نساءكم معناه يقتلون ابناءكم ويستحيون بناتكم يستبقونهن ويدعونهن احياء يستعبدن
بهن وينكحن على وجه الاسترقاق وهذا اشد من الذبح وانما لم يقل بناتكم لانه سماهن بالاسم الذي يؤول حالهن
اليه وقيل انما قال نساءكم على التغليب فانهم كانوا يستبقون الصغار والكبار فقال اقبل الرجال وان كان فيهم صبيان
ويجوز ايضا ان يقع اسم النساء على الصغار والكبار كالابناء وقوله وفى ذلكم اى فى سومكم العذاب وذبح
الابناء ابتلاء عظيم من ربكم لما خلى بينكم وبينه حتى فعل بكم هذه الافاعيل وقيل وفى نجاتكم من فرعون
وقومه نعمة عظيمة من الله عليكم   والسبب فى قتل الابناء ان فرعون راى فى منامه كان نارا اقبلت
من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقتها واحرقت القبط وتركت بنى اسرائيل فهاله ذلك ودعا
السحرة والكهنة والقافة فسالهم عن رؤياه فقالوا انه يولد فى بنى اسرائيل غلام يكون على يديه هلاكك وزوال
ملكك وتبديل دينك فامر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى اسرائيل وجمع القوابل من اهل مملكته وقال لهن
لا يسقط على ايديكن غلام من بنى اسرائيل الا قتل ولا جارية الا تركت ووكل بهن من يفعل ذلك واسرع
الموت فى مشيخة بنى اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون فقالوا له ان الموت قد وقع فى بنى اسرائيل فتذبح
صغارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هرون
فى السنة الذى لا يذبحون فيها فترك وولد موسى فى السنة التى يذبحون فيها   واذ فرقنا
بكم البحر فانجيناكم واغرقنا ال فرعون وانتم تنظرون اية   قرا الزهرى واذ فرقنا بكم مشددة قال
ابن جنى فرقنا اشد تفريقا من فرقنا فمعنى فرقنا بكم البحر جعلناه فرقا ومعنى فرقنا شققنا بكم البحر
الفرق هو الفصل بين شيئين اذا كانت بينهما فرجة والفرق الطائفة من كل شى ومن الماء اذا انفرق بعضه
عن بعض فكل طائفة من ذلك فرق ومنه وكان كل فرق كالطود العظيم والفرق الحوت وفى الحديث ما
اسكر الفرق فالجرعة منه حرام وهو مكيال يعرف بالمدينة والبحر سمى بحرا لاستبحاره وهو سعته وانبساطه
يقال استبحر فى العلم وتبحر فيه وتبقر اذا اتسع وتمكن والباحر الاحمق اذا كلم بقى كالمبهوت والعرب تسمى
الماء الملح والعذب بحرا اذا كثر ومنه قوله مرج البحرين يلتقيان يعنى الملح والعذب واصل الباب الاتساع وانما
اللج وهو الذى لا يرى حافيته من فى وسطه لكثرة مائه وعظمه ودجلة بالاضافة الى الساقية بحر وبالاضافة
الى جده ونحوها اليسع بحر والغرق الرسوب فى الماء والنجاة ضد الغرق كما انه اصل الهلاك واغرق فى الامر
اذا جاوز الحد فيه واصله من نزع السهم حتى يخرج عن كبد القوس واغرورقت عينه شرقت بدمعها والنظر
النظر بالعين يقال نظرت الى كذا ونظرت فى الكتاب فى الامر وقول القائل انظر الى الله ثم اليك ومعناه
انوقع فضل الله ثم فضلك فنظرته وانتظرته بمعنى واحد والنظر التفكر واصل الباب كله الاقبال نحو الشى
بوجه من الوجوه فالنظر بالعين الاقبال نحو المبصر والنظر بالقلب الاقبال بالفكر نحو المفكر فيه والنظر بالرحمة

فى الشواهد

هو الاقبال بالرحمة وحقيقة النظر هو تقليب الحدقة نحو المراى طلبا لرويته   ثم ذكر سبحانه نعمة اخرى فقال
واذكروا اذ فرقنا بكم البحر اى فرقنا بين المائين حتى مررتم فيه فكنتم فرقا بينهما تمرون فى طريق يبس وقيل
معناه فرقنا البحر بدخولكم اياه فرقنا بين كل فريقين من البحر اذ فرقنا بكم البحر طايفة منكم يسلكون طريقا يابسا
فوقع الفرق بينكم وقيل فرقنا اى بسببكم البحر لتمروا فيه فانجيناكم يعنى من البحر والغرق وقوله واغرقنا ال
فرعون ولم يذكر غرق فرعون لانه قد ذكره فى مواضع كقوله فاغرقناه ومن معه فاختصر لدلالة الكلام عليه
لان الغرض مبنى على اهلاك فرعون وقومه ونظيره قول القايل دخل جيش الامير البلد ديه ويكون الظاهر
ان الامير معهم ويجوز ان يريد بال فرعون نفسه كقوله مما ترك ال موسى وال هرون يعنى موسى وهرون
وقوله وانتم تنظرون معناه وانتم تشاهدون انهم يغرقون وهذا ابلغ فى الشماتة واظهار المعجزة وقيل
معناه انتم بمنظر ومشهد منهم حتى لو نظرتم اليهم لامكنهم ذلك لانهم كانوا فى شغل عن من ان تروهم كما يقال دورنى فلان
تنظر الى دور ال فلان اى هى باذايها وبحيث لو كان مكانها ما ينظر لامكنه ان ينظر اليه وهو قول الزجاج وقريب
مما قاله الفرا والاول اصح لانهم لم يكن لهم شغل شاغل عن الرؤية فانهم كانوا قد جاوزوا البحر وتظاهرت اقوال
المفسرين على ان اصحاب موسى ع راوا انفراق البحر والتطام امواجه بال فرعون حتى غرقوا فلا وجه للعدول
عن الظاهر   وجملة قصة فرعون مع بنى اسرائيل فى البحر ما ذكره ابن عباس ان الله تع اوحى الى موسى
ان يسرى ببنى اسرائيل من مصر فسرى موسى ببنى اسرائيل ليلا فاتبعهم فرعون فى الف الف حصان سوى الاناث
وكان موسى فى ستمائة الف وعشرين الفا فلما عاينهم فرعون قال ان هولاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون
وانا لجميع حذرون حاضرون فسرى موسى ببنى اسرائيل حتى هجموا على البحر فالتفتوا فاذا هم برهج دواب فرعون
فقالوا يا موسى اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا هذا البحر امامنا وهذا فرعون قد رهقنا بمن معه
فقال موسى ع عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون فقال له يوشع بن نون
بم امرت قال امرت ان اضرب بعصاى البحر قال اضرب وكان الله تع اوحى الى البحر ان اطع موسى اذا ضربك
قال فبات البحر له افكل اى رعدة لا يدرى فى اى جوانبه يضربه فضربه بعصاه فانفلق وظهر اثنى عشر
طريقا وكان لكل سبط منهم طريق ياخذون فيه فقالوا انا لا نسلك طريقا نديا فارسل الله تع ريح الصبا
حتى جففت الطريق كما قال فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا فجروا فيه فلما اخذوا فى الطريق قال بعضهم لبعض
ما لنا لا نرى اصحابنا فقالوا لموسى اين اصحابنا فقال فى طريق مثل طريقكم فقالوا لا نرضى حتى نراهم فقال
موسى ع اللهم اعنى على اخلاقهم السيئة فاوحى الله تع اليه ان قل بعصاك هكذا وهكذا يمينا وشمالا فاشار
بعصاه يمينا وشمالا فظهر كالكوا ينظر منها بعضهم الى بعض فلما انتهى فرعون الى ساحل البحر وكان على فرس حصان
ادهم هاب دخول الماء تمثل له جبريل على فرس انثى وذيق وتقحم البحر فلما راها الحصان تقحم خلفها ثم تقحم
قوم فرعون فلما خرج اخر من كان مع موسى ع من البحر ودخل من كان اخر مع فرعون البحر اطبق الله عليهم
الماء فغرقوا جميعا ونجا موسى ومن معه ومما يسال عن هذا فيقال كيف لم يعط الله تع كل نبى ما اعطى
موسى من الايات الباهرات لتكون الحجة اظهر والشبهة ابعد والجواب ان الله ينصب الاعلام الباهرة
وللمعجزات القاهرة لاستصلاح الخلق بحسب ما يرى لهم من الصلاح وقد كان فى قوم موسى من

بلادة

بلادة النفس وكلالة الحدس ما لم يكنهم معه الاستدلال بالايات الخفية الا ترى انهم لما عبروا النهر واتوا على قوم يعكفون
على اصنام لهم قالوا بعد ما شاهدوه من هذه الايات اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انهم قوم تجهلون وكان فى العرب
وامة نبينا م من جودة القريحة وحدة الفطنة وذكاء الذهن وقوة الفهم ما كان يمكنهم معه الاستدلال
بما يحتاج فيه الى التامل والتدبر والاستضاءة بنور العقل فى التفكر فجاءت اياتهم مشاكلة لطباعهم المتوقدة
ومجانسة لما ركب فى اذهانهم من الدقة والحدة على ان فى جميعها من الحجة الظاهرة والبينة الزاهرة ما ينفى
خلاج الشك عن قلب الناظر المستبين ويفضى به الى فضاء العلم اليقين ويوضح له مناهج الصدق وتلحب
مولج الحق وما يستوى الاعمى والبصير ولا ينبئك مثل خبير   واذ واعدنا موسى اربعين
ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون اية   قرا اهل البصرة وابو جعفر هاهنا وعدنا بغير الالف
وفى الاعراف وطه والباقون واعدنا بالالف وقرا ابن كثير وحفص والبرجمى ورويس اتخذتم واخذتم
وما جاء منه باظهار الذال والباقون بالادغام الا الاعشى فيما كان على افتعلت الباقون يدغمون   حجة من قرا
باثبات الالف انه قال لا يخلو ان يكون قد كان من موسى وعد او لم يكن فان كان منه وعد فلا
اشكال فى وجوب القراءة بواعدنا وان لم يكن منه وعد فان ما كان منه من قبول الوعد والتحرى لانجازه
والوفاء به يقوم مقام الوعد فالقراءة بواعدنا اذا لان من الله تع على وعده وقبول موسى ولانه اذا احسن
فى مثل قوله بما اخلفوا الله ما وعدوه والاخبار بالوعد منهم لله تع كان هذا الاختيار واعدنا ومن قرا
وعدنا بغير الف قال هو اشد مطابقة للمعنى ان كان القبول ليس بوعد فى الحقيقة اذ الوعد انما هو اخبار
الموعود بما يفعل به من خير وعلى هذا فيكون قوله بما اخلفوا الله ما وعدوه مجازا اعتقدوا بما اخبروا
انهم فاعلوه وقال بعضهم ان المواعدة فى الحقيقة لا تكون الا بين البشر والله تع المتفرد بالوعد والوعيد
كما قال وعد الله الذين امنوا منكم وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات واذ يعدكم الله
احدى الطائفتين انها لكم والقراءتان جميعا قويتان وحجة من ادغم الذال فى التاء من اتخذتم ان
مخرج الذال قريب من مخرج التاء وحجة من لم يدغم ان حيزيهما متغايران   الوعد والموعد والعدة
والموعدة مصادر وعدته اعده ووعدت يتعدى الى مفعولين يجوز فيه الاقتصار على احدهما كاعطيت
قال ووعدناكم جانب الطور الايمن فجانب مفعول ثان والعدة والوعد قد يكونان اسمين ايضا والوعد
فى الخير والوعيد فى الشر وتجمع العدة على العدات ولا تجمع الوعد والموعد قد يكون موضعا ووقتا و
مصدرا والميعاد لا يكون الا وقتا او موضعا وقد يقال وعدته فى الشر كقوله تع النار وعدها الله الذين
كفروا واوعدته لا يكون الا فى الشر والمكاره ويقال اوعدته بالشر ولا يقال اوعدته الشر وحقيقة الوعد
هو الخبر عن خير ينال المخبر فى المستقبل او بشر وموسى اسم مركب من اسمين بالقبطية فمو هو الماء وسا
الشجرة وسمى بذلك لان التابوت الذى كان فيه موسى وجد عند الماء والشجر وجدته جوارى اسية امراة فرعون
وقد خرجن ليقتلن بالمكان الذى وجد فيه عن السدى وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى
بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم عن محمد بن اسحق بن يسار وانما قال اربعين ليلة ولم يقل اربعين
يوما لتضمن الليالى الايام على قول المبرد يعنى بذلك انك اذا ذكرت الليالى دخل فيه الايام واذا

ذكرت الايام لم يدخل فيه الليالى والصحيح ان العرب كانت تراعى فى حسابها الشهور والايام الاهلة فاول الشهر
الليالى فلذلك ارخت بالليالى وغلبتها بالايام واكتفت بذكر الليالى عن الايام فقالت لعشر خلون ولخمس بقين
جريا على الليالى والليلة الوقت من غروب الشمس الى طلوع الفجر الثانى واليوم من طلوع الفجر الثانى الى غروب
الشمس والليلة ليلاء اذا اشتدت ظلمتها ولييلية تصغير ليلة اخرجوا الياء الاخرة مخرجها فى الليالى وقال
بعضهم اصل ليلة ليلاة فقصر واتخذ افتعل وفعل فيه تخذ قال الشاعر وقد تخذت رجلى الى جنب غرزها
نسيفا كافحوص القطاة المطرق قال ابو على وليس تخذت من اخذت لان الهمزة لا تبدل من التاء ولا
يبدل منها التاء والعجل البقرة الصغيرة يقال عجل وعجول وهو من العجلة لان قصر المدة كالعجل فى الشئ
وقال بعضهم انما سمى عجلا لانهم عجلوا فاتخذوه الها قبل ان يأتيهم موسى قوله واذ واعدنا موسى اربعين
ليلة لا يخلوا تعلق الاربعين بالوعد من ان يكون على انه ظرف او مفعول ثان فلا يجوز ان يكون ظرفا لان
الوعد ليس فيها كلها فيكون جواب كم ولا فى بعضها فكان يكون جوابا لمتى وانما الموعد تقضى الاربعين
فاذا لم يكن ظرفا كان انتصابه بوقوعه موقع المفعول الثانى والتقدير وعدنا موسى انقضاء اربعين ليلة
او تتمة اربعين ليلة فحذف المضاف كما تقول اليوم خمسة عشر من الشهر اى تمام خمسة عشر فاما انتصاب
اربعين فى قوله فتم ميقات ربه اربعين ليلة فالميقات هو الاربعون وانما هو ميقات وموعد فيكون كقولك
تم القوم عشرين رجلا والمعنى تم القوم معدودين هذا العدد وتم الميقات معدودا هذا العدد وقد جاء
الميقات فى موضع الميعاد كما جاء الوقت موضع الوقت عدة فى قوله الى يوم الوقت المعلوم وفى موضع آخر
واليوم الموعود ويبين ذلك قوله فتم ميقات ربه اربعين ليلة وفى الاية واذ واعدنا موسى اربعين
ليلة وليلة ينتصب على التمييز والتبيين للعدد والاصل فى بيان العدد اى يتبين بذكر المعدود وانما انتصب
بالاسم التام الذى هو اربعون وهو مشبه بالكلام التام الذى ينتصب بعده ما يكون فضلة عنه ومعنى
تمام الاسم هنا هو تركيب هذه النون الذى يتمم معه فاشبه الجملة المركبة من فعل وفاعل من جهة انه
متمم بشئ آخر وبينهما شبه آخر وهو ان فى الجملة التى من فعل وفاعل معنى يقتضى المفعول وهو ذكر الفعل
وفى العدد ابهام يقتضى التفسير والبيان ليفيد اى نوع من الانواع هو فينتصب على هذا المعنى ولذلك
قال سيبويه ان فى هذا الضرب وهو تمام الاسم معنى يحجز بين الاسم الاول وما يجئ بعد التمام والنون
فى اربعين هو بمنزلة الفاعل الذى يحجز من ان يسند الفعل الى المفعول فيسند الى الفاعل وينتصب
المفعول كذلك والنون يتم الاسم الاول فينتصب الاسم الذى بعده واما قوله اتخذتم فان اتخذت على
ضربين احدهما يتعدى الى مفعول واحد كقوله واتخذوا من دون الله آلهة وقوله ام اتخذ مما يخلق
بنات والاخر يتعدى الى مفعولين كقوله اتخذوا ايمانهم جنة فاتخذتموهم سخريا لا تتخذوا عدوى
وعدوكم اولياء فقوله ثم اتخذتم العجل الها فحذف المفعول الثانى لان من صاغ عجلا او عمله
لا يستحق الوعيد والغضب من الله تعالى واذكروا اذ واعدنا موسى ان نؤتيه الالواح فيها التورية
والبيان والشفاء على رأس اربعين ليلة او عند انقضاء اربعين ليلة او عند تمام اربعين ليلة وانما
قلنا ان قوله اذكروا مضمر فيه لان الله تعالى قال قبل هذا يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم

فاذهنا معطوفه على الايات المتقدمة وهذه الاربعون ليلة هى التى ذكرها الله عز وجل فى سورة الاعراف فقال وواعدنا
موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر وهى ذو القعدة وعشر من ذى الحجة قال المفسرون لما عاد بنو اسرائيل الى مصر
بعد انجائهم من البحر وهلاك فرعون وقومه وعدهم الله انزال التورية والشرايع فخلف موسى اصحابه و
استخلف عليهم هرون فمكث على الطور اربعين ليلة وانزل عليه التورية فى الالواح وقوله ثم اتخذتم العجل
اى اتخذتموهم الها لا بنفس فعلهم لصورة العجل لا يكونون ظالمين لان فعل ذلك ليس بمحظور وانما قوله
هو مكروه واما الخبر الذى روى ان الله لعن المصورين فالمراد به من يشبه الله بخلقه او اعتقد فيه انه
صورة وقوله من بعده اى من غيبة موسى وخروجه وقيل من بعد وعد الله اياكم بالتورية وقيل من
بعد غرق فرعون وما رايتم من الايات والكل محتمل وانتم ظالمون اى ضارون بانفسكم بما استحققتم
من العقاب على اتخاذكم العجل الها روى عن ابن عباس قال كان السامرى رجل من اهل
باجرمى قيل كان اسمه ميخا وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وكان من قوم يعبدون البقر فكان حب
عبادة البقر فى نفسه وكان قد اظهر الاسلام فى بنى اسرائيل فلما قصد موسى الى ربه وخلف هرون فى بنى اسرائيل
قال هرون لقومه قد حملتم اوزارا من زينة القوم آل فرعون فتطهروا منها فانها نجس يعنى انهم استعاروا
من القبط حليا واستبدوا بها فقال هرون طهروا انفسكم منها فانها نجسة واوقد نارا لهم قال اذهبوا ما كان معكم
فيها فجعلوا يأتون بما كان معهم من تلك الامتعة والحلى فيقذفون به فيها قال وكان السامرى راى اثر فرس جبرئيل عم
فاخذ ترابا من اثر حافره ثم اقبل الى النار فقال لهرون يا نبى الله القى ما فى يدى قال نعم وهو لا يدرى ما فى
يده ويظن انه يجئ به غيره من الحلى والامتعة فقذف فيها وقال كن عجلا جسدا له خوار فكان البلاء والفتنة
فقال هذا الهكم واله موسى فعكفوا عليه واحبوه حبا لم يحبوا مثله شيئا قط قال ابن عباس فكان البلاء و
الفتنة ولم يزد على هذا وقال الحسن صار العجل لحما ودما وقال غيره لا يجوز ذلك لانه من معجزات الانبياء
ومن وافق الحسن قال ان القبضة من اثر الملك كان قد اجرى العادة بانها اذا طرحت على اى صورة كانت
حييت فليس ذلك معجزة اذ سبيل السامرى فيه سبيل غيره ومن لم يجز انقلابه حيا تاول الجواز على ان السامرى
صاغ عجلا وجعل فيه خروقا تدخلها الريح فيخرج منها صوت كالخوار ودعاهم الى عبادته فاجابوا وعبدوه عن على
الجبائى ثم عفونا عنكم من ذلك لعلكم تشكرون اية العفو والصفح والمغفرة والتجاوز نظائر
قال ابن عباس الانبارى عفا الله عنك محا الله عنك ماخوذ من قولهم عفت اى تركت فالعفو ترك العقوبة
والعفو اجل المال واطيبه والعفو المعروف والعفاة والمعتفون طلاب المعروف والعافية من الطير والدواب
طلاب الرزق ومنه الحديث من غرس شجرة مثمرة فما اكلت العافية منها كتب له صدقة والعافية دوابّ الله
عن العبد والعفاء التراب قال زهير الشعر على آثار من ذهب العفاء والشكر الاعتراف بالنعمة مع ضرب
من التعظيم قال الرمانى الشكر هو الاظهار النعمة ثم عفونا عنكم اى وضعنا عنكم العقاب الذى
استحققتموه بقبول توبتكم من عبادتكم العجل من بعد ذلك اى من بعد اتخاذكم اياه الها وقيل معناه
تركنا معاجلتكم بالعقاب من بعد اتخاذكم العجل الها لعلكم تشكرون لكى تشكروا الله على عفوه عنكم
وساير نعمه عليكم وقيل معناه التعريض اى عرضناكم للشكر وفى هذه الاية دلالة على وجوب شكر النعمة

وعلى ان العفو عن الذنب بعد التوبة نعمة من الله تعالى على عباده ليشكروه ومعنى قولنا فى الله انه عفور شكور انه يجازى
العبد على طاعاته من غير ان ينقصه شيا من حقه فجعل المجازاة على الطاعة شكرا فى مجاز اللغة ولا يستحق الانسان
الشكر على نفسه لانه لا يكون منعما على نفسه فالنعمة تقتضى منعما غير المنعم عليه كما ان القرض يقتضى مستقرضا غير
المقرض وقد يصح ان يحسن الانسان الى نفسه كما يصح ان يسى اليها لان الاحسان من الحسن فاذا فعل بها
فعلا حسنا ينتفع به كان محسنا اليها بذلك الفعل واذا فعل بها فعلا قبيحا يستضر به كان مسيئا اليها ولا
يستحق الكافر الشكر على الوجه الذى يستحقه المومن لان المومن يستحق الشكر على وجه الاجلال والاعظام
والكافر لا يستحقه كذلك وانما يجب له مكافاة نعمته كما يجب قضاء دينه على وجه الخروج منه اليه من غير تعظيم
له والفرق بين الشكر والمكافاة المكافاة من التكافى وهو التساوى وليس كذلك الشكر ففى المكافاة
للنعمة دلالة على انه قد استوفى حقها وقد يكون الشكر مقصرا عنها وان كان ليس من المنعم عليه اكثر منه
الا انه كلما ازداد من الشكر حسن الازدياد وان لم يكن واجبا لان الواجب لا يكون الا متناهيا وذلك
كالشكر لنعمة الله تعالى لو استكثر به غاية الاستكثار لم يكن لينتهى الى حد لا يجوز له الازدياد لعظم نعمة الله
سبحانه وصغر شكر العبد وادا اتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ايه
الفرقان مصدر فرقت بين الشيئين افرق فرقا وفرقانا وسمى ذلك فارق فرقانا كما سمى كتاب الله الفرقان
لفصله بين الحق والباطل وسمى الله تعالى يوم بدر الفرقان لانه فرق فى ذلك اليوم بين الحق والباطل
وقال ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا اى يفرق بينكم وبين ذنوبكم واذكروا اذ اتينا اى اعطينا موسى
الكتاب وهو التورية والفرقان اختلفوا فيه على وجوه احدها وهو قول ابن عباس ان المراد به التورية
ايضا وانما عطفه عليه لاختلاف اللفظين كقول عنترة واقوى واقفر بعد ام الهيثم وقال عدى بن زيد
وقددت الاديم لراهشيه والفى قولها كذبا ومينا والمين الكذب وثانيها ان الكتاب عبارة عن التورية
والفرقان انفراق البحر الذى اتاه موسى ع وثالثها ان المراد بالفرقان الفرق بين الحلال والحرام والفرق
بين موسى واصحابه المؤمنين وبين فرعون واصحابه الكافرين باشياء كثيرة انها نجى هولاء واغرق هولاء
ورابعها ان المراد بالفرقان القرآن ويكون تقديره واتينا موسى التورية واتينا محمد الفرقان فحذف
ماحذف لدلالة ما ابقاه عليه كما حذف الشاعر فى قوله براه كان الله يجذع انفه وعينيه ان مولاه كان
له وفر يريد ويفقا عينيه لان الجذع لا يكون للعين فاكتفى بيجدع من يفقا وقال اخر باليت بعلك قد
غدا متقلدا سيفا ورمحا اراد وحاملا رمحا وهو قول الفرا وقطرب وثعلب وضعفه قوم هذا الوجه
لان فيه حمل القرآن على المجاز من غير ضرورة مع انه تعالى اخبر انه اتى موسى الفرقان فى قوله ولقد اتينا
موسى وهرون الفرقان وقوله لعلكم تهتدون اى لكى تهتدوا بما فى التوريه من البشارة بمحمد صلعم و
بيان صفته واد قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخادكم العجل فتوبوا
الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم ايه قرا
ابو عمرو بارئكم ويامركم وينصركم باختلاس الحركة وروى عنه السكون ايضا والباقون بغير اختلاس
ولا تخفيف قال ابو على حروف المعجم على ضربين ساكن ومتحرك والساكن على ضربين احدهما ما

اصله

اصله السكون فى الاستعمال والاخر ما اصله الحركة فما اصله الحركة يسكن على ضربين احدهما ان يكون حركته بناء و
الاخر ان يكون حركة اعراب وحركة البناء تسكن على ضربين احدهما ان يكون الحرف المسكن من كلمة مفردة نحو فخذ
وسبع وابل وضرب وعلم فمن خفف قال فخذ وسبع وابل وضرب وعلم والاخر ان يكون من كلمتين فيسكن على
تشبيه المتصل بالمنفصل نحو قراءة من قرا ويخش الله ويتقه ومنه قول العجاج فبات منتصبا وما تكردسا الا
ترى ان تقه من يتقه مثل كتف ومثله قول الشاعر سليمى اشتر لنا سويقا ولا خلاف فى تجويز اسكان حركة
البناء فى نحو ما ذكرنا من قول العرب والنحويين واما حركة الاعراب فيختلف فى تجويز اسكانها فمن الناس من
يقول ان اسكانها لا يجوز من حيث كان علما للاعراب اما سيبويه فيجوز ذلك ولا يفصل بين القبيلين وروى
قول امرء القيس فاليوم اشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل وقول الاخر وقد بدا هنك من المئزر ومن
هذا النحو قول جرير سيروا بنى العم فالاهواز منزلكم ونهر تيرى ولا تعرفكم العرب فشبه ما يدخل على العرب
بما يدخل على المبنى كما شبهوا حركات البناء بحركات الاعراب فمن ثم ادغموا عوزة وفوعض كما ادغموا غزيرد ويفر ويعض واعلم
ان الحركات التى تكون للبناء وللاعراب قد يستعملون فى الضمة والكسرة منها الاختلاس والتخفيف كما يستعملون الاشباع
والتمطيط فاما الفتحة فليس فيها الا الاشباع فقط ولم يخفف نحو جمل كما خفف نحو سبع وكتف وعلى هذا المذهب حمل سيبويه
قول ابى عمرو الى بارئكم فذهب الى انه اختلس الحركة ولم يشبعها فهو بزنة حرف متحرك فمن روى عن ابى عمرو الاسكان
فى هذا النحو فلعله سمعه يختلس فحسبه اسكانا لضعف الصوت به والخفاء وعلى هذا قوله ولا يامركم وغيره البارى
هو الخالق الصانع وبرا الله الخلق يبراهم برا اى خلقهم قال امية بن ابى الصلت الخالق البارى المصور فى الارحام
ماء حتى يصير دما والفرق بين البارى والخالق البارى هو المبدع المحدث والخالق هو المقدر الناقل من حال الى
حال وبرا وبرئ من المرض يبرا ابراء فهو بارى والبراءة من العيب والمكروه لا يقال منه الا برى بالكسر وفاعله برئ
ورجل براء بمعناه امراءة براء ونسوة براء واما قوله انا براء فهى جمع برى واصل الباب انفصال الشئ من الشئ
ومنه برا الله الخلق اى فطرهم كانهم انفصلوا من العدم الى الوجود والبرية فعيلة بمعنى مفعول ولا تهمز كالابيض
ملك وان كان اصله الهمز وقيل البرية مشتقة من البرى وهو التراب فلذلك لم يهمز وقيل ماخوذة من بريت
العود فلذلك لم يهمز والقتل والذبح والموت نظاير والفرق بينهما ان القتل نقض بنية الحيوة والذبح فرى
الاوداج والموت عند من اثبته معنى عرض يضاد الحيوة والقتل العدو وجمعه اقتال والقتال النفس وناقة
ذات قتال اذا كانت وثيقة وقتلت الشئ علما اذا اتقنته وتحققته وفى المثل قتلت ارض جاهلها وقتلت
ارضا عالمها وتقتلت الجارية للفتى حتى عشقها كانها خضعت له قال تقتلت لى حتى اذا ما قتلتنى تنسكت
ما هذا بفعل النواسك يا قوم القراءة بكسر الميم وهو الاختيار لانه منادى مضاف والنداء باب
حذف فحذف الياء لانه حرف واحد وهو فى اخر الاسم كما ان التنوين فى اخره وبقيت الكسرة تدل عليه و
لما كان ياء الاضافة قد تحذف فى غير النداء الزم حذفه فى النداء ويجوز فى الكلام اربعة اوجه يا قوم
كما قرى ولا يجوز غيره فى القران لان القراءة سنة متبعة ويجوز يا قومى انكم باثبات الياء واسكانه ويجوز
يا قومى باثبات الياء وتحريكه فهذه ثلثة اوجه فى الصفات ويجوز يا قوم على انه منادى مفرد واما
قوله ياليت قومى فان الياء تثبت فيه لانه لم يلحقه ما يوجب حذفه كما لحق فى النداء واذكروا اذ قال

موسى لقومه الذين عبدوا العجل عند رجوعه اليهم يا قوم انكم ظلمتم انفسكم اى اضررتم بانفسكم ووضعتم العبادة غير
موضعها باتخاذكم العجل معبودا وظلمهم اياها فعلهم بها ما لم يكن لهم ان يفعلوه مما يستحق به العقاب وكذلك
كل من فعل فعلا يستحق به العقاب فهو ظالم لنفسه فتوبوا الى باريكم الى ارجعوا الى خالقكم ومنشيكم بالطاعة
والتوحيد وجعل توبتهم الندم مع العزم وقتل النفس جميعا وهنا اضمار واختصار كانه لما قال لهم فتوبوا
الى باريكم قالوا كيف قال فاقتلوا انفسكم اى ليقتل بعضكم بعضا يقتل البرئ والمجرم عن ابن عباس وسعيد بن
جبير ومجاهد وغيرهم وهذا كقوله سبحانه فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اى ليسلم بعضكم على بعض وقيل
معناه استسلموا للقتل فجعل استسلامهم للقتل قتلا منهم لانفسهم على وجه التوسع عن ابى اسحق واختاره
الجبائى واختلفوا فى الماموربالقتل فروى ان موسى ع امرهم ان يقوموا صفين فاغتسلوا ولبسوا اكفانهم
وجاء هرون باثنى عشر الفا ممن لم يعبد العجل ومعهم الشفار المرهفة وكانوا يقتلونهم فلما قتلوا سبعين الفا
تاب الله على الباقين وجعل قتل الماضين شهادة لهم وقيل ان السبعين الذى كانوا مع موسى فى الطور هم الذين
قتلوا من عبد العجل سبعين الفا وقيل انهم قاموا صفين فجعل يطعن بعضهم بعضا حتى نزل الوحى برفع القتل
انجلت المظلمة فاجلوا عن سبعين الف قتيل وروى ان موسى وهرون عليهما السلم وقفا يدعوان الله ويتضرعان
اليه وهم يقتل بعضهم بعضا حتى نزل الوحى برفع القتل وقبلت توبة من بقى وذكر ابن جريج ان السبب فى امرهم بقتل
انفسهم ان الله تع علم ان اناسا منهم ممن لم يعبد العجل لم ينكروا عليهم ذلك مخافة القتل مع علمهم بان العجل
باطل فلذلك ابتلاهم الله بان يقتل بعضهم بعضا وانما امتحنهم الله بهذه المحنة العظيمة لكفرهم بعد الدلالات
والايات العظام وقال الرمانى لابد ان يكون فى الامر بالقتل لطف لهم ولغيرهم كما يكون فى استسلام القاتل
لطف له ولغيره فان قيل كيف يكون فى قتلهم نفوسهم لطف لهم ولا تكليف عليهم بعد القتل واللطف لا يكون
لطفا فيما مضى ولا فيما يقارنه فالجواب ان القوم اذا كلفوا ان يقتل بعضهم بعضا فكل واحد منهم يقصد قتل
غيره ويجوز ان يبقى بعده فيكون القتل لطفا له فيما بعد ولو كان بعدا زمان يفعل فيه واجبا واحدا او يمتنع
عن قبيح وهذا كما نقول فى عبادتنا بقتال المشركين وان الله تعبدنا بان نقاتل حتى نقتل ونقتل ومدحنا
على ذلك وكذلك روى اهل السير ان الذين عبدوا العجل تعبدوا بان يصبروا على القتل حتى يقتل بعضهم بعضا
فكان القتل شهادة لمن قتل وتوبة لمن بقى وانما كانت تكون شبهة لو امروا بان يقتلوا انفسهم بايديهم
ولو صح ذلك لم يمتنع ان يكونوا امروا بان يفعلوا بنفوسهم الجراح الذى يفضى الى الموت وان لم يزل معها
العقل فيبقى فى التكليف واما على القول الاخر وهو انهم امروا بالاستسلام للقتل والصبر عليه فلا مسالة
لانهم ما امروا بقتل نفوسهم فعلى هذا يكون قتلهم حسنا لانه لو كان قبيحا لما امروا بالاستسلام له ولذلك
لا نقول لا يجوز ان يتعبد نبى ولا امام بان يستسلم للقتل مع قدرته على الدفع عن نفسه فلا بد فعلا لان فى ذلك
استسلاما للقبيح مع القدرة على دفعه وذلك لا يجوز وانما كان يقع قتل الانبياء والائمة عليهم السلم على وجه الظلم
وارتفاع التمكن من المنع غيرا بد لا يمتنع ان يتعبد بالصبر على الدفاع وتحمل المشقة فى ذلك وان قتله غيره ظلما
والقتل ان كان قبيحا بحكم الفعل فهو مما يجوز تغيره بان يصير حسنا لانه جار مجرى سائر الالام وليس يجرى
ذلك مجرى الجهل والكذب فى انه لا يصير حسنا قط ووجه الحسن فى القتل انه لطف على ما قلناه وايضا فكما يجوز من الله تعالى

ان يميت الحى وكذلك يجوز ان يامرنا بما تقدم ويعوضه عن الالام التى تدخل عليه ويكون فيه لطف على ما ذكرناه
وقوله ذلكم خير لكم عند باريكم اشارة الى التوبة فكانها مذكورة وقوله فاقتلوا مع القتل لانفسهم على ما امرهم
الله به لا له قوله فتوبوا الى باريكم فاقتلوا انفسكم فقوله فتوبوا دال على التوبة فكانها مذكورة وقوله
فاقتلوا دال على القتل فكانه قال ان التوبة وقتل النفس فى مرضات الله كما امركم الله به وان كان فيه مشقة
عظيمة خير لكم عند خالقكم من ايثار الحيوة الدنيا لان الحيوة الدنيا لا تبقى بل تفنى ويحصلون بعد الحيوة
على عذاب شديد واذا قتلتم انفسكم كما امركم الله به زالت مشقة القتل عن قريب ويقيم فى نعيم دايم لا يزول
ولا يبيد وكرر ذكر باريكم تعظيما لما اتوا به مع كونه خالقا لهم فقوله فتاب عليكم هنا اضمار وتقديره ففعلتم
ما امرتم به فتاب عليكم او فقتلتم انفسكم فتاب عليكم اى قبل توبتكم انه هو التواب اى القابل التوبة عن عباده
مرة بعد مرة وقيل معناه قابل التوبة عن الذنوب العظام الرحيم يرحمكم اذا تبتم ويدخلكم الجنة وفى هذه الاية دلالة
على انه يجوز ان يشترط فى التوبة سوى الندم ما لا يصح التوبة الا به كما امروا بالقتل   واذ قلتم يا
موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ايه   لن نؤمن لك اى لن نصدقك
يقال امن به وامن له بدلالة قوله تع قال فرعون امنتم به وفى موضع اخر امنتم له والروية الادراك بالبصر ثم تستعمل
بمعنى العلم يقال راى ببصره روية وراى من الراى رايا ورايت باجسته والرواء المنظر فى البهاء والجمال والمراة
التى ينظر فيها وجمعها المراى وترايت فى المراة اذا نظرت فيها وجاء فى الحديث لا يترائى احدكم بالماء اى
لا ينظر فيه وترائى القوم اذا راى بعضهم بعضا وترائى فلان لفلان اذا تصدى له ليراه ويحذفون الهمزة من
رايت فى كل كلمة يكون راوها ساكنة تقول رايت ارى والاصل اراى وارتيه فلانا ارتيه فانا مرى وهو مرى
والاصل ارايته ارايه وانبتوها فى موضعين وارايت الناقة والشاة اذا عرف فى لون ضرعها انها قد قربت
والرى حسن البشارة والهيئة قال جرير وكل قوم لهم راى ومختبر وليس فى تغلب راى ولا خبر والجهرة والعلانية
والمعاينة نظاير يقال جهر بكلامه وبقراءته جهرا اذا اعلن ورجل جهير ذو رواء وكلام جهير وصوت جهير اى
عال والفعل منه جهر جهارة وجهرت الرجل اى راعنى جماله وصدت الجهر السر واصل الباب الظهور وحقيقة
الجهرة ظهور الشى معاينة والفرق بين الجهرة والمعاينة ان المعاينة ترجع الى حال المدرك والجهرة ترجع الى
حال المدرك وقد تكون الروية غير جهرة كالروية فى النوم والروية فى القلب فاذا قال جهرة لم يكن الا
روية العين على التحقيق دون التخييل والصاعقة على ثلثة اوجه احدها نار تسقط من السماء كقوله ويرسل
الصواعق فيصيب بها من يشاء والثانى الموت فى قوله فصعق من فى السموات وقوله فاخذتكم الصاعقة
والثالث العذاب فى قوله انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود   حتى نرى بمعنى الى وهى الجارة للاسم
وانتصب نرى بعدها باضمار ان كما ينتصب الفعل بعد اللام باضمار ان وان مع الفعل فى تاويل المصدر
وفى موضع جر بحتى ثم ان الجار والمجرور فى موضع نصب بانه مفعول لن نؤمن وجهرة مصدر وضع موضع
الحال   واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك اى لن نصدقك فى قولك انك نبى مبعوث حتى نرى الله جهرة
اى علانية فيخبرنا بانك نبى مبعوث وقيل معناه انا لا نصدقك فيما تخبر به من صفات الله تع وما يجوز عليه
وما لا يجوز حتى نرى الله جهرة اى علانية فيخبرنا بانك وعيانا فيخبرنا بذلك وقيل انه لما جاءهم بالالواح

ومنها الموتة قالوا لن نؤمن بان هذا من عند الله حتى نراه عيانا وقال بعضهم ان قوله جهرة صفة لخطابهم لموسى ع
انهم جهروا به واعلنوه وتقديره واذ قلتم جهرة لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة والاول اقوى واخذتكم الصاعقة
اى الموت وانتم تنظرون الى اسباب الموت وقيل الى النار وانما قرع الله سبحانه اليهود بسؤال اسلافهم الروية
من حيث انهم سلكوا طريقتهم فى المخالفة للنبى الذى لزمهم اتباعه والتصديق بجميع ما جاء به وجروا على
عادة اسلافهم الذين كانوا يسئلون تارة نبيهم ان يجعل لهم الها غير الله ومرة يعبدون العجل من دون الله
وطورا يقولون لن نؤمن لك حتى نرى الله واستدل ابو القسم البلخى بهذه الاية على ان الروية لا تجوز على الله
قال لانها انكار يتضمن امرين ردهم على نبيهم وتجويزهم الروية على ربهم ويؤيد ذلك قوله فقد سالوا موسى ع
اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فدل ذلك على ان المراد انكار الامرين فدل هذه الاية ايضا على ان قول موسى
رب ارنى انظر اليك كان سوالا للقوم لانه لا خلاف بين اهل التورية ان موسى ع لم يسال الروية الا دفعة
واحدة وهى التى سالها القوم ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون اية البعث تارة
الشئ من محله ومنه يقال بعث فلان راحلته اذا اثارها من مبركها للسير وبعثت فلانا لحاجتى اذا اقمته
من المكان الذى هو فيه للتوجه اليها ومنه يقال ليوم القيمة يوم البعث لانه يوم يثار الناس فيه من قبورهم
لموقف الحساب وبعثته من نومه فانبعث اى نبهته فانتبه والبعث الجند يبعثون الى وجه او فى امر واصل
البعث الارسال ثم بعثناكم اى ثم احييناكم من بعد موتكم لاستكمال اجالكم عن الحسن وقتادة وقيل
انهم سالوا الله بعد الافاقة ان يبعثوا انبياء فبعثهم الله انبياء عن السدى فيكون معناه بعثناكم انبياء والاجماع
المفسرين الا شرذمة يسيرة ان الله تعالى لم يكن اماتة موسى ع كما امات قومه ولكن غشى عليه بدليل
قوله فلما افاق قال سبحانك تبت اليك والافاقة انما تكون من الغشيان وقوله لعلكم تشكرون اى لكى
تشكروا الله تعالى على نعمة التى منها رده الحيوة اليكم وفى هذا اثبات لمعجزة نبينا ص واحتجاج على مشركى
العرب الذين كانوا غير مؤمنين بالبعث لانه كان يذكر لهم من اخبار الذين بعثهم الله تعالى فى الدنيا وكان
يوافقه على ذلك من يخالفه من اليهود والنصارى ويجب ان يكون هؤلاء القوم وان اماتهم الله سبحانه
ثم احياهم غير مضطرين الى معرفة الله عند موتهم كما يضطر الواحد منا الى معرفته عند الموت بدليل
ان الله تعالى اعادهم الى التكليف لا يكون ضرورية بل يكون مكتسبة ولكن موتهم انما كان فى حكم النوم اذ هب
الله سبحانه عنهم الروح من غير مشاهدة منهم لاحوال الاخرة وليس فى الاحياء بعد الاماتة ما يوجب
الاضطرار الى المعرفة لان العلم بان الاحياء بعد الاماتة لا يقدر عليه غير الله تعالى طريقه الدليل وليس الاحياء
بعد الاماتة الا قريبا من الانتباه بعد النوم والافاقة بعد الاغماء فى ان ذلك لا يوجب علم الاضطرار
واستدل قوم من اصحابنا بهذه الاية على جواز الرجعة وقول من قال ان الرجعة لا تجوز الا فى زمن
نبى ليكون معجزا له ودلالة على نبوته باطل لان عندنا بل عند اكثر الامة يجوز اظهار المعجزات على
ايدى الائمة والاولياء والادلة على ذلك مذكورة فى كتب الاصول وقال ابو القسم البلخى لا يجوز الرجعة
مع الاعلام بها لان فيها اغراء بالمعاصى من جهة الاتكال على التوبة فى الكرة الثانية وجوابه ان من
يقول بالرجعة لا يذهب الى ان الناس كلهم يرجعون فيصير اغراء بان يقع الاتكال على التوبة فيها بل

لاتكال

لاتكال على التوبة فيها بل لا احد من المكلفين الا ويجوز ان لا يرجع وذلك يكفى فى باب الزجر وظللنا عليكم
الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون اية
الظلة والغمامة والسترة نظاير ظلله تظليلا والظل ضد الضح ونقيضه وظل الشجرة سترها ولا زال الله
عنا ظل فلان اى ستره ويقال لسواد الليل ظل لانه يستر الاشياء قال الله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل والغمام
السحاب والقطعة منها غمامة وانما سمى غماما لانه يغم السماء اى يسترها وكل ما ستر شيئا فقد غمه وقيل ما ابيض
من السحاب والغم الغطاء على القلب من الهم وقيل فلان فى غمة من امره اذا لم يهتد له والمن الاحسان الى من لا
يستثيبه والاسم المنة والله تعالى هو المنان علينا والرحيم بنا والمن قطع الخير ومنه اجر غير ممنون اى غير مقطوع والمنة
قوة القلب وفلان ضعيف المنة واصل الباب الاحسان فالمن الذى كان يسقط على بنى اسرائيل هو مما من الله
عليهم اى احسن به اليهم والسلوى طاير كالسمانى قال الاخفش هو الواحد والجمع كقولهم دفلى وقال الخليل واحده
سلواة قال كما انتفض السلواة من وابل القطر فان الزجاج غلط خالد بن زهير فى قوله وقاسمها بالله جهدا
لانتم الذ من السلوى اذ ما نشورها فظن ان السلوى العسل وانما هو طاير قال ابو على الفارسى وقرات على
الزجاج فى مصنف ابى عبيد انه العسل قال والذى عندى فيان السلوى كانه ما يسلى عن غيره لفضيلة
فيه لفرط طيبه او قلة معاناته وعلاج فى قنائه فالعسل لا يمتنع ان يسمى سلوى لجمعه الامرين كما سمى الطاير
الذى كان يسقط مع المن به ويقال سلا فلان عن فلان يسلو سلوا اذا تسلى عنه وفلان فى سلوة
من العيش اذا كان فى رغد يسليه الهم والسلوان ماء من شربه ذهب غمه فيما زعموا قال لو اشرب السلوان
ما سليت موضع كلوا نصب بمحذوف كانه قال وقلنا لهم كلوا وموضع سلوى نصب لانه معطوف
على المن وقوله وما ظلمونا انما يتصل بما قبله ايضا بتقدير محذوف كانه قال فخالفوا ما امروا به وكفروا
هذه النعمة وما ظلمونا وظللنا عليكم الغمام اى جعلنا لكم الغمام ظلة وسترة تقيكم حر الشمس فى التيه
عن جماعة المفسرين وانزلنا عليكم المن فيه وجوه احدها انه المن الذى يعرفه الناس يسقط على الشجر عن
ابن عباس وثانيها انه شئ كالصمغ كان يقع على الاشجار وطعمه كالشهد والعسل عن مجاهد وثالثها
انه الخبز المرقق عن وهب ورابعها انه جميع النعم التى اتتهم مما من الله به عليهم مما لا تعب فيه ولا نصب وروى عن النبى ص
انه قال الكماة من المن وماؤها شفاء للعين والسلوى قيل هو السمانى وقيل هو طاير ابيض يشبه السمانى عن ابن
عباس وقوله كلوا من طيبات ما رزقناكم معناه قلنا لهم كلوا من الشئ اللذيذ وقيل المباح الحلال
وقيل المباح الذى يستلذ اكله الذى رزقناكم اى اعطيناكموه وجعلناه رزقا لكم وقوله وما ظلمونا اى
كفروا هذه النعمة وما نقصونا بكفرانهم انعمنا ولكن كانوا انفسهم يظلمون اى ينقصون وقيل معناه
وما ضرونا ولكن كانوا انفسهم يضرون وهذا يدل على ان الله تعالى لا ينفعه طاعة من اطاعه ولا يضره معصية
من عصاه وانما يعود منفعة الطاعة الى المطيع ومضرة المعصية الى العاصى وكان سبب انزال
المن والسلوى عليهم انه لما ابتلاهم الله بالتيه اذ قالوا لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا
قاعدون حين امرهم بالمسير الى بيت المقدس وحرب العمالقة بقوله ادخلوا الارض المقدسة فوقعوا
فى التيه وصاروا كلما ساروا انما هو فى قدر خمسة فراسخ او ستة فكلما اصبحوا ساروا غادين

فامسوا فاذا هم فى مكانهم الذى ارتحلوا منه كذلك حتى تمت المدة وبقوا فيها اربعين سنة وفى التيه توفى موسى و
هرون عليهما السلم ثم خرج يوشع بن نون وقيل كان الله تعالى يرد الجانب الذى انتهوا اليه من الارض الى الجانب الذى
ساروا منه فكانوا يضلون عن الطريق لانهم كانوا خلقا عظيما فلا يجوز ان يضلوا كلهم عن الطريق فى هذه
المدة المديدة فى هذا المقدار من الارض ولما حصلوا فى التيه ندموا على ما فعلوا فالطف الله لهم بالغمام
لما شكوا حر الشمس وانزل عليهم المن والسلوى فكان يسقط عليهم المن من وقت طلوع الفجر الى طلوع الشمس فمن
نام فكانوا ياخذون منها ما يكفيهم وقال الصادق ع كان ينزل المن على بنى اسرائيل من بعد طلوع الفجر الى طلوع
الشمس فمن نام فى ذلك الوقت لم ينزل نصيبه فلذلك يكره النوم فى هذا الوقت الى بعد طلوع الشمس قال ابن
جريج وكان الرجل منهم ان اخذ من المن والسلوى زيادة على طعام يوم واحد فسد الا يوم الجمعة فانهم اذا
اخذوا طعام يومين لم يفسد وكانوا ياخذون منها ما يكفيهم ليوم الجمعة والسبت لانه كان لا ياتيهم
يوم السبت وكانوا يخبزونه مثل القرصة ويوجد له طعم كالشهد المعجون بالسمن وكان الله تعالى يبعث لهم
السحاب بالنهار فيدفع عنهم حر الشمس وكان ينزل عليهم الليل من السماء عمود من نور يضيء لهم مكان
السراج واذا ولد فيهم مولود يكون عليه ثوب يطول بطوله كالجلد   واذ قلنا ادخلوا هذه
القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين
اية   قرا ابو جعفر ونافع يغفر لكم بالياء مضمومة وقرا ابن عامر تغفر بالتاء مضمومة وقرا الباقون نغفر
لكم بالنون وهو الاختيار لانه اشبه بما تقدم من قوله وظللنا وانزلنا ولان اكثر القراء عليه واجمع القراء على
اظهار الراء عند اللام الا ما روى عن ابى عمرو فى رواية اليزيدى الامتحان من ادغامه الراء فى اللام
واتفق القراء على خطاياكم هنا واختلفوا فى الاعراف ونوح فقرا بعضهم هناك خطيئاتكم وذلك لان اللتين
فى الاعراف ونوح كتبتا فى المصحف بغير الف وههنا كتبت بالف   الدخول والولوج والاقتحام
ان الاقتحام دخول على صعوبة وفى الامر دخل اى فساد ودخل امره اذا فسد وفلان دخيل فى بنى
فلان اذا كان من غيرهم والدخلة على دخلة امرى اذا اثبته مكتومك وفلان مدخول اذا كان
فى عقله او حسبه دخل والقرية والبلدة والمدينة نظائر قال ابو العباس اصله الجمع وقريت الماء فى الحوض
اقريه قريا وقريت الضيف قرى وقرى والمقراة الجفنة التى يعد فيها الطعام للاضياف قال عظام
المقارى جارهم لا يفزع وقال الخليل القرية والقرية لغتان والكسر لغة يمانية والقرى الظهر من كل
شئ وجمعه الاقراء والسجود شدة الانحناء ومنه السجد النساء وهن الفاترات الاعين قال الشاعر
ولهوى الى حور المدامع سجد وقال الاخر ترى الاكم فيها سجدا للحوافر وحطة مصدر مثل ردة وحدة
من رددت وحددت قال الخليل الحط وضع الاحمال عن الدواب والحط والوضع والخفض نظائر
والحط الحدر من العلو قال امرؤ القيس كجلمود صخر حطه السيل من على وجارية محطوطة المتنين ممدودة
حسنة والغفران والصفح والعفو نظائر يقال غفر الله له غفرانا اى ستر الله على ذنوبه والغفر التغطية
وثوب وغفر اذا كان له زئبر يستر نسجه ويقال المغفر لتغطية العنق والغفيرة والمغفرة بمعنى والغفارة
خرقة تلف على سية القوس والمغفور والمغفار صمغ العرفط واغفر الشجر اذا ظهر ذلك فيه ومنه

الحديث

الحديث انه عم دخل على عايشة فقالت يا رسول الله اكلت مغافير تعنى هذا الصمغ ومنهم من يقول مغاثير كما قيل
جدث وجدف ويقال جاؤا الجما الغفير وجاؤا جما غفيرا وجما الغفير اى مجتمعين جمعا يغطى الارض والغفر ولد
روى لانه ياوى الجبال ويستر عن الناس ويقال اصبغ ثوبك فانه اغفر للوسخ اى استر له واصل الباب الستر
وحد المغفرة ستر الخطيئة برفع العقوبة والخطيئة والزلة والمعصية نظائر يقال خطا الشئ خطا اذا لم يرده واصابه
واخطاه اخطاء اذا اراده فلم يصبه والاول خاطئ والثانى مخطئ والخطيات جمع خطية والمحسن الفاعل للاحسان
والفاعل للحسن يقال احسن الى غيره واحسن فى فعله والفرق بينهما ان احسن اليه لا يقال الا فى النفع فلا
يقال احسن الله الى اهل النار بتعذيبهم ويقال احسن فى تعذيبهم بالنار بمعنى احسن فى فعله وتدبيره ويقال
امره حسنا ولا يقال رجل احسن وحد الحسن من طريق الحكمة هو الفعل الذى يدعوا اليه العقل وضده
القبيح وهو الفعل الذى يزجر عنه العقل وحد الاحسان هو النفع الحسن وحد الاساءة هو الضرر القبيح
وهذا انما يصح على مذهب من يقول ان الانسان يكون محسنا الى نفسه ومسيئا اليها ومن لم يذهب اليه
يزيد فيه الواصل الى الغير مع قصده الى ذلك والاولى فى حد الحسن ان يقال هو الفعل الذى اذا فعله العالم
به على وجه لم يستحق الذم   حيث ظرف مكان مبنى على الضم الضم وذكرنا الوجه فى بيانه فيما قبل
والجملة بعده فى الذى تقدير المضاف اليه ومما يسال فيه ان يقال لم كيف بنى على الضم وهو مضاف الى الجملة
على التشبيه بما حذف عنه الاضافة نحو قبل وبعد وجوابه ان حيث مع اضافته الى الجملة لا يمتنع ان يكون
شبه قبل ونحوه قائما فيه لانه قد منع الاضافة الى المفرد وان كان قد اضيف الى الجملة وحق الاضافة ان تقع
الى المفرد واذا كان كذلك فكان المضاف اليه محذوف منه كقبل وبعد هذا على قول من بنى على الضم ومن
بنا على غير الضم فقال حيث فلا يدخل عليه هذا السؤال ولا يجوز فى القرآن الا الضم واما حطة فانها ارتفع
على الحكاية وقال الزجاج تقديره مسئلتنا حطة اى حط ذنوبنا عنا وقيل تقديره دخولنا الباب سجدا حطة
لذنوبنا ولو جاز قراءته بالنصب لكان وجهه فى العربية حط عنا ذنوبنا حطة كما يقال سمعا وطاعة اى
اسمع سمعا واطيع طاعة ومعاذ الله اى نعوذ بالله معاذا وقوله يغفر لكم مجزوم لانه جواب الامر وانما الجزم
بالشرط فان المعنى ان تقولوا يغفر لكم فحذف الشرط لدلالة الجزاء عليه ووقوع الامر فى الكلام وطوله به وحسن
حذفه معه لانه صار كالمعاقب له من حيث اجتمعا فى انهما غير موجبين وغير خبرين وهذا كما يحذف المبتدا
لدلالة الخبر عليه وقد يحذف الجزاء ايضا لدلالة الشرط عليه فى نحو قولهم انت ظالم ان فعلت كما يحذف خبر
المبتدا لدلالة المبتدا عليه قال سيبويه كان اصل خطايا مثل خطايع فابدل من الياء همزة فصار خطائى
مثل خطاعع فيجتمع همزتان فقلبت الثانية ياء فصار خطاءى مثل خطاعى ثم قلبت الياء كسرة الى الالف والفتحة فصار خطاءا
مثل خطاعا كما فعل بمدارى فقيل مدارى ثم استثقل همزة بين الفين لان الهمزة مجانسة للالفات وكان وكانها
اجتمعت ثلث الفات فابدلت الهمزة ياء فقيل خطايا وقال الخليل اصل خطايا خطايئ فقلبت الى فعالى ثم قلبت
بعد على ما بينت فى المذهب الاول وانما اعل هذا الاعلال لان الهمزة التى بعد الالف عارضة غير اصلية
وتقول فى جمع مراة مراى لان الهمزة عين الفعل   اجمع المفسرون على ان المراد بالقرية هنا بيت
المقدس ويؤيده قوله فى موضع اخر ادخلوا الارض المقدسة التى وقال ابن زيد انها اريحا قرية قريب بيت المقدس

وكان فيها بقايا من قوم عاد وهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق بقوله اذكروا اذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا
منها حيث شئتم اى اين شئتم رغدا اى موسعا عليكم مستمتعين بما شئتم من طعام القرية بعد المن والسلوى
وقيل ان هذه اباحة لهم منه لغنائمها وتملك اموالها اتماما للنعمة عليهم وادخلوا الباب يعنى الباب الذى امروا
بدخوله وقيل هو باب حطة من بيت المقدس وهو الباب الثامن عن مجاهد وقيل باب القبة التى كان يصلى اليه
موسى وبنوا اسرائيل وقال قوم هو باب القرية التى امروا بدخولها قال ابو على الجبائى والاية على قول من يزعم
انها باب القبة اولى منها على قول من يزعم انه باب القرية لانهم لم يدخلوا القرية فى حيوة موسى ع واخر الاية يدل
على انهم كان يدخلون هذا الباب على غير ما امروا به فى ايام موسى ع لانه قال فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى
قيل لهم والعطف بالفاء الذى هى للتعقيب من غير تراخ يدل على ان هذا التبديل منهم كان فى اثر الامر فدل
ذلك على انه كان فى حيوة موسى ع وقوله سجدا قيل معناه ركعا وهو شدة الانحناء عن ابن عباس وقال
غيره ان معناه ادخلوا خاضعين متواضعين يدل عليه قول الاعشى يراوح من صلوات المليك طورا سجودا
وطورا جوارا وقيل معناه ادخلوا الباب فاذا دخلتموه فاسجدوا لله سبحانه شكرا عن وهب وقوله حطة
قال الحسن وقتاده واكثر اهل العلم معناه حط عنا ذنوبنا وهو امر بالاستغفار وقال ابن عباس امروا ان
يقولوا هذا الامر حق وقال عكرمة امروا ان يقولوا لا اله الا الله لانها تحط الذنوب وكل واحد من الاقوال
مما يحط الذنوب فيصح ان يترجم عنه بحطة وروى عن الباقر ع انه قال نحن باب حطتكم وقوله نغفر لكم خطاياكم
اى نصفح ونعفو عن ذنوبكم وسنزيد المحسنين اى وسنزيدهم على ما يستحقونه من الثواب تفضلا كقوله
ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وقيل ان المراد ان يزيدهم الاحسان على ما سلف من الاحسان بانزال
المن والسلوى وتظليل الغمام وغير ذلك   فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فانزلنا على
الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون اية   التبديل تغيير الشىء الى غير حاله والرجز بكسر الراء
العذاب فى لغة اهل الحجاز وهو غير الرجس لان الرجس النتن وقال النبى ص فى الطاعون انه رجز عذب به
بعض الامم قبلكم وقال ابو عبيده الرجز الرجس لغتان مثل البزاق والبساق والزدغ والسدغ والرجز بضم
الراء عبادة الاوثان وفسق يفسق ويفسق والضم اشهر وعليه القراءة ومعنى الفسق فى اللغة الخروج عن
القصد وكل من خرج عن شىء فقد فسق الا انه فى الشرع مخصوص بالخروج عن امر الله تعالى او طاعته
غير الذى انتصب غير بانه صفة لقول واصل غير ان يكون صفة تجرى مجرى مثل واذا اضيفا الى
المعارف لم يتعرفا لما فيهما من الابهام لان مثل الشىء يكون على وجوه كثيره وكذلك غير الشىء يكون لاشياء
كثيرة مختلفة   ثم بين سبحانه ونعم انهم قد عصوا فيما امروا به فقال فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى
قيل لهم اى خالف الذين عصوا والذين فعلوا ما لم يكن لهم ان يفعلوه وغيروا ما امروا به فقالوا بغير
ذلك واختلف فى ذلك الغير فقيل انهم قالوا بالسريانية سمقاثا وقال بعضهم حطا سمقاثا ومعناه حنطة حمراء
فيها شعيرة وكان قصدهم فى ذلك الاستهزاء ومخالفة الامر وقيل انهم وقيل انهم قالوا حنطة تجاهلا و
استهزاء وكانوا قد امروا ان يدخلوا الباب سجدا وطوطى لهم الباب ليدخلوه كذلك فدخلوا زاحفين على
استاههم فخالفوا فى الدخول ايضا وقوله فانزلنا على الذين ظلموا اى فعلوا ما لم يكن لهم فعله من تبديلهم

ما امرهم الله به والقول والفعل رجزا اى عذابا من السماء عن ابن عباس وقتادة والحسن بما كانوا يفسقون اى بكونهم
فاسقين او بفسقهم كقوله ذلك بما عصوا اى بعصيانهم وقال ابن زيد اهلكوا بالطاعون فمات منهم فى الساعة الواحدة
اربعة وعشرون الفا من كبرائهم وشيوخهم وبقى الابناء فانتقل عنهم العلم والعبادة كانه يشير الى انهم عوقبوا باخراج
الافاضل من بينهم   واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا
عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين اية   الاستسقاء
طلب السقيه ويقال سقيته واسقيته بمعنى وقيل سقيته من سقى الشفه واسقيته دللته على الماء ويقال عصا و
عصوان وثلث اعص وجمع عصى والانفجار الانشقاق والانبجاس اضيق منه فيكون اولا انبجاسا ثم يصير
انفجارا والعين من الاسماء المشتركة فالعين من الماء مشبهة بالعين من الحيوان لخروج الماء منها كخروج
الدمع من تلك وبلد قليل العين اى قليل الناس وما بالدار عين متحركة الياء والعين مطر ايام لا يقلع والعين
الذهب والعين للميزان وعين الشمس والعين المتجسس للاخبار وقد تقدم ذكر اناس وانه لا واحد له من لفظه
ولا تعثوا اى ولا تفسدوا ولا تطغوا والعثى شدة الفساد يقال عثا يعثو عثوا وعثى يعثى عثا وعاث يعيث
عيثا وعيوثا وعيثانا قال روبة وعاث فينا مستحل عابث   اذ متعلق بكلام محذوف فكانه قال واذكروا
اذ استسقى ويجوز ان يكون معطوفا على ما تقدم ذكره فى الايات المتقدمة وقوله اثنتا عشرة الشين ساكنة
عند جميع القراء وكان يجوز كسرها فى اللغة والكسر لغة ربيعة وتميم والاسكان لغة اهل الحجاز قال ابن جنى ان
الفاظ العدد قد كثر فيها الانحرافات وذلك ان لغة اهل الحجاز فى غير العدد فى نظير عشرة عشرة فيقولون
نبقة وفخذ يكسرون الثانى وبنوا تميم يسكنون فيقولون نبقة وفخذ فلما ركب الاسمان استعمال الوضع
فقال بنو تميم احدى عشرة وثنتا عشرة بكسر الشين وقال اهل الحجاز عشرة بسكونها وعينا منصوب على التمييز
والاسم الثانى من اثنتا عشرة قام مقام النون فى عشرون بدلالة سقوط النون من اثنتان وان عشرة
تعاقبها وكذلك التقدير فى جميع ذلك وهو الثلثة والثلث من ثلثة عشر وثلث عشرة الى تسعة عشر وتسع
عشرة ان يكون فيها نون فقام عشر مقامها فلذلك لم يدخلها التنوين واذا لم يدخلها تنوين لم يتبين
بالاضافة ومفسدين منصوب على الحال   ثم عد سبحانه ونعم على بنى اسرائيل نعمة اخرى اضافها
الى نعمة فقال اذ استسقى موسى لقومه اى سال موسى ان يسقى قومه ماء والسين سين الطلب
وترك ذكر المسئول ذلك اذ كان فيما ذكر من الكلام دلالة على معنى ما ترك وكذلك قوله فقلنا اضرب
بعصاك الحجر فانفجرت لان معناه فضربه فانفجرت فترك ذكر الخبر عن ضرب موسى عن الحجر لان فيما ابقاه
من الكلام دلالة على ما القاه وهذا كما يقال امرت فلانا بالتجارة فاكتسب مالا اى فاتجر واكتسب
مالا وقوم موسى هم بنوا اسرائيل وانما استسقى لهم ربه الماء فى الحال التى تاهوا فيها فى التيه فشكوا اليه الظمأ
فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك وهى عصاه المعروفة وكان من آس الجنة دفعه اليه شعيب وكان ادم ع
حملها من الجنة معه الى الارض وكان طوله عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان فى الظلمة
نورا وبه ضرب البحر فانفلق وهو الذى صار ثعبانا واما الحجر فاختلف فيه فقيل كان يفرغ لهم حجرا
من عرض الحجارة فينفجر عيونا لكل سبط عين وكانوا اثنى عشر سبطا ثم يسيل كل عين فى جدول الى

السبط الذي امر بسقيهم عن وهب بن منبه وقيل كان حجرا بعينه خفيفا اذا رحلوا حمل في مخلاه فاذا نزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجر
منه الماء عن ابن عباس وهذا اولى لدلالة الالف واللام للعهد عليه وهل كانت بحجر فيها اثنتا عشرة حفرة وكان
الحجر من الكذان وكان يخرج من كل حفرة عين ماء عذب فرات فياخذ ونه فاذا فرغوا واراد موسى حمله ضربه بعصاه
فيذهب الماء وكان يسقي كل يوم مائة الف عن ابي روق وروى انه كان حجرا مربعا وروى انه كان مثل شكل
الراس وكان موسى اذا ضربه بعصاه انفجرت منه في كل ناحية ثلث عيون لكل سبط عين فكانوا لا يرتحلون
منقلة الا وجدوا ذلك الحجر منهم بالمكان الذي كان به منهم في المنزل الاول وقوله فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا
لا ينافي قوله سبحانه فانبجست لان الانبجاس هو الانفجار الا انه اقل وقيل انه لا يمتنع ان يكون اول ما يضرب
عليه العصا كان ينبجس ثم يكثر حتى يصير انفجارا وقيل كان ينبجس عند الحاجة وينفجر عند الحاجة وقيل كان
ينبجس عند الحمل وينفجر عند الوضع وقوله قد علم كل اناس مشربهم اي علم كل سبط وفريق منهم موضع شربهم
وقوله كلوا واشربوا اي وقلنا لهم كلوا واشربوا وهذا كلام مفيد او قوله من رزق الله اي كلوا من النعم
التي من الله بها عليكم من المن والسلوى وغير ذلك واشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله الذي ياتيكم
بلا مشقة ولا مؤنة ولا تبعة فان الرزق ما للمرزوق ان ينتفع به وليس لاحد منعه منه وقوله ولا تعثوا اي
ولا تسعوا في الارض فسادا وانما قال ولا تعثوا في الارض مفسدين وان كان العثو لا يكون الا فسادا
لانه يجوز ان يكون فعل ظاهره الفساد وباطنه المصلحة فبين ان فعلهم هو العث الذي هو الفساد ظاهرا
وباطنا ومتى سئل فقيل كيف يجتمع ذلك الماء الكثير في ذلك الحجر الصغير وهل يمكن ذلك فالجواب ان ذلك
من ايات الله الباهرة والاعاجيب الظاهرة الدالة على انها من فعل الله تعالى المنشئ للاشياء القادر على
ما يشاء الذي تذلل له الصعاب وتتسبب له الاسباب فلا بدع من كمال قدرته وجلال عزته ان يبدع
خلق المياة الكثيرة ابتداء معجزة لموسى ع ونعمة عليه وعلى قومه ومن استبعد ذلك من الملحدة الذين ما
قدروا الله حق قدره ولم يعرفوه حقيقة معرفته فالكلام عليهم انما يكون في وجود الصانع واثبات صفاته
واتساع مقدوراته ولا معنى للتشاغل بالكلام معهم في الفرع مع خلافهم في الاصل
واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها و
قثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان
لكم ما سالتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله
ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اه قرا اهل المدينة النبيئين
بالهمزة والباقون بغير همز قال ابو علي الحجة لمن همز النبيء ان يقول هو اصل الكلمة الا ترى ان ناسا من
اهل الحجاز حققوا الهمزة في الكلام ولم يبدلوه فلم يكن كما ضي بريع ونحوه مما رفض استعماله فاما ما
روي في الحديث من ان بعضهم قال يا نبيء الله فقال ع لست بنبيء الله ولكني نبي فاظن ان من
اهل النقل من ضعف اسناد هذا الحديث ويقوي ضعفه ان من مدح النبي ص فقال يا خاتم الانبياء
انك مرسل بالحق حيث هدى الاله هدا كالم يؤثر عنه انكار عليه فيما علمنا ولو كان في واحد نكير لكان
الجمع كالواحد وحجة من ابدل ولم يحقق مجيء الجمع في التنزيل على الانبياء الذي هو في اكثر الامر للعتل

اللام عوض من واصفياء وغني واغنياء فدل على ان الواحد قد الزم فيه البدل واذا الزم فيه البدل ضعف فيه
التحقيق ولا يجوز ان يكون اشتقاق النبي من النبوة التي هي الارتفاع او من النباوة لان سيبويه حكى ان جميع
العرب يقولون تنبا مسيلمة بالهمز فدل على انه الهمز وقال الزجاج يجوز ان يكون نبي من انبائ فترك همزه لكثرة
الاستعمال ويجوز ان يكون من نبا ينبوا اذا ارتفع فيكون فعيلا من الرفعة الطعام ما يتغذى به
الطعم بضم الطا الاكل والطعم عرض يدرك بحاسة الذوق والطعام من قبيل الاجسام والواحد اول عدد
الحساب وحده ما لا يتجزى والله عز اسمه واحد لتفرده بصفاته الحسنى والدعاء اصله النداء عن ابن سراج
فكل من يدعوا ربه فهو يناديه وحقيقة الدعاء قول القايل لمن فوقه افعل والفرق بينه وبين الامر يظهر بالرتبة و
الانبات اخراج النبات واصله من الظهور فكانه ظهر اذا انبت والبقل ما ينبته الربيع يقال بقلت الارض
وابقلت لغتان فصيحتان اذا انبتت البقل فالبقل كل نبات ليس له ساق والقثاء فيه لغتان ضم القاف و
كسرها والكسر اجود وهي لغة القران وقد روي عن عيسى الثقفي في الشواذ بالضم والفوم هو الحنطة عن ابن عباس
وقتاده والسدي وهو المروي عن الباقر ع وانشد ابن عباس قول احيحة بن الجلاح قد كنت اغنى الناس شخصا واحدا
ورد المدينة عن زراعة فوم وقال الفرا والازهري هو الحنطة والخبز تقول العرب فوموا لنا اي اختبزوا وقال قوم
هو الحبوب التي تخبز وقال الكسائي هو الثوم ابدل من الثاء فاء كما قالوا جدث وجدف قال الفرا وهذا اشبه بما ذكره
بعده من البصل قال الزجاج وهذا بعيد لانه لا يعرف الثوم بمعنى الفوم ولان القوم لا يجوز ان يطلبوا الثوم ولا يطلبوا
الخبز الذي هو الاصل وهذا ضعيف لانه قد روي في الشواذ عن ابن مسعود وثومها بالثاء والعدس حب معروف
وقوله ادنى اي اقرب وادون كما تقول هذا شيء مقارب وادون ويجوز ان يكون ادنى من الدناءة وهي الخسة
يقال دنؤ دناءة فهو دنيء وهو ادنى منه فترك همزها وهو اختيار الفرا وحكى الازهري عن ابي زيد الدني
بلا همز الخسيس والدنيء بالهمزة الماجن واما اشتقاق مصر فقال بعضهم هو من القطع لانقطاعه بالعمارة
عما سواه ومنهم من قال هو مشتق من الفصل بينه وبين غيره وقال عدي بن حاتم وجاعل الشمس مصر الاخفا
به بين النهار وبين الليل قد فصلا وضربت عليهم الذلة اي حلوا بمنزلة الذل والمسكنة ماخوذ من ضرب
القباب قال الفرزدق ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل واما الذلة فمشتقه
من قولهم ذل فلان يذل ذلا وذلة والمسكنة مصدر المسكين يقال ما فيهم اسكن من فلان وما كان
مسكينا ولقد تمسكن تمسكنا ومنهم من يقول تسكن تسكنا والمسكنة ههنا مسكنة الفاقة والحاجة وهي خشوعها
وذلها وقوله وباؤا بغضب اي انصرفوا ورجعوا ولا يقال باء الا موصولا اما بخير واما بشر واكثر ما يستعمل في
الشر ويقال باء بذنبه يبوء بها قال المبرد واصله المنزلة اي نزلوا بمنزلة غضب الله وروي ان رجلا جاء برجل الى
رسول الله ص فقال هذا قاتل اخي وهو بواء به ومنه قول ليلى الاخيلية فان تكن القتلى بواء فانكم
فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر وقال الزجاج اصل ذلك التسوية ومنه ما روي عن قتاده بن صامت
قال جعل الله تعالى الانفال الى نبيه فقسمها بينهم على بواء اي سواء بينهم في القسمة ومنه قول الشاعر
انى ابوء بعثرتي وخطيئتي ربي وهل الا اليك المهرب والغضب ارادة ايصال الضرر الى من غضب عليه
واذا اضيف الى الله تعالى فالمراد انه يريد انزال العقوبة بالمغضوب عليه نعوذ بالله من غضبه والنبي

اشتقاقه من النباء الذي هو الخبر لانه المخبر عن الله سبحانه فان قلت لم لا يكون من النباوة ومما انشده ابو عثمن قال
ابو عثمن قال انشدني كيسان محض الضريبة في البيت الذي وضعت فيه النباوة حلدا غير محذوف فالقول فيه انه لا
يجوز ان يكون منها لان سيبويه زعم انهم يقولون في تحقير النبوة كان مسيلمة نبيئة سوء وكلهم يقول تنبأ مسيلمة
فلو كان يحتمل الامرين لما اجتمعوا على ذلك قال ابو علي ومما يقوي انه من النباء الذي هو الخبر ان النباوة الرفعة
فكانه قال في البيت الذي وضعت فيه الرفعة وليس كل رفعة نبوة وقد يكون في البيت رفعة ليست بنبوة والمخبر
عن الله تعالى المبلغ عنه نبي ورسول فهذا الاسم اخص به واشد مطابقة للمعنى المقصود اذا اخذ من النباء والاعتداء
تجاوز الحد الذي حده الله به لعباده الى غيره وكل من تجاوز حد شيء الى غيره فقد تعداه الى ما تجاوز اليه
قوله يخرج لنا مجزوم لانه جواب امر محذوف لان تقديره ادع لنا ربك وقل له اخرج لنا يخرج لنا وقد ذكرنا فيما قبل ان الاصل
فيه انه مجزوم بالشرط وحذف الشرط لان الكلام يدل عليه وقيل ان تقديره ان يكون يخرج مجزوما باضمار اللام اي
ليخرج لنا نحو قوله قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة اي ليقيموا فحذف اللام وانشد ابو زيد فيضحي صريعا
ما يقوم لحاجة ولا يسمع الداعي ويسمعك من دعا وانشد غيره فقلت ادعي وادع فان ابدى لصوت ان ينادي
داعيان اي ولادع وقال اخر محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا اي لتفد قال ابو عثمن المازني
قال جلست في حلقة الفراء فسمعته يقول لاصحابه لا يجوز حذف لام الامر الا في شعر ثم انشد من كان لا يزعم اني
شاعر فيدن مني تنهه الزاجر فقلت له لم جاز في الشعر ولم يجز في الكلام قال لان الشعر يضطر فيه الشاعر
فيحذف قال فقلت فما اضطره هاهنا وهو يمكنه ان يقول فليدن مني قال فسال عني فقيل المازني فاوسع
لي وقوله مما تنبت الارض من هنا للتبعيض لان المراد يخرج لنا ما ينبته الارض وقال بعضهم ان من هنا
زيادة نحو قولهم ما جاءني من احد والصحيح الاول لان من لا تزاد في الايجاب وانما تزاد في النفي ولان
من المعلوم انه لم يريد واجميع ما تنبته الارض ونون جميع القراء مصرا لانه اراد مصرا من الامصار بغير تعيين
لانهم كانوا في تيه ويجوز ان يكون المراد مصر بعينها البلدة المعروفة وروي ابن مسعود انه قرا بغير الف
ويجوز ان يكون اراد مصر هذه بعينها كما قال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين وانما لم يصرف لانه اسم
المدينة فهو مذكر سمي به مؤنث ويمكن ان يكون انما نونه من نونه اتباعا للمصحف لانه مكتوب في المصحف
بالف وقوله ذلك بانهم كانوا يكفرون قال الزجاج معناه والله اعلم الغضب حل بهم بكفرهم والقول في
بيانه ان ذلك اشارة الى الغضب في قوله وباؤ بغضب فهو في موضع الرفع بالابتداء وان مع صلته من
الاسم والخبر في موضع جر بالباء والجار يتعلق بخبر المبتدا وهي جملة من الفعل والفاعل حذفت
لدلالة ما يتصل بها عليها وكذلك قوله ذلك بما عصوا فان ما مع صلته في تاويل المصدر لما
عدد سبحانه فيما قبل ما اسدا اليهم من النعم والاحسان ذكر ما قابلوا به تلك النعم من الكفران وسوء الاختيار
لنفوسهم بالعصيان فقال واذ قلتم اي قال اسلافكم من بني اسرائيل يا موسى لن نصبر على طعام واحد
اي لن نطيق حبس انفسنا على طعام واحد وانما قال على طعام واحد وان كان طعامهم المن والسلوى
وهما شيئان لانه اراد به ان طعامهم في كل يوم واحد اي ياكلون في اليوم ما كانوا ياكلونه بالامس
كما يقال ان طعام فلان في كل يوم واحد وان كان ياكل الوانا اذا احسن نفسه على الوان من الطعام

لايعدوها

لا يعدوها الى غيرها وقيل انه كان ينزل عليهم المن وحده فملوه فقالوا ذلك فانزل عليهم السلوى بعد ذلك وقوله فادع لنا
ربك اي فسل ربك وادعه لاجلنا يخرج لنا من ما تنبته الارض من البقل والقثا وما سماه الله مع ذلك وكان
سبب مسئلتهم ذلك ما رواه قتادة قال كان القوم في البرية قد ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى فملوا
ذلك وذكروا عيشا كان لهم بمصر فسالوه موسى فقال الله تعالى اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم وتقديره فدعا موسى
فاستجبنا له فقلنا لهم اهبطوا مصرا وقيل انهم قالوا لا نصبر على الغنى بان يكون جميعنا اغنياء فلا يقدر بعضنا على
الاستعانة ببعض فلذلك قالوا يخرج لنا مما تنبت الارض ليحتاجوا فيه الى اعوان فيكون الفقير عونا للغني
وقوله قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير قال لهم موسى وقيل بل قال الله لهم اتتركون ما اختار
الله لكم وتؤثرون ما هو دون واردى على ذلك وقيل انه اراد اتستبدلون ما تبتذلون في زراعته وصناعته
ما اعطاه الله اياكم عفوا من المن والسلوى وقيل المراد تختارون الذي هو اقرب اي اقل قيمة على الذي هو اكثر
قيمة والذو اختلف في سؤالهم هذا هل كان معصية فقيل لم يكن معصية لان الاول كان مباحا فسالوا مباحا
اخر وقيل بل كان معصية لانهم لم يرضوا باختاره الله لهم ولذلك ذمهم على ذلك وهو اوجه وقوله اهبطوا
مصرا اختلف فيه فقال الربيع اراد مصر فرعون الذي خرجوا منه وقال ابو مسلم اراد بيت المقدس وروي
ذلك عن ابن زيد وقال قتادة والسدي ومجاهد اراد مصرا من الامصار يعني انما تسئلونه انما يكون
في الامصار ولا يكون في المفاوز اي اذا نزلتم مدينة ذات طول وعرض فان لكم فيها ما سالتم من نبات
الارض وقد تم الكلام هاهنا ثم استانف حكم الذين اعتدوا في السبت ومن قتل الانبياء فقال وضربت عليهم
الذلة والمسكنة اي الزموا الذلة الزاما لا تبرح عنهم كما يضرب المسمار على الشيء فيلزمه وقيل المراد بالذلة الجزية
لقوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون عن الحسن وقتادة وقيل هو الكستيج وزي اليهود عن عطاء وفي
قوله والمسكنة يعني زي الفقر فترى المثري منهم يتباءس مخافة ان يضاعف عليه الجزية وقال قوم هذه الاية
تدل على فضل الغنى لانه ذمهم على الفقر وليس ذلك بالوجه لان المراد به فقر القلب لانه قد يكون في اليهود مياسير
ولا يوجد يهودي غني النفس قال النبي صلى الله عليه وسلم الغنى غنى النفس قال ابن زيد ابدل الله اليهود بالعز ذلا
وبالنعمة بؤسا وبالرضا عنهم غضبا جزاء لهم بما كفروا باياته وقتل انبياءه ورسله اعتداء وظلما وباؤ بغضب
من الله اي رجعوا منصرفين متحملين غضب الله قد وجب عليهم من الله الغضب وحل بهم منه السخط
وقال قوم الغضب هو ما حل بهم في الدنيا من البلاء والنقم وقال اخرون هو ما ينالهم في الاخرة
من العقاب على معاصيهم ثم اشار بما تقدم ذكره فقال ذلك اي ذلك الغضب وضرب الذلة والمسكنة
حل بهم لاجل انهم كانوا يكفرون بايات الله اي يجحدون حجج الله تعالى وبيناته وقيل اراد بايات الله الانجيل
والقران ولذلك قال فباؤ بغضب على غضب الاول لكفرهم بعيسى والانجيل والثاني لكفرهم بمحمد والقران
وقيل ايات الله صفة محمد وقوله ويقتلون النبيين بغير الحق اي بغير جرم كزكريا ويحيى وغيرهما وقوله
بغير حق لا يدل على انه قد يصح ان يقتلون النبيين بحق لان هذا خرج مخرج الصفة لقتلهم وانه لا يكون
ظلما بغير حق كقوله تعالى ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به ومعناه ان ذلك لا يمكن ان يكون عليه
برهان وكقول الشاعر على لاحب لا يهتدى بمناره ومعناه ليس هناك منار يهتدى به وفي امثاله كثيرة

وقوله بما عصوا وكانوا يعتدون ذلك اشارة الى ما تقدم ايضا بعصيانهم فى قتل الانبياء وعدوهم فى السبت وقيل بنقضهم
العهد واعتداهم فى قتل الانبياء والمراد انى نفعل بهم ما نفعل من ذلك بعصيانهم امرى وتجاوزهم حدى الى ما
نهيتهم عنه سوال ان قيل كيف يجوز التخلية بين الكفار وقتل الانبياء فالجواب انما جاز ذلك لينال انبياء الله سبحانه
من رفع المنازل والدرجات ما لا ينالونه بغير القتل وليس ذلك بخذلان لهم كما ان التخلية بين المؤمنين والزنيا
والطيعين وبين قاتلهم ليست بخذلان لهم وقال الحسن ان الله تعالى لا يامر نبيا بالقتال فيقتل فيه وانما قتل من
الانبياء من قتل فى غير قتال والنحو الصحيح ان النبى ان كان لم يود الشرع الذى امر بتاديته لم يجز ان يمكن الله سبحانه
من قتله لانه لو مكن من ذلك لادى الى ان يكون المكلفون غير مزاحى العلة فى التكليف وفيما لهم من الالطاف
والمصالح فاما اذا ادى الشرع فحينئذ يجوز ان يخلى الله بينه وبين قاتليه ولم يجب عليه المنع من قتله وروى
ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اختلف بنوا اسرائيل بعد موسى بخمس مائة سنة حتى كثر فيهم اولاد السبايا واختلفوا بعد عيسى
بمائتين سنة ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من امن بالله واليوم الاخر وعمل
صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون اية قرا نافع بترك الهمز من الصابين والصابون فى
فى كل القران والباقون يهمزون ترك الهمز يحتمل وجهين احدهما ان يكون من صبا يصبوا اذا مال الى الشى
والاخر قلب الهمز قال ابو على ولا يسهل ان ياخذه من صبا يصبوا لانه قد يصبوا الانسان الى الدين فلا يكون منه
تدين به مع صبوه اليه فاذا بعد هذا وكان الصابيون منقلبين من دينهم الذى اخذ عليهم الى سواه لم يستقم
ان يكون الا من صبات الذى معناه انتقال من دينهم الى دين لم يشرع لهم فيكون على قلب الهمز وقلب الهمزة على هذا
الوجه لا يجوزه سيبويه الا فى الشعر فدل على ان القايل لذلك غير فصيح وانه مخلط فى لغته والاختيار الهمز لانه
قراءة الاكثر والى التفسير اقرب هادوا اى صاروا يهودا او دانوا باليهودية وهاد يهود هودا اى تاب
واختلف فى اشتقاق اسم اليهود فقيل هو من الهود اى التوبة ومنه قوله انا هدنا اليك عن ابن جريج وسموا
بذلك لتوبتهم عن عبادة العجل وقال زهير سوى مربع لم تات فيه مخافة ولا رهقا من عايذ متهود اى تايب
وقيل انما سموا يهودا لانهم هادوا اى مالوا عن الاسلام وعن دين موسى وقيل سموا بذلك لانهم يتهودون
اى يتحركون عند قراءة التورية ويقولون ان السموات والارض تحركت حين اتى الله موسى عليه السلام التورية واليهود
اسم جمع واحدهم يهودى كالزنجى والزنج والرومى والروم والنصارى جمع نصران كقولهم سكران وسكارى
وندمان وندامى هو سيبويه قال الشاعر تراه اذا كان العشى محنفا تضحى لديه وهو نصران شامس وهو
الممتلى نصرا كان الغضبان ممتلى غضبا وقيل ان المونثه نصرانة قال سجدت نصرانة لم تحنف وقيل ان واحد
النصارى نصرى مثل مهرى ومهارى واختلفوا فى اشتقاق هذا الاسم فقال ابن عباس هو من ناصرة
قرية كان يسكنها عيسى عليه السلام فنسبوا اليها وقيل سموا بذلك لتناصرهم اى لنصر بعضهم بعضا وقيل انما سموا بذلك
لقوله من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله والصابيون جمع صابى وهو من انتقل من
دين اخر وكل خارج من دين كان اليه الى اخر غيره سمى فى اللغة صابيا قال ابو على قال ابو زيد صبا الرجل
فى دينه يصبا صبوا اذا كان صابيا وصبا ناب الصبى يصبا صبا اذا طلع وصبات عليهم تصبا صباء وصبوا
اذا طلعت عليهم وطراوت مثله فكان معنى الصابى التارك دينه الذى شرع له الى دين غيره كما ان الصابى

على القوم

على القوم تارك لارضه ومنتقل الى سواها والدين الذى فارقوه هو تركهم التوحيد الى عبادة النجوم او تعظيمها قال
قتاده وهم قوم معروفون ولهم مذهب ينفردون به ومن دينهم عبادة النجوم وهم يقرون بالصانع وبالمعاد
وببعض الانبياء وقال مجاهد والحسن الصابيون بين اليهود والمجوس لا دين لهم وقال السدى هم طائفة من
اهل الكتاب يقراون الزبور وقال الخليل هم قوم دينهم شبيه بدين النصارى الا ان قبلتهم نحو مهب الجنوب حيال
منتصف النهار يزعمون انهم على دين نوح وقال ابن زيد هم اهل دين من الاديان كانوا بالجزيرة الموصل يقولون
لا اله الا الله ولم يومنوا برسول الله فمن اجل ذلك كان المشركون يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم ولاصحابه هؤلاء الصابئون يشبهونهم
بهم وقال اخرون هم طائفة من اهل الكتاب والفقهاء باجمعهم يجيزون اخذ الجزية منهم وعندنا لا يجوز ذلك لانهم
ليسوا باهل كتاب خبر ان جملة قوله من امن بالله واليوم الاخر الاية لان معناه من امن منهم بالله
واليوم الاخر فترك ذكر منهم لدلالة الكلام عليه وقوله فلهم اجرهم عند ربهم الى اخر الاية فى موضع الجزاء وانما
رفع بلا لحرف لتكريرها كقول الشاعر وما هجرتك حتى قلت معلنة لا ناقة لى فى هذا ولا جمل وهذا كانه جواب
لمن قال انا قد لك فى هذا ام جمل فاما النكرة المفردة فيه الفتح لا غير نحو لا رجل فى الدار وهو جواب هل من
رجل فى الدار وانما قال من امن فوحد ثم قال فلهم اجرهم فجمع لان من موحد اللفظ مجموع المعنى على ما تقدم
بيانه ان الذين امنوا اختلف فى هؤلاء المؤمنين منهم فقال قوم هم الذين امنوا بعيسى عليه السلام ثم لم يتهودوا
ولم يتنصروا ولم يصابوا وانتظروا خروج محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم طلاب الدين منهم حبيب النجار وقيس بن ساعدة
وزيد وعمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والبراء الشنى وابو ذر الغفارى وسلمان الفارسى وبحير الراهب ووفد
النجاشى امنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فمنهم من ادركه وتابعه ومنهم من لم يدركه وقيل هم مؤمنوا الامم الماضية
وقيل هم المؤمنون من هذه الامة فقال السدى هو سلمان الفارسى واصحابه النصارى الذين كان قد تنصر
على يديهم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد اخبروه بانه سيبعث وانهم يؤمنون به ان ادركوه واختلفوا
فى قوله من امن بالله واليوم الاخر فقال قوم هو خبر عن الذين هادوا والنصارى والصابئين لان الضمير
يرجع اليهم لان الذين امنوا قد كانوا مؤمنين فلا معنى ان يشترط فيهم استيناف الايمان فكانه قال ان
الذين امنوا ومن امن من اليهود والنصارى والصابئين بالله واليوم الاخر فلهم اجرهم وقال اخرون
من امن منهم الضمير راجع الى الكل ويكون رجوعه الى الذين امنوا بمعنى الثبات منهم على ايمانهم والايمان
والاستقامة وترك التبديل والى الذين هادوا والنصارى والصابئين بمعنى استيناف الايمان بالنبى صلى الله عليه وسلم
وما جاء به وقال بعضهم اراد من اراد بمحمد صلى الله عليه وسلم واكد بعد الايمان بالله وبالكتب المتقدمة لانه لا يتم احدهما
الا بالاخر ونظيره قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد وروى عن ابن عباس
انه قال انها منسوخة بقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهذا بعيد لان النسخ لا يجوز ان
يدخل الخبر الذى هو متضمن للوعد وانما يجوز دخوله فى الاحكام الشرعية التى يجوز تغييرها وتبديلها
بتغير المصلحة والاولى ان يحمل على انه لم يصح هذا القول عن ابن عباس وقال قوم ان حكمها ثابت والمراد
بها ان الذين امنوا بافواههم ولم تومن قلوبهم من المنافقين واليهود والنصارى والصابئين اذا امنوا
بعد النفاق واسلموا بعد العناد كان لهم اجرهم عند ربهم كمن امن فى اول استدعائه الى الايمان من

من غير نفاق ولا عناد لان قوما من المسلمين قالوا ان من اسلم بعد نفاقه وعناده كان ثوابه انقص واجره اقل فاخبر الله
بهذه الايه انهم سواء في الاجر والثواب وقوله بالله اى بتوحيد الله وصفاته وعدله واليوم الاخر يعني يوم القيمة
والبعث والنشور والجنة والنار وعمل صالحا اى عمل ما امره الله به من الطاعات وانما لم يذكر ترك المعاصي
لان تركها من الاعمال الصالحه فلهم اجرهم اى جزاؤهم وثوابهم عند ربهم اى معدعنده وقوله ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون مضى تفسيره وقيل معناه لا خوف عليهم فيما قدموا ولا هم يحزنون على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم
في العقبى ولا يحزنون على الدنيا وفي هذه الايه دلاله على ان الايمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب لانه تعالى قال
امن بالله ثم عطف عليه بقوله وعمل صالحا ومن حمل ذلك على التاكيد او الفصل فقد ترك الظاهر وكل شئ يذكر بعد
ما عطف على الاول بعد دخوله فيه مثل قوله فيهما فاكهة ونخل ورمان وقوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح فان جميع ذلك على سبيل المجاز والاتساع ولو خلينا والظاهر لقلنا انه ليس بداخل في الاول
واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم
تتقون ايه   الميثاق هو مفعال من الوثيقه اما بيمين واما بعهد او غير ذلك من الوثايق والطور
الجبل في اللغة قال العجاج داني جناحيه عن الطور فمر تقضي البازي اذا البازي كسر وقيل انه اسم جبل
بعينه ناجى الله عليه موسى ع عن ابن عباس والقوة القدرة وهي عرض يصير به الحي قادرا فكل جسم قادر
بقدرة لا يصح منه فعل الجسم والاخذ ضد الاعطاء واصله خذ اوخذ وكذا كل اصل اوكل وانما الزم الحذف
فيهما تخفيفا لكثرة الاستعمال وكذلك مر وقد جاء فيه اومر على الاصل   خذوا ما اتيناكم محله نصب
على تقدير وقلنا لكم خذوا كما تقول اوجبت عليه قم اى اوجبت عليه فقلت قم قال الفرا اخذ الميثاق في
قول بالكلام ولا حاجة الى اضمار القول فيه غيرانه ينبغي لكل ما خالف القول من الكلام الذي هو
بمعنى القول ان يكون معه ان وكقوله تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك وقال يجوز نحذف ان
وموضع ما نصب   ثم عاد الى خطاب بني اسرائيل فقال واذكروا اذ اخذنا ميثاقكم اى عهدكم والعهد
هو الذي فطر الله الخلق عليه من التوحيد والعدل ونصب لهم من الحجج الواضحة والبراهين الساطعة
الدالة على ذلك وعلى صدق الانبياء والرسل وقيل انه اراد به الميثاق الذي اخذه الله على الرسل في قوله
واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به
ولتنصرنه الايه وقيل هو اخذ التورية عن موسى ع ورفعنا فوقكم الطور قال ابن زيد هذا حين رجع موسى من الطور
فاتى بالالواح فقال لقومه جئتكم بالالواح وفيها التورية والحلال والحرام فاعملوا بها قالوا ومن يقبل قولك
فارسل الله عز وجل الملائكة حتى نتقوا الجبل فوق رؤسهم فقال موسى ع ان قبلتم ما اتيتكم به والا ارسلوا
الجبل عليكم فاخذوا التورية وسجدوا لله تعالى ملاحظين الى الجبل فمن ثم يسجد اليهود على احد شقي وجوههم
قيل وهذا هو معنى اخذ الميثاق وكان في حال رفع الجبل فوقهم لان في هذه الحال قيل لهم خذوا ما اتيناكم
يعني التورية بالقوة اى بجد ويقين لا شك فيه وهو قول ابن عباس وقتاده والسدى وقريب منه ما
روى العياشي انه سئل الصادق ع عن قول الله خذوا ما اتيناكم بقوة ابقوة بالابدان ام بقوة
بالقلوب فقال بهما جميعا وقيل اخذه بقوة هو العمل بما فيه بعزيمة وجد وقيل بقدرة وانتم قادرون

على اخذه

على اخذه عن ابي علي والاصم واذكروا ما فيه يعود الضمير من فيه الى ما من قوله ما اتيناكم وهو التورية
يعني احفظوا ما في التورية من الحلال والحرام ولا تنسوه وقيل معناه اذكروا ما في تركه من العقوبة
وهو مروي عن ابي عبد الله ع وقيل معناه اعملوا بما فيه ولا تتركوه وقيل المعنى في ذلك ان ما اتيناكم
فيه من وعد ووعيد وترغيب وترهيب يدبرون واعتبروا به واقبلوه لعلكم تتقون اى لكي تتقون
اذا فعلتم ذلك وتخافوا عقابي وتنتهوا الى طاعتي وتنزعوا عما انتم عليه من المعصية
ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ايه   توليتم اعرضتم وهو
مطاوع قولهم ولاه فلان دبره اذا استدبر عنه وجعله خلف ظهره ثم يستعمل ذلك في كل تارك طاعة امر و
معرض بوجهه عنه فيقال تولى فلان عن طاعة فلان وتولى عن صداقته ومنه قوله فلما اتاهم من فضله
بخلوا به وتولوا اى خالفوا ما وعدوا الله من قولهم لنصدقن ولنكونن من الصالحين والخاسر هو الذي
ذهب راس ماله وراس مال الانسان نفسه وما سواها ما يحصل له من المنافع فهو كالربح
معنى الايه ثم نبذتم العهد الذي اخذناه عليكم بعد اعطايكم المواثيق ووراء ظهوركم واعرضتم عنه فلولا
فضل الله عليكم اى فلولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة بعد نكثكم الميثاق الذي واثقتموه اذ رفع فوقكم
الطور وانعم عليكم بالاسلام ورحمته التي رحمكم بها فتجاوز عن خطيئتكم بمراجعتكم طاعة ربكم لكنتم من
الخاسرين وقال ابو العاليه فضل الله الايمان ورحمته القران فيكون معناه لولا اقداري لكم على الايمان
وازاحة علتكم فيه حتى فعلتم الايمان لكنتم من الخاسرين وانما جعل الايمان فضله وتوبته التي بها نجوا ولم
يكونوا بها خاسرين فضلا منه من حيث كان هو الداعي اليه والمقدر عليه والمرغب فيه ويحتمل ان يكون
المعنى ولولا فضل الله عليكم بامهاله اياكم بعد توليكم عن طاعته حتى تاب عليكم برجوع بعضكم عن ذلك
وبتوبته لكنتم من الخاسرين ويحتمل ان يريد ولولا فضله عليكم في رفع الجبل فوقكم للتوفيق واللطف الذي
تبتم عنده حتى زال العذاب عنكم وسقوط الجبل لكنتم من الخاسرين   ولقد علمتم
الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ايه   علمتم اى عرفتم هنا تقول
علمت اخاك ولم اكن اعلمه اى عرفته ولم اعرفه كقوله تعالى واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم اى
لا تعرفونهم الله يعرفهم والذين اعتدوا في موضع نصب لانه مفعول به والفرق بينه وبين ما يتعدى
الى مفعولين ان المعرفة تنصرف الى ذات المسمى والعلم ينصرف الى احواله فاذا قلت علمت زيدا فالمراد عرفته
شخصه واذا قلت علمت زيدا كريما ولئيما فالعلم يتعلق باحواله من فضل ونقص واعتدوا اى ظلموا وجاوزوا
ما حد لهم والسبت من ايام الاسبوع قال الزجاج السبت قطعة من الدهر فسمي بذلك اليوم وقال
ابو عبيده سمي بذلك لانه يوم سبت فيه خلق كل شئ اى قطع وفرغ وقال قوم انما سمي بذلك لان اليهود
يسبتون فيه اى يقطعون فيه الاعمال وقال اخرون سمي بذلك لما لهم فيه من الراحة لان اصل السبت السكون
والراحة ومنه قوله وجعلنا نومكم سباتا ويقال للنائم مسبوت لاستراحته وسكون جسده والقردة جمع
قرد والانثى قردة والخاسي المطرود ويقال خسات الكلب اخساه خسا وخسا الكلب يخسو خسوا يقال
خساته فخسا وانخسا قال الراجز كالكلبان قلت له اخسا انخسا اى ان طردته انطرد

خاطب اليهود فقال ولقد علمتم اى عرفتم الذين اعتدوا منكم فى السبت اى الذين جاوزوا ما امروا به من ترك
الصيد يوم السبت وكانت الحيتان تجتمع فى يوم السبت لامنها فحبسوها فى السبت فاخذوها فى الاحد فاعتدوا
فى السبت اى ظلموا وتجاوزوا ما حد لهم لان صيدها هو حبسها وروى عن الحسن انهم اصطادوا يوم السبت
مستحلين ما نهوا عنه فقلنا لهم كونوا قردة وهذا اخبار عن سرعة فعله ومسخه اياهم لان هناك امرا ومعناه
جعلناهم قردة كقوله تعالى وقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين ولم يكن هناك قول وانما
اخبر عن تسهيل الفعل عليه وتكونه بلا مشقة قال ابن عباس فمسخهم الله تعالى عقوبة لهم وكانوا يتعادون
وبقوا ثلثة ايام لم ياكلوا ولم يشربوا ولم يتناسلوا ثم اهلكهم الله تعالى فجاءت ريح فهبت بهم والقتهم فى الماء
وما مسخ الله امة الا اهلكها فهذه القردة والخنازير ليست من نسل اولئك ولكن مسخ اولئك على
صورة هؤلاء يدل عليه اجماع المسلمين على انه ليس فى القردة والخنازير من هو من اولاد ادم ولو كانت
من اولاد الممسوخين لكانت من بنى ادم قال مجاهد لم يمسخوا قردة وانما هو مثل ضربه الله كما قال كمثل
الحمار يحمل اسفارا وحكى عنه ايضا انه مسخت قلوبهم فجعلت كقلوب القردة لا تقبل وعظا ولا تتقى زجرا
وهذان القولان لا يخالفان الظاهر الذى اكثر المفسرين عليه من غير ضرورة تدعو اليه وقوله خاسئين
اى مبعدين عن الخير وقيل اذلاء صاغرين مطرودين عن مجاهد وفى هذه الاية احتجاجات من الله تعالى
على اليهود بنعمه المترادفة على ابائهم واخبار الرسول عليه السلام عن عناد اسلافهم مرة بعد اخرى وكفرانهم وعصيانهم
ثانية بعد اولى مع ظهور الايات اللائحة والمعجزات الواضحة تعزية له عليه وآله السلام وتثبيتا لفؤاده
وتسلية اياه عما يقاسيه من مخالفة اليهود وكيادهم وبراءة من جحودهم وكفرهم وعنادهم وليكون وقوفهم
على ما وقف عليه من اخبار سلفهم تنبيها لهم وحجة عليهم فى اخلادهم الى الهوى والحادهم وتحذيرا لهم
من ان يحل بهم ما حل بابائهم واجدادهم فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها
وموعظة للمتقين اية النكال الارهاب للغير واصله المنع لانه ماخوذ من النكل وهو القيد و
هو ايضا اللجام وسميت العقوبة نكالا لانها تمنع عن ارتكاب مثل ما ارتكبه من نزلت به ونكل فلان
بفلان تنكيلا ونكالا والموعظة والوعظ واصله التخويف يقال وعظت فلانا موعظة وعظة
فجعلناها الضمير يعود الى الامة التى مسخت وهم اهل ايلة قرية على شاطئ البحر وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلام
او الى المسخة عن الزجاج او الى العقوبة ان جعلنا تلك العقوبة عن ابن عباس او الى القرية التى اعتدى
اهلها فيها نكالا اى عقوبة وقيل اشتهارا وفضيحة وقيل تذكرة وعبرة وقوله لما بين يديها وما خلفها
ذكر فيه وجوه احدها ما روى عن ابن عباس ورواه الضحاك عنه لما بين يديها للامم التى تراها وما
خلفها ما يكون بعدها وهو يقارب الماثور المروى عن الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام انها نكال لما بين يديها اى لما
معها ينظر اليها من القرى وما خلفها نحن ولنا فيها موعظة فعلى هذا يكون ما بمعنى من اى نكالا للخلق
الذين كانوا معهم ولجميع ما ياتى بعدهم الى يوم القيمة لئلا يفعلوا مثل فعلهم وثانيها ان يكون معناه
جعلناها عقوبة للذنوب التى تقدمت على الاصطياد والذنوب التى تاخرت عنه وهذا يقتضى ان
يكون الله تعالى لم يعاجلهم بالعقوبة عقيب الاصطياد عن ابن عباس ايضا فيكون اللام بمعنى

السبب

السبب اى بسبب ذلك وثالثها ان يكون المراد لما بين يديها من القرى وما خلفها من القرى عن عكرمة عن ابن عباس
ورابعها ان يكون المراد لما بين يديها من القرى ما مضى من خطاياهم وما خلفها خطاياهم التى اهلكوا بها عن مجاهد
وموعظة للمتقين معناه انه انما يتعظ بها المتقون فكانها موعظة لهم دون غيرهم وهذا كقوله سبحانه هدى للمتقين
وفى هذه الاية دلالة على ان من فعل مثل افعال هؤلاء ممن تقدمهم او تاخر عنهم يستحق من العقاب مثل ما حل بهم من
التشويه وتغيير الخلقة اذ كان نكالا لهم جميعا وتحذيرا وتنبيها للمتقين لكى لا يواقعوا من المعاصى ما واقعوا ولئلا
يستحقوا ما استحقوه نعوذ بالله من سخطه واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا
بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى قال
انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها
قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ان البقر تشابه
علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية
فيها قالوا الان جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون خمس ايات قرا حمزة واسمعيل عن نافع وعباس
عن ابى عمرو هزءا وكفوا بالتخفيف والهمز فى كل القران وقرا حفص عن عاصم بضم الزاى والفاء غير مهموز
وقرا يعقوب هزءا بضم الزاء وكفوا بسكون الفاء الباقون بالتثقيل والهمز قال ابو الحسن زعم عيسى ان كل اسم على
ثلثة احرف اوله مضموم من العرب من يثقله ومنهم من يخففه نحو العسر واليسر والحلم ومما يقوى هذه الحكاية
ان ما كان على فعل من الجموع مثل كتب ورسل قد استمر فيه الوجهان حتى جاء ذلك فى المعتل العين الواوى
نحو سوك الاسحل قال وفى الاكف اللامعات سوك وحكى ابو زيد قوم قول واما فعل فى جمع افعل نحو احمر وحمر
فكانهم الزموهم الاسكان للفصل بين الجمعين وقد جاء فيه التحريك فى الشعر فاذا كان الامر على هذا وجب ان
يكون ذلك مستمرا فى نحو الكفوء والهزء فاذا خفف الهمزة وثقل العين لزم ان تقلب الهمزة واوا فيقول هزوا ولم
يكن له كفوا احد وان خفف فاسكن العين قال هزوا فابقى الواو التى انقلبت عن الهمزة لانضمام ما قبلها
وان لم يكن ضمة العين فى اللفظ لانها مرادة فى المعنى كما قالوا لقضو الرجل فابقوا الواو ولم يرد اللام التى
هى ياء من قضيت لان الضمة مرادة فى المعنى وكذلك قالوا رضى زيد فيما قال علم زيد فلم يرده الواو التى هى لام
لزوال الكسرة لانها مقدرة مراده وان كانت محذوفة من اللفظ فكذلك يقول هزوا وكفوا فيثبت الواو وان كنت
حذفت الهمزة الضمة الموجبة لاجتلابها واذا كان الامر على هذا فهم من قرا بالضم وتحقيق الهمز بالجواز والحسن كقراءة من
قرا بالاسكان وقلب الهمزة واوا لانه تخفيف قياسى وقد روى ابو زيد عن ابى عمرو انه خير بين التخفيف والتثقيل
البقرة اسم للمؤنث من هذا الجنس واسم الذكر مثل الثور وهذا مما يخالف صيغة الذكر منه صيغة
الانثى كالجمل والناقة والرجل والمراة والجدى والعناق واصل البقر الشق يقال بقرت بطنه اى شققته وسمى
البقر لانه من شانه شق الارض بالكراب والهزء اللعب والسخرية يقال هزئت به هزوا ومهزاه واعوذ بالله الجاء
الى الله عوذا وعياذا وحقيقة العياذ استدفاع ما يخاف من شره بما يطمع ذلك منه والجهل نقيض العلم
وقيل هو نقيض الحلم والصحيح انه اعتقاد الشى على خلاف ما هو به كما ان العلم اعتقاد الشى على ما هو به
والتبيين التعريف واصله من البين وهو الفراق فكل من بين شيئا فقد ميزه عما يلتبس به حتى يعرفه

حتى يعرف غيره قال سيبويه ابان الشيء وانتبه وبين وبينه واستبان واستبنته والمعنى واحد والفارض الكبيرة المسنة
يقال فرضت البقرة تفرض فروضا اذا اسنت قال الشاعر لعمرى لقد اعطيت جارك فارضا تساق اليه
ما يقوم على رجل وقيل ان الفارض التي قد ولدت بطونا كثيرة فيتسع لذلك جوفها لان معنى الفارض
في اللغة الواسع الضخم وهو قول بعض المتاخرين واستشهد بقول الراجز يا رب ذى ضغن على فارض
له قروء كقرء الحايض ويقال لحية فارض اى عظيمة والبكر الصغيرة التى لم تحمل والبكر من بنى ادم ومن
البهايم ما لم يفتحله الفحل والبكر من كل شيء اوله والبكر التى ولدت واحدا وبكرها اول اولادها
وقال يا بكر بكرين ويا حلب الكبد اصبحت منى كذراع من عضده وضربة بكر اى قاطعة لا تثنى وحدث
ابن عايشة عن ابيه عن جده قال كانت ضربات على بن ابى طالب عليه السلام ابكارا كان اذا اعتلى قدّ و
اذا اعترض قطّ ذكره ابن فارس فى مجمل اللغة والبكر بفتح الباء الفتى من الابل والعوان دون
المسنة وفوق الصغيرة وهى نصف التى ولدت بطنا وبطنين قال الفرا يقال من العوان عونت
المراة تعوينا اذا بلغت ثلثين سنة ومنه قيل للحرب عوان اذا لم يكن اول حرب بين القوم وكانوا قد قاتلوا
قبله وبين اسم يستعمل على ضربين مصدر وظرف قال ابو على وهما عندى وجميع بابهما يرجعان الى اصل واحد
وهو الافتراق والانكشاف وسياتيك بيانه فى الاعراب انشاء الله واللون عرض يتعاقب على الجوهر تعاقب
التضاد وهو عبارة عما اذا وجد حصلت به الجواهر على هيئة مخصوصة لولاه لما حصلت على تلك الهيئة
ولا يدخل على تحت مقدور العباد وفاقع لونها اى شديدة الصفرة يقال اصفر فاقع واحمر ناصع وخضر
ناضر واحمر قانى وابيض يقق ولهق ولهاق واسود حالك وحلكوك وحلوك وغربيب ودجوجى فهذه كلها
صفات مبالغة فى الالوان وقيل انه اراد بصفرا ههنا سودا شديدة السواد كما يقال ناقة صفرا اى سودا
وقال الشاعر تلك خيلى منه وتلك ركابى هن صفر اولادها كالزبيب والاول اصح فان الابل وان وصفت
به فلا توصف البقرة به وايضا فان السواد لا يوصف بالفقوع وانما يوصف بالحلوك وغيرها على ما
ذكرناه والبقرة جمع بقرة كذلك الباقر جمع كالجامل جمع جمل قال الاعشى وما ذنبان عاف الماء باقر
وما ان تعاف الماء الا ليضربا وقال اخرهم جامل لا يهدى الليل سامره اى جمال ونحو هذا عندهم اسم مفرد موضوع
للكثرة كاسم الجنس ومثله العبيد والكليب والضنين فى جمع عبد وكلب وضان وقوله لا ذلول يقال للدابة
التى قد ذللها الركوب والعمل دابة ذلول بين الذل بكسر الذال ويقال فى مثله من بنى ادم رجل ذليل بين
الذل بضم الذال والذلة بكسرها والمذلة والاثارة اظهار الشيء بالكشف واثار الارض اى كربها وقلبها
والحرث كل ارض ذللته للزرع قال الخليل الحرث قذف البذر فى الارض للازدراع والزرع الانبات لا الانما
قال عز اسمه افرايتم ما تحرثون اانتم تزرعونه ام نحن الزارعون مسلمة مبراة من العيوب مفعلة من السلامة
الشية لون فى الشيء يخالف معظم لونه والوشى خلط اللون باللون ولا شية فيها اى لا وضح فيها يخالف
لون جلدها يقال وشيت الثوب اشيه شية ووشيا ومنه قيل لمن يسعى بالرجل الى السلطان واش
لكذبه عليه عنده وتحسينه كذبه بالاباطيل ويقال منه وشيت به وشاية قال كعب بن زهير تسعى الوشاة
جنبيها وقولهم انك يا ابن ابى سلمى لمقتول يعنى انهم يتقولون بالاباطيل ويقولون انه ان لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم

فنر

خُفيت وكادت تستهلك فاذا انت حذفتها فكانك انما حذفت شيئا هو فى حال وجوده فى حكم المحذوف
الامى الذى لا يحسن الكتابة وانما سمى اميا لاجل وجوه احدها ان الامة الخلقة فسمى اميا لانه
باق لخلقته ومنه قول الاعشى فى معوية الاكرمين حسان الوجوه طوال الامم وثانيها انه ماخوذ من الامة
التى هى الجماعة اى هو على اصل ما عليه الامة فى انه لا يكتب لانه يستفيد الكتابة بعد ان لم يكن يكتب وثالثها
انه ماخوذ من الام اى هو ما ولدته امه فى انه لا يكتب وقيل انما نسب الى امه لان الكتابة انما تكون فى
الرجال دون النساء والامنية ذكر فيها وجوه احدها ان معناها التلاوة يقال تمنى كتاب الله اى قرا
وتلا وقال كعب بن مالك تمنى كتاب الله اول ليله واخره لاقى حمام المقادر وقال اخر تمنى كتاب
الله بالليل خاليا تمنى داود الزبور على رسل وثانيها ان المراد بالامانى الاحاديث المفتعلة على الهزل
والعرب تقول انت انما تمنى هذا القول اى تختلقه وقال بعضهم ما تمنيت منذ اسلمت اى ما كذبت
وثالثها ان المراد بالامانى انهم يتمنون على الله ما ليس لهم مثل قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات
وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه قال الزجاج اذا قال القايل ما لا يعلمه فكانه انما يتمنى وهذا مستعمل
فى كلام الناس تقول الذى يقول ما لا حقيقة له وهو يحبه هذا منى وهذا امنية والظن هو ترجيح احد
الجايزين على الاخر لامارة صحيحة وليس هو من قبيل الاعتقادات على الصحيح من المذهب ومن الناس
من قال هو اعتقاد قال الزجاج يرتفع اميون بالابتداء ومنهم الخبر وفى قول الاخفش يرتفع
اميون بفعلهم كان المعنى واستقر منهم اميون قال ابو على ليس يرتفع اميون عند الاخفش بفعلهم
وانما يرتفع بالظرف الذى هو منهم ومذهب سيبويه انه يرتفع بالابتداء ففى منهم عنده ضمير لقوله اميون وموضع
منهم على مذهبه رفع لوقوعه موقع خبر المبتدا الابتداء فاما على مذهب الاخفش فلا ضمير لقوله اميون فى منهم
ولا موضع له عنده كما لا موضع لذهب فى قولك ذهب زيد وانما رفع الاخفش الاسم بالظرف لانه نظر الى
هذه الظروف ووجدها تجرى مجرى الفعل فى مواضع وفى انها تحمل الضمير كما يحمله الفعل وما قام
مقامه من اسماء الفاعلين وما شبه به ويؤكد ما فيها كما يؤكد ما فى الفعل وما قام مقامه فى نحو مررت بقوم لك
اجمعون وينصب عنها الحال كما ينصب بالفعل ويوصل بها الاسماء الموصولة كما يوصل بالفعل والفاعل
فلما راها فى هذه المواضع تقوم مقام الفعل اجراها ايضا مبتداء مجرى الفعل فرفع بها الاسم كما رفع بالفعل
اذ لو قامت هذه الظروف مقام الفعل فى هذه المواضع فقال فى عندك زيد وفى الدار عمرو ومنهم اميون
ونحو ذلك انه يرتفع بالظرف اذ كان الظرف قد اقيم مقام الفعل فى غير هذه المواضع والدليل على
ان الاسم يرتفع بالظرف دون الفعل الذى هو استقر ونحوه انه لو كان مرتفعا بالفعل لجاز قايما فى
الدار زيد فامتناع تقديم الحال هنا يدل على انه عمل للفعل ها هنا وقوله الا امانى نصب على الاستثناء
المنقطع كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وكقول الشاعر ليس بينى وبين قيس عتاب غير طعن الكلى وضرب
الرقاب وقول النابغة حلفت يمينا غير ذى مثنوية ولا علم الا حسن ظن بصاحب وان فى قوله ان هم
بمعنى ما اى ما هم الا ظانون فهم مبتدا ويظنون خبره ومنهم عنى ومن هؤلاء اليهود الذين قطع الله
تصميمهم فى هذه الايات وقطع الطمع عن ايمانهم اميون اى غير عالمين بمعانى الكتاب يعلمونها حفظا

وتلاوة لا رعاية ودراية وهذا المانية عن ابن عباس وقتاده وقال ابو عبيدة الاميون هم الامم الذين لم ينزل عليهم
كتاب والنبى الامى الذى لا يكتب وانشد يشغ له امته سميع فى الزبور امته هو خير الامم وقوله لا يعلمون الكتاب
اى لا يعلمون ما فى الكتاب الذى انزله الله عز وجل ولا يدرون ما اودعه الله من الحدود والاحكام و
الفرايض فهم كهيئة الفرايض البهايم مقلدة لا يعرفون ما يقولون والكتاب المعنى به التورية ادخل عليه لام
التعريف الا بمعنى لكن امانى الا قولا يقولونه بافواههم كذبا عن ابن عباس وقيل احاديث يحدثهم بها
علماوهم عن الكلبى وقيل تلاوة يتلونها ولا يدرونها عن الكساى والفرا وقيل امانى يتمنون على الله
الرحمة ويخطر الشيطان ببالهم ان لهم عند الله خيرا ويتمنون ذهاب الاسلام بموت الرسول صم وعود الرياسة
اليهم وقيل امانى يتخرصون الكذب ويقولون الباطل والتمنى فى هذا الموضع هو تخلق الكذب وتخرصه ويقوى
ذلك قوله وان هم الا يظنون معناه انهم يشكون فبين انهم يختلقون ما يختلقون من الكذب ظنا لا يقينا
ولو كان المعنى انهم يتلونه لما كانوا ظانين وكذلك لو كان يتمونه لان الذى يتلوه اذا تدبره علمه ولا يقال
للمتمنى فى حال وجود تمنيه انه يظن تمنيه ولا انه شاك فيما هو عالم به واليهود الذين عاصروا النبى صم لم يشكوا
فى ان التورية من عند الله وقوله وان هم الا يظنون معناه انهم يشكون وفى هذه الاية دلالة على ان التقليد
فى معانى الكتاب وفيما طريقه العلم غير جايز وان الاقتصار على الظن فى ابواب الديانات لا يجوز ان الحجة
بالكتاب قايمة على جميع الخلق وان لم يكونوا عالمين اذا تمكنوا من العلم به وان من الواجب ان يكون التعويل
على معرفة معانى الكتاب فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله
ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم مما يكسبون اية الويل فى اللغة كلمة يستعملها كل واقع
فى هلكة واصله العذاب والهلاك ومثله الويح والويس قال الاصمعى هو التقبيح ومنه ولكم الويل مما تصفون
وقال المفضل معناه الخوف وقال قوم هو الهوان والخزى ومنه قول الشاعر يا زبرقان اخا بنى خلف
ما انت ويل ابيك والفخر واصل الكسب العمل الذى يجلب به نفع او يدفع به ضرر وكل عامل عملا بمباشرة
منه له ومعاناة فهو كاسب له وقال لبيد لمعفر فهد تنازع شلوه غبس كواسب ما يمن طعامها وقيل الكسب
عبارة عن كل عمل بجارحة يجتلب به نفع او يدفع به مضرة وقيل منه للجوارح من الطير كواسب ويل
رفع بالابتداء وخبره للذين وقال غيره اذا ويل وويح وويس نصبت من غير تنوين فقلت ويح زيد
وويل زيد واما التفس والبعد وما اشبههما فلا يحسن فيها الاضافة بغير لام فلذلك لم ترفع نحوها
وانما يقال فى تعسا له وبعدا له وتبا له وقد نصب ايضا ويل وويح مع اللام فقالوا ويلا لزيد وويحا
له قال الشاعر كسى اللوم تيما خضرة وويلا لتيما من سرابيلها الخضر ثم عاد سبحانه الى ذكر علماء
اليهود فقال فويل للذين يكتبون الكتاب قال ابن عباس الويل فى الاية العذاب وقيل جبل فى النار
وروى الخدرى عن النبى صم انه واد فى جهنم يهوى فيها الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره والاصل فيه
ما ذكره من انه كلمة التحسر والتفجع والتلهف والتوجع يقولها كل مكروب هالك وفى التنزيل يا ويلتنا
ما لهذا الكتاب وقوله للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله معناه يتولون كتبته ثم
يضيفونه الى الله سبحانه كقوله سبحانه مما عملت ايدينا اى نحن توليناه ذلك لم نكله الى احد من عبادنا ومثله

قتله والذبح فرى الاوداج وذلك فى البقر والغنم والنحر فى الابل والانى الابل ولا يجوز فيها عندنا غير ذلك وفيه خلاف
بين الفقهاء وقيل للصادق ع ان اهل مكة ينحرون البقرة فى اللبة فما ترى فى اكل لحومها فسكت هنيئة ثم قال
قال الله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون لا تاكل الا ما ذبح من مذبحه حذفت الفاء من قوله قالوا
اتتخذنا هزوا لاستغناء ما قبله من الكلام عنه وحسن الوقف على قوله ان تذبحوا بقرة كما حسن اسقاطها من
قوله قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا ولم يقل فقالوا ولو قيل بالفاء لكان حسنا ولو قلت قم ففعلت
لم يجز اسقاط الفاء لانها عطف لا استفهام يحسن السكوت عليه وقوله هزوا لا يخلوا من احد الامرين احدهما
ان يكون المضاف محذوفا لان الهزء حدث والمفعول الثانى من تتخذ يكون الاول نحو قوله لا تتخذوا عدوى
وعدوكم اولياء والثانى ان يكون الهزء بمعنى المهزوء به مثل الصيد فى قوله تعالى احل لكم صيد البحر ونحوه و
كما يقال رجل رضى اى مرضى فيقيم المصدر مقام المفعول واما قوله تعالى لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا فلا
يحتاج فيه الى تقدير محذوف مضاف لان الدين ليس بعين وقوله اعوذ اصله اعوذ نقلت الضمة من الواو الى
الساكن قبلها من غير استثقال لذلك غير انه لما اعلت عين الماضى لتحركها وانفتاح ما قبلها اعلت عين المضارع
ايضا ليجرى الباب على سنن وكذلك القول فى عاذ يعيذ واستعاذ يستعيذ والاصل اعوذ يعوذ واستعوذ
يستعوذ وقوله لا فارض ولا فارض قال الاخفش ارتفع ولم ينتصب كما ينتصب النفى لانه صفة لبقرة وقوله
عوان مرفوع لانه خبر مبتدا محذوف كانه قال هى عوان وقال الزجاج ارتفع فارض باضمار هى اى هى فارض
ولا بكر قال وانما جاز بين ذلك وبين لا يكون الا مع اثنين او اكثر لان ذلك ينوب عن الجمل تقول ظننت زيدا
قايما فيقول القايل قد ظننت ذاك وظننت ذاك قال ابو على لا يخلو اذاك فيما ذكره من قولهم ظننت ذاك من ان
يكون اشارة الى المصدر كما ذهب اليه سيبويه او يكون اشارة الى احد المفعولين ظننت او تكون نايبة عن الجملة
كما قاله ابو اسحق ولا يجوز ان يكون اشارة الى احد المفعولين لانه لو كان كذلك للزم ان يذكر الاخر كما انك
لو ذكرت اسم المشار اليه للزم فيه ذلك وكما انك اذا ذكرت المبتدا لزمك ذكر الخبر او يعلم من الحال
ما يقوم مقام ذكرك له ولا يجوز ان يكون نايبا عن الجملة هنا ولا اشارة اليها كما لم تنب عن الجملة فى غير هذا
الموضع من المواضع التى يقع فيها الجمل نحو صلة التى ووصف النكرات فيثبت ان ذلك فى قولهم ظننت
ذاك اشارة الى المصدر الذى هو الظن ولا يجوز ان يقع اسم مفرد موقع جملة ولو كان سايغا ان ينوب
ذاك عن الجمل لما جاز وقوعه هنا لان هذا الموضع ليس من مواضع الجمل الا ترى ان ذلك اشارة الى
ما تقدم مما دل عليه قوله لا فارض ولا بكر وهو البكارة والفروض فانما يدل قوله ذلك عليهما فلو كان
واقعا موقع جملة ما دل عليهما لان الجملة يسند فيها الحديث الى المحدث عنه وليس واحد من الفروض
والبكارة بمسند الى الاخر الا ترى ان المعنى بين هذين الوصفين وهذا واضح اعلم ان الاسم الذى
يضاف اليه بين لا يخلو من ان يكون دالا على الواحد غير دال على الاكثر منه عطف عليه اسم اخر لما ذكرنا
من ان الصلة الافتراق فكما يمتنع ان يقول افتراق زيد واجتماع زيد حتى تضيف اليه ما تزيده على الافراد
كذلك لا تقول بين زيد حتى تضيف اليه اخر بالواو دون غيرها من الحروف العاطفة واذا كان الاسم
دالا على الكثرة وان كان مفردا اجازوا ان يضاف بين اليه واما قوله عوان بين ذلك فانما اضيف

فيه بني الي ذلك من حيث جاز اضافته الى القوم وما اشبهه ذلك من الاسماء التي تدل على الكثرة وانما جاز ان
ان يكون قولنا ذلك يراد به مرة الانفراد ومرة الجمع والكثرة لمشابهته الموصولة كالذي وما الا ترى ان
البابين يشتبهان في دلالة كل واحد منهما على غير شيء بعينه فجاز ان يراد به الواحد مرة والكثير من الواحد
مرة ويدل على ما ذكرناه من قصدهم بذلك الجمع وما زاد على الواحد ان رؤبة لما قال له ابو عبيدة في قوله فيه
خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط وجب ان تقول كانها وان اردت
السواد والبلق وجب ان تقول كانهما قال اردت كان ذلك فعلم به انهم يقصدون بذلك وغير المفرد
ويدل عليه ايضا قول القايل ان للخير والشر مدى وكلا ذلك وجه وعلى الا ترى ان كلا لا يضاف الى
المفرد فلولا ان المراد بذلك غير الافراد ما اضيف كلا اليه فكذلك القول في عوان بين ذلك المراد بذلك
الزيادة على الواحد الا ترى انه اشارة الى ما تقدم من قوله ما دل على الفروض والبكارة وموضع ما من
قوله ما هي وما لونها رفع لانه خبر المبتدا لان تاويله الاستفهام اي اي شيء هي واي لون لونها قال انه
تقول انها ما بعد القول من باب ان مكسورا ابدا كانك لم تذكر القول في صدر كلامك وانما وقعت
قلت في كلام العرب على ان يحكى بها ما كان كلاما يقوم بنفسه قبل دخولها فيؤدى مع ذكرها ذلك
اللفظ تقول قلت زيد منطلق كانك حكيت زيد منطلق وكذلك ان زيدا منطلق اذا حكيت تقول قلت
ان زيدا منطلق وقوم من العرب وهم بنو سليم يجعلون باب قلت كباب ظننت فيقولون قلت زيدا منطلقا
وقوله فاقع لونها ارتفع لونها بانه فاعل فاقع وهو صفة لبقرة مثل صفراء وكذلك تسر الناظرين جملة مرفوعة
الموضع بكونها صفة لبقرة ويقال فقع لونه يفقع فقوعا ونقع ينقع اذا اخلصت صفرته وقوله ان البقر
تشابه علينا كل جمع يكون واحده بالهاء نحو البقر والنخل والسحاب فانه يؤنث ويذكر قال الله تعم كانهم
اعجاز نخل خاوية وفي موضع اخر نخل منقعر والتذكير الغالب وقوله تثير الارض في موضع رفع بكونه صفة
لذلول وهو داخل في معنى مصدر من وشيت النفي اي بقرة ليست بذلول مثيرة في الارض ولا
بساقية للحرث ومسلمة صفة لبقرة ايضا ولا شية فيها جملة في موضع رفع ايضا بانها صفة لبقرة وشية
مصدر من وشيت واصلها وشية فلما اسقطت الواو منها عوضت الهاء في اخرها فالواو شية شية
كما قالوا وزنه وزنة ووصلته صلة فوزنها علة قالوا الان فيه وجوه اجودها اسكان اللام من الان
وحذف الواو من اللفظ ويجوز قالوا لان على القاء الهمزة وفتح اللام وترك الواو محذوفة لالتقاء
الساكنين ولا نعتد بفتح اللام ويجوز قالوا لان باظهار الواو لحركة اللام لانهم انما حذفوا الواو لسكونها
فلما تحركت ردوها والاجود في العربية حذفها ولا ينبغي ان يقرأ الا بما وردت به رواية صحيحة فان
القراءة سنة متبعة قال ابو علي انما بني الان لتضمنه معنى الحرف وهو تضمن معنى التعريف لان التعريف
حكمه ان يكون بحرف وليس تعرفه لما فيه من الالف واللام لانه لو كان كذلك للزم ان يكون قبل دخول
اللام عليه نكرة كرجل والرجل وكذلك الذي فان فيه الالف واللام وليس تعرف الاسم فيهما انما تعرف
بغيرها وهو كونه موصولا مخصوصا ولو كان تعرفه باللام لوجب ان يكون ساير الموصولات المتعرفة
بالصلات نحو من وما غير متعرفة ويقوى زيادة اللام ما رواه المبرد عن المازني قال سالت

الاصمعي

الاصمعي عن قول الشاعر ولقد جنيتك اكموا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر لم ادخل اللام قال
ادخله زيادة للضرورة كقول الاخر باعد ام العمرو عن اسيرها وانشد ابن الاعرابي ياليت ام العمر كانت
صاحبي مكان من انشا على الركائب فكما ان اللام في الذي وفي هذه الحكاية زايدة كذلك هو في
الان زايدة وقوله وما كادوا يفعلون كاد يدل على مقارنة مباشرة يفعلون في موضع نصب بانه
خبر كاد والفصيح ان لا يدخل عليه ان لان ان حرف يركب مع الفعل فيقوم مقام المصدر وانما يسند
الى ان افعال غير ثابتة ولا مستقرة مثل الطمع والرجاء نحو عسى ان يفعل ودليل ذلك ان ان لا تدخل
على فعل الحال بل على ما يتوقع في المستانف فلهذا كانت ان لازمة لعسى ولا يلزم كاد لان كاد قريب
من الحال وقد استعمل كان مع ان في الشعر انشد اصمعي كادت النفس ان تقبض عليه اذ نوى حشو ريط
وبرود   كان السبب في امر الله تعالى بذبح البقرة فيما رواه العياشي مرفوعا الى الرضا ع ان
رجلا من بني اسرائيل قتل قرابة له ثم اخذه فطرحه على طريق افضل سبط من اسباط بني اسرائيل ثم
جاء يطلب بدمه فقالوا لموسى ع ان سبط ال فلان قتل فاخبرنا من قتله قال ائتوني ببقرة قالوا اتتخذنا
هزؤا الاية ولو عمدوا الى بقرة اجزاتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا الى قوله
قالوا الان جئت بالحق فطلبوها فوجدوها عند فتى من بني اسرائيل فقال لا ابيعها الا بملء مسكها ذهبا
فجاؤا الى موسى ع فقالوا له فقال اشتروها قال وقال لرسول الله صلعم بعض اصحابه ان هذه البقرة
ما شانها فقال ان فتى من بني اسرائيل كان بارا بابيه وانه اشترى سلعة فجاء الى ابيه فوجده نايما
والاقليد تحت راسه فكره ان يوقظه فترك ذلك فاستيقظ ابوه فاخبره فقال له احسنت خذ هذه
البقرة فهي لك عوض لما فاتك قال فقال رسول الله صلعم انظروا الى البر ما بلغ باهله وقال ابن
العباس كان القتيل شيخا مثريا فقتله بنو اخيه والقوه على باب بعض الاسباط ثم ادعوا القتل
عليهم فاحتكموا الى موسى ع فسال من عنده في ذلك علم فقالوا انت نبي الله وانت اعلم منا فاوحى
الله تعم اليه ان يامرهم بذبح بقرة فامرهم موسى ع ان يذبحوا البقرة ويضرب القتيل ببعضها فيحيى الله
القتيل فيبين من قتله وقيل قتله ابن عمه استبطا موته فقتله ليرثه وقيل انما قتله ليتزوج ابنته وقد
خطبها فلم ينعم له وخطبها غيره من خيار بني اسرائيل فلم ينعم له فحسده ابن عمه الذي لم ينعم له فقعد
له فقتله ثم حمله الى موسى ع فقال يا نبي الله هذا ابن عمي قد قتل فقال موسى من قتله قال لا ادري
وكان القتل في بني اسرائيل عظيما فعظم ذلك على موسى وهذا هو المروي عن الصادق ع   هذه
الايات معطوفة على ما تقدمها من الايات الواردة في البيان لنعم الله تعم على بني اسرائيل ومقابلتهم
لها بالكفران والعصيان فقال واذكروا ايضا من نكثكم ميثاقي الذي اخذته عليكم بالطاعة اذ قال
موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزؤا قال قوم موسى له استهزيتنا حيث
سالناك عن القتيل فتامرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لتباعد ما بين الامرين في الظاهر
مع جهلهم بوجه الحكمة فيما امرهم به لان الجاهلين اي معاذ الله ان اكون من المستهزين وانما
قال من الجاهلين ليدل على ان الاستهزاء لا يصدر الا عن جاهل فانما من استهزاء بغيره

لا يخلو امن ان يستهزئ بخلقته او بفعل من افعاله فاما الخلقة فلا معنى للاستهزاء بها واما الفعل فاذا
كان قبيحا فالواجب ان ينبه فاعله على قبحه لينزجر عنه فاما ان يستهزئ به فلا فالاستهزاء على يكون كبيره
لا يقع الا من جاهل به او محتاج اليه واذا قيل لهم اذبحوا البقرة دون غيرها فقد قيل فيه لانها من جنس
ما عبدوه من العجل ليهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه ويزول ما كان في نفوسهم من عبادته
وانما احيا الله القتيل بقتل حي ليكون اظهر لقدرته في اختراع الاشياء من اضدادها فلما علموا
ان ذبح البقرة فرض من الله تعالى سالوا عنها فبدا ابينها فقالوا ادع لنا ربك اي سل من اجلنا
ربك يبين لنا ما هي ولم يظهر في السؤال ان المسئول عنه سن البقرة وانما ظهر ذلك في الجواب قال موسى ع
انه يقول اي ان الله عز اسمه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر اي ليست بكبيرة هرمة ولا صغيرة عوان
بين ذلك اي هي وسط بين الصغيرة والكبيرة وهي اقوى ما يكون واحسن من البقر والدواب عن ابن
عباس وقيل وسط لدت بطنا او بطنين عن مجاهد فافعلوا ما تؤمرون اي اذبحوا ما امرتم بذبحه
فلما بين سبحانه سن البقرة سالوا عن لونها قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها اي سل ربك
يبين لنا ما لون البقرة التي امرنا بذبحها قال موسى انه سبحانه وتعالى يقول انها صفراء حتى قرنها
وظلفها اصفران عن الحسن وسعيد بن جبير فاقع لونها اي شديدة صفرة لونها وقيل خالص الصفرة
وقيل حسن الصفرة وقوله تسر الناظرين اي تعجب الناظرين وتفرحهم بحسنها عن قتاده وغيره وروي
عن الصادق ع انه قال من لبس نعلا صفراء لم يزل مسرورا حتى يبليها كما قال الله تعالى فاقع لونها تسر
الناظرين ولما بين سبحانه سن البقرة ولونها سالوه عن صفتها فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يبين
لنا ما هي اي امن العوامل هي ام من السوائم ان البقر تشابه علينا اي اشتبه علينا صفة البقرة
التي امرنا بذبحها وانا ان شاء الله لمهتدون الى صفة البقرة بتعريف الله ايانا وما يبينه لنا
من اللطيف والزيادة في البيان وروى ابن جريج عن قتاده عن ابن عباس عن النبي ص
انهم امروا بادنى بقرة ولكنهم لما شددوا على انفسهم شدد الله عليهم وايم الله لو لم يستثنوا
ما بينت لهم الى اخر الابد قال يعني موسى ع انه يعني الله تعالى يقول انه بقرة اي البقرة التي
امرتم بذبحها لا ذلول اي لم يذللها العمل باثارة الارض باظلافها ولا تسقي الحرث اي لا يستقى
عليها الماء فيسقى الزرع مسلمة اي بريئة من العيوب عن قتادة وعطا وقيل مسلمة من الشية
ليس لها لون يخالف لونها عن مجاهد وقيل مسلمة من اثار العمل لان ما كان من العوامل لا يخلو
من اثر العمل في قوائمه وبدنه وقال الحسن انها كانت وحشية لا شية فيها اهل اللغة لا وضح
فيها يخالف لون جلدها وقيل لا لون فيها سوى لونها عن قتادة ومجاهد قالوا الان جئت
بالحق اي ظهر لنا الحق الان وهي بقرة فلان وهذا يدل على انهم جوزوا انه قبل ذلك لم يجئ
بالحق على التفصيل وان اتى به على وجه الجملة وقال قتادة الان بينت الحق وهذا يدل على انه
كان فيهم من يشك في ان موسى ما بين الحق فذبحوها يعني البقرة على ما امروا به وما كادوا
يفعلون اي قرب ان لا يفعلوا ذلك مخافة اشتهار فضيحة القاتل وقيل كادوا يفعلون

ذلك

ذلك لغلاء ثمنها فقد حكي عن ابن عباس انهم اشتروها بملء جلدها ذهبا من مال المقتول وعن السدي بوزنها
عشر مرات ذهبا قال عكرمة وما كان ثمنها الا ثلثة دنانير ونذكر هنا فصلا موجزا ينجذب الى الكلام في
اصول الفقه اختلف العلماء في هذه الاية فمنهم من ذهب الى ان التكليف فيها متغاير وانهم لما قيل
لهم اذبحوا بقرة لم يكن المراد منهم الا ذبح اي بقرة شاؤا من غير تعيين بصفة ولو انهم ذبحوا اي بقرة اتفقت
لهم كانوا قد امتثلوا الامر فلما لم يفعلوا كان المصلحة ان يشدد عليهم التكليف ولما راجعوا المرة الثانية
تغيرت مصلحتهم الى تكليف ثالث ثم اختلف هؤلاء من وجه اخر فمنهم من قال في التكليف الاخير انه
يجب ان يكون مستوفيا لكل صفة تقدمت فعلى هذا القول يكون التكليف الثاني والثالث
ضم تكليف الى تكليف زيادة في التشديد لما فيه من المصلحة ومنهم من قال انه يجب ان يكون بالصفة
الاخيرة فقط دون ما تقدم وعلى هذا القول يكون التكليف الثاني نسخا للاول والتكليف الثالث
نسخا للثاني وقد يجوز نسخ الشيء قبل الفعل لان المصلحة يجوز ان يتغير بعد فوات وقته وانما لا يجوز
نسخ الشيء قبل وقت الفعل لان ذلك يؤدي الى البداء وذهب اخرون الى ان التكليف واحد وان اوصاف
المتاخرة هي البقرة المتقدمة وانما تاخر البيان وهو مذهب المرتضى قدس الله روحه واستدل بهذه الاية
على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب الى وقت الحاجة قال ان الله تعالى لما كلفهم ذبح البقرة قالوا لموسى ع
ادع لنا ربك يبين لنا ما هي فلا يخلو قولهم ما هي من ان يكون كناية عن البقرة المتقدم ذكرها او عن التي
امروا بها ثانيا والظاهر من قولهم ما هي يقتضي ان يكون السؤال عن صفة البقرة المامور بذبحها لانه لا علم لهم
بتكليف ذبح بقرة اخرى فيستفهموه عنها واذا صح ذلك فليس يخلو قوله انها بقرة لا فارض ولا بكر من ان يكون
فيه كناية عن البقرة الاولى او عن غيرها وليس يجوز ان يكون كناية عن بقرة ثانية لان الظاهر يقتضي ان
يكون الكناية متعلقة بما تضمنه سؤالهم ولانه لو لم يكن الامر على ذلك لم يكن جوابا لهم وقول القائل في
جواب من ساله ما كذا وكذا انه بالصفة الفلانية صريح في ان الهاء كناية عما وقع السؤال عنه هذا مع قولهم
ان البقر تشابه علينا فانهم لم يقولوا ذلك الا وقد اعتقدوا ان خطابهم مجمل غير مبين ولو كان الامر على
ما ذهب اليه القوم فلو لم يقل لهم واي تشابه عليكم وانما امرتم في الابتداء بذبح البقرة اي بقرة كانت وفي
الثاني بما يختص بالسن المخصوص وفي الثالث بما يختص باللون المخصص من اي البقرة كان قال
واما قوله فذبحوها وما كادوا يفعلون فالظاهر ان ذمهم مصروف الى تقصيرهم او تاخيرهم امتثال الامر
بعد البيان التام وهو غير مقتضي ذمهم على ترك المبادرة في الاول الى ذبح بقرة في دلالة في الاية
على ذلك وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه
ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم اياته لعلكم تعقلون اية اذا راتم اختلفتم واصله
تدارأتم فادغمت التاء في الدال بعد ان سكنت ثم جعلوا قبلها همزة الوصل ليمكن النطق بها
اكن واصل الدراء الدفع ومنه الحديث ادرؤا الحدود بالشبهات ومنه قوله ويدرؤا عنها
العذاب وقال رؤبة ادرانها قدام كل مدرة بالدفع عني درا كل عنجه وقيل الدراء العوج ومنه
قول الشاعر فنكب عنهم درء الاعادي وداووا بالجنون من الجنون ثم بين سبحانه

المقصود من الامر بالذبح فبدا بذكر القتل وقال واذ قتلتم نفسا ذكر فيه وجهان احدهما انه متقدم في المعنى
على الايات المتقدمة فعلى هذا يكون تاويله واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فسالتم موسى فقال لهم ان
الله يامركم ان تذبحوا بقرة فقدم المؤخر واخر المقدم ونحوه كثير في القران والشعر قال سبحانه الحمد
لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما وقال الشاعر ان الفرزدق صخرة ملمومة
طالت فليس تنالها الاوعالا اى طالت الاوعال والوجه الاخر ان الاية تعلقت بما هو متاخر في
الحقيقة وهو قوله فقلنا اضربوه ببعضها الاية فكانه قال فذبحوها وما كادوا يفعلون ولانكم
قتلتم نفسا فادارأتم فيها امرناكم ان تضربوه ببعضها لينكشف امره والمراد اذكروا اذ قتلتم نفسا
وهذا خطاب لمن كان على عهد النبي صلعم والمراد به اسلافهم على عادة العرب في خطاب الابناء والاحفاد
بخطاب الاسلاف والاجداد وخطاب العشيرة بما يكون من احدها يقال فعلت بنو تميم كذا وان كان
الفاعل واحدا منهم ويحتمل ان يكون خطابا لمن كان في زمن موسى ع وتقديره وقلنا لهم اذ قتلتم نفسا
وقيل ان المقتول اسمه عاميل فادارأتم فيها الهاء من فيها يعود الى النفس اى كل واحد دفع قتل
النفس عن نفسه وقيل انها يعود الى القتلة اى اختلفتم في القتلة لان قوله قتلتم يدل على المصدر وعودها الى
النفس اولى واشبه بالظاهر والله مخرج ما كنتم تكتمون اى مظهر ما كنتم تسترون من القتل وقيل معناه انه
مخرج من غامض اخباركم ومطلع من معايبكم ومعايب اسلافكم على ما تكتمونه انتم وهو خطاب
لليهود في زمن النبي صلعم فقلنا اضربوه ببعضها اى قلنا لهم اضربوا القتيل ببعض البقرة واختلفوا في
البعض في البقرة المضروب به القتيل فقيل ضرب بفخذ البقرة فقام حيا وقال قتلني فلان ثم عاد ميتا
عن مجاهد وقتاده وعكرمة وقيل ضرب بذنبها عن سعيد بن جبير وقيل بلسانها عن الضحاك وقيل
ضرب بعظم من عظامها عن ابي العالية وقيل بالبضعة التي بين الكتفين عن السدي وقيل ضرب
ببعض ارابها عن ابن زيد وهذه الاقاويل كلها محتملة ظاهرا والمعلوم ان الله سبحانه امر ان يضرب
القتيل ببعض البقرة ليحيى القتيل اذ فعلوا ذلك فيقول فلان قتلني ليزول الخلف والتدارؤ بين
القوم والصانع عز اسمه وان كان قادرا على احيائه من دون ذلك فانما امرهم بذلك لانهم سألوا
موسى ان يبين لهم حال القتيل وهم كانوا يعدون القربان من اعظم القربات وكانوا اجلوا ابتيا
عليه فلا يدخله الاخيارهم فامرهم الله بتقديم هذه القربة تعليما منه لكل من اعتاض عليه امر من
الامور ان يقدم نوعا من القرب قبل ان يسال الله تعالى كشف ذلك عنه ليكون اقرب الى الاجابة
وانما امرهم بضرب القتيل ببعضها بعد ان جعل الاختيار وقت الاحياء اليهم ليعلموا ان الله سبحانه
قادر على احياء الاموات في كل وقت من الاوقات والتقدير في الاية فقلنا اضربوه ببعضها فضربوه
فحيى كما قال سبحانه اضرب بعصاك البحر فانفلق تقديره فضرب فانفلق وقوله وكذلك يحيي الله الموتى
يحتمل ان يكون حكاية عن قول موسى ع لقومه اى اعلموا انما عاينتموه ان الله قادر على احياء الموتى
للجزاء ويحتمل ان يكون خطابا من الله تعالى لمشركي قريش والاشارة وقعت الى قيام المقتول عند
ضربه ببعض اعضاء البقرة لانه روى انه قام حيا واوداجه تشخب دما فقال قتلني فلان ابن عمي

ثم قبض ويريكم اياته يعني معجزاته الباهرة الخارقة للعادة من احياء هذا الميت وغيره وقيل اراد الاعلام
الظاهرة الدالة على صدق محمد صلعم لعلكم تعقلون لكي تستعملوا عقولكم فان من لم يستعمل عقله ولم يبصر رشده
فهو كمن لا عقل له وقيل لكي تعقلوا ما يجب انا لمبعوثون عليكم من امور دينكم واحتج الله تعالى بهذه الايات
على مشركي العرب فيما استبعدوه من البعث وقيام الاموات بقولهم اذا كنا عظاما ورفاتا ائنا
لمبعوثون خلقا جديدا فاخبرهم سبحانه بان الذي انكروه واستبعدوه من البعث لا يتعذر عليه في اتساع
قدرته ونبههم على ذلك بذكر المقتول واحيائه بعد ضربه بجزء من البقرة وانطق اخر قتله وكيفيته وقيامه بعد
القتل حيا مخاطبا باسم قتلته مؤذنا لهم ان احياء جميع الاموات بعد ان صاروا عظاما باليات لا يصعب عليه
ولا يتعذر بل يهون عنده ويتيسر وفيها دلالة على صدق نبوة نبينا صلعم حيث اخبرهم بغوامض اخبارهم
التي لا يجوز ان يعلمها الا من قرأ كتب الاولين او اوحي اليه من عند رب العالمين وقد صدقه جملة القوم
من اليهود فيما اخبر به من هذه الاقاصيص وقد علموا انه امي لم يقرأ كتابا ولم يرتابوا في ذلك هذه
اية صادعة وحجة ساطعة في تثبيت نبوته صلعم ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة
او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء
وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون اية قرا ابن كثير وحده عما يعملون
بالياء هاهنا والباقون بالتاء واختلفوا في قوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون فقراها ابو جعفر وحده
بالتاء كل القران الا في الانعام وقرا ابن عامر بالتاء كل القران وقرا حمزة والكسائي الاول بالتاء والثاني
بالياء كل القران واختلف عن ابن كثير ونافع وعاصم وابي عمرو قال ابو علي القول في ذلك
ان ما كان قبله خطاب جعل بالتاء ليكون الخطاب معطوفا على خطاب كقوله ثم قست قلوبكم ثم قال
عما تعملون بالتاء ولو كان بالياء على لفظ الغيبة اى وما الله بغافل عما يعمل هؤلاء ايها المسلمون لكان حسنا
وان كان الذي قبله غيبة حسن ان يجعل على لفظ الغيبة ويجوز فيه الخطاب ايضا ووجه ذلك ان تجمع بين
الغيبة والخطاب فتغلب الخطاب على الغيبة كتغليب المذكر على المؤنث الا ترى انهم قدموا الخطاب على
الغيبة في باب الضمير وهو موضع ترد فيه الاشياء الى اصولها نحو لك ونحو قوله فلانك ما سال ولا اعاما
فلما قدموا المخاطب على الغايب فقال اعطاكه ولم يقولوا اعطاهوك علم انه اقدم في الرتبة فاذا كان
الامر على هذا فالخطاب في هذا النحو يعني به العتب والمخاطبون فتغلب الخطاب على الغيبة ويجوز فيه لفظ
الخبر وهو ان يراد به وقل لهم ايها النبي ما الله بغافل عما تعملون القسوة ذهاب اللين والرحمة
من القلب يقال قسا قلبه يقسو قسوا وقسوة وقساوة والقسوة الصلابة في كل شيء ونقيضه الرقة
والشدة القوة في الجسم والشدة الصعوبة في الامر والشد العقد والنهر المجرى الواسع من مجاري الماء
والجدول والشرب دون ذلك يقال نهر ونهر والفتح افصح قال تعالى في جنات ونهر وجمعه نهر وانهار
والتفجر التفعل من فجر الماء وذلك اذا نزل خارجا من منبعه وكل سايل شخص خارجا من موضعه ومكانه
فقد انفجر ماء كان او دما او غير ذلك قال عمرو بن لجا ولما ان قرنت الى جرير ابى ذو بطنه الا انفجارا
اى خروجا وسيلانا واصل يشقق يتشقق ادغمت التاء في الشين وهو ان ينقطع من غير ان يبين

السهو عن الشى وهو ذهاب المعنى عن نفس بعد حضوره ويقال تغافلت عن عمل اى عملت عمل الساهى
لما قدم سبحانه ذكر المعجزات القاهرة والاعلام الظاهرة بين ما فعلوا بعدها من العصيان والطغيان
فقال عز اسمه ثم قست قلوبكم اى غلظت ويبست وعست من بعد ذلك اى من بعد ايات الله كلها التى اظهرها
على يد موسى ع وقيل انه اراد بنى اخ المقتول حين انكروا قتله بعد ان سمعوه منه عند احياء الله تعالى اياه انه
قتله فلان عن ابن عباس فيكون ذلك اشارة الى الاحياء اى من بعد احياء الميت لكم ببعض اعضاء البقرة
بعد ان تدارأتم فيه فاخبركم بقاتله والسبب الذى من اجله قتله وكان يجب من شاهد هذه الاية العجيبة والمعجزة
الخارقة للعادة ان يخضع ويلين قلبه ويحتمل ان يكون ذلك اشارة ايضا الى الايات الاخر التى تقدمت
كمسخ القردة والخنازير ورفع الجبل فوقهم وانبجاس الماء من الحجر وانفراق البحر وغير ذلك وانما جاز
ان يكون يقول ذلك وان كانوا جماعة ولم يقل ذلكم لان الجماعة فى معنى الجميع والفريق فلفظ الخطاب
مفرد فى معنى الجمع ولو قال ذلكم لجاز وقوله فهى كالحجارة شبه قلوبهم بالحجارة فى الصلابة واليبس
والغلظ والشدة وقد ورد الخبر عن النبى ص انه قال لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير
يقسى القلب وان ابعد الناس من الله القاسى القلب او اشد قسوة ويجوز ان يكون عطفا على موضع
الكاف فكانه قال فهى مثل الحجارة او اشد قسوة اى اشد صلابة لامتناعهم عن الاقرار اللازم
بقيام حجته والعمل بالواجب من طاعته بعد مشاهدة الايات وقيل فى تاويل او هنا وجوه احدها
ما ذكره الزجاج ان معناها الاباحة كقولهم جالس الحسن او ابن سيرين فان جالست احدهما او
جمعت بينهما فانت مصيب فيكون معنى الاية على هذا ان قلوبهم قاسية فان شبهت قسوتها بالحجر اصبت
وان شبهتها بما هو اشد اصبت وان شبهتها بهما جميعا اصبت كما من نحو هذا فى قوله سبحانه او كصيب
من السماء وثانيها ان يكون او دخلت للتفصيل والتمييز فيكون معنى الاية ان قلوبهم قاسية بعضها
كالحجارة وبعضها او اشد قسوة من الحجارة وقد يحتمل قوله تعالى او كصيب من السماء هذا الوجه ايضا
وثالثها ان يكون او دخلت على سبيل الابهام فيما يرجع الى المخاطب وان كان تعالى عالما بذلك
غير شاك فيه فاخبر ان قسوة قلوب هولاء كالحجارة واشد قسوة والمعنى انها كاحد هذين لا تخرج
عنهما كما يقال اكلت بسرة او تمرة وهو يعلم ما اكله على التفصيل الا انه ابهم على المخاطب وكما قال
لبيد تمنى ابنتاى ان يعيش ابوهما وهل انا الا من ربيعة او مضر اراد هل انا الا من احد هذين
الجنسين فسبيلى ان افنى كما فنيا وانما حسن ذلك لان غرضه الذى نحا هو ان يخبر بكونه ممن يموت
ويفنى ولم يخل بقصده الذى اجرى اليه اجمال ما اجمل من كلامه وكذلك هنا الغرض الاخبار عن شدة
قسوة قلوبهم وانها مما لا تصغى الى وعظ ولا تعرج الى خير فسواء كانت كالحجارة او اشد منها فى انه
لا يحتاج الى ذكر تفصيله ورابعها ان يكون او بمعنى بل كما قال الله تعالى وارسلناه الى مائة الف او
يزيدون ومعناه بل يزيدون وروى عن ابن عباس انه قال كانوا مائة الف وبضعا واربعين
الفا وانشد الفرا بدت مثل قرن الشمس فى رونق الضحى وصورتها او انت فى العين املح كما يكون
ام منقطعة فى الاستفهام بمعنى بل بقول القايل اضربت عبد الله ام انت متعنت اى بل انت

فوالله

ودابّع

١٧٥ فوالله ما ادرى اسلمى تغولت ام البوم ام كل الى حبيب معناه بل كل وقد طعن على هذا الجواب فقيل كيف يجوز ان
يخاطبنا الله تعالى بلفظة بل وهى تقتضى الاستدراك والنقض للكلام الماضى واستيناف وهذا غير سديد
لان الاستدراك ان اريد به الاستعاذة او التذكير لما لم يكن معلوما فلا يصح وان اريد به الاخذ
فى الكلام الماضى واستيناف زيادة عليه فهو صحيح فالقايل اذا قال اعطيته الفا بل الفين لم ينقض
الاولى وكيف ينقضه والاولى داخل فى الثانى وانما زاد عليه وانما يكون ناقضا للثانى لو قال
لقيت رجلا بل حمارا لان الاول يدخل فى الثانى على وجه وقوله تعالى واشد قسوة غير ناقض للاول
لانها لا تزيد على الحجارة الا بان تساويها وانما تزيد عليها بعد المساواة وخامسها ان تكون بمعنى
الواو كقوله تعالى او بيوت اباءكم او بيوت امهاتكم ومعناه وبيوت اباءكم قال جرير اثعلبة الفوارس
او رياحا عدلت بهم طهية والخشابا اى ورياحا وقال ايضا نال الخلافة او كانت له قدرا كما اتى
ربه موسى على قدر وقال توبة بن الحمير وقد زعمت ليلى بانى فاجر لنفسى تقاها او عليها فجورها فان
قيل كيف يكون او فى الاية بمعنى الواو والواو للجمع والشى اذا كان على صفة لم يجز ان يكون على
خلافها اجيب عنه بانه ليس يمتنع ان يكون قلوبهم كالحجارة فى حال واشد من الحجارة فى حالة
اخرى فيصح المعنى ولا يتنافى وفايدة هذا الجواب ان قلوب هولاء مع قسوتها ربما لانت بعض اللين
وكادت تصغى الى الحق فتكون فى هذا الحال كالحجارة التى ربما لانت وتكون فى حال اخرى فى نهاية
البعد عن الخير فيكون اشد من الحجارة وجواب اخر وهو ان قلوبهم لا تكون اشد من الحجارة الا بعد
ان يكون فيها قسوة الحجارة لان قولنا فلان اعلم من فلان اخبار بانه زايد عليه فى العلم الذى
اشتركا فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة فلا تنافى هاهنا ثم فضل الله تعالى الحجارة على القلب القاسى
فقال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار ومعناه ان من الحجارة ما هو انفع من قلوبكم القاسية
فهو يتفجر منه انهار الماء واستغنى بذكر الانهار عن ذكر الماء وقيل المراد منه الحجر الذى كان ينفجر منه
اثنتا عشرة عينا وقيل هو عام وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء يعنى ومن الحجارة ما يخرج منه
الماء فيكون عينا نابعة لا انهارا جارية حتى يكون مخالفا للاول وقال على ابن الحسين المغربى
الحجارة الاولى الجبال منها يتفجر الانهار والثانية حجر موسى ع الذى كان يضربه فيخرج منه العيون
فلا يكون تكرارا او قوله وان منها لما يهبط من خشية الله الضمير فى منها يرجع الى الحجارة اى
ومن الحجارة ما يهبط من خشية الله وعليه اكثر اهل التفسير وقيل يرجع الى القلوب اى ومن
القلوب ما يهبط من خشية الله اى يخشع وهى قلوب من امن من اهل الكتاب فيكونون
مستثنين من القاسية قلوبهم عن ابى مسلم ومن قال ان الضمير يرجع الى الحجارة فانهم اختلفوا
فى تاويله على وجوه احدها ما روى عن مجاهد وابن جريج ان كل حجر تردى عن راس جبل
فهو من خشية الله تعالى ومعناه ان الحجارة قد تصير الى الحال التى ذكرها من خشية الله وقلوب
لا تخشى ولا تخشع ولا تلين لانهم عارفون بصدق محمد ثم لا يؤمنون به فقلوبهم اقسى من الحجارة
وثانيها ما قاله الزجاج ان الله تعالى اعطى بعض الجبال المعرفة فعقل طاعة الله نحو الجبل الذى تجلى

عز وجل لحين كلم موسى ع فصار دكا كما روي عن النبي ص انه قال ان حجرا كان يسلم علي في الجاهلية واني
لاعرفه الان وهذا الوجه ضعيف لان الجبل اذا كان جمادا فمحال ان يكون فيه معرفة الله وان كان
فيه بنية الحي فانه لا يكون جبلا واما الخبر فان صح فان معناه انه سبحانه احياه فسلم على النبي ص
ثم اعاده حجرا او يكون معجزا له ع وثالثها انه يدعو المتفكر فيه الى خشية الله او يوجب الخشية له بالادلة
على صانعه لما يرى فيه من الدلالات والعجايب واضاف الخشية اليه لان التفكر فيه هو الداعي
الى الخشية كما قال جرير بن عطية واعور من نبهان اما نهاره فاعمى واما ليله فبصير فجعل الصفة لليل والنهار وهو
يريد صاحبه النبهاني الذي يهجوه بذلك من انه كان هيما على ما وصفهما به ورابعها انه انما ذكر ذلك على سبيل ضرب
المثل اى كانه يخشى الله سبحانه في المثل لانقياده لامره ووجد منه ما لو وجد من حي عاقل لكان دليلا على
خشيته كقوله سبحانه فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه اى فكانه يريد لانه ظهر فيه من الميل ما لو ظهر
من حي لدل على ارادة الانقضاض ومثله قوله وان من شي الا يسبح بحمده وكما قال زيد الخيل بجمع تضل
البلق في حجراته ترى الاكم فيها سجدا للحوافر فجعل ما ظهر في الاكم من اثار الحوافر وقلة مدافعتها لها كالملتفع
الحجر الصلد سجودا لها ولو كانت الاكم في صلابة الحديد حتى تمتنع على الحوافر فجعل ما ظهر في الاكم لم يقل انها
تسجد للحوافر وقال جرير لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع اى كانها كذلك وقال
جرير ايضا والشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا وكما قال سبحانه لو انزلنا
هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله اى لو كانت الجبال مما تخشع لشي ما
لرايته خاشعا ويويد على الوجه قوله سبحانه وتلك الامثال نضربها للناس وخامسها ان يهبط
يجوز ان يكون متعديا قال الشاعر ما راعني الا جناح هابطا على البيوت قوطه العلابطا فاعمله
في اللفظ كما ترى ويكون على هبطت الشي فهبط فمعناه يهبط غيره من خشية الله اذا راه الانسان
خشع لطاعة خالقه الا انه حذف المفعول تخفيفا ولدلالة الكلام عليه ونسب الفعل الى الحجر لانه طاعة
ذاته لخالقه سببها النظر اليه اى منها ما يهبط الناظر اليه اى يخضعه ويخشعه وقوله وما الله بغافل
عما تعملون ايها المكذبون باياته الجاحدون بنبوة نبيه ص وقد ذكرناه قبل   افتطمعون
ان يومنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ايه
الطمع تعليق النفس مما يظن من النفع ونظيره الامل والرجاء ونقيضه الياس والفريق جمع
كالطايفة لا واحد لها من لفظه وهو فعيل من التفرق كما سميت الجماعة بالحزب من التحزب قال
الاعشى بني تغلبة اخذوا فلما خشوا ان يتفرقوا فريقين منهم مصعب ومصوب والتحريف في
الكلام تغيير الكلمة من معناها   افتطمعون الف استخبار يجري في كثير من المواضع مجرى
الانكار اذا لم يكن معها نفي فاذا جاءت مع النفي فانكار النفي تثبت ويكون بمعنى الاستدعاء
الى الاقرار نحو اليس الله بكاف عبده فجوابه بلى كقوله الم ياتكم نذير قالوا بلى وجوابه افتطمعون لا على
ما ذكرناه   هذا خطاب لامة نبينا ص يقول افتطمعون ايها المومنون ان يومنوا لكم من طريق
النظر والاعتبار والانقياد للحق بالاختيار وقد كان فريق منهم اى ممن هو في مثل حالهم من اسلافهم

يسمعون

يسمعون كلام الله ويعلمون انه حق ويعاندون فيحرفونه تاويلا ويلونه على غير تاويله وقيل انهم علماء اليهود الذين
يحرفون التورية فيجعلون الحلال حراما والحرام حلالا اتباعا لاهوائهم واعانة لمن يرشوهم عن مجاهد
والسدي وقيل انهم السبعين رجلا الذين اختارهم موسى من قومه فسمعوا كلام الله فلم يمتثلوا امره و
حرفوا القول في اخبارهم لقومهم حين رجعوا اليهم عن ابن عباس والربيع فيكون على هذا كلام الله معناه
كلام الله لموسى وقت المناجاة وقيل المراد بكلام الله صفة محمد ص في التورية وقوله ثم يحرفونه من بعد
ما عقلوه وهم يعلمون قيل فيه وجهان احدهما ان يكون معناه انهم غيروه من بعد ما فهموه فانكروه
عنادا وهم يعلمون انهم يحرفونه اى يغيرونه والثاني ان معناه من بعد ما تحققوه وهم يعلمون ما عليهم
في تحريفه من العقاب والاول اليق بمذهبنا في الموافاة وانما اراد الله سبحانه بالاية ان هولاء
اليهود الذين كانوا على عهد النبي ص ان لم يومنوا به وكذبوه وجحدوا نبوته فلهم باباتهم واسلافهم الذين
كذبوا موسى ع اسوة اذ جروا على طريقتهم في الجحد والعناد وهولاء الذين عاندوا وحرفوا كانوا معدودين
يجوز على مثلهم التواطو والاتفاق في كتمان الحق وان كان يمتنع ذلك على الجمع الكثير والجم الغفير لامر
يرجع الى اختلاف الدواعي ويبطل قول من قال انهم كانوا كلهم عارفين معاندين لان الله سبحانه
انما نسب فريقا منهم الى المعاندة وان كانوا باجمعهم كافرين وفي هذه الاية دلالة على عظم الذنب بتحريف
الشرع وهو عام في اظهار البدع في الفتاوى والقضايا وجميع امور الدين   واذا
لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم
به عند ربكم افلا تعقلون ايه   الحديث والخبر والنباء نظاير مشتق من الحدوث كانه اخبار عن
حوادث الزمان والفتح في الاصل فتح المغلق وقد يستعمل في مواضع كثيرة فمنها الحكم يقال اللهم افتح
بيني وبين فلان اى احكم ومنه ويقولون متى هذا الفتح اى هذا القضاء ويوم الفتح يوم القضاء
قال الشاعر الا ابلغ بني عصم رسولا فاني عن فتاحتكم غني ويقال للقاضي الفتاح ومنها التعليم يقال فتح
على هذا اى علمه ما عنده فيه ومنها النصرة يقال استفتحه طلب منه النصر ومنه قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم
الفتح ويستعمل في فتح البلدان يقال فتح المسلمون ارض كذا والمحاجة والمجادلة والمناظرة نظاير فالمحاجة
ان يحتج كل واحد من الخصمين على صاحبه والحجة على الوجه الذي يكون به الظفر عند التحاج ويقال حاجه
فحجه وفي الحديث فحج ادم موسى اى غلبه بالحجة واصله من القصد ومنه الحج وهو القصد الى بيت الله
الحرام على وجه مخصوص فالحجة هي النكتة المقصودة في تصحيح الامر   روى عن ابي جعفر الباقر ع
انه قال كان قوم من اليهود ليسوا من المعاندين المتواطئين اذا لقوا المسلمين حدثوهم بما في التورية
من صفة محمد ص فنهاهم كبراؤهم عن ذلك وقالوا لا تخبروهم بما في التورية من صفة محمد ص فيحاجوكم
به عند ربكم فنزلت هذه الاية وقال مجاهد نزلت في بني قريظة لما قال لهم النبي ص يا اخوة القردة والخنازير
قالوا من اخبر محمدا ص بهذا ما خرج الا منكم وقال السدي هولاء ناس من اليهود امنوا ثم نافقوا فكانوا
يحدثون المومنين من العرب بما عذبوا به فقال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما فتح الله عليكم من
العذاب ليحاجوكم به فيقولوا نحن اكرم على الله منكم   ثم ذكر الله سبحانه خصلة اخرى من

من خصالهم الذميمة فقال وهم الذين اذا لقوا الذين امنوا اى رأوهم قالوا امنا اى صدقنا بمحمد صلعم انه نبي صادق
نجده فى كتابنا بنعته وصفته وبما صدقتم به واقررنا بذلك اخبر الله تعالى عنهم انهم تخلقوا باخلاق المنافقين
وتحلوا بحليتهم واستنوا بسنتهم واذا خلا بعضهم الى بعض اى اذا خلا بعض هؤلاء اليهود الذين
وصفهم الله الى بعض منهم فصاروا فى خلاء وهو موضع الذى ليس فيهم غيرهم قال يعنى قال بعضهم لبعض
اتحدثونهم بما فتح الله عليكم قال الكلبى بما قضى الله عليكم فى كتابكم ان محمدا صلعم حق وقوله صدق وروى
سعيد بن جبير عن ابن عباس ان معناه قالوا لا تحدثوا العرب بهذا فانكم قد كنتم تستفتحون به عليهم اى
لا تقروا بانه نبي وقد علمتم انه قد اخذ له الميثاق عليكم باتباعه وانه النبى الذى كنا ننتظره ونجده فى
كتابنا اجحدوا ولا تقروا لهم به وقال الكسائى اتحدثونهم بما بينه الله لكم فى كتابكم من العلم ببعث
محمد صلعم والبشارة به وبعض الاقوال فيه ذكرناه فى النزول واقوى التاويلات قول من قال اتحدثونهم
بما فتح الله عليكم اى حكم الله به عليكم وقضاه فيكم ومن حكمه عليكم ما اخذ به ميثاقكم من الايمان بمحمد صلعم
وصفته الموصوفة لكم فى التورية ومن قضائه فيكم انه جعل منكم القردة والخنازير وقوله ليحاجوكم به
عند ربكم اى ليكون لهم الحجة عليكم عند الله فى الدنيا والاخرة فى ايمانهم بالنبى صلعم اذ كنتم مقرين به
مخبرين بصحة امره من كتابكم فبهذا يبين حجتهم عليكم عند الله وقيل معناه ليحاجوكم ليجادلوكم ويقولوا
لكم قد اقررتم انه نبى حق فى كتابكم ثم لا تتبعونه وقوله عند ربكم قال ابن الانبارى معناه فى حكم ربكم
كما يقال هذا حلال عند الشافعى اى فى حكمه وهذا يحل عند الله اى فى حكمه وقوله افلا تعقلون اى
افلا تفقهون ايها القوم ان اخباركم محمدا صلعم واصحابه بما تخبرونهم به من وجود نعت محمد فى كتبكم حجة
عليكم عند ربكم يحتجون بها عليكم وقيل معناه افلا تعقلون ايها المؤمنون انهم لا يؤمنون فلا تطمعون
فى ذلك عن الحسن وقيل انه خطاب لليهود اى افلا تعقلون ايها اليهود اذ تقبلون من روسائكم مثل هذا
وهذا تحذير لهم عن الرجوع الى قول روسائهم اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون الاية اولا يعلمون يعنى اليهود ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم فكيف يستجيزون ان يسروا الى
اخوانهم النهى عن التحدث بما هو الحق وهم مقرون بذلك غير جاحدين بان الله يعلم سرهم وجهرهم كالكفار
والمنافقين فهم من هذه الجهة الام والمذمة لهم الزم عن اكثر المفسرين وقيل معناه اولا يعلمون
ان الله يعلم ما يسرون من كفرهم وتكذيبهم محمدا صلعم اذا خلا بعضهم الى بعض وما يعلنون من قولهم
امنا اذا لقوا اصحاب محمد ليرضوهم بذلك عن قتاده وابى العالية ومنهم اميون
لا يعلمون الكتاب الا امانى وان هم الا يظنون الاية قرأ ابو جعفر وشيبة والحسن امانى مخففة
والباقون بالتشديد وكذا قوله ليس باماينكم ولا امانى اهل الكتاب قال ابن جنى الاصل
فيه التثقيل امانى جمع امنية والتخفيف فى هذا النحو كثير والمحذوف منه الياء الاولى التى هى نظيرة
ياء المدغم غير الادغام نحو اقراطيس وحواميم وارجيح جمع حومانة وارجوحة الا تراها قد حذفت
فى نحو قوله والبكرات الفسح العطامسا وقوله وغير شفع مثل تجاهم يريد عطاميس ويحاميم
وعلى ان حذف الياء مع الادغام اسهل من حذفه والادغام معه وذلك ان هذه الياء لما ادغمت

وقف کتابخانهٔ آستان قدس رضوی
تاریخ رمضان ۱۳۸۵ هـ
کتابخانه آستان قدس
ویژه خطی
سال ۱۳۱۸ خورشیدی بازبینی شد